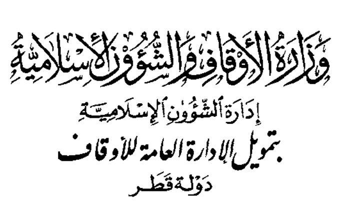




تأليف
الإمام شمس الدين السفاريني
محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي
المولود سنة ١١١٤ والمتوفى سنة ١١٨٨هـ
رحمه الله تعالى

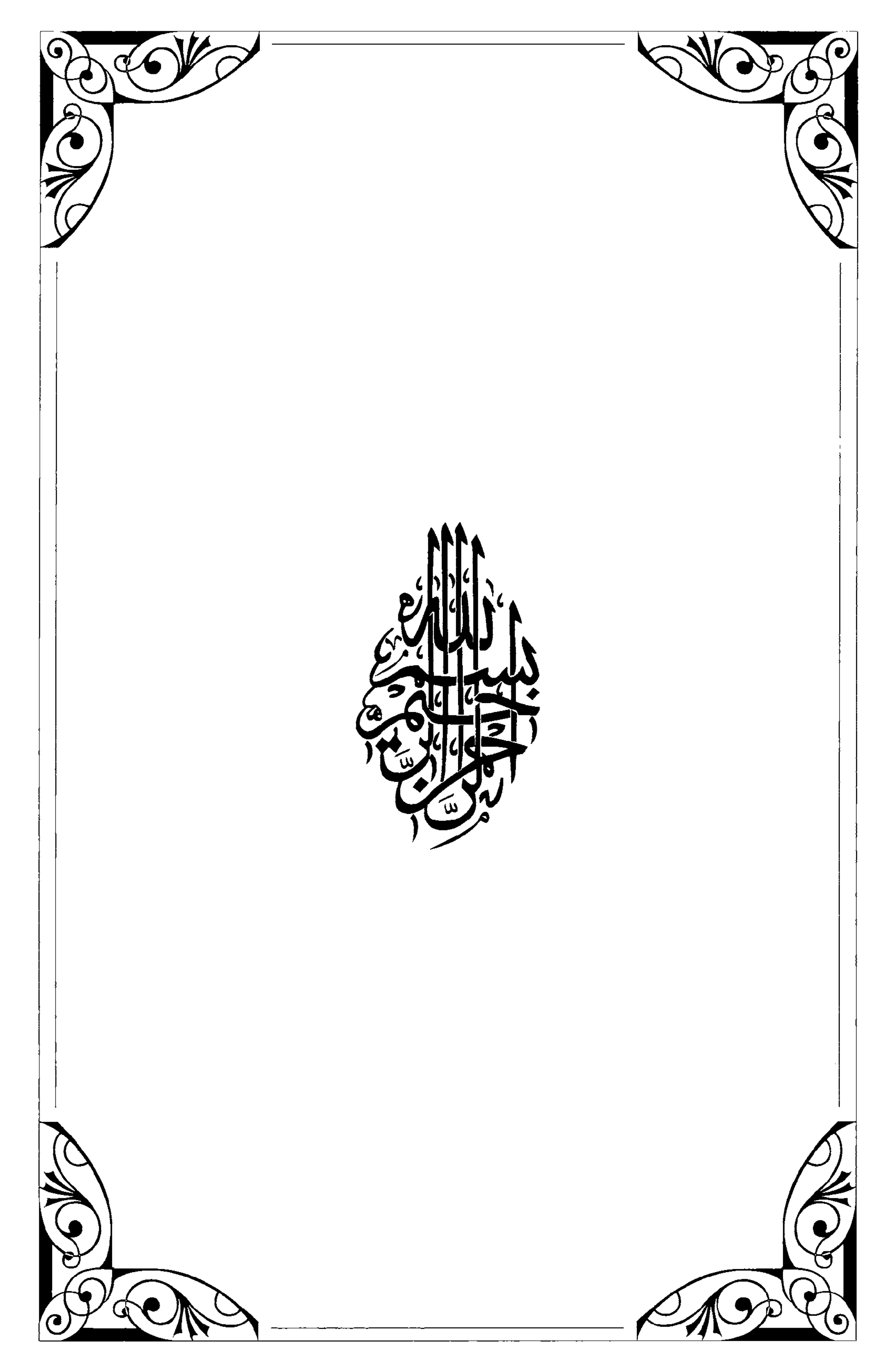
تحقيق الشيخ
محمد عصام الشطي الدمشقي الحنبلي

المجلد السادس

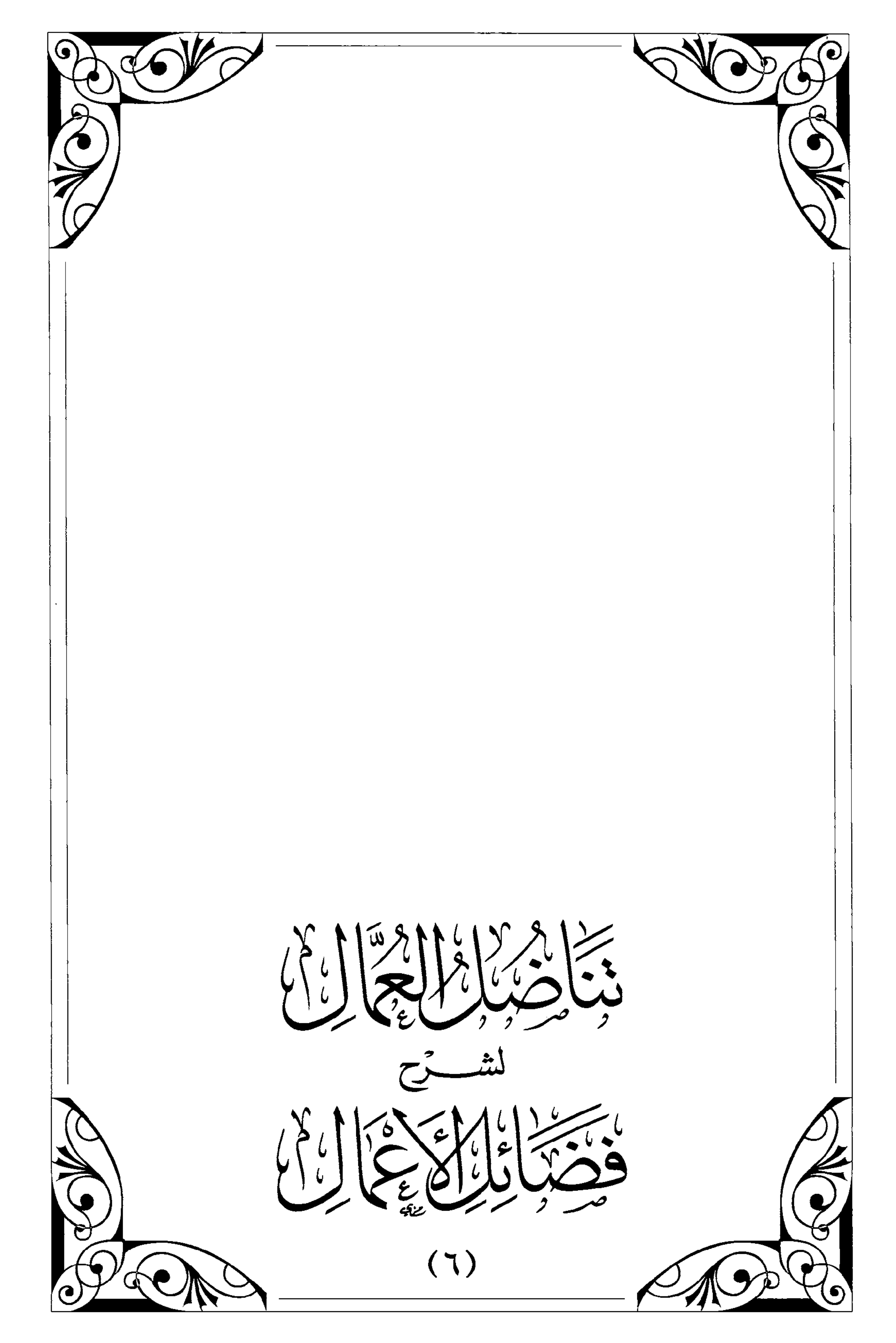


إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر



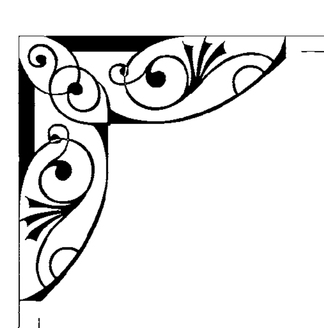
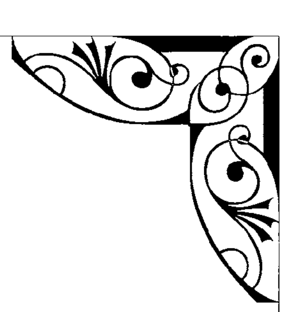


بسم الله الرحمن الرحيم



تناضل العمال
لشرح
فضائل الأعمال

(٦)

طَبعة خاصَّة

الكِتاب طُبِعَ على نفقةِ

وَزارةِ الأوقافِ والشُّؤونِ الإسلاميَّةِ

وهو يُوزَّعُ مجّاناً ولا يجوزُ بيعُهُ

turathuna@islam.gov.qa

إدارةُ الشُّؤونِ الإسلاميةِ

ص. ب: ٤٢٢

ISBN 978-9933-564-08-7



الطَّبعةُ الأُولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والإخراج الفني والطباعة

دار النوادر

لبنان - بيروت

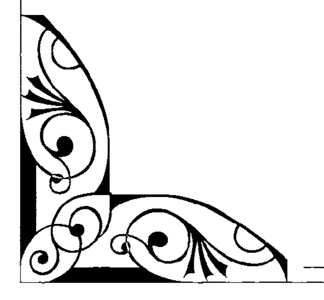
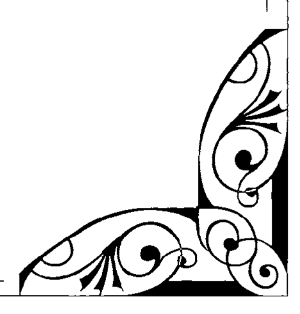
ص. ب: 4462/14

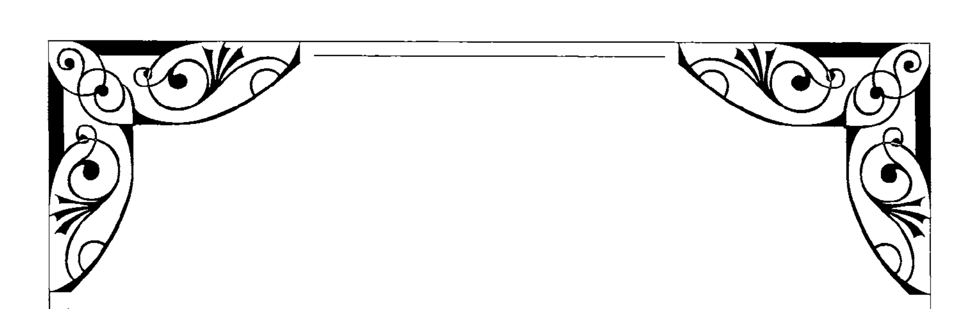
هاتف: 009611652528

فاكس: 009611652529

E-mail: info@daralnawader.com

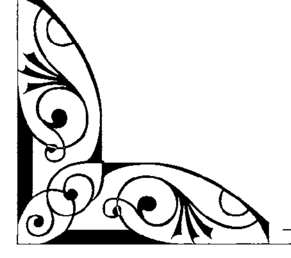
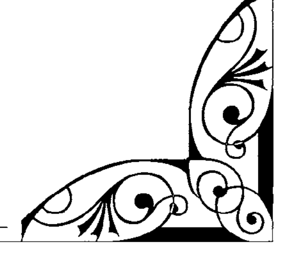
Website: www.daralnawader.com

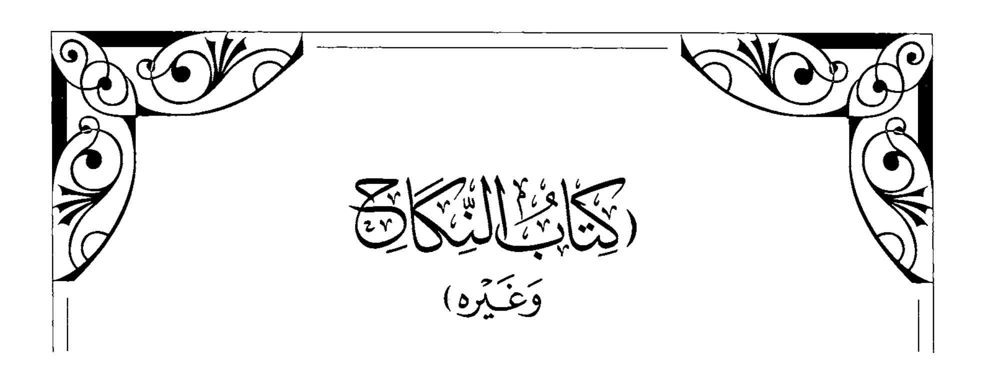





كِتَابُ النِّكَاحِ

وَغَيْرِه



من فضل المملوك إذا أطاع الله وأدى حقَّ سيده، وفضل الكسب، وفضل التاجر الصدوق، وذكر بركة البيع إذا صدق المتبايعان، وحسن القضاء، وفضل الإقالة في البيع والسماحة، وفضل كيل الطعام، وفضل التبكير في الأشغال، وفضل اتخاذ الغَنَم، وفضل العتق، وفضل الحاكم العدل، وتسديد من لم يطلب القضاء.

وذكر المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في النكاح اثني عشر حديثًا سنذكرها.

اعلم أن النكاح في اللغة: الضَّمُّ والتداخُل.

وقال بعضهم: هو الضم.

قال الفراء: النكح ـ بضم فسكون ـ: اسم الفرج، ويجوز كسر أوله، وكثر استعماله في الوطء، وسمي به العقد لكونه سببه.

وقال أبو القاسم الزجاجي: هو حقيقة فيهما.

وقال الفارسي: إذا قالوا: نكح فلانة، أو بنت فلان، فالمراد: العقد، وإذا قالوا: نكح فلان زوجته، فالمراد: الوطء.

وقال آخرون: أصل النكاح: لزومُ شيء لشيء مستعليًا عليه، ويكون

في المحسوسات وفي المعاني، قالوا: نكح المطرُ الأرض، ونكح النعاسُ عينَه، ونكحت القمح في الأرض: إذا حرثتها وبذرته فيها، ونكحت الحصاة أخفافَ الإبل.

وفي الشرع: هو حقيقة في العقد، مجاز في الوطء.

وفي «المطلع»: النكاح في كلام العرب الوطء، قاله الأزهري.

وقال القاضي من أئمة علمائنا: النكاح حقيقة في العقد والوطء جميعًا، وقيل: حقيقة في الوطء، مجاز في العقد[١].

وقد أفاد أبو الحسين بن فارس أن النكاح لم يرد في القرآن إلا للتزويج، إلا قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾[النساء: ٦]، فإن المراد به: الحلم.

وعند الحنفية: حقيقة في الوطء، مجاز في العقد.

ورجَّح غير واحد من أفاضل العلماء، منهم الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: أن النكاح مقول على العقد والوطء بالاشتراك وإن كان أكثر ما يستعمل في العقد.

وقد جمع أسماء النكاح ابنُ القطاع[٢]، فزادت على ألف

---

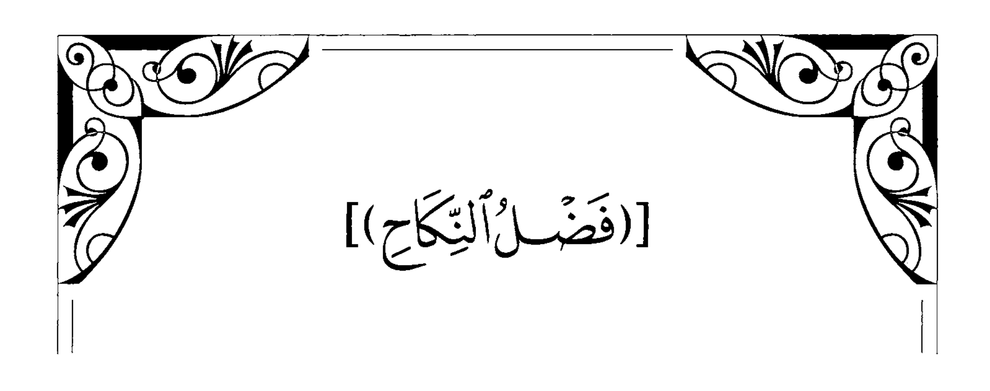
(١) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣١٨).

(٢) أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي، الصقلي، المعروف بابن القطاع، كان أحد أئمة الأدب، خصوصًا اللغة، وله تصانيف نافعة، منها «الأفعال»، أحسن فيه كل الإحسان، وهو أجود من «الأفعال» لابن القوطية. توفي سنة (٥١٥هـ). انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٣٢٢).

اسم[1]، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٠٣)، والمؤلف ناقل غالب ما تقدم عنه.



[(فَضْلُ ٱلنِّكَاحِ)]

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٤٨٣ ـ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيهِ بِالصَّوْمِ؛ فإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[1].

(**عن**) أبي عبد الرحمن (**عبدِالله بنِ مسعودٍ** ﷺ)، تقدمت ترجمته في أول الكتاب، (**أن رسول الله ﷺ قال**) لنا، وفي لفظ: (لقد قال لنا)[2]: (**يا معشر**)، وفي رواية: (لقد كنا مع رسول الله شبابًا لا نجد شيئًا، فقال لنا)[3].

والمعشر: جماعة شملهم وَصْفٌ ما.

قال في «القاموس»: المعشر؛ كـ(مسكن): الجماعة، وأهل الرجل،

(١) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠/ ١).

(٢) هذا لفظ البخاري.

(٣) رواه أبو عوانة في «مسنده» (٣٩٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٧).

والجن والإنس. انتهى[1].

(الشباب! من استطاعَ منكُم): (الشباب): جمع (شاب)، ويجمع ـ أيضًا ـ على شَبَبَة، وشُبَّان بضم أوله والتثقيل.

وذكر الأزهري: أنه لم يُجمع (فاعِل) على (فُعَّال) غيرُه.

وأصله: الحركة والنشاط، وهو اسمٌ لمن بلغ إلى أن يُكمل ثلاثين، كذا أطلقه الحنابلة والشافعية.

وقال القرطبي في «المفهم»: يقال له: حَدَث إلى ست عشرة سنة، ثم شاب إلى اثنتين وثلاثين سنة، ثم هو من الثلاثين إلى الخمسين كهل، ثم من الخمسين إلى السبعين، شيخ، ثم هرم.

وقوله: (من استطاع منكم)؛ أي: قَدَر؛ بأن بلغ وقدر.

وقوله: **(الباءة)** مفعول (استطاع)؛ أي: قدر، فالاستطاعة هي القدرة على الشيء.

قال في «بدائع الفوائد»: (استطاع): استفعل، من طاع يطوع، ولم ينطَق به، وإنما نطقوا بالرباعي منه، فقالوا: أطاعَهُ، وقالوا: طوع له كذا؛ أي: حسنه له، وزينه، وكأنه جعل نفسه مطيعة لداعيه، والهمزة في (أطاعَهُ) همزة التعدية والنقل من اللزوم إلى التعدي، والتضعيف في (طَوَّع) لكونه في معنى حَسَّن وزَيَّن، وأما السين والتاء في (استطاع)، فإما أن يكون للوجود؛ أي: وجدته طوعًا [لي]؛ كاستجدته؛ أي: وجدته جيدًا، واستصوبتُ كلامه؛ أي: وجدته صوابًا، وإما أن يكون للطلب؛ أي: طلبته

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عشر).

أن يطيعني إذا أمرته ولا يستعصي عليَّ، بل يكون طوع قدرتي.

وفي لفظة (استطاع) خمس لغات:

أحدها: ما في لفظ الحديث.

الثانية: (اسطاع) بحذف تاء الافتعال تخفيفًا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾[الكهف: ٩٧].

الثالثة: (اصطاع) بالصاد، وفيه أمران: حذف التاء، وإبدال السين صادًا لمجاورتها الطاء.

الرابعة: (اسطاع) بإدغام التاء في الطاء، وهو إدغام على خلاف القياس؛ لأن فيه التقاء الساكنين على غير حدهما.

الخامسة: (أَسطاع) بفتح الهمزة وقطعها، وهي أشكَلُها، فقال سيبويه: السين عوض عن ذهاب حركة العين؛ لأن أصلها (طوع)، فنقلت فتحة الواو إلى الطاء، ثم أعلَّ بقلب واوِهِ ألفًا لتحركها أصلًا وانفتاح ما قبلها لفظًا، فزيدت السين عوضًا عن ذهاب حركة العين، وتعقب. انتهى ملخصًا[1].

و(الباءة) بالهمز وتاء تأنيث ممدود، وفيها لغة أخرى بغير همز ولا مدٍّ، وقد تهمز وتمد بلا هاء، ويقال فيها ـ أيضًا ـ: (الباهة) بهاء بدل الهمزة، وقيل بالمد، وعلى كلٍّ معناها: القدرةُ على مُؤَنِ النكاح، وبالقصر: الوطء.

قال الخطابي: المراد بـ (الباءة): النكاح، وأصله: الموضع الذي يتبوَّؤه ويأوي إليه[2].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٤/ ٩٨٦).

(٢) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٣/ ١٧٩).

وقال المازري: اشتق العقد على المرأة من أصل الباءة؛ لأن من شأن مَنْ يتزوج المرأة أن يبوئها منزلًا[1].

وقال الإمام النووي: اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد:

أصحهما: أن المراد معناها اللغوي، وهو الجماع، فتقديره: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه، وهي مؤن النكاح، **(فليتزوج)**، (ومن لم يستطع) الجماع لعجزه عن مؤنه، (فعليه بالصوم... إلخ).

والقول الثاني: أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح، سميت باسم ما يلازمها، وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم؛ ليدفع شهوته، والذي حَمَلَ القائلين بهذا على ما قالوا قولُه: (ومن لم يستطع، فعليه بالصوم).

قالوا: والعاجزُ عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويلُ الباءة على المؤن، وانفصل القائلون بالأول عن ذلك بالتقدير المذكور. انتهى ملخصًا[2].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: التعليلُ المذكور للمازري، وأجاب عنه عياض بأنه لا يبعد أن تختلف الاستطاعتان، فيكون المراد بقوله: (من استطاع الباءة)؛ أي: بلغ الجماعَ وقد قدر عليه، فليتزوج، ويكون قوله: (ومن لم يستطع)؛ أي: من لم يقدر على التزويج.

---

(١) انظر: «المعلم» للمازري (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/ ١٧٣).

ويؤيد هذا ما عند الإسماعيلي من طريق أبي عوانة عن الأعمش: «من استطاع منكم أن يتزوج، فليتزوج»[1].

ويؤيده[2] ما وقع في رواية للنسائي من طريق أبي معشر، عن إبراهيم النخعي: «مَنْ كان ذا طَوْل، فلينكحْ»[3]، ومثله لابن ماجه من حديث عائشة[4]، وللبزار من حديث أنس[5].

(فإنه)؛ أي: التزويج اللازم منه الجماع **(أغضُّ)**؛ أي: أشدُّ غضًّا **(للبصر)** عن استرساله بالنظر لمن لا يحل له نظره من النساء وغيرهن، **(وأحصَنُ)**؛ أي: أشد إحصاناً **(للفرج)**، ومنعًا له من الوقوع في الفاحشة.

وأما لفظ[6] ما وقع لمسلم حيث ذكرَ عقبَ حديث ابنِ مسعود ﷺ هذا بيسيرٍ حديثَ جابر ﷺ رفعه: «إذا أحدُكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه؛ فليعمَدْ إلى امرأته فليواقِعْها؛ فإن ذلك يردُّ ما في نفسه»[7] = فإنه فيه إشارة إلى المراد من حديث الباب.

---

(١) لم نقف عليه عند الإسماعيلي، ورواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٣٣٨).

(٢) في الأصل: «ويظهر هذا»، والمثبت من «الفتح».

(٣) رواه النسائي (٢٢٤٣) من حديث عثمان ﷺ، وفيه: «فليتزوج» بدل: «فلينكح».

(٤) رواه ابن ماجه (١٨٤٦).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٠٨)، والحديث رواه البزار في «مسنده» (٦٦٥٣).

(٦) في «الفتح» لابن حجر: «وما ألطف»، والمؤلف ناقل عنه.

(٧) رواه مسلم (١٤٠٣/ ١٠).

وقال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون (أَفْعَل) على بابها؛ فإن التقوى سبب لغضِّ البصر، وتحصين الفرج، وفي معارضتها الشهوة الداعية، وبعد حصول التزويج يضعف هذا المعارض، فيكون أغض وأحصن مما لم يكن؛ لأن وقوع الفعل مع ضعف الداعي أندرُ من وقوعه مع وجود الداعي[١].

ويحتمل أن يكون (أفعل) فيه لغير المبالغة، بل إخبار عن الفاعل فقط.

وقال ابن هشام: غضُّ الطرف عبارةٌ عن تركِ التحديق واستيفاءِ النظر، فتارة يكون ذلك لكون في الطرف كسرٌ أو فتورٌ خَلْقيين، وهو المراد بقول كعب:

.... غَضيضُ الطرفِ مكحولُ[٢]

وتارةً لقصد الكفِّ عن التأمل حياءً من الله ورسوله، ووقوفًا على حدود الشرع، وهو المراد في قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠][٣].

وقد روى الطبراني من حديث ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ ـ يعني: عن ربه ﷻ ـ: «النظرةُ سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس، من تركها من مخافتي، أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[٤].

---

(١) انظر: «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (٤/ ٢٣).

(٢) هذا جزء بيت وتمامه:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن.................

(٣) انظر: «شرح بانت سعاد» لابن هشام (ص: ١٠٩)، وفيه: حياء من الله تعالى أو من الناس.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٦٢)، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق =

ورواه الحاكم من حديث حذيفة ﷺ وصححه[1].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ: أنه قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره، إلا أحدث الله له عبادةً يجد حلاوتها في قلبه»[2].

ورواه الطبراني، إلا أنه قال: «ينظر إلى امرأة أول رمقة»[3]، والبيهقي وقال: إنما أراد ـ إن صح والله أعلم ـ: أن يقع بصره عليها من غير قصد، فيصرف بصره عنها تورعًا[4].

قال الإمام المحقق ابن القيم في «بدائع الفوائد» في الاستدلال على أن النكاح أفضلُ من التخلي لنوافل العبادات: ولو لم يكن فيه إلا تعديل قوته الشهوانية الصارفة له عن تعلق قلبه بما هو أنفع له في دينه ودنياه، فإن تعلق القلب بالشهوة ومجاهدته عليها، تصده عن تعلقه بما هو أنفع له؛ فإن الهمة متى انصرفت إلى شيء، انصرفت عن غيره.

ولو لم يكن فيه إلا غضُّ بصره، وإحصانُ فرجه عن التفاته إلى ما حرم

= الواسطي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣): ضعيف.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٤)، وفيه علي بن يزيد الألهاني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣): وهو متروك.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٤٢)، وقد ضعفه المنذري. انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٣).

(٤) انظر: «شعب الإيمان» (٤/ ٣٦٦).

الله، مع تحصين امرأة يعفها الله به، ويثيبه[1] علـى قـضاء وَطَـره ووطرهـا، فهو في لذاته، وصحائفُ حسناته تتزايد، مع ما يثاب عليه مـن نفقتـه علـى امرأته وكسوتها ومسكنها، ورفع اللقمة إلى فيها، مع تكثير الإسلام وأهله، وغيظ أعداء الدين؛ يعني: الكفار[2].

(ومن)؛ أي: وأي إنسان **(لم يستطع)**؛ أي: يقدر على ذلـك؛ كمـا هو في رواية عند الطبراني، ولفظها: «ومن لم يقدر على ذلك»[3]، **(فعليـه بالصوم)**.

قال المازري: فيه إغراء بالغائب، ومن أصول النحـويين أن لا يُغـرى بغائب، وقد جاء شاذًّا قـولُ بعـضهم: عليـه رَجُـلًا لَيْسَنِي[4]، علـى جهـة الإغراء[5].

وتعقبه القاضي عياض بأن هذا الكلام موجود لابن قتيبة والزجاجـ[ـي]، ولكن فيه غلط من أوجه:

أما أولًا: فمن التعبير بقوله: (الإغراء بالغائب)، والصواب فيـه: إغـراءُ الغائب، فأما الإغراء بـ[الشاهد و] الغائب، فجائز.

---

(١) في الأصل: «ونيته»، والتصويب من «البدائع».

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٨٠).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٢٧).

(٤) في الأصل: «يسبني»، والتصويب من «المعلم». أي: لـيس إيـاي؛ أي: ليلـزم رجلًا غيري. انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٧١٣)، و«اللباب في علل البناء والإعراب» للعكبري (١/ ٤٥٦).

(٥) انظر: «المعلم» للمازري (٢/ ١٢٩).

ونص سيبويه أنه لا يجوز: دونه زيدًا، ولا عليه زيدًا، عند إرادة غير المخاطب، وإنما جاز للحاضر لما فيه من دلالة الحال؛ بخلاف الغائب، فلا يجوز؛ لعدم حضوره ومعرفته بالحالة الدالة على المراد.

وأما ثانيًا: فإن المثال ما فيه حقيقةُ الإغراء وإن كانت صورته، فلم يُرد تبليغ الغائب، وإنما أراد الإخبار عن نفسه بأنه قليل المبالاة بالغائب، ومثله قولهم: (إليكَ عني)؛ أي: اجعل شغلك بنفسك، ولم يرد أن يغريه به، وإنما مراده: دَعْني وكُن كمَن شُغل عنِّي.

وأما ثالثًا: فليس في الحديث إغراء الغائب، بل الخطاب للحاضرين الذين خاطبهم أولًا بقوله: «من استطاع منكم»، فالهاء في قوله: «فعليه» ليست لغائب، وإنما هي للحاضر المبهم؛ إذ لا يصح خطابه بالكاف، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾[البقرة: ١٧٨]، ومثله لو قلت لاثنين: مَن قدم منكما، فله درهم، فالهاء للمبهم من المخاطبين لا لغائب. انتهى[1].

قال الحافظ ابن حجر: وقد استحسنه القرطبي، وهو حسن بالغ، وقد تفطن له الطيبي فقال: قال أبو عبيد: قوله: «فعليه بالصوم» إغراء غائب، ولا تكاد العرب تُغري إلا الشاهد، تقول: عليك زيدًا، ولا تقول: عليه زيدًا، إلا في هذا الحديث.

قال: وجوابه: أنه لما كان الضمير الغائب راجعًا إلى لفظة (من)، وهي عبارة عن المخاطبين من قوله: «يا معشر الشباب»، وبيان لقوله: «منكم» = جاز قوله: «عليه»؛ لأنه بمنزلة الخطاب.

---

(١) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٤/ ٥٢٤).

وقد قال بعضهم: إيراد هذا اللفظ في مثال إغراء الغائب [هو] باعتبار اللفظ، وجواب عياض باعتبار المعنى، وأكثر كلام العرب اعتبار اللفظ، كذا قال[1].

قال في «الفتح»: والحق مع القاضي عياض؛ فإن الألفاظ توابعُ للمعاني، ولا معنى لاعتبار اللفظ مجردًا هنا، وإنما قال في الحديث: «بالصوم»، ولم يقل: بالجوع وقلة ما يثير الشهوة، ويستدعي طغيان الماء من الطعام والشراب؛ لأجل تحصيل العبادة المشروعة؛ إذ الصوم برأسه مطلوب.

وفيه إشارة إلى أن أصل مشروعية الصوم لأجل كسر الشهوة[2].

(فإنه)؛ أي: الصوم **(له)**؛ أي: لمن لم يستطع مؤن النكاح **(وِجاءٌ)** ـ بكسر الواو والمد ـ أصله: الغمز، ومنه: وَجَأَهُ في عنقه؛ إذا غمزه دافعًا له، ووجأَه بالسيف: إذا طعنه به، ووجأ أنثييه: غمزهما حتى رضهما.

ووقع في رواية ابن حبان: «فإنه له وجاء»، وهو الإخصاء[3].

قال في «الفتح»: وهي زيادة مدرَجة في الخبر لم تقع إلا في طريق زيد بن [أبي] أنيسة.

قال: وتفسير الوجاء بالإخصاء فيه نظر؛ فإن الوجاء رضُّ الأنثيين،

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٠٩).

(٢) المرجع السابق (٩/ ١١٠).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٢٦).

والإخصاء سَلُّهما، وإطلاقُ الصيام على الوجاء من مجاز المشافهة.

وقال أبو عبيد: قال بعضهم: وَجا ـ بفتح الواو مقصورًا ـ، والأول أكثر.

وقال أبو زيد: لا يقال: وجاء إلا فيما لم يبرأ وكان قريب العهد بذلك.

واستدل بهذا الحديث على أن من لم يستطع الجماع، فالمطلوب منه تركُ التزويج؛ لأنه ﷺ أرشده إلى ما ينافيه ويُضعف دواعيه، وأطلق بعضهم بأنه يكره في حقه[1].

* تنبيهات:

الأول: تعتري النكاحَ الأحكامُ الخمسة، فيجب على ذي شهوة يخاف الزنا من رجل وامرأة علمًا أو ظنًّا، ويقدَّم حينئذ على حجٍّ واجب، نص عليه الإمام أحمد، وبه قال أبو عوانة الإسفراييني من الشافعية، وصرح به في «صحيحه»[2]، ونقله المصعبي في «شرح مختصر الجويني»[3] وجهًا، وهو قولُ داودَ وأتباعِه.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١٠).

(٢) انظر: «مسند أبي عوانة» (٣/ ٦).

(٣) أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد المصعبي، شارح «مختصر الجويني» أبي محمد، قال السبكي: أراه فيما أحسب من أهل أذربيجان، وينقل كثيرًا عن إمام الحرمين وما أظنه أدركه، وإنما هو فيما أحسب وأظن في أثناء هذا القرن، لعله في حدود (٥٥٠هـ) أو بعدها. انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٧/ ٢٠٩).

قال في «الفتح»: المشهور عن الإمام أحمد: أنه لا يوجب النكاح على القادر عليه التائقِ إلا إذا خشي العَنَت، وعلى هذه الرواية اقتصر ابن هبيرة[1].

وعبارة «المقنع» بدل (الزنا): المحظور[2]، وهو أعم من الزنا، فيشمل نحو الاستمناء باليد.

وقال المازري: الذي نطق به مذهب مالك: أنه مندوب، قال: وقد يجب عندنا في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به[3].

وقال القرطبي: المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزوبة؛ بحيث لا يرتفع عنه ذلك إلا بالتزويج، لا يختلف في وجوب التزويج عليه[4].

ونبه ابنُ الرفعة على صورة يجب فيها، وهي: ما إذا نذره حيث كان مستحبًّا[5].

قلت: وصرح به علماؤنا.

ويحرُم النكاح بدار حرب إلا لضرورة، فإن كانت، لم تحرم ما لم يكن أسيرًا عند كفار، فلا يتزوج ولو لضرورة؛ لئلا يستعبد ولدُه، هكذا علله الإمام أحمد رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١٠).

(٢) انظر: «المقنع» لابن قدامة (ص: ٣٠١).

(٣) انظر: «المعلم» للمازري (٢/ ١٢٨).

(٤) انظر: «المفهم» للقرطبي (٤/ ٨٢).

(٥) انظر: «تحفة المحتاج» لابن حجر (٧/ ١٨٤).

ولا يطأ زوجته إن كانت معه في دار حرب.

وفي «مغني الإمام الموفق»: أما الأسير، فظاهر كلام الإمام أحمد لا يحل له التزويج ما دام أسيرًا، وأما الذي يدخل إليهم بأمان؛ كالتاجر ونحوه، فلا ينبغي له التزوج، فإن غلبت عليه الشهوة، أُبيح له نكاح مسلمة، ولا يتزوج منهم، وحيث حرم يعزل وجوبًا، وإن لم يحرم يعزل استحبابًا[1].

قال العلامة الشيخ مرعي في «غايته»: ومقتضى تعليلهم جوازُ نكاح نحو آيسة[2].

وفي «الفتح»: التحريم في حق من يخل بالوطء والإنفاق على الزوجة مع عدم قدرته عليه، وعدم توقانه إليه.

قال: والكراهة في حق مثلِ هذا حيث لا إضرار بالزوجة، فإن انقطع بذلك عن شيء من أفعال الطاعة؛ من عبادة، أو اشتغال بعلم نافع، اشتدت الكراهة.

وقيل: الكراهة فيما إذا كان في حال العزوبة أجمعَ منه في حال التزويج. انتهى[3].

وقد قيل عندنا: إن النكاح لغير ذي شهوة مكروه، والمذهب خلافُه.

وذكرت في «شرح الآداب»: أنه ينبغي أن يفصَّل بين الفقير الذي لا يجد

---

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٢٣٤).

(٢) انظر: «غاية المنتهى» للكرمي (٢/ ١٦٠).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١١).

ما ينفق وليس بذي كسب، وهو مع ذلك ليس بذي شهوة، فيكره في حقه النكاح؛ لعدم قدرته على مؤنه، وعدم إحصانه لزوجته مع عدم حاجته إلى النكاح.

ثم رأيت التقيَّ بنَ قُنْدُس البعلي ذكر ذلك في حواشي «الفروع» له أن ذلك رواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه[1].

وفي شرح «المقنع» لشمس الدين ابن أبي عمر ـ قدس الله روحه ـ أن النكاح مطلوب في حق من يمكنه التزويج، فأما إن لم يمكنه، فقد قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[النور: ٣٣][2].

ويسن لذي شهوة، ولا يخاف الزنا، ولو فقيرًا، واشتغاله به أفضل من التخلي لنوافل العبادة.

ويباح لمن لا شهوة له، هكذا قال علماؤنا.

وفي «الفتح» للحافظ ابن حجر: أن الاستحباب فيما إذا حصَّل به معنى مقصودًا؛ من كسر شهوة، وإعفاف نفس، وتحصين فرج، ونحو ذلك.

قال: والإباحة فيما إذا انتفت الدواعي والموانع، ومنهم من استمر بدعوى الاستحباب فيمن هذه صفته؛ للظواهر الواردة في الترغيب فيه.

قال القاضي عياض: هو مندوب في حق من يُرجى منه النسل ولو لم

---

(١) انظر: «غذاء الألباب» للسفاريني (٢/ ٤٣٣).

(٢) انظر: «الشرح الكبير» لابن أبي عمر (٧/ ٣٣٨).

يكن في الوطء شهوة؛ لقوله ﷺ: «فإني مكاثرٌ بكمُ الأممَ يومَ القيامـة»[1]، ولظواهر الحض على النكاح، والأمر به، وكذا في حَقِّ مَنْ لهُ رغبة في نـوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء، فأمـا من لا ينسل ولا أرب لـه في النسـاء لا وطئًا ولا استمتاعًا، فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت.

وقـد يقـال: إنـه منـدوب أيـضًا لعمـوم قولـه ﷺ: «لا رهبانيـة فـي الإسلام»[2].

وقال الإمام الغزالي في «الإحياء»: من اجتمعت له فوائد النكاح وانتفت عنه آفاته، فالمستحب في حقه التزويج، ومن لا، فالترك له أفـضل، ومـن تعارض الأمران في حقه، فليجتهد ويعمل بالراجح. انتهى[3].

الثاني: استدل بالحديث من إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم؛ لكون شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل، تقوى بقوته، وتـضعف بـضعفه = على جواز المعالجة لقطع شهوة النكاح بالأدوية؛ كما قاله الخطـابي، وحكـاه البغوي في «شرح السنة»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠) من حديث معقل بن يسار ﷺ.

(٢) أورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (ص: ٣٨٠) عن طاوس مرسلًا، وابن القيـسراني في «معرفة التذكرة» (ص: ٢٥١)، وقال: فيه سعيد بن المرزبان، ضـعيف الحـديث، ورواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣١٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهيـة» (٢/ ٦٤١) من حديث جابر ﷺ بلفظ: «لا رهبانية فينا» وقال: لا يصح، سـعيد ابن المرزبان قال يحيى: ليس بشيء، وقال الفلاس: متروك الحديث.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١١).

(٤) انظر: «معالم السنن» الخطابي (٣/ ١٨٠)، و«شرح السنة» للبغوي (٩/ ٦).

قال في «الفتح»: وينبغي أن يحمل على دواء يسكن الشهوة دونَ ما يقطعها أصالةً؛ لأنه قد يقدر بعد ذلك، فيندم لفوات ذلك في حقه.

قال: وقد صرح الشافعية بأنه لا يكسرها بالكافور ونحوه، والحجة فيه أنهم اتفقوا على منع الجَبِّ والخصاء، فيلحق ـ أي: معالجتُه شهوتَه بالكافور ـ بذلك كلُّ[1] ما في معناه من التداوي بالقطع أصلًا[2].

قلت: قد صرح علماؤنا بجواز شرب دواء مباح يمنع الجماع.

قالوا: ولأنثى شربُه ـ أيضًا ـ لإلقاء نطفة لا علقة، ولحصول حيض، لا قربَ رمضان لتفطر[ه].

قال العلامة الشيخ مرعي: ويتجه، وتفطر وجوبًا، ولها شربه لقطع حيض مع أمن ضرر نصًّا، ولو بلا إذن زوج.

واستوجه في «الغاية»: ما لم ينهها، وحرم لقطعه بلا علمها، وشرب ما يقطع الحمل. انتهى[3].

فظاهر كلامهم: إباحةُ إطلاق ما يمنع الجماع ولو أصالة.

وصرح في «الفروع» بأنه يتوجه في الكافور ونحوه لقطع الحيض.

وقال قبله: ولها شرب دواء مباح لقطع الحيض، نص عليه؛ أي: الإمام أحمد.

---

(١) في الأصل: «وكل»، والمثبت من «الفتح».

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١١).

(٣) انظر: «غاية المنتهى» للكرمي (١/ ١٢٣).

وقال القاضي بإذن الزوج كالعزل، يؤيده قولُ الإمام أحمد في بعض أجوبته: المزوجةُ تستأذن زوجها.

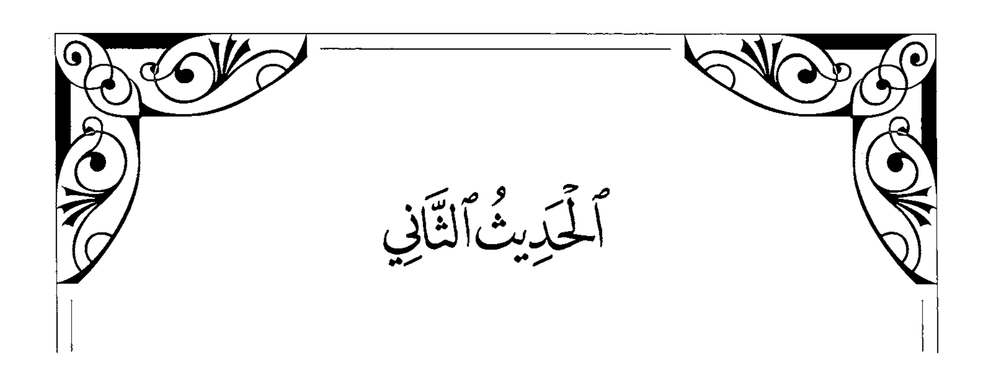
قال في «الفروع»: ويتوجه: يكره. انتهى[1].

الثالث: سبب إيراد عبدالله بن مسعود لهذا الحديث: ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن علقمة قال: كنت مع عبدالله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ فلقيه عثمان بن عفان رضي الله عنه بمِنًى، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إن لي إليك حاجة، فخَلَيَا، فقال عثمان: هل لك يا أبا عبد الرحمن أن نزوجك بكرًا تذكرك ما كنت تعهد؟ فلما رأى عبدالله أن ليس له حاجة إلى هذا، أشار إليَّ فقال: يا علقمة! فانتهيت إليه وهو يقول: أما لئن قلتَ ذلك، لقد قال لنا رسولُ الله ﷺ: «يا معشر الشباب!» فذكر الحديث.

(رواه البخاري، ومسلم)، وغيرهما.

* * *

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٢٤٤).



الحديث الثاني

٤٨٤ ـ عَن عَائِشَة ﵂ قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النِّكَاح من سنَّتي، فَمَن لم يعْمل بِسنَّتي فَلَيْسَ منِّي، وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بكمُ الأُمَمَ، وَمن كَانَ ذَا طَول فَلْيَنْكِح، وَمن لم يجد فَعَلَيهِ بالصيام؛ فَإِن الصَّوْمَ وِجَاءٌ لَهُ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه(١).

(عن) أم المؤمنين **(عائشة)** الصدِّيقة بنتِ الصدِّيق (﵄) وعن أبيها **(قالت: قال رسول الله ﷺ: النكاح من سنتي)**؛ أي: من طريقتي وشريعتي التي بعثني الله بها، **(فمن لم يعمل بسنتي)**؛ بأن رغب عنها، **(فليس مني)**.

المراد بالسنة هنا الطريقة كما ذكرنا، لا التي تقابل الفرض، والرغبةُ عن الشيء: الإعراضُ عنه إلى غيره، وعدمُ العمل به.

والمراد: من ترك طريقتي واتخذ طريقة غيري، فليس مني، ولمح بذلك إلى طريقة الرهبانية، فإنهم ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه، وطريقةُ النبي ﷺ الحنيفيةُ السمحة،

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٩٤): إسناده ضعيف، لكن له شاهد صحيح.

فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسرِ الشهوة وإعفافِ النفس وتكثيرِ النسل.

وقوله: «فليس مني»، إن كانت الرغبةُ وعدمُ العمل بسنَّته ﷺ بضربٍ من التأويل؛ يعذر صاحبه فيه، فمعنى «ليس منـي»؛ أي: علـى طريقتـي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة وإن كانت الرغبة عن الـسنة وعـدم العمـل بهـا إعراضًا وتنطعًا يفضي به إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى «لـيس منـي»؛ أي: ليس على ملَّتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر؛ كما في «الفتح»[1].

وفيما ذكر دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه، ومن ثـم قـال ﷺ: **(وتزوجوا)** النساء؛ ليحصل لكم النسل؛ **(فإني مكاثرٌ بكـمُ الأمـم)**؛ أي: أغالب بكم الأمم السابقة في الكثرة.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري»: حديث «إني مكاثر بكـم الأمم» صَحَّ من حديث أنس بلفظ: «تزوَّجوا الـودودَ الولـودَ؛ فـإني مكـاثرٌ بكم يوم القيامة»، أخرجه ابن حبان[2]، وذكره الإمام الشافعي بلاغًا عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «تناكحوا تكاثروا؛ فإني أباهي بكم الأمم»[3].

وللبيهقي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ: «تزوَّجوا؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى»[4].

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٠٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٢٨).

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ١٤٤).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨).

وورد: «فإنِّي مكاثرٌ بكم» أيضًا من حديث الصنابحي بن الأعسر، ومعقل بن يسار، وسهل بن حُنيف، وحرملة بن النعمان، وعائشة، وعياض ابن غنم، ومعاوية بن حيدة، وغيرهم من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين[١].

ويأتي حديث معقل بن يسار رضي الله عنه في كلام المصنف وهو الثامن من أحاديث الباب.

وأخرج الدارمي، والبيهقي من حديث أبي نجيح: «من كان موسرًا فلم ينكح، فليس منا»[٢]، جزم الدارمي بأنه مرسل.

قال: وأبو نجيح تابعي اسمه يسار ـ بالياء المثناة تحت ـ، وهو والد عبدالله بن أبي نجيح المكي[٣].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وقد أورده البغوي[٤] في «معجم الصحابة»[٥].

وأما حديث: «لا رهبانية في الإسلام»، فقال الحافظ في «الفتح»: لم أره بهذا اللفظ[٦].

نعم، في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند الطبراني: «إن الله أبدلنا

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١١).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٢١٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٤/ ٣٨٢).

(٤) في الأصل: «البيهقي»، والتصويب من «الفتح».

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١١).

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

بالرهبانية الحنيفية السمحة»[1].

وأخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم ـ وصححه ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «لا صرورة في الإسلام»[2].

قال أبو عبيد: هو في الحديث: التبتلُ وتركُ النكاح؛ أي: ليس ينبغي لأحدٍ أنْ يقول: لا أتزوج؛ لأنه ليس من أخلاق المؤمنين، وهو فعل الرهبان، قاله في «النهاية».

قال: والصرورة ـ أيضًا ـ: الذي لم يحجَّ قطُّ، وأصله من الصرِّ؛ أي: الحبس والمنع[3].

وفي «صحيح البخاري»: (باب: ما يكره من التبتل)[4].

قال الحافظ ابن حجر: التبتل هنا: الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذِّ إلى العبادة، وأما قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[المزمل: ٨]، فقال مجاهد: أخلِصْ له إخلاصًا[5]، وهو تفسير بالمعنى، وإلَّا فأصل التبتل: الانقطاع، فالمعنى: انقطِعْ إليه انقطاعًا، لكن لما كانت حقيقة الانقطاع إلى الله إنما تقع بإخلاص العبادة له، فسرها بذلك، ومنه: (صدقة بتلة)؛ أي:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥١٩) من حديث سعيد بن العاص رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣١٢)، وأبو داود (١٧٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٤٤).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٢).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٧/ ٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٣٢).

منقطعة عن الملك، ومريم البتول؛ لانقطاعها عن التزويج إلى العبادة، وإنما قيل لسيدة النساء فاطمة ـ رضوان الله عليها ـ : البتول؛ لانقطاعها عن نظرائها في الحسن والشرف، وقيل: لانقطاعها عن الأزواج غير علي رضي الله عنه[1].

ثم قال ﷺ: (ومن كان منكم) معشرَ المخاطبين من الصحابة فمَنْ بعدَهم من سائر الأمة (ذا) صاحبَ (طَوْلٍ)؛ أي: سعة وفضل وغنى، (فلينكحْ)؛ أي: يتزوج ليعفَّ نفسه، ويحصن فرجه، ويفوز باتباع سنة النبي ﷺ.

وقد أخرج الحاكم من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «مَن رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني»[2]، وفي لفظ: «فليتق الله في الشطر الباقي»[3].

ورواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي من طريق الحاكم وقال الحاكم: صحيح الإسناد[4]، وفي رواية للبيهقي: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج العبدُ، فقد استمسك نصف الدين، فليتق الله في النصف الباقي»[5]،

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١١٨).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٨١) وقال: صحيح الإسناد، قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٣٧): تعقبه الذهبي بأن فيه زهيرًا، وثق، لكن له مناكير.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٨٧)، وفيه زهير بن محمد أيضًا.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٨٧).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٨٦)، وفيه: «كمل نصف الدين» بدل: «استمسك نصف الدين».

وذلك لأن أعظم البلاء القادح في الدين شهوة البطن، وشهوة الفرج، وبـالتزويج يحصل كسرُ شهوة الفرج، فيحصل بها العفة عن الزنا، وهو الشطر، فيبقـى الشطر الثاني، وهو شهوة البطن، فأوصاه بالتقوى فيه.

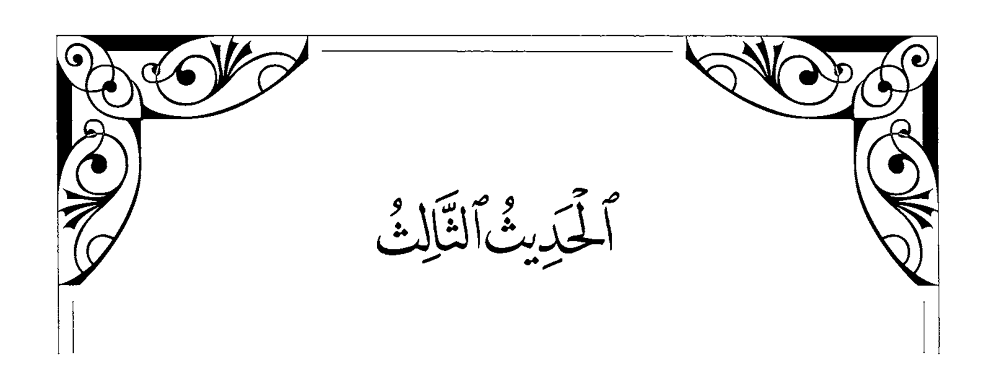
(**ومن لم يجد**) طَوْلًا ليتزوج به، (**فعليه بالصيام**) الشرعيِّ؛ ليحـصل لـه الثواب، وتنكسر شهوته وتَوقَانه لجماع النساء ـ كما مر ـ، فلهـذا قـال: (**فإنـه وجاء**) بكسر الواو ومد الهمزة (**له**)؛ أي: لمن لم يجد من الطول ما يـنكح الحرائر، ولا يتسرى بالإماء.

وقد روى ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «مـن أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا، فليتزوج الحرائر»[1].

(**رواه**)؛ أي: الحديث المشروح (**ابنُ ماجه**) في «سننه».

* * *

(1) رواه ابن ماجه (١٨٦٢).



ٱلْحَدِيثُ ٱلثَّالِثُ

٤٨٥ ـ عَن ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: لمَّا نزَلَ فِي الْفضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَـزَلَ قَالُوا: فَأَيُّ المَالِ نتَّخِذُ؟ قَالَ: «ليتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَاناً ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤمنَةً تُعِينُ أَحدكُم عَلَى أَمرِ الآخِرَة». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالتِّرْمِـذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

(عن ثوبان) ﷺ، تقدمت ترجمته في (فضل السجود)، **(قـال: لمـا نزل في الفضة والذهب ما نزل)**.

وفي رواية من حديث ثوبان: لما نزلـت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّـةَ﴾[التوبـة: ٣٤]، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعـض أسـفاره، فقـال بعضُ أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أيُّ المال خير(٢).

وفي الرواية التي ذكرها الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنـه ـ **(قالوا: فأيُّ مال يتخذ)** فنتخذه؟ **(قال)** ﷺ لهم: **(ليتخذْ)** بجزم الذال بـلام الأمر **(أحدُكم)** معشرَ المخاطبين من الصحابة فمَنْ بعدهم.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٦)، والترمذي (٣٠٩٤).

(٢) هذه رواية الترمذي.

وفي رواية: أنهم لما قالوا: أيُّ مال نتخذ؟ قال عمر رضي الله عنه: فأنا أعلم لكم ذلك، فأدرك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أي المال نتخذ؟ قال: «ليتخذ أحدكم»[1]، **(قلبًا شاكرًا)** القلبُ أخصُّ من الفؤاد، وقلبُ كل شيء لبُّه وخالصُه، وفي خبر: كان عليٌّ قرشيًّا قلبًا[2]؛ أي: خالصًا من صميم قريش، يقال: هو عربي قلب؛ أي: خالص.

والشكر في اللغة: عرفانُ الإحسان ونشرُه، والثناءُ الجميل، يقال: شكر الله، ولله، وبالله، ونعمة الله.

وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعِم من حيث كونُه منعمًا على الشاكر أو غيره.

وفي الاصطلاح: صرفُ العبد جميعَ ما أنعم الله به عليه في ما خُلق لأجله، والشكور: الكثير الشكر.

والمراد في الحديث: أن يكون قلبه شاكرًا لنعم الله، معترفًا له بها.

(و) ليتخذ أحدكم ـ أيضًا ـ **(لسانًا)**، وهو المِقْوَل[3]، ويؤنث كما في «القاموس»[4]، والجمع: أَلسِنة، وأَلسُن، **(ذاكرًا)**؛ أي: كثير ذكر الله تعالى، **(وزوجة مؤمنة)** بالله ورسوله واليوم الآخر **(تعين أحدكم)** وتساعدُه **(على أمر الآخرة)** من البر، ومعاونتها عليه، وعلى ما يؤدي إلى طاعة الله؛

---

(١) هذه رواية ابن ماجه.

(٢) أورده أبو عبيد في «الغريبين» (٥/ ١٥٧٤).

(٣) أي: آلة القول. انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: قول).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قول).

من إيقاظه للصلاة، وتقريب الماء وتحصيله له، وعدم تكليفها له ما يشغل بالَه، ويصدُّه عن طاعة الله وعبادته.

وفي رواية: لما نزلت في الذهب والفضة، قالوا: لو علمنا أيُّ المال خير فنتخذه، فقال ﷺ: «أفضلُه لسانٌ ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[1].

(رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن)، لكن فيه انقطاع.

قال الترمذي: سألت محمدَ بنَ إسماعيل ـ يعني: البخاري ـ، فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا[2].

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث ثوبان أيضًا[3].

ونظم هذه الثلاثة الحافظُ ابنُ حجر العسقلاني فقال:

مـن خيـرِ مـا يتخـذُ الإنسانُ فـي
دنيـاه كيمـا يستقيمَ دينُـهُ
قلـبٌ شكـورٌ ولسـانٌ ذاكـرٌ
وزوجـةٌ صـالحةٌ تعينُـهُ[4]

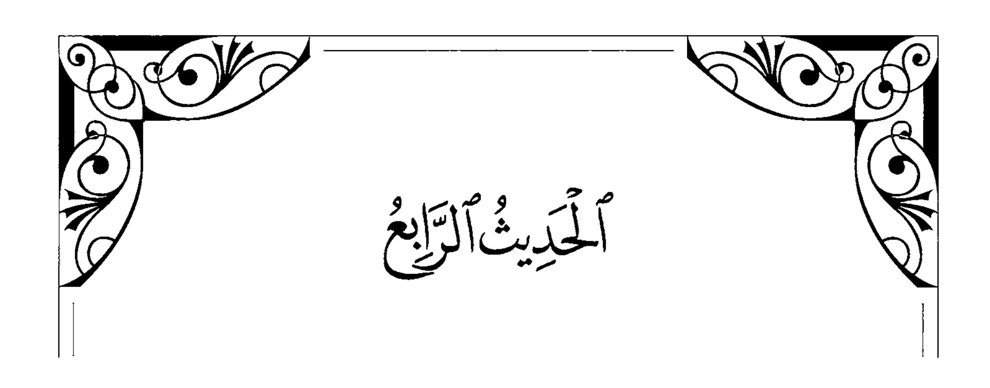
* * *

(١) هذه رواية الترمذي.

(٢) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٢٧٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٨).

(٤) من الكامل.



الحديث الرابع

٤٨٦ ـ عَن عبدالله بن عَمْرو ﵄: أَن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَلَيْسَ من مَتَاع الدُّنْيَا أفضل من الْمَرْأَة الصَّالِحَةِ». رَوَاهُ مُسلم[1].

(عن عبدِالله بنِ عمرٍو) بنِ العاصِ **(﵄: أن رسول الله ﷺ قال: إنما الدنيا)**، وفي لفظ: «الدنيا»[2] ـ بإسقاط «إنما» ـ **(متاعٌ)**.

وفي لفظ: «الدنيا كلُّها متاعٌ»[3]؛ أي: شيء يتمتع به حينًا ما، وهي مع خستها إلى فناء وزوال، وإنما خلق ما فيها لأن يتمتع به مع حقارتها أمدًا قليلًا، **(وليس من متاع الدنيا)** الذي يُتمتع به **(أفضلُ من المرأة الصالحة)**.

وفي لفظ: «وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[4]، فهي أطيبُ حلال في الدنيا؛ لأنه ـ جل شأنه ـ زين الدنيا بسبعة أشياء، أعظمُها زينةُ النساء.

قال القرطبي: فسرت المرأة الصالحة في الحديث بأنها: التي إذا نظر

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧/ ٦٤).

(٢) هذا لفظ مسلم.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٨)، والنسائي (٣٢٣٢).

(٤) انظر التعليق السابق.

إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله[١].

(رواه مسلم)، ورواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه[٢].

وروى رزين ـ قال الحافظ المنذري: ولم أره في شيء من أصوله، قال: وشطرُه الأخير منكر[٣] ـ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، ومن خير متاعها امرأة صالحة تعين زوجها على الآخرة، مسكين مسكين رجل لا امرأة له، مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها»[٤].

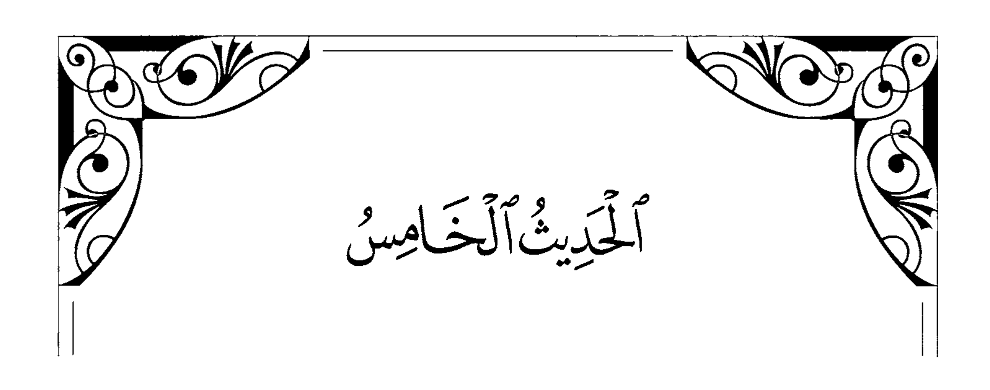
* * *

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٤/ ٢٢١)، والحديث رواه أبو داود (١٦٦٤) من حديث ابن عباس ﵄.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٨)، والنسائي (٣٢٣٢)، وابن ماجه (١٨٥٥).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٧).

(٤) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١١/ ٤٢٨).



الحديث الخامس

٤٨٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لمالِها، وجمالِها، ودينِها، وحسبِها، فاظفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». أخرجه البُخَارِيُّ وَمُسلمٌ[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: تُنكَح المرأة لـ) خصالٍ **(أربع)**:

الخصلة الأولى: **(لـ)** أجل **(مالها)**؛ أي: كثرة ما تملك من المال.

قال الإمام النووي: الصحيح في معنى هذا الحديث: أنه ﷺ أخبر بما يفعله الناس في العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع.

قال: وأحقرُها عندَهم ذاتُ الدِّين[2].

(و) الخصلة الثانية: **(لجمالها)**، قال في «الفتح»: يؤخذ منه استحبابُ تزويج الجميلة، إلا إن عارض الجميلة الغير الديِّنة الغير جميلة الديِّنة.

نعم، لو تساوتا في الدِّين، فالجميلةُ أولى.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦/ ٥٣).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٠/ ٥١).

ويلتحق بالحسنة الذات الحسنةُ الصفات، ومن ذلك أن تكون خفيفة الصداق. انتهى[1].

وفي منظومة آداب ابن عبد القوي:

وكــنْ عالمًــا أنَّ النِّــسا لُعَــبٌ لنــا

فحــسِّنْ إذنْ مهمــا اســتطعتَ وَجَــوِّدِ[2]

كتبنا في شرحها تحت قوله: (وجَوِّد) مهما استطعت؛ أي: اقـصِدْها جيدةَ الخصال، مشتملةً على الجمال والكمال، تظفَرْ بغاية الآمال، ويُغضَّ منك البصرُ، ويعفَّ الفرجُ، وتقتصِرْ نفسُك على المباح، فينتج لـك الفـوز والنجاح[3].

(و) **الخصلة الثالثة**: (لـ) أجل (دينها)؛ بأن تكون دَيِّنة من بيت ديـنٍ وأمانةٍ، وعِفَّة وصيانة؛ فإن الديانة تقتضي ذلك.

قال في «الإقناع»: يستحبُّ نكاحُ ديِّنةٍ ولودٍ من بيت معروف بالـدِّين والقناعة[4].

فعلى العاقل إذا أراد أن يتـزوج أن يرغـب فـي الـدِّين؛ فإنـه العمـدة والعمود، وهو الغاية والمقصود، وأول ما يسأل عن جمـال المـرأة قبـل أن يسأل عن دينها؛ لئلا يلزم عليه أن يرد الدينة لعـدم جمالهـا، فـاللائق بـذي

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٣٥).

(٢) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٩٤).

(٣) انظر: «غذاء الألباب» للسفاريني (٢/ ٤١٢).

(٤) انظر: «الإقناع» للحجاوي (٣/ ١٥٧).

الدين والمروءة أن يكون الدينُ مطمحَ نظره في كل شيء، ولا سيما فيما تطول صحبته.

وقد وقع في حديث عبدالله بن عمرو عند ابن ماجه: «لا تزوَّجوا النساءَ لحسنهنَّ، فعسى حسنُهنَّ أن يُرديهنَّ ـ أي: يهلكهنَّ ـ، ولا تزوَّجوهنَّ لأموالهنَّ، فعسى أموالهنَّ أن تطغيهنَّ[1]، ولكن تزوجوهنَّ لدينهنَّ، ولأَمَةٌ سوداءُ ذاتُ دينٍ أفضلُ»[2].

(و) **الخصلة الرابعة**: لـ **(حَسَبها)** ـ بفتح الحاء والسين المهملتين، فموحدة ـ؛ أي: شرفها.

قال في «الفتح» وغيره: الحسب في الأصل: الشرف بالآباء وبالأقارب، مأخوذ من الحساب؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا، عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها، فيحكم لمن زاد عدده على غيره.

وقيل: المراد بالحسب هنا الفعال الحسنة.

ووقع في مرسل يحيى بن جعدة عند سعيد بن منصور: «على دينها، [وجمالها]، ومالها، وحسبها، ونسبها»[3]، فذكرُ النسب على هذا تأكيد.

---

(١) في الأصل: «يطغيهن»، والتصويب من «سنن ابن ماجه».

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٥٩)، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٩٧): ورواه عبد بن حميد في «مسنده»، وسعيد بن منصور، وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة، ورواه البزار من حديث عوف بن مالك، ورواه البيهقي في «الكبرى» من طريق أبي بدر عن الإفريقي بإسناده ومتنه، والحديث رواه ابن حبان في «صحيحه» بإسناد آخر.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١/ ١٦٦) (٥٠٢).

فيؤخذ من الحديث: أن الشريف النسب يستحب له أن يتزوج نسيبة، إلا إن تعارض نسيبة غير دينة وغير نسيبة دينة، فتقدم ذاتُ الدين، وهكذا في كل الصفات.

وأما ما أخرجه الإمام أحمد، والنسائي، وصححه ابن حبان، والحاكم من حديث بريدة رضي الله عنه رفعه: «إن أحساب أهل الدنيا الذين يذهبون إليه المال»[1]، فيحتمل أن يكون المراد أنه حسب من لا حسب له، فيقوم النسبُ الشريف لصاحبه مقامَ المال لمن لا نسبَ له.

ومنه حديث سمرة رضي الله عنه رفعه: «الحسبُ المال، والكرم التقوى» أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وصححه هو والحاكم[2]، وبهذا الحديث تمسك من اعتبر الكفاءة بالمال.

أو يحمل الحديث على أن من شأن أهل الدنيا رفعةَ من كان كثير المال، ولو كان وضيعًا، وضَعَةَ من كان مُقِلًا، ولو كان رفيع النسب؛ كما هو موجود مشاهد، فعلى الاحتمال الأول يمكن أن يؤخذ من الحديث اعتبارُ الكفاءة في المال، لا على الثاني، لكونه سِيقَ في معرض الإنكار على من يفعل ذلك.

وقد أخرج مسلم الحديثَ المشروح من طريق عطاء عن جابر رضي الله عنه،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٥٣)، والنسائي (٣٢٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٩، ٧٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٠)، والترمذي (٣٢٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٠، ٧٩٢٢).

وليس فيه ذكر الحسب، بل اقتصر على الدين والمال والجمال[1]؛ كما في «الفتح»[2].

وقال بعضهم: الحسبُ والكرم يكونان لمن لا أب له شرفًا، والشرف والمجد لا يكونان إلا بهم.

وفي «المطالع»: حسبُ الرجل: آباؤه الكرام الذين تعدُّ مناقبهم، وتحسب عند المفاخرة. انتهى[3].

وفي «المطلع»: الحسيبة هي النسيبة.

قال: وأصلُ الحسب الشرفُ بالآباء وما يعده الإنسان من مفاخرهم[4].

وفي «القاموس»: الحسب: ما تعدُّه من مفاخر آبائك، أو المالُ، أو الدِّينُ[5].

ثم قال ﷺ بعد عدِّ الخصالِ المذكورة: (**فاظفر**) أمرٌ من (ظَفِرَ)، [والظَّفَر] بفتح الظاء المعجمة والفاء: الفوز بالمطلوب، يقال: ظَفِرَهُ، وظَفِرَ به، وعليه؛ كـ (فَرِحَ)، واظَّفَر؛ كـ (افتعل)؛ كما في «القاموس»[6].

---

(١) رواه مسلم (٧١٥/ ٥٤).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٣٥).

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٣٥٠).

(٤) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣١٨).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حسب).

(٦) المرجع السابق (مادة: ظفر).

وفي حديث جابر: «فعليك بذات الدين»[1]؛ [أي]: الدينة من قوم أهل دين.

(تربَتْ يداك)؛ أي: لصِقت بالتراب، وهي كناية عن الفقر، وهو خبر بمعنى الدعاء، لكن لا يراد به حقيقتهُ، وبهذا جزم صاحب «العمدة»[2].

زاد غيره: أن صدور ذلك من النبي ﷺ لا يستجاب؛ لشرطه ذلك على ربه[3].

وحكى ابن العربي: أن معناه: استغنت[4].

ورُدَّ بأن المعروف أتربَ: إذا استغنى، وتَرِبَ: إذا افتقر.

ووجِّه: بأن الغنى الناشئ عن المال تراب؛ لأن جميع ما في الدنيا تراب، ولا يخفى بعدُه.

وقيل: معناه ضعف عقلك، وقيل: افتقرت من العلم، وقيل: فيه تقدير شرط؛ أي: وقع لك إن لم تفعل، ورجحه ابن العربي[5].

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) انظر: «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (٣/ ٦٥، ٨٦).

(٣) روى مسلم (٢٦٠٢/ ٩٤) من حديث جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا بشرٌ، وإني اشترطت على ربي ﷻ: أيُّ عبدٍ من المسلمين سببتُه أو شتمتُه أن يكون ذلك له زكاةً وأجرًا».

(٤) انظر: «المسالك في شرح موطأ مالك» لابن العربي (٢/ ٢١٨).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٢٢٠).

قال القرطبي: معنى الحديث أن هذه الخصال الأربع هي التي يرغب في نكاح المرأة لأجلها، فهو خبر عما في الوجود من ذلك، لا أنه أوقع الأمر على من بذلك، بل ظاهره إباحةُ النكاح لقصد كلٍّ من ذلك، لكن قصد الدين أولى[1].

ولا يؤخذ من الحديث حصرُ ما ينكح في ذلك؛ فإن ذلك لم يقل به أحد فيما علمتُ، وإن اختلفوا في الكفاءة.

وقد يكون القصد بتزويج ذات الغنى لما عساه يحصل له منها من ولد، فيعود إليه ذلك المال بطريق الإرث إن وقع، أو لكونها تستغني بمالها عن كثرة مُطالبته بما يحتاج إليه النساء، ونحو ذلك.

وتقدم أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدينُ مطمحَ نظره في كل شيء، ولا سيما فيما تطول صحبته.

ويحكى أن نوحَ بنَ [أبي] مريمَ قاضيَ مرو أراد أن يزوج ابنه، فاستشار جارًا له مجوسيًا، فقال له المجوسي: الناس يستفتونك وأنت تستفتيني؟! قال: لا بد أن تشير عليَّ، فقال: إن رئيسنا كسرى كان يختار المال، ورئيس النصارى قيصر كان يختار الجمال، وجاهلية العرب كانت تختار الحسب والنسب، ورئيسكم محمد كان يختار الدِّين، فانظر أنتَ بأيهم تقتدي[2].

---

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٤/ ٢١٥)، وفيه: فهو خبر عما في الوجود من ذلك، لا أنه أمرٌ بذلك.

(٢) انظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ٤٦٩)، و«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (٣/ ٣١٧).

(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروح **(البخاري، ومسلم)**، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه[1].

وفي «أوسط الطبراني» من حديث أنس ﷺ مرفوعًا بسند ضعيف: «من تزوج امرأة لعزِّها، لم يزده الله إلا ذلًّا، ومن تزوجها لمالها، لم يزده الله إلا فقرًا؛ ومن تزوجها لحسبها، لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغضَّ بصره، ويحصنَ فرجه، ويصلَ رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه»[2].

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنكَح المرأة على إحدى خصال: لجمالها، ومالها، وخلقها، ودينها، فعليكَ بذات الدينِ والخلقِ تربَتْ يمينك»، ورجال أحمد رجال الصحيح[3]، ورواه البزار، وأبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه»[4].

* * *

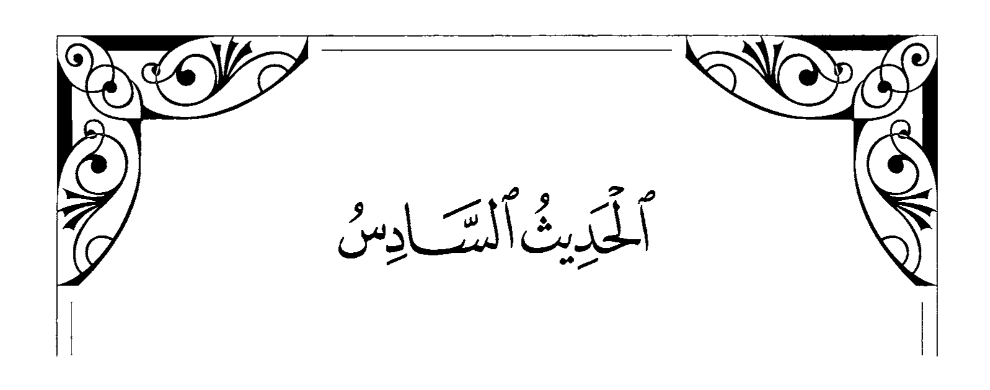
---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤٧)، والنسائي (٣٢٣٠)، وابن ماجه (١٨٥٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٤٢)، وفيه عبد السلام بن عبد القدوس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٤): وهو ضعيف.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٠).

(٤) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (١٤٠٣)، وأبو يعلى (١٠١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٣٧). والمؤلف ناقل هنا عن «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٠)، وهذا لفظه.



الحَدِيثُ السَّادِسُ

٤٨٨ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤمنُ بَعْدَ تَقْوَى اللهِ خَيْرًا لَهُ مِن زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أمرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِن نظَرَ إِلَيْهَا سرَّتهُ، وَإِن أقسم عَلَيْهَا أَبرَّتهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتهُ فِي نَفسِهَا وَمَالِهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(**عن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه كان يقول: ما استفاد**)؛ أي: ربح، يقال: أفاد المال، واستفاده، وتَفَيَّدَه: اقتناه، وأفدته أنا: أعطيته إياه؛ أي: ما ربح ولا اقتنى الرجل (**المؤمن بعد تقوى الله**) ﷻ التي هي لغةً: جعلُ النفس في وقاية مما يخاف.

وشرعًا: حفظُ النفس عن الآثام وما يجرُّ إليها.

فتقوى العبد لله: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضب الله وعقابه وقاية تقيه منه؛ من امتثال أوامره، واجتناب مناهيه.

والتقوى من جوامع كلمه ﷺ، وهي تشمل خيري الدنيا والآخرة.

وفي حديث أبي ذر ﷺ: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «أوصيك

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٧).

بتقوى الله؛ فإنها رأس الأمر كلِّه»، رواه ابن حبان، وغيره[١].

ومثله في حديث أبي سعيد، فقال ﷺ: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنها رأس كل شيء»[٢].

وفي رواية: «عليك بتقوى الله؛ فإنها جماع كل خير»[٣].

والتقوى وصيةُ الله لعباده، ووصية الأنبياء لأممهم.

(خيرًا له) وأنفعَ له، وأعودَ عليه **(من زوجة صالحة)**، وفسر صلاحها بقوله ﷺ: **(إن أمرها أطاعته)**، ما لم يأمرها بما يُغضب الله؛ كإتيانه إياها في نحو حيض، **(وإن نظر إليها سرته)**؛ أي: أفرحته، **(وإن أقسم)**؛ أي: حلف **(عليها)** لتفعلن كذا؛ حيث لم يكن في معصية، **(أبرته)**؛ أي: أبرت قَسَمَه، **(وإن غاب عنها، نصحته في نفسها)**؛ بصونها عن الزنا ومقدماته، فتحفظ نفسها من فرجها ولسانها وسائر بدنها من نظر، وتمكينٍ من قبلةٍ ولمسٍ، وغير ذلك، **(و)** حفظت **(ماله)** عن الضياع والتبذير، وبيتَهُ من دخول من لا يريد دخوله فيه.

(رواه ابن ماجه) عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة. وعليُّ بن يزيد وثقه الإمام أحمد، وابن حبان[٤]، وضعفه الدارقطني،

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١).

(٢) رواه الحارث المحاسبي في «فهم القرآن» (ص: ٢٨٧).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١٠٠٠)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٥٦).

(٤) ذكره ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٠) وقال: منكر الحديث جدًا.

والبخاري، وأبو زرعة[1].

والقاسمُ بن عبد الرحمن صاحبُ أبي أمامة قال الإمام أحمد: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم[2].

وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات[3].

ووثقه ابن معين[4]، والجوزجاني، والترمذي[5]، وصحح له.

وقال يعقوبُ بنُ أبي شيبة: منهم من يضعِّفه.

وعن إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ سعدِ بن أبي وقاصٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادةِ ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»، رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح، والطبراني، والبزار، والحاكم وصححه، إلا أنه قال: «والمسكن الضيق»[6]، وابن حبان في «صحيحه»، إلا أنه قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار

---

(١) انظر: «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني (٢/ ١٦٦)، و«التاريخ الأوسط» للبخاري (١/ ٣١٠)، و«الضعفاء» لأبي زرعة (٢/ ٦٤١).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧/ ١١٣).

(٣) انظر: «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٢١٢).

(٤) انظر: «تاريخ ابن معين ـ رواية الدوري» (٤/ ٤٢٨).

(٥) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٣٤٥).

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٢٩)، والبزار (١١٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٤٠).

الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»[1].

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص أيضًا، عن أبيه ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من السعادة: المرأة الصالحة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسك ومالك، والدابة تكون وطية، فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرةَ المرافق، وثلاث من الشقاوة: المرأة تراها فتسوءُك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قَطوفًا، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تُلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلةَ المرافق» رواه الحاكم، وقال: تفرد به محمد ـ يعني: ابن بكير الحضرمي ـ، فإن كان حفظه، فإسناده على شرطهما؛ يعني: الشيخين؛ البخاري، ومسلم[2].

قال الحافظ المنذري: محمد صدوق، وثقه غير واحد[3]. والله أعلم.

فيما ذكرنا من الأخبار الثابتة عُلِمَ أن لحديث أبي أمامة أصلًا أصيلًا. والله أعلم.

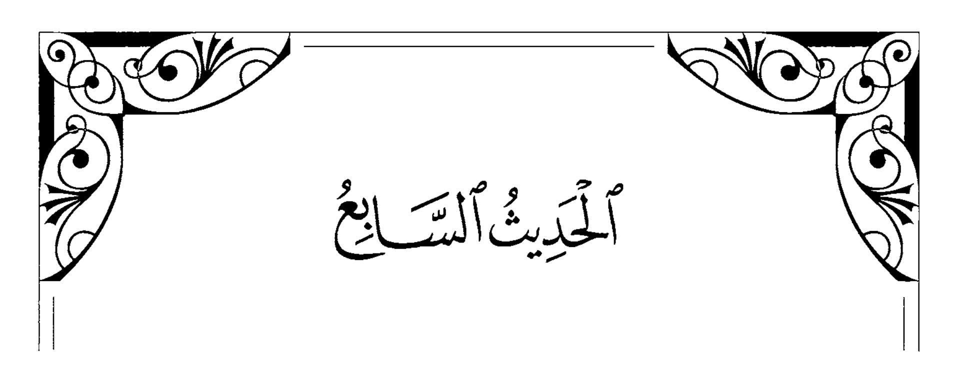
* * *

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٠٣٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٤).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٩).



٤٨٩ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِن سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: الْحَيَاءُ، والتعطُّرُ، والسِّواكُ، وَالنِّكَاحُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حسنٌ غَرِيبٌ[1].

(**عن أبي أيوب**) خالدِ بنِ زيدٍ الأنصاريِّ (ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضائل الذكر في جميع الأوقات)، (**قال**) أبو أيوب ﷺ: (**قال: قال رسول الله ﷺ: أربع**)؛ أي: أربع خصال (**من سنن المرسلين**)؛ أي: من طريقتهم وشرائعهم، والمراد: الرسل من البشر.

الخصلة الأولى: (**الحياء**) بفتح الحاء المهملة، فمثناة تحتية، فألف ممدودة.

قال الحافظ العراقي: وصحَّفه بعضُهم فرواه بكسر الحاء، فنون مشددة، فألف ممدودة.

وذكر الإمام المحقق في «الهدي»، وفي «تحفة الودود»، وغيرهما، قال: روي في «جامع الترمذي» بالنون والياء بعد الحاء المهملة.

قال: وسمعت أبا الحجاج الحافظ جمالَ الدين يوسفَ المزيَّ يقول:

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٠).

الصواب: الختان، فسقطت النون من الحاشية، كذلك رواه المحاملي عن شيخ الترمذي. انتهى[1].

و(الحياء) ـ بالحاء المهملة، فمثناة تحتية، فألف ممدودة ـ في اللغة: تغيرٌ وانكسار يعتري الإنسان من خوفِ ما يُعاب به.

وفي الشرع: خُلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حقِّ ذي الحق، والشخص الحييُّ يخاف فضيحة الدنيا والآخرة، فيأتمر وينزجر.

(و) **الخصلة الثانية: (التعطر)** بالتاء الفوقية المشددة، فعين مهملة، فطاء مهملة مشددة، فراء؛ أي: استعمال العطر، وهو الطيب.

(و) **الخصلة الثالثة: (السواك)**؛ لأن الفم طريق لكلام الله المنزل عليهم، فاستعملوا السواك لتنظيفه، وتقدم الكلام عليه في محله.

(و) **الخصلة الرابعة: (النكاح)**، وهذه الخصلة هي المقصودة في هذا الباب دونَ غيرها، والمراد: أن الخصال الأربع من سُنن غالب الرسل؛ فإن نوحًا ـ عليه السلام ـ لم يختتن[2]، وعيسى ـ عليه السلام ـ لم يتزوج.

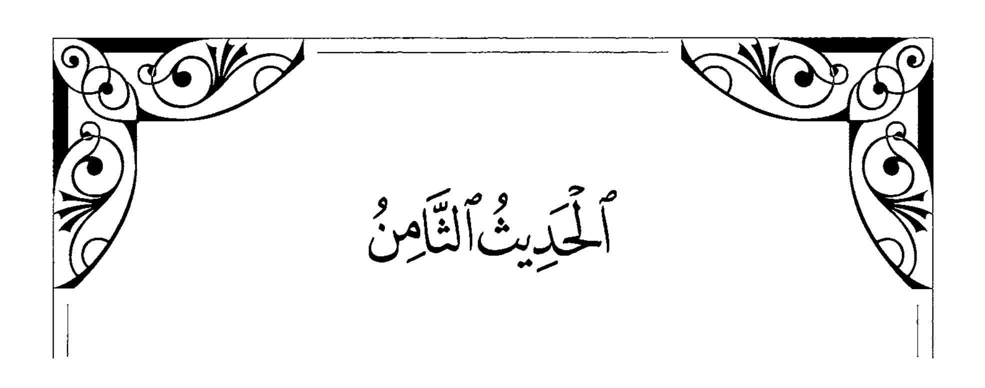
(رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب)، ورواه الإمام أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان»[3].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ٢٥٢)، و«تحفة المودود» (ص: ١٥٩).

(٢) روى ابن أبي عاصم في «الأوائل» (١٩)، والطبراني في «الأوائل» (١١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٢٢٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من اختتن إبراهيم...» الحديث.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧١٩).



الحديث الثامن

٤٩٠ ـ عَنْ مَعْقلِ بنِ يَسَارٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رجلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أصبتُ امْرَأَةً ذَاتَ منصبٍ وَحسَبٍ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ، أفأتزوَّجُها؟ فَنَهَاهُ، ثمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَة فنهَاهُ، ثمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «تزوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بكمُ الأُمَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، وَهَذَا لَفظُهُ[1].

(عن مَعْقِل) بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف (ابن يسار) ـ بفتح التحتية، فسين مهملة، فألف، فراء ـ المزني، بايع تحت الشجرة، وسكن البصرة، روى عنه: الحسن، وجماعة، ومات في إمرة عبدالله بن زياد بعد الستين، وقيل: بل مات في زمن معاوية.

(قال: جاء رجل) لم أقف على اسمه (إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني أصبتُ) في تطلبي الزواج (امرأة ذاتَ حسب ومنصِب)، زاد في رواية: «ومال»[2]، (إلا أنها لا تلد) إما لكونها عقيمًا، أو لأنها بلغت

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٥) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٨١).

سنَّ الإياس، (**أفأتزوجها**) بأداة استفهام، (**فنهاه**) النبي ﷺ عن زواجها لعدم ولادتها.

(**ثم أتاه**) المرة (**الثانية**) واستفهمه عن زواجه بها، (**فنهاه**) عن ذلك، (**ثم أتاه**) المرة (**الثالثة**)، كرر ذلك لرغبته في منصبها ومالها، (**فقال**) ﷺ: (**تزوجوا**) أمرُ إرشادٍ واستحباب (**الولود**)، وتعرف بأنها ولود إن كانت بكرًا بأقاربها وأصولها، وصيغةُ (فعول) تقتضي المبالغة والكثرة؛ أي: كثيرة الأولاد، وإن كانت ثيبًا، تعرف بكونها ولودًا بزوجها الأول، (**الوَدُود**)؛ كـ (صبور) بمعنى: وادة لزوجها، وهي المتحببة إلى زوجها بالتلطف والخطاب، وكثرة الخدمة والأدب، والبشاشة في الوجه.

وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها، ويعرف ذلك منها إن كانت بكرًا بأقاربها وأصولها، وإن كانت ثيبًا بزوجها الأول.

(**فإني مكاثر**)؛ أي: مغالبٌ (**بكم**) الأممَ السابقة في الكثرة.

(**رواه أبو داود، والنسائي**)، ورجاله ثقات، (**وهذا**)؛ أي: اللفظ المذكور (**لفظه**)؛ أي: لفظ حديث النسائي.

ورواه الحاكم، ولفظه: ثم أتاه الثانية فقال له مثلَ ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال [له مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ]: «تزوَّجوا الودود الولود؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم»[1].

وتقدم في الحديث الثاني من أحاديث الباب حديثُ أم المؤمنين

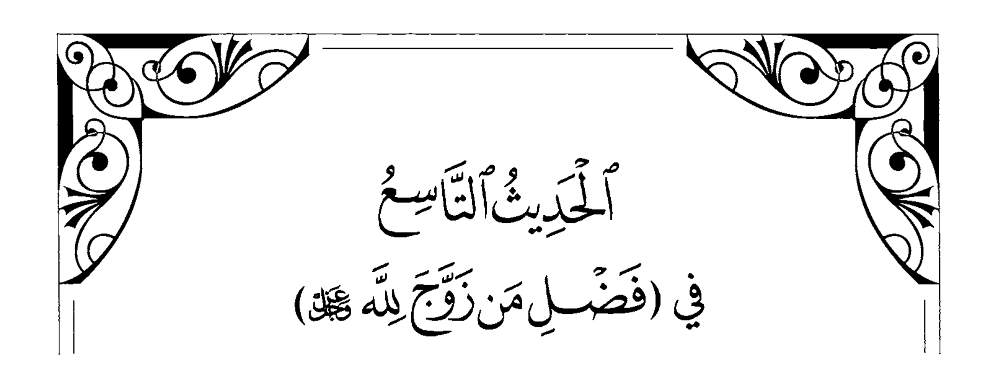
---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

عائشة ﵂ عند ابن ماجه، وفيه: «فإني مكاثرٌ بكم الأمم».

وتقدم حديث أبي أمامة ﵁ أيضًا، ولفظه: «تزوَّجوا؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى».

* * *



الحَدِيثُ التَّاسِعُ
في (فَضْلِ مَنْ زَوَّجَ لِلَّهِ ﷻ)

لا لدنيا يُصيبها، ولا ليتكثر بصهره.

٤٩١ ـ عَنْ رَجُلٍ منَ الصَّحَابَةِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن زوَّجَ للهِ توَّجَهُ اللهُ تَاجَ الْكَرَامَةِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[1].

(**عن رجل من الصحابة ﷺ**)، ولا يضر الجهل بعينه؛ لأن الصحابة ﷺ كلهم عدول، فلا يبحث عن عدالتهم في الرواية.

(**قال: قال رسول الله ﷺ: من**)؛ أي: أيُّ شخص من أمتي (**زَوَّجَ لله**) ﷻ؛ بأن زوج موليته لرجل صالح يسترها ويصونها، ويكون من أهل الدين والصلاح والتقوى والفلاح (**توَّجَه الله**) ﷻ؛ أي: ألبسه (**تاج الكرامة**).

قال في «النهاية»: التاج هو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر، والجمع (تيجان)، يقال: تَوَّجته: إذا ألبسته التاج، وفي الحديث: «العمائمُ تيجانُ العرب»[2]، أراد: أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك؛ لأنهم

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٨) بلفظ «تاج الملك».

(٢) رواه الرامهرمزي في «أمثال الحديث» (١١٧) من حديث معاذ بن جبل ﷺ، =

أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس أو بالقلانس، والعمائم فيهم قليلة[1].

وقوله: (تاج الكرامة)؛ أي: هو مما يكرمه به ﷻ يوم القيامة.

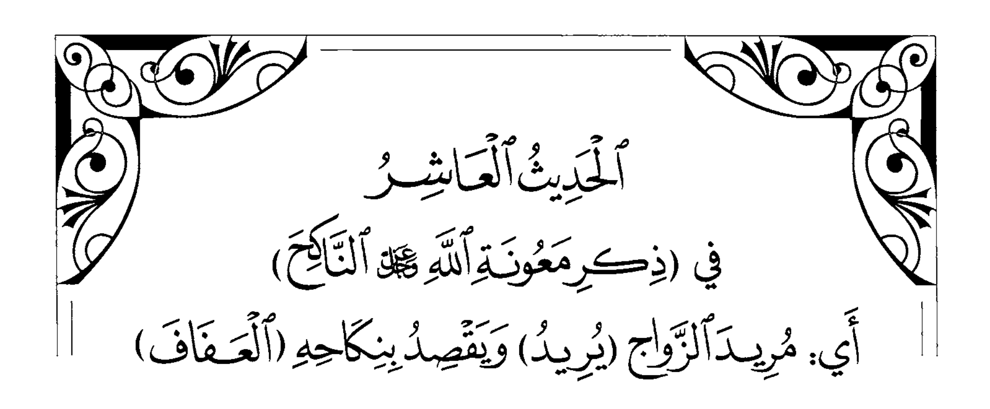
(رواه أبو داود)، وأخرج الإمام أحمد، والترمذي وقال: منكر، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي، وغيرهم عن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحبَّ لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه»[2]. والله أعلم.

* * *

= والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٦٠) من حديث أبي المليح عن أبيه مرفوعًا، ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٦١) من حديث أبي المليح مرسلًا. وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٤٦٥).

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٨)، والترمذي (٢٥٢١) وقال: حديث حسن، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥).



أي: عفافَ نفسه عما لا يحل له؛ بأن يكف به بصره، ويحصن به فرجه، ويمحو به وساوسه الرديئة، وخواطره الغير المرضية.

٤٩٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ عَلَى اللهِ عَونُهم: الْمكَاتبُ الَّذِي يُرِيدُ الأدَاءَ، والنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العفافَ، والمجاهدُ فِي سَبِيلِ اللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

(**عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة**)؛ أي: ثلاثة أشخاص (**حَقٌّ على الله عونُهم**) بالنصر والتأييد، والنجاح والتسهيل والتسديد.

أحدُهم: (**المكاتَب**)؛ أي: الذي كاتبه سيدُه على شيء من المال معلومٍ (**الذي يريدُ الأداءَ**)؛ أي: أداء ما كوتب عليه ليخلص نفسه من الرق، ويفك رقبته من ذلك، فهو ساعٍ في فكاك رقبته من رق العبودية.

(**و**) **الثاني**: (**الناكح**)؛ أي الذي يريد أن يتزوج، فهو ساع في فعل

(١) رواه الترمذي (١٦٥٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٠١٤)، وابن ماجه (٢٥١٨).

خير؛ فإنه **(يريد العفاف)**؛ أي: أن يُعِفَّ نفسه، ويكفَّ بصره عما لا يحلُّ له.

(و) الثالث: (المجاهد في سبيل الله) ﷻ؛ فإنه باذل لماله ونفسه في إعلاء كلمة الله، وقتال أعداء الله.

(رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن). ورواه الإمام أحمد، والحاكم وقال: صحيح[1].

وخص النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة بالذكر بالمعونة؛ لأن ما يطلبونه من الأمور الشاقة، وأشقها النكاح.

وروى الإمام أحمد ـ أيضًا ـ بإسناد حسن من حديث أبي هريرة ﷺ: «أربعٌ حقٌّ على الله عونُهم»، فذكر الثلاثة، وزاد: «الحاج»[2]؛ أي: من خرج حاجًّا أو معتمرًا.

ونظمهم الحافظ جلالُ الدين السيوطي في قوله:

حقٌّ على الله عونُ جمعٍ
وَهْو لهم في غدٍ يُجازي

مكاتبٌ ناكحٌ عفافا
ومن أتى بيتَه وغازي[3]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥١، ٤٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٥٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) لم نقف عليه، وقد عزاه للإمام أحمد السيوطي في «الجامع الصغير» ورمز لحسنه. انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٤٦٢).

(٣) من مخلع البسيط. انظر: «حاشية السيوطي على سنن النسائي» (٦/ ٦١).

وزاد الشمس الفارضي خامسًا، وحديثه رواه الطبراني في «الأوسط» من حديث جابر بن عبدالله ﵄: «ثلاثةٌ من فعلهنَّ ثقةً بالله واحتسابًا، كان حقًّا على الله أن يُعِينه ويُبارِكَ له: مَن سعى في فكاك رقبته ثقةً بالله واحتسابًا، كان حقًّا على الله أن يُعِينَه ويُبارِكَ له، [ومَن تزوَّج ثقةً بالله واحتسابًا، كان حقًّا على الله أن يُعِينَه وأن يُبارِكَ له]، ومَن أحيا أرضًا ميتةً ثقةً بالله واحتسابًا، كان حقًّا على الله أن يُعِينَه ويُبارِكَ له»[1]، فزاد: «مَن أحيا أرضًا ميتةً».

ونظمها في قوله:

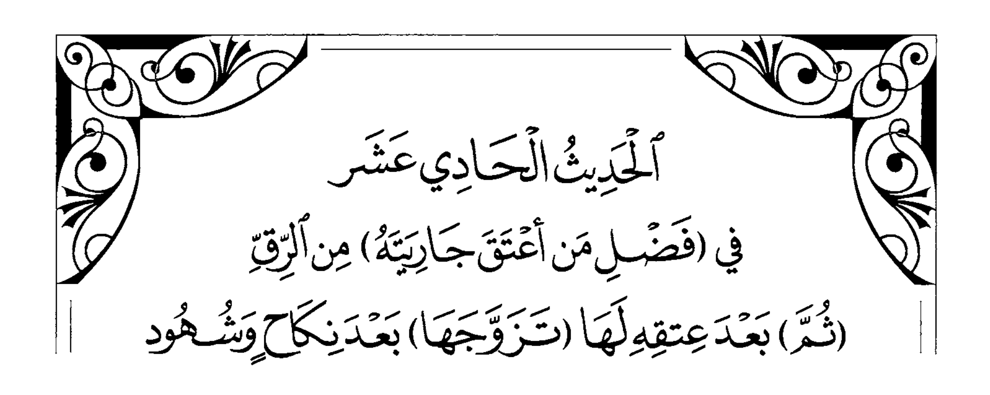
وَجاء مَنْ للمواتِ أحيا

وهو لهم خامسٌ يوازي[2]

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩١٨)، وفيه عبيدالله بن الوازع. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٨): روى عنه حفيده عمرو بن عاصم فقط، وبقية رجاله ثقات.

(٢) من مخلع البسيط.



الحديث الحادي عشر

في (فضل من أعتق جاريته) من الرق (ثم) بعد عتقه لها (تزوجها) بعد نكاح وشهود

٤٩٣ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ يُؤتَونَ أجرَهُمْ مرَّتَيْنِ: رجلٌ كَانَت لَهُ أمَةٌ، فأَدَّبَهَا فأَحسَنَ أَدبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وتَزَوَّجَهَا، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، ثُمَّ أَدرَكَ الإِسلامَ فَأَسْلَمَ، وَعَبْدٌ اتَّقَى اللهَ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ». أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ بِمَعناهُ[1].

(عن أبي موسى) عبدِالله بنِ قيسٍ الأشعريِّ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة)** من أشخاص الناس **(يؤتَوْن أجرَهم)** يوم القيامة **(مرتين)**:

أحدُهم: **(رجل كانت له أَمَةٌ)** قِنٌّ، **(فأدَّبها وأحسنَ أدبَها)**.

قال في «القاموس»: الأدب: الظَّرف، وحسن التناول، ويقال: أَدُب؛ كـ (حَسُنَ) أدبًا، فهو أديب، والجمع (أدباء)، وأدَّبه: علَّمه، فتأدَّب، واستأدب. انتهى[2].

وفي «المطلع»: الأدب ـ بفتح الهمزة والدال المهملة ـ: مصدر أدب

---

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤/ ٢٤١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (مادة: أدب).

الرجل ـ بكسر الدال وضمها ـ لغةً: إذا صار أديبًا في خلق أو علم. انتهى[1].

وفي «الفتح»: الأدب: استعمالُ ما يُحمد قولًا وفعلًا، وعبَّر بعضهم عنه بأنه الأخذُ بمكارم الأخلاق.

وقيل: الوقوف على المستحسنات.

وقيل: هو تعظيم مَنْ فوقَك، والرفق بمن دونَك[2]، وسيأتي له تتمة في (فضل أدب الولد) من أواخر (كتاب العلم).

(ثم) بعد تأديبه لها **(أعتقها)** من الرقِّ، **(وتزوجها)**.

فيه دليل على مزيد فضل من أعتق أمته ثم تزوجها، سواء أعتقها ابتداء أو لسبب، وقد بالغ قوم وأغربوا، فكرهوه، وكأنهم لم يبلغهم الحديث.

وفي الصحيحين: «ورجلٌ كانت له أمةٌ، فَغَذَاها فأحسن غذاءَها، ثم أدَّبَها فأحسن تأديبَها، وعلَّمها فأحسن تعليمَها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران»[3].

قوله: (فغذاها) بتخفيف الذال المعجمة (فأحسن غذاءها) بالمد.

وفي رواية عند الترمذي: «ورجلٌ كانت له جاريةٌ وَضِيئةٌ»[4].

قال الحافظ زين الدين العراقي: ليس في شيء من الكتب الستة وصفُ

---

(١) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣٩٦).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٠٠).

(٣) رواه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤/ ٢٤١).

(٤) رواه الترمذي (١١١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وفيه: «عنده» بدل: «له».

الجارية بأنها وضيئة إلا في رواية الترمذي هذه.

قال: وهل هو قيد في حصول الأجر المذكور أم لا؟ فيه بحث.

(و) الثاني: (رجلٌ)؛ أي: شخص؛ ليشمل المرأة **(من أهل الكتاب آمنَ بنبيه)** الذي كان من أهل ملته، **(ثم أدرك الإسلام)** الذي جاء به محمد ﷺ، **(فأسلم)** باتباعه لدين محمدٍ ﷺ والكتاب.

قال الحافظ ابن حجر: لفظ الكتاب عامٌّ ومعناه خاصٌّ؛ أي: المنزل من عند الله ﷻ المراد به التوراة والإنجيل كما تظاهرت به نصوص الكتاب والسنة حيث تُطلق أهلَ الكتاب.

وقيل: المراد به الإنجيل خاصة؛ لأن النصرانية ناسخة لليهودية.

وأجاب الطيبي بأنه لا يبعد أن يكون طريانُ الإيمان بمحمد ﷺ سببًا لقبول ذلك الدين وإن كان منسوخًا[1].

وقال السيوطي: هو شامل لليهود والنصارى؛ كما دل عليه سبب نزول قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[القصص: ٥٤]، أنه أنزل في جماعة، منهم: عبدالله بن سلام، ورفاعة القرظي، وهما من اليهود، وسلمان الفارسي، وكان نصرانيًّا، خلافًا لمن خصه بالنصارى زاعمًا أن اليهود كفروا بعيسى، فلا ينفع إيمانهم بموسى[2].

قلت: كلُّ ما يرد على اليهود في هذا فإنه يرد على النصارى، فإنهم كفروا بمحمد ﷺ، ودينهم منسوخ بالإسلام.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: «التوشيح شرح الجامع الصحيح» للسيوطي (١/ ٢٦٩).

وزعم الكرماني اختصاصَ من يؤتى أجره مرتين من مؤمني أهل الكتاب بمن كان في عهد النبي ﷺ، وأسلم في حياته[1].

وقال البلقيني: بل يستمر حكمُ ذلك إلى يوم القيامة، واستظهره الحافظ ابن حجر وغيرُه[2].

وقال ابن المنير: مؤمنُ أهل الكتاب لا بدَّ أن يكون مؤمناً بنبينا ﷺ لما أخذ الله عليهم من العهد والميثاق، فإذا بعث فإيمانه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره؟

ثم أجاب بأن إيمانه الأول: بأن الموصوفَ بكذا رسول، والثاني: بأن محمدًا هو الموصوف، فظهر التغاير، فثبت التعدد. انتهى.

قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم، فحصل له الأجر الثاني لمجاهدته نفسَه على مخالفة نظرائه[3].

وقال القرطبي: الكتابي الذي يضاعَف أجرُه مرتين هو الذي كان على الحق في شرعه عقدًا وفعلًا إلى أن آمن بنبينا ﷺ، فيؤجر على اتباع الحق الأول والثاني[4].

قال في الفتح: يُشكِل عليه أن النبي ﷺ كتب إلى هرقلَ: «أسلِمْ يؤتِك الله

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢/ ٨٨).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٩١).

(٣) المرجع السابق (٦/ ١٤٦).

(٤) انظر: «المفهم» للقرطبي (١/ ٣٦٩، ٣٨).

أجرك مرتين»[1]، وهرقلُ كان ممن دخل في النصرانية بعد التبديل.

ثم قال: وأُعطي هرقلُ الأجر مرتين؛ لكونه كان مؤمنًا بنبيه، ثم آمن بمحمد ﷺ، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[القصص: ٥٤].

ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه، ومن جهة كون إسلامه سببًا لإسلام أتباعه[2].

واستنبط منه الحافظ جلالُ الدين السيوطي[3]: أن كلَّ من دانَ بدين أهل الكتاب، كان في حكمهم في الذبائح والمناكحة؛ لأن هرقلَ وقومه ليسوا من بني إسرائيل، بل هو وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال له النبي ﷺ: «﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾»، فدل على أن لهم حكمَ أهل الكتاب.

قلت: وهذا معتمدُ مذهبنا الحنابلة كما جزم علماؤنا فروعًا وأصولًا، ومتونًا وشروحًا؛ خلافًا لمن خص ذلك بالإسرائيليين، أو ممن علم أن سلفه ممن دخل في اليهودية أو النصرانية قبل النسخ والتبديل.

وقال الداودي ومن تبعه: يحتمل قوله ﷺ: «ورجل من أهل الكتاب» أن يتناول سائر الأمم فيما فعلوه من خير؛ كما في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه وقول النبي ﷺ: «أسلمتَ على ما أسلفتَ من خير»[4]، وهو متعقب؛ لأن

---

(١) رواه البخاري (٧)، ومسلم (٧٤/ ١٧٧٣)، من حديث أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٩١).

(٣) كذا في الأصل، وعزا هذا الاستنباط ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٣٨) لشيخ الإسلام البلقيني.

(٤) رواه مسلم (١٢٣/ ١٩٤).

الحديث مقيد بأهل الكتاب، فلا يتناول غيرهم إلا بقياس الخير على الإيمـان، وأيضًا فالنكتة في قوله: «آمن بنبيه» الإشعارُ بعلية[1] الأجـر؛ [أي]: أن سـبب الأجرين الإيمان بالنبيين، والكفار ليسوا كذلك.

ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار: أن أهل الكتاب يعرفون محمـدًا ﷺ كمـا قـال تعـالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾[الأعراف: ١٥٧]، فمن آمن به واتبعه منهم، كان له فضل على غيره، وكذا من كذبه منهم كان عليه وزر أشدُّ من وزر غيره. انتهى.

وقال المهلب[2]: جاء النص في هؤلاء الثلاثة؛ لينبه به على سائر من أحسن في معنيين في أي فعل من أفعال البر. انتهى.

وهذا نحو ما قال الداودي، ويمكن حملُه على من فعل خيرًا من أهل الكتابين.

(و) الثالث: (عبد) مملوك (اتقى الله) ﷻ (وأطاع مواليه).

وفي لفظ في الصحيحين وغيرهما: «وعبد مملوك أدى حقَّ الله، وحـقَّ سيده، فله أجران»[3].

قال ابن عبد البر: معنى هذا الحديث عندي: أن العبد لما اجتمـع عليـه أمران واجبان: طاعة ربه في العبادة، وطاعة سيده في المعروف، فقام بهما جميعًا، كان له ضعفـ[ـا] أجر الحر المطيع لطاعته؛ لأنه سـاواه فـي طاعـة الله

---

(١) في الأصل: «بغلبة»، والتصويب من «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٩١).

(٢) في الأصل: «المهلبي»، والمثبت من المرجع السابق (٦/ ١٤٦).

(٣) رواه مسلم (١٥٤/ ٢٤١).

وفضل عليه بطاعة سيده الذي أمره الله بطاعته.

قال: ومن هنا قيل: إن من اجتمع عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس عليه إلا فرض واحد فأداه؛ كمن وجبت عليه صلاة وزكاة فقام بهما، فهو أفضلُ ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه: أنه إن كان ممن اجتمعت عليه فروض فلم يؤدِّ منها شيئًا، كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها. انتهى[1].

والظاهر: أن مزيد الفضل للعبد الموصوف بالصفة المذكورة لِمَا يَدْخل عليه من مشقة الرق، وإلا فلو كان التضعيف بسبب اختلاف جهة العمل، لم يختص العبد بذلك.

وقال ابن التين: المراد أن كل عمل يعمله يضاعَف له.

وقيل: سبب التضعيف أنه زاد في خدمة سيده نصحًا، وفي عبادة ربه إحساناً، فكان له أجر الواجبين وأجر الزيادة عليهما.

قال: والظاهر غير هذا، وأنه إنما بين ذلك؛ لئلا يظن أنه غير مأجور على العبودية.

فإن قيل: يلزم أن يكون أجر المماليك ضعفَ أجر السادات.

أجاب الكرماني: بأنه لا محذور في [التزام] ذلك، أو يكون أجره مضاعفًا من هذه الجهة، وقد يكون للسيد جهات أخرى يستحق بها أضعاف أجر العبد، أو المراد ترجيحُ العبد المؤدي للحقين على العبد

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٤/ ٢٣٦).

المؤدي لأحدهما. انتهى[1].

ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر مختصًّا بالعمل الذي تتحد فيه طاعة الله وطاعة السيد، فيعمل عملًا واحدًا ويؤجر عليه أجرين بالاعتبارين، وأما العمل المختلف الجهة، فلا اختصاص له بتضعيف الأجر فيه على غيره من الأحرار.

* **تنبيهات:**

الأول: جوز الإمام أحمد للسيد أن يعتق أَمته ويجعلَ صداقَها عتقَها، مستدلًّا بما رواه هو والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ: أن النبيَّ ﷺ أعتقَ صفيةَ، وجعل عتقَها صداقَها[2].

قال الإمام المحقق ابنُ القيم في «الهدي»: ثبت عنه ﷺ أنه أعتق صفيةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطبَ وجعل عتقها صداقها، قيل لأنس ﷺ: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسَها[3].

وقد ذهب إلى جواز ذلك عليُّ بن أبي طالب، وفعله أنس، ﷺ[4].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: أخذ بظاهر هذا من القُدماء: سعيدُ ابنُ المسيب، وإبراهيم النخعي، وطاوس، والزهري، ومن فقهاء الأمصار: الإمام أحمد، والثوري، وأبو يوسف، وإسحاق، وغيرهم[5].

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢/ ٨٩).

(٢) رواه البخاري (٥٠٨٦)، ومسلم (١٣٦٥/ ٨٥).

(٣) رواه البخاري (٤٢٠١).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٥/ ١٥٦).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٣١).

وزاد في «الهدي» من التابعين: أبا سلمة بن عبد الرحمن، والحسن البصري[1].

وقالت صفيةُ نفسُها ﵂: أعتقني رسول الله وجعل عتقي صداقي. أخرجه الطبراني، وأبو الشيخ، والأثرم[2]، وهذا موافق لحديث أنس.

وممن قال بقول الإمام أحمد من محدثي الشافعية: ابنُ حبان، صرح بذلك في «صحيحه»[3].

قال ابن دقيق العيد: الظاهر مع الإمام أحمد ومن وافقه، والقياس مع الآخرين[4].

وقال ابن القيم في «الهدي» عن معتمد قول الإمام أحمد من صحة عتق الأمة وجعل عتقها صداقها: هو الموافق للسنة، وقول الصحابة، والقياس، فإنه كان يملك رقبتها ونفعها، فأزال ملكه عن رقبتها، وأبقى ملك المنفعة بعقد النكاح، فهو أولى بالجواز مما لو أعتقها واستثنى خدمتها[5].

فعلى معتمد المذهب إذا قال لأمته القن، أو المدبرة، أو المكاتبة، أو أم ولده، أو المعلق عتقُها على صفة ـ بشرط كونها تحلُّ له ـ : إذن أعتقتك وجعلت عتقك صداقك، أو جعلت عتق أمتي صداقها، أو صداق

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٥/ ١٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٧٣)، ولم نقف عليه عند أبي الشيخ والأثرم.

(٣) انظر: «صحيح ابن حبان» (٩/ ٤٠١ ـ الرسالة، ط١).

(٤) انظر: «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (٤/ ٤٦).

(٥) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٥/ ١٥٦).

أمتي عتقها، صح ذلك؛ بشرط كونه متصلًا نصًا، وأن يكون بحضرة شاهدين، نصَّ عليه في رواية ابنه عبدالله. والله أعلم.

الثاني: في ذكر من يؤتى أجره مرتين غير من ذكر في هذا الحديث [. . .][1] منهم أزواج النبي ﷺ، ومن توضأ مرتين؛ يعني بأن يجدِّد وضوءه حيث سُنَّ؛ بأن يكون قد صلى بالوضوء الأول، فتوضأ ثانيًا وهو على طهارة، ومن يقرأ القرآن وهو عليه شاقٌّ، والمجتهد إذا أصاب، والمتصدق على قريبه، والمرأة المتصدقة على زوجها، ومن عمر جانب المسجد الأيسر لقلة أهله، والغني الشاكر، ومن سنَّ سنَّةً حسنةً، ومن صلى بالتيمم ثم وجد الماء فأعاد، ومن صلى في الصف الثاني أو الثالث مخافةَ أن يؤذي مسلمًا، والإمام، والمؤذن، ومن طلب علمًا فأدركه، ومن أسبغ الوضوء في البرد الشديد، ومن دنا من الخطيب فاستمع وأنصت، ومن غسل يوم الجمعة واغتسل، ومن قتله أهل الكتاب، وشهيد البحر، ومن حافظ على صلاة العصر، ومن استمع لقراءة القرآن، وسريةٌ خرجت للغزو فرجعت وقد أخفقت؛ أي: رجعت ولم تغنم، ومن قتله سلاحُهُ، ومن توضأ بعد الطعام، ومن يعمل العمل سرًّا، فإذا اطلع عليه أعجبه.

قال الترمذي: فسره بعضُ أهل العلم بأن يعجبه ثناءُ الناس عليه بالخير؛ لقوله ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض»[2]، لا للإكرام والتعظيم.

وقال بعضهم: إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله، فيكون

---

(١) ما بين معكوفين بياض في الأصل.

(٢) رواه مسلم (٩٤٩/ ٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

له مثل أجورهم[1].

ومن كان موفقًا في وقت الفساد، ومن تصدق في يوم جمعة، ومن عمل فيه خيرًا مطلقًا، ومن أتى إلى الجمعة ماشيًا، ومن تبع الجنازة ماشيًا، ومن صلى على جنازة وتبعها حياءً من أهلها أعطي أجر صلاته على أخيه، وأجر صلاته للحي، ومن يقرأ في المصحف، ومن قرأ القرآن فأعربه، والمراد بإعرابه هنا معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعْراب بالمصطلح عليه في النحو، وهو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها.

ومن يسارع إلى خير ماشيًا حافيًا، والجبان.

وقد نظم جميعَها الحافظ جلال الدين السيوطي في قوله:

وجمعٌ أتى فيما رويناه أنَّهم

يثنَّى لهم أجرٌ حووه محقَّقا

فأزواجُ خير الخلق أوَّلهم ومَن

على زوجها أو للقريب تصدَّقا

وَقَارٍ بجهد ذو اجتهادٍ أصاب وال

وضوء اثنتين والكتابيُّ صدَّقا

وعبدٌ أتى حقَّ الإله وسيِّدٍ

وعامرُ يُسْرى مَعْ غنيٍّ له تقى

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (٤/ ٥٩٤).

ومَــنْ أمَــةً يــشري فــأدَّب محــسنًا

وينكحهــا مــن بعــده حــين أعتقــا

ومَــن ســنَّ خيــرًا أو أعــاد صــلاتَه

كــذاك جبــانٌ إذ يجاهــد ذا شــقا

كــذاك شــهيدٌ فــي البحــار ومَــن أتــى

لــه القتــلُ مــن أهــل الكتــاب فأُلحقــا

وطالــبُ علــمٍ مُــدرِكٌ ثــم مُــسبِغٌ

وضــوءًا لــدى البــرد الــشَّديد فحقِّقــا

ومــستمعٌ فــي خطبــة قــد دنــا ومَــن

بتــأخير صــفٍّ أوَّلٍ مــسلمًا وقــى

وحــافظُ عــصرٍ مــع إمــامٍ مــؤذِّن

ومَــن كــان فــي وقــت الفــساد موفَّقــا

وعامــلُ خيــرٍ مَخْفِيًــا ثــم إذ بــدا

يُــرى فرِحًــا مستبــشرًا بالــذي ارتقــى

ومغتــسلٌ فــي جمعــةٍ عــن جنابــةٍ

ومَــن فيــه حقًّــا قــد غــدا متــصدِّقا

ومــاشٍ يــصلِّي جمعــةً ثــم مَــن أتــى

بــذا اليــومِ خيــرًا مــا فــضعَّفه مطلقــا

ومَــن حتفُــه قــد جــاءه مــن ســلاحه

ونــــازعُ نعــــلٍ إذْ لخيــــرٍ تــــسبَّقا

ومــاشٍ لــدى تــشييع مَيْــتٍ وغاســلٌ

يــدًا بعــد أكــلٍ والمجاهــدُ أخفقــا

ومتَّبِـــعٌ مَيْتًـــا حيـــاءً مـــنَ اهلِـــهِ

ومـــستمعُ الآثـــار فيمـــا روى الثقـــا

وفـــي مـــصحفٍ يَقْـــرا وقاريـــه مُعرِبـــا

بتفهـــيم معنـــاه الـــشَّريف محقِّقـــا[1]

قوله: (ومستمع الآثار) هذا شاملٌ للقرآن والحديث.

وأخرج الإمام أحمد بسند رجاله ثقات عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلمُ أرضًا يقال لها: عُمان، ينضح بناحيتها البحرُ، الحجَّةُ منها أفضلُ من حجَّتين من غيرها»[2].

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن قيس بن عاصم، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة، أُمِر بالوالي، فيقف على جسر جهنَّم، فينتفض انتفاضةً، فيزول كل عظم منه من مكانه، ثم يسأله، فإن كان مطيعًا، اجتبذه فأعطاه كفلين من الأجر، وإن كان عاصيًا، خرق به

---

(١) انظر: «تنوير الحوالك» (٢/ ٢٥٠)، و«التوشيح شرح الجامع الصحيح» (١/ ٢٧١)، و«مطلع البدرين» (ص: ٥٨)، جميعًا للسيوطي.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٠).

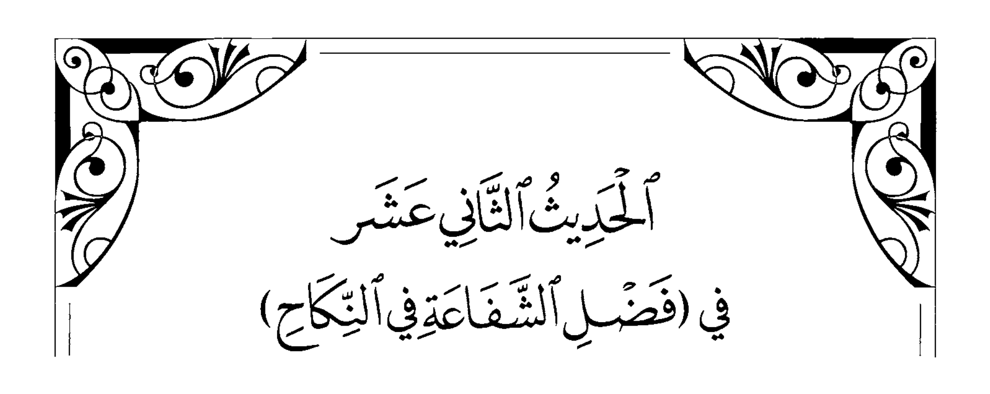
الجسر، فهوى في جهنم سبعين خريفًا»[1].

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن الأوزاعي قال: ابتعتُ جارية وشرط عليَّ أهلُها أن لا أبيع، ولا أهب، ولا أمهر، فإذا مت، فهي حرة، فسألت الحكمَ بنَ عتيبة، فقال: لا بأس به، وسألت مكحولًا، فقال: لا بأس به، قلت: يخاف عليَّ منه؟ قال: بل أرجو لك فيه أجرين[2]. والله تعالى الموفق.

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٧٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٦): فيه من لم أعرفه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢١٧٤٧) دون قول مكحول.



الحديث الثاني عشر
في (فضل الشفاعة في النكاح)

٤٩٤ ـ عَنْ أَبي رُهْمٍ السَّمَعِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِن أَفضَلِ الشَّفَاعَةِ أَن تشفَعَ بَين الاِثْنَيْنِ فِي النِّكَاح». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1]، وَقَالَ البُخَارِيُّ: أَبُو رُهْمٍ تَابِعِيٌّ[2].

(**عن أبي رهم** ﷺ): (أبو رهم) قيل: اسمه مجدي بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الدال المهملة، و(رهم) بضم الراء وسكون الهاء، وهذا ليس هو راوي هذا الحديث؛ لأن أبا رهم هذا ابنُ قيس الأشعري، أخو أبي موسى، هاجر إلى النبي ﷺ في البحر مع أخيه أبي موسى وجعفرِ بنِ أبي طالب لما قدموا على النبي ﷺ حين افتتح خيبر في أول السابعة.

وأما أبو رهم هذا راوي هذا الحديث، فهو أبو رهم السمعي (ﷺ)، نسبةً إلى السمع ـ محركة، أو كـ (عنب) ـ هو ابنُ مالكِ بنِ زيدِ بنِ سهل، أبو قبيلة من حِمْير.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٧٥).

(٢) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ٦٤).

قال في «القاموس»: منهم: أبو رهم أحزاب بن أَسِيد، وشُفْعة[1] التابعيان.

قال: ويقال في النسبة إليه: السَّمَعي والسِّماعي بالكسر[2].

جزم بأنه تابعي كما قال البخاري، فيكون الحديث مرسلًا.

(قال) أبو رهم: **(قال رسول الله ﷺ: من أفضل الشفاعة)** المرغب فيها: **(أن يشفع)** المرء **(بين الاثنين)** من المسلمين يريدان أن يتقاربا **(في النكاح)**، فيشفع للمريد عند من تكون عنده المطلوبة، فيسر قلب أخيه، ويكون سببًا في الاجتماع والازدواج، وربما حصل بينهما ذرية صالحة، فيكون له من الأجر والثواب ما يرفع مقامه، ويعلي منزلته يوم القيامة.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلمه ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله بها كربة من كُرَب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة»[3].

وفي حديث عن أبي هريرة عند مسلم: «واللهُ في عون العبد ما كان العبدُ في عونِ أخيه»[4].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن لله خَلقًا خلقهم لحوائج الناس،

---

(١) في الأصل: «حرب بن أسد»، والتصويب من «القاموس».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سمع).

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠/ ٥٨).

(٤) رواه مسلم (٢٦٩٩/ ٣٨).

يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»، رواه الطبراني[1]، وأبو الشيخ بن حيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده[2].

ورواه ابنُ أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» عن الحسن مرسلًا[3].

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «اصطناع المعروف»، والأصبهاني عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «من مشى في حاجة أخيه المسلم، كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة، ومحا عنه سبعين سيئة إلى أن يرجع من حيث فارقه، فإن قضيت حاجته على يديه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك، دخل الجنة بغير حساب»[4].

(رواه)؛ أي: روى حديث أبي رهم المشروح **(ابن ماجه، وقال)** الإمامُ محمدُ بن إسماعيل **(البخاري: أبو رهم تابعي)**، وليس بصحابي، فيكون الحديث مرسلًا كما أشرنا إليه[5]. والله تعالى أعلم.



---

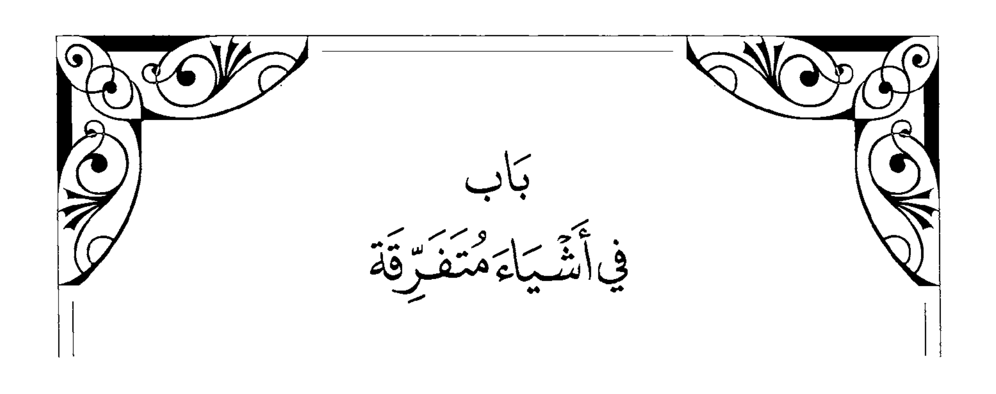
(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٣٤).

(٢) لم نقف عليه في المطبوع من كتبه.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٠٧).

(٤) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١١٧٥)، ولم نقف عليه عند ابن أبي الدنيا بهذا اللفظ، ورواه في «اصطناع المعروف» (٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «مَن مشى مع أخيه المسلم في حاجة فناصحه فيها؛ جعل الله بينه وبين النار يوم القيامة سبع خنادق، بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض».

(٥) وانظر: «مصباح الزجاجة» للبوصيري (٢/ ١١٦).



بَاب
فِي أَشْيَاءَ مُتَفَرِّقَة

وقد اشتمل هذا الباب على اثنين وعشرين حديثًا من عدة أبواب:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

منها:

(فَضْلُ ٱلْمَمْلُوكِ إِذَا أَطَاعَ ٱللَّهَ وَأَدَّى حَقَّ سَيِّدِهِ)

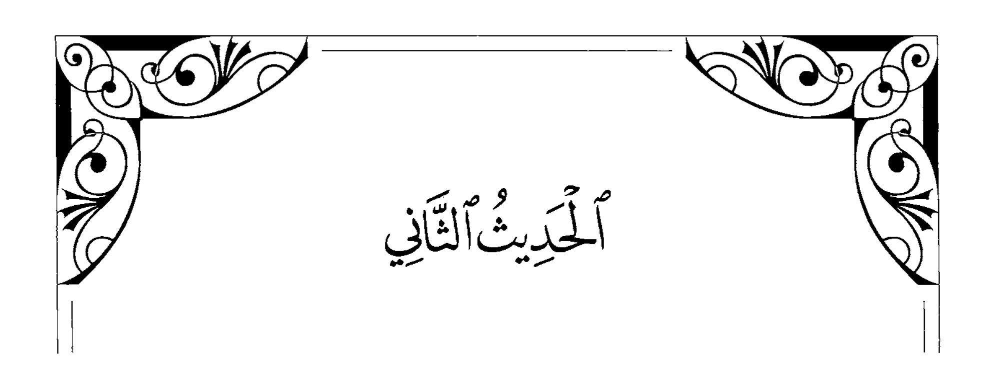
٤٩٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الْمُصْلِحِ أَجْرَانِ». أخرجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١).

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: للعبد المملوك المصلح أجران. أخرجه البخاري، ومسلم**)، تقدم شرحه في حديث أبي موسى في الحادي عشر قريبًا، وإنما كان له أجران لأنه اجتمع عليه أمران واجبان: طاعة ربه، وطاعة سيده في المعروف، فقام بهما جميعًا، فأصلح عبادة ربه، وأتى

(١) رواه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (١٦٦٥/ ٤٤).

بها على أتم وجه مشروع، وأصلح خدمة سيده؛ بأن نصح له، وأحسن خدمته، فأثابه الله تعالى أجرين: أجر تأديته للعبادة، وأجر نصحه لسيده، وتقدم الكلام على ذلك بما فيه غُنية.

* * *



الحَدِيثُ الثَّانِي

٤٩٦ ـ عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ ـ أَرَاهُ قَالَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ: عبدٌ أَدَّى حقَّ الله وحقَّ مواليه، وَرجلٌ أَمَّ قومًا وهم بِهِ راضونَ، وَرجلٌ يُنَادي بالصَّلوات الْخَمس كلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حسنٌ غَرِيبٌ[١].

(عن) أبي عبدِ الرحمن (**عبدِالله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة**) من الأشخاص المسلمين من أمتي جالسون (**على كثبان**) جمع (**كثيب**) ـ بمثلثة ـ: رمل مستطيل محدودب، وقد تكرر في الحديث؛ كما في «النهاية»[٢].

وفي «القاموس»: الكثيب: التل من الرمل، والجمع: أَكثبة، وكُثُب، وكثبان[٣].

(**المسك**) ـ بكسر الميم ـ بالجر لإضافة (كثبان) إليه، وهو الطيب

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٦).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٥٢).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: كثب).

المعروف، والقطعةُ منه (مسكة)، وجمعه كـ (عنب).

في «القاموس»: مُقَوٍّ للقلب، نافعٌ للخفقان والرياح الغليظة في الأمعاء، والسموم والسدد، والمسكُ أطيب الطيب[1].

(أراه) ـ بضم الهمزة وفتح الراء ـ ؛ أي: أظنه **(قال: يوم القيامة)**، وقد رواه الإمام أحمد فقال: «على كثبان المسك يوم القيامة»[2]، من غير لفظ: (أراه).

أحد الثلاثة: (عبد) مملوك، ذكر أو أنثى **(أدى)**؛ أي: فعل **(حقَّ الله)** تعالى من سائر ما كُلف به من عبادته، **(و)** أدى **(حقَّ مواليه)**؛ أي: ساداته؛ أي: قام بالحقين معًا، فلم يشغله رقُّ العبودية عن عبادة ربه، ولم تشغله عبادة ربه عن أداء حقوق سيده؛ من حسن خدمته، والقيام بما يجب عليه منها.

(و) الثاني: (رجل يؤم قومًا)؛ أي: يصلي بهم الصلواتِ إمامًا، **(وهم به راضون)** جملةُ المبتدأ والخبر جملة حالية، والواو واو الحال، وذلك لأن سيرته وسريرته سليمة، وطريقته مستقيمة، وأحواله قويمة، فلم يكرهه أحد منهم بحقٍّ؛ لعدم انحرافه عنه.

(و) الثالث: (رجل ينادي بالصلوات)؛ أي: يؤذن للصلوات **(الخمس)** في **(كل يوم وليلة)**، وفي لفظ: «في كل»[3]، بزيادة (في)؛ يعني: محتسبًا

---

(١) المرجع السابق (مادة: مسك).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٦)، وفي إسناده أبو اليقظان، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١١١): واه، وقد روى عنه الثقات.

(٣) وهذا لفظ الترمذي.

كما جاء في رواية[1]، وتقدم الكلام عليه في (فضل الأذان).

(رواه الترمذي)، وكذا الإمام أحمد[2]، **(وقال)** الترمذي: **(حديث حسن غريب)**.

وأخرج نحوَه الطبرانيُّ من حديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، ولفظه: «ثلاثةٌ على كثبانِ المسكِ يوم القيامة، لا يهولهم الفزع، ولا يفزعون حين يفزع الناس: رجل تعلم القرآن، فقام به يطلب وجهَ الله وما عنده، ورجل ينادي في كل يوم وليلة خمس صلوات، يطلب وجه الله وما عنده، ومملوك لم يمنعه رقُّ الدنيا من طاعة ربه»[3].

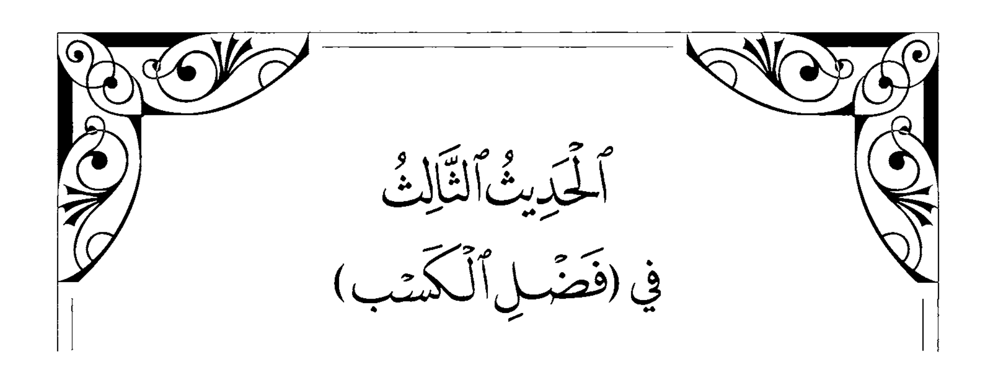
* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٦) وقال: حديث غريب، وابن ماجه (٧٢٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٢٨٠)، و«المعجم الصغير» (٢/ ٢٥٢)، وفي إسناده أبو اليقظان، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا.



ٱلْحَدِيثُ ٱلثَّالِثُ
في (فَضْلِ ٱلْكَسْب)

٤٩٧ ـ عَنِ الْمِقْدَامِ بن مَعْدِي كَرِب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَكَلَ أحدٌ طَعَامًا خيرًا من عمل يَدَيْهِ، وإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُد كَانَ يَأْكُل من عمل يَدَيهِ». أخرجه البُخَارِيُّ[1].

(**عن المقدامِ بنِ معدي كَرِب**)[2] رضي الله عنه تقدمت ترجمته في (فضل من جهز غازيًا)، (**قال: قال رسول الله ﷺ: ما أكل أحدٌ**) من الخلق (**طعامًا**)؛ أي: من سائر الأطعمة، فالتنكير فيه للشيوع والعموم (**خيرٌ**)؛ أي: أفضل وأحلُّ وأطيبُ (**من عمل يديه**)، وفي رواية: «يده» بالإفراد[3]، وفي رواية: «من كسب يده»[4]، وفي رواية: «ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده»[5] بنصب (خيرًا) ورفعها، فبالنصب: أكلًا خيرًا، وبالرفع:

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٢) في هامش الأصل: «بفتح الكاف وسكون الراء كما تقدم ضبطه»، وضبطه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ١١٢، ١١٣) طبعة دار الكتب العلمية بكسر الراء.

(٣) هذا لفظ البخاري.

(٤) رواها أبو القاسم الحربي في «فوائده» (٤٤).

(٥) هذا لفظ البخاري.

هو خيرٌ، فأكلُ الإنسانِ من طعامٍ ليس من كسب يده منفيٌّ التفضيل على أكله من كسب يده.

ووجه الخيرية: ما فيه من إيصال النفع للكاسب وغيره، والسلامة من البطالة المكروهة.

فأشعر الحديث على فضل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره غيره.

قال النبي ﷺ: **(وإن نبيَّ الله داودَ)** عليه السلام **(كان يأكل من عمل يديه)**.

وفي رواية: «يده» بالإفراد[1]، وفي رواية: «لا يأكل إلا من عمل يده»[2]، وهو صريح في الحصر؛ بخلاف الذي قبله.

ووقع عند الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «كان داود زرَّادًا، وآدمُ حرَّاثًا، وكان نوح نجَّارًا، وكان إدريسُ خياطًا، وكان موسى راعيًا»[3].

وقيل: إن موسى ـ عليه وعليهم السلام ـ كان كاتبًا يكتب التوراة بيده، وكلهم قد رعى الغنم.

وقال الحافظ أبو الفرج ابنُ الجوزي في كتابه «تلقيح فهوم [أهل] الأثر»: كان آدم ـ عليه السلام ـ حرَّاثًا، ونوح نجَّارًا، وكذلك زكريا، وذكر

---

(١) هذا لفظ البخاري.

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦٥) موقوفًا. قال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٣٠٦): إسناده واهٍ.

أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان زرَّاعًا، وكذلك لوط عليه السلام.

قال: وكان صالح ـ عليه السلام ـ تاجرًا، ولقمان خياطًا، قاله ابن المسيب.

وقال خالد الربعي: كان نجارًا.

قال: وموسى وشعيب ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا رعاة.

قال: وكان أبو بكر الصديق، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، ومحمد بن سيرين، وميمون بن مهران بزَّازين.

قال: وكان الزبير، وعمرو بن العاص، وعامر بن كريز جزَّارين.

وكان سعدُ بنُ أبي وقاص يبري النبل، وكان عثمان بن طلحة الحَجَبي خياطًا، ومثله قيس بن مخرمة.

وأيوبُ السختياني يبيع جلود السختيان، ومالك بن دينار وراقًا يكتب المصاحف، ومجمع الزاهد حائكًا[1].

وحكمةُ تخصيص داود ـ عليه السلام ـ بالذكر في هذا الحديث: أن اقتصاره في أكله على ما يعمل بيده لم يكن من حاجة وعدم سعة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبيُّ ﷺ قصته من مقام الاحتجاج بها على ما قدَّمه من أن خير الكسب عملُ اليد.

وهذا يؤيد ما عليه علماؤنا ومَنْ وافقهم: أن شرع من قبلنا شرع لنا إن

---

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» لابن الجوزي (ص: ٣٣١).

قص علينا ولم ينسخ بما يأتي في شرعنا خلافه، ولا سيما إذا أورد في شرعنا في معرض المدح، مع عموم قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

وفي الحديث: أن التكسب لا يقدح في التوكل، وأن ذكر الشيء بدليله أوقعُ في نفس سامعه، وفيه دليل على فضل المكاسب.

والذي كان يعمله داود ـ عليه السلام ـ نسج الدروع؛ فإن الله ﷻ ألانَ له الحديد، فجعله له كالشمع، فكان ينسج الدرع ويبيعها، ولا يأكل إلا من ثمن ذلك، مع كونه من كبار الملوك، قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠]:

(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروح **(البخاري)**، ورواه الإمام أحمد[١].

وأخرج الإمام أحمد والبخاري ـ أيضًا ـ من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «خُفِّفَ على داودَ القرآن، فكان يأمر بدوابه أن تُسرج، فيقرأه قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يديه»[٢].

وفي رواية مختصرًا قال: «إن داود ـ عليه السلام ـ لا يأكل إلا من عمل يده»[٣].

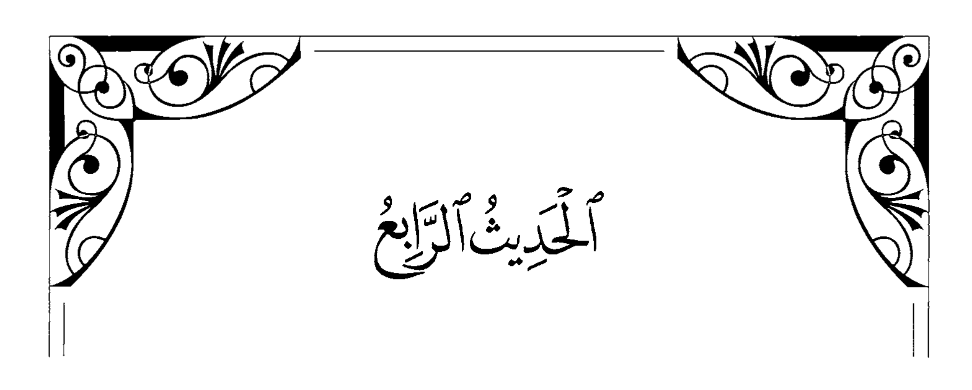
* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣١، ١٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١٤)، والبخاري (٣٤١٧).

(٣) رواه البخاري (٢٠٧٣).



الْحَدِيثُ الرَّابِعُ

٤٩٨ ـ عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أطيبَ مَا أكل الرجلُ من كسبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَه من كَسبِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه[١].

(عن) أم المؤمنين (**عائشة**) الصدِّيقة (﵂ **قالت: قال رسول الله ﷺ: إن أطيبَ**)؛ أي: أحل هنا وأهنأ (**ما أكل الرجل**)؛ أي: الإنسان من ذكر وأنثى (**من كسبه**)؛ أي: مما اكتسبه بعمل يده من غير واسطة؛ لأنه أقربُ للتوكل، وكذا ما أكله الإنسان بواسطة ولدِه؛ كما نبه عليه بقوله: (**وإن ولده**) من ذكر وأنثى (**من كسبه**)؛ لأن ولد الإنسان بعضُه، وحكمُ بعضه حكمُ نفسه، وسمي الولد كسبًا مجازًا.

وفي رواية: «إن أطيبَ ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»[٢].

(**رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه**)، وكذا الترمذي[٣]، والبخاري

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والنسائي (٤٤٤٩)، وابن ماجه (٢١٣٧).

(٢) رواه الترمذي (١٣٥٨).

(٣) انظر التعليق السابق.

في «التاريخ»[1]، وحسنه الترمذي، وصححه أبو حاتم بن حبان[2]، وغيره.

* فرع:

معتمد مذهب الإمام أحمد ﷺ: أن للأب فقط إذا كان حرًّا أن يتملك من مال ولده من ذكر وأنثى ما شاء، مع حاجة الأب وعدمها، في كبر الولد وصغره، ورضاه وسخطه، بعلمه وبغير علمه، دونَ أُمٍّ وجَدٍّ وغيرهما بستة شروط:

أن يكون ما يتملكه فاضلًا عن حاجة الولد؛ لئلا يضره، فليس له أن يتملك سُرِّيته وإن لم تكن أم ولد.

وأن لا يعطيه لولد آخر.

وأن لا يكون في مرض موتِ أحدِهما.

وأن لا يكون الأب كافرًا والابنُ مسلمًا.

وأن يكون ما يتملكه عيناً موجودة.

ويحصل تملكه[3] بقبض مع قول أو نية، ولا يصح تصرفه فيه قبل ذلك ولو عتقًا.

ولا يملك الأب إبراء نفسه من دين عليه لولده، ولا إبراء غريم ولده، ولا تملكه ما في ذمة نفسه، ولا ذمة غريم ولده، ولا قبضه منهما؛ لأن الولد لم يملكه، وإنما ساغ للأب أن يتملك من مال ولده ما شاء بالشروط

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤٠٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٢٥٩).

(٣) في هامش الأصل: «عبارة «الدليل»: وأن يكون التملك».

المذكورة؛ لهذا الحديث.

وروى الإمام أحمد في هذا الحديث: «ولدُ الرجل [من كسبه، من] أطيب كسبه، فكلوا من أموالهم هنيئًا»[1].

ولحديث جابر رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يا رسول الله! إن لي مالًا وولدًا، وإن أبي يريد أن يَجتاح مالي، فقال: «أنت ومالك لأبيك» رواه ابن ماجه[2].

وعن عمرِو بنِ شعيب، عن أبيه، عن جدِّه: أن أعرابيًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: إن أبي يريد أن يجتاح مالي، قال: فقال: «أنت ومالك لوالدك، إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم، فكلوه هنيئًا»، رواه الإمام أحمد، وأبو داود[3]. والله أعلم.

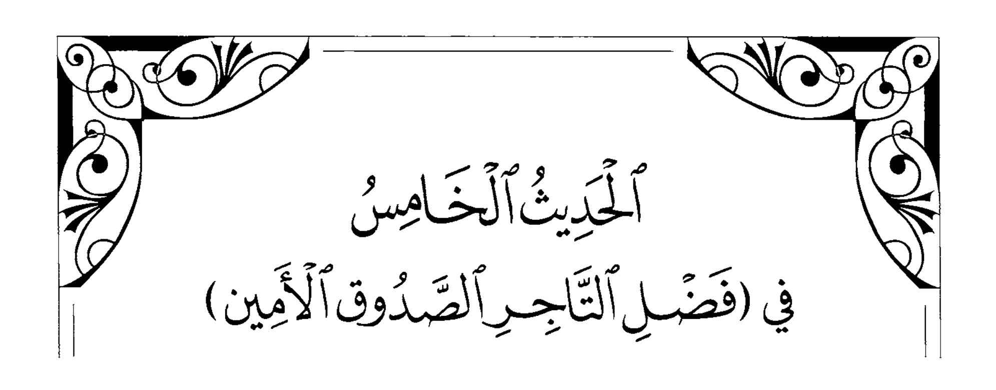
* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ١٢٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٩١). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٧): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات على شرط البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٩)، وأبو داود (٣٥٣٠).



الحديث الخامس
في (فضل التاجر الصدوق الأمين)

٤٩٩ ـ عَن أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَن النَّبِـي ﷺ قَالَ: «التَّـاجِرُ الصَّدوقُ الأمينُ مَعَ النَّبِـيِّـينَ وَالـصدِّيقينَ وَالـشُّهَدَاء». رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ وَقَالَ: حَدِيث حسنٌ[1].

(**عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبـي ﷺ قـال: التـاجرُ الـصدوقُ الأمينُ**) يحشَر يوم القيامة (**مع النبيـِّين والصدِّيقين**)؛ بأن يكون أميناً فيمـا يتعلـق بأحكام البيع، مسلمًا، صادقًا، فيكون مع النبيين والصديقين، (**والـشهداء**) والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

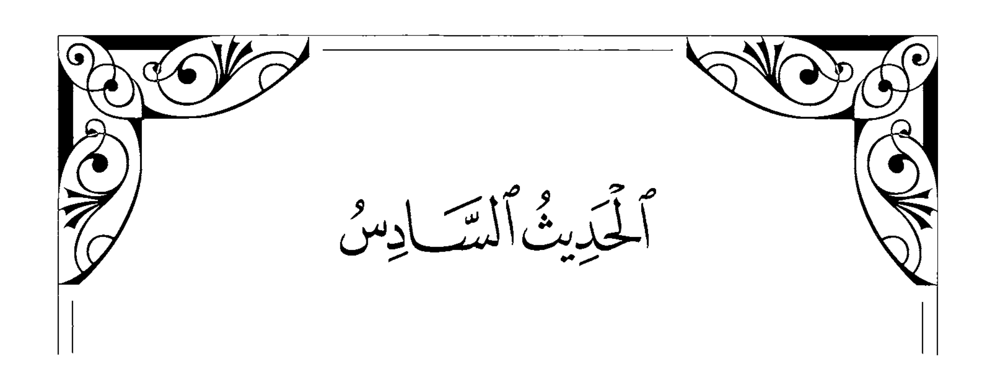
(**رواه الترمذي، وقال: حديث حسن**)، ورواه الحاكم وقال: إنه من مراسيل الحسن[2].

* * *

---

(١) رواه الترمذي (١٢٠٩).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٤٣).



الحديث السادس

٥٠٠ ـ عَن عَبدِالله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «التَّاجِرُ الأمينُ الصَّدوقُ الْمُسلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[١].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ (**عبدِالله بنِ عمرَ** رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله ﷺ: التاجرُ الصدوق**) فيما يبيع ويخبر ويقول، و(صدوق) من صيغ المبالغة؛ أي: كثير الصدق فيما يقول ويفعل، (**الأمينُ**)، وفي لفظ: «التاجر الأمين الصدوق»[٢]، (**المسلم**) يحشَر (**مع الشهداء**) ذوي المنازل العالية، والمقامات الغالية، واحترز بالمسلم عن غير المسلم من سائر الكفار؛ فإنهم لا مقام لهم يوم القيامة ولا ثواب؛ لقوله ـ جلَّ شأنه ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥]، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٣٩)، وفي إسناده كلثوم بن جوشن. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٦): ضعيف.

(٢) هذا لفظ ابن ماجه.

(**رواه ابن ماجه**)، والحاكم وقال: صحيح[1]، واعترض على تصحيحه.

وإنما خص التاجر الصدوق الأمين المسلم بهذه المنقبة؛ لجمعه للصدق وشهادة الحق والنصح للخلق، وامتثال الأمر المتوجه عليه من قبل الشارع.

وروى الأصبهاني في «ترغيبه» وغيره من حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «التاجرُ الصدوقُ تحت ظلِّ العرش يوم القيامة»[2].

وروى الأصبهاني - أيضًا، وهو غريب جدًّا - من حديث أبي أُمامة ﷺ مرفوعًا: «إن التاجر إذا كان فيه أربع خصال، طاب كسبه: إذا اشترى لم يذم، وإذا باع لم يمدح، ولم يدلس في البيع، ولم يحلف فيما بين ذلك»[3].

ورواه - أيضًا - هو والبيهقي من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا، ولفظه: «أطيبُ الكسب كسبُ التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يندموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا»[4].

* * *

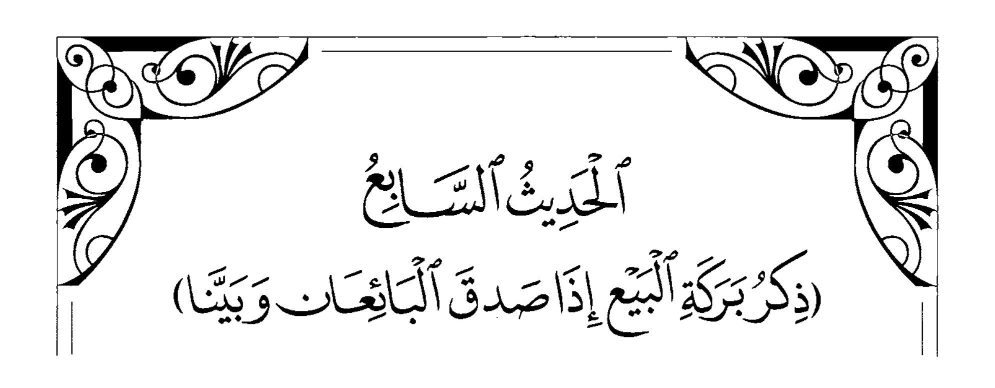
---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٤٢) وقال: كلثوم هذا بصري، قليل الحديث، ولم يخرجاه، وله شاهد في مراسيل الحسن.

(٢) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧٩٤).

(٣) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧٩٧).

(٤) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧٩٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٥٤).



الحديث السابع
(ذكر بركة البيع إذا صدق البائعان وبيّنا)

٥٠١ ـ عَن حَكِيم بن حزَام رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «البيّعانِ بِالْخِيَارِ مَا لم يَتَفَرَّقَا، فَإِن صدقا وَبيَّنا بُورِك لَهُما فِي بيعِهمَا، وَإِن كذبا وكتما مُحِقت بركَةُ بيعِهمَا». أخرجه البُخَارِيُّ وَمُسلمٌ[1].

(عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: البيعان) إطلاقُ البائع على المشتري إما على سبيل التغليب، أو لأن كلًّا منهما بائع، **(بالخيار)** بكسر الخاء المعجمة، والمراد به خيارُ المجلس، وقال بمفهومه الإمامان أحمد، والشافعي.

(ما لم يتفرقا، أو قال: حتى يتفرقا) من مجلس العقد بأبدانهما التفرقَ المسقِطَ للخيار، وهو تفرقُهما بحيث لو كلم أحدهما الكلام المعتاد، لم يسمعه؛ كما في «المطلع»[2].

ومعتمد مذهب الإمام أحمد إناطةُ التفرق بالعرف؛ بأن يتفرق المتبايعان بأبدانهما عرفًا من مجلس عقد التبايع اختيارًا، ولو بهرب أحدهما من صاحبه،

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢/ ٤٧).

(٢) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٢٣٤).

لا مع الإكراه، أو لفزع من مخوف، أو إلجاء بسيل، أو حمل، وهما على خيارهما حتى يتفرقا من مجلس زال فيه ذلك.

(فإن صدقا وبيَّنا)؛ أي: صدق البائع في إخبار المشتري مثلًا، وبيَّن العيبَ إن كان في السلعة، وصدق المشتري في قدر الثمن مثلًا، وبيَّن العيبَ إن كان في الثمن، ويحتمل أن يكون الصدقُ والبيانُ بمعنًى واحد، أو ذُكر أحدُهما تأكيدًا للآخر.

(بورك لهما في بيعهما)؛ أي: بارك الله لكل واحد منهما في صفقته، فالبائع يبارَك له في الثمن، والمشتري يبارَك له في السلعة، والبركة هي: الزيادة والنماء، والكثرةُ والاتساع؛ أي: تحصل البركة لكل واحدٍ من المتبايعين بالنماء والزيادة بما آل إليه وقبضه مع الصدق والبيان.

(وإن كذبا)؛ أي: كذب كل واحد في قدر الثمن والمثمن؛ أي: في الإخبار بذلك، **(وكتما)**؛ أي: وكتم كل واحد منهما ما في الذي دفعه لصاحبه من عيب، **(مُحقت)**؛ أي: نقصت ومحيت وبطلت **(بركةُ بيعهما)**، فلا يحصل لواحد منهما نماء ولا زيادة، ولا كثرة ولا اتساع بما آل إليه.

وفي الحديث: «الحلفُ منفقةٌ للسلعة، ممحقَةٌ للبركة»، رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من حديث أبي هريرة[1].

وفي «مسند أبي يعلى»[2] من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «ما محقَ

---

(١) رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦/ ١٣١)، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٤٤٦١).

(٢) في الأصل: «أبي يعلى الطيالسي»، والصواب المثبت.

الإسلامَ محقَ الشحِّ شيءٌ»[1].

فيحتمل أن يكون معنى هذا الحديث على ظاهره، وأن شؤم التدليس والكذب لما وقع في ذلك العقد محق بركته، وإن كان الصادق منهما مأجورًا، والكاذب مأزورًا، ويحتمل أن يكون ذلك مختصًّا بمن وقع منه التدليس والكذب دون الآخر، ورجَّحه ابن أبي جمرة[2].

وفي الحديث: فضلُ الصدق والحث عليه، وذم الكذب والحث على اجتنابه، وأنه سبب لذهاب البركة، وأن عمل الآخرة يحصل خير الدنيا والآخرة بملازمة الصدق واتباعه.

(أخرجه)؛ أي: الحديث المشروح **(البخاري، ومسلم)**، ورواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[3].

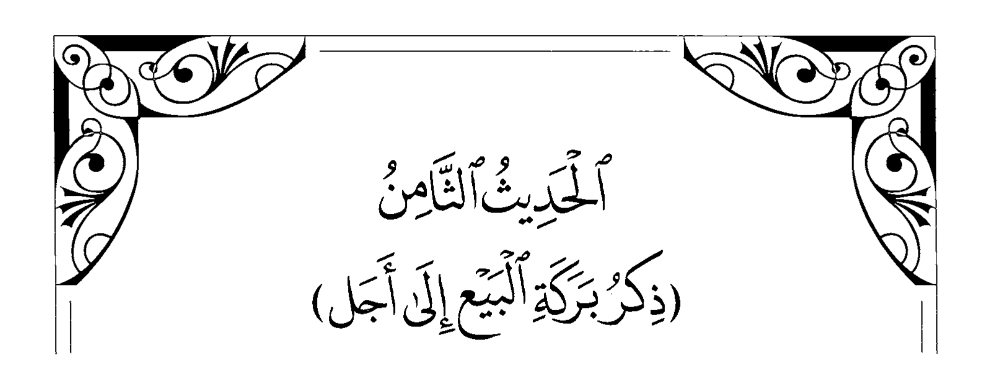
* * *

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٤٨٨)، وفيه عمرو بن الحصين. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٢): وهو مجمع على ضعفه.

(٢) انظر: «بهجة النفوس» لابن أبي جمرة (٢/ ٢١٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٠٣)، وأبو داود (٣٤٥٩)، والترمذي (١٢٤٦)، والنسائي (٤٤٥٧).



٥٠٢ ـ عَن صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ فِيهِنَّ الْبَرَكَةُ: البيعُ إِلَى أجلٍ، والمقارضةُ، وإخلاطُ الْبُرِّ بِالشَّعِيرِ للبَيتِ لَا لِلْبَيعِ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(**عن**) أبي يحيى (**صُهَيبٍ**) الرومي (ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل الأمراض)، (**أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة**) أمور، وفي رواية: «ثلاث»[2] بحذف تاء التأنيث؛ أي: ثلاث خصال (**فيهنَّ البركة**)؛ أي: النمو وزيادة الخير:

إحداهن: (**البيع إلى أَجَل**)؛ بأن يؤجل الثمن إلى أجل معلوم، فيتوسَّع بذلك المشتري ويربح البائع؛ فإنه يكون ربح المؤجل أزيدَ من ربح غيره غالبًا، ويكون المشتري معاناً من قبل الله؛ لحسن نيته بقضاء الثمن المؤجل.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٨٩). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٧): هذا إسناد ضعيف، صالح بن صهيب مجهول، وعبد الرحمن بن داود حديثه غير محفوظ، ونصر بن القاسم قال البخاري: حديثه موضوع.

(٢) هذا لفظ ابن ماجه.

(و) **الثانية: (المعارضة)** بالعين والراء المهملتين[1]؛ أي: بيع العرض بالعرض، وهو بالسكون: المتاع بالمتاع لا نقدَ فيه، يقال: أخذتُ هذه السلعةَ عرضًا: إذا أعطيت في مقابلتها سلعة أخرى؛ كما في «النهاية»[2].

قال الزبيري: وبعضهم يعبر عن هذا البيع بالمقايضة بالمثناة التحتية قبل الضاد المعجمة.

قال الجوهري: يقال: قايضتُ الرجلَ مقايضةً؛ أي: عاوضته بمتاع، وهما قيِّضان؛ كما يقال: بيِّعان[3].

قال في «النهاية»: قايضه مقايضة في البيع: إذا أعطاه سلعة وأخذ عوضها سلعة[4].

(و) **الثالثة: (إخلاط البر)**؛ أي: الحنطة **(بالشعير للبيت)**؛ أي: لأجل أكل أهل بيت مالكه، **(لا)** خلط البر بالشعير **(لـ)** أجل **(البيع)**؛ أي: لأجل أن يبيعه، فإن فعل ذلك، لم يكن فيه بركة؛ لأنه تدليس وغش.

(رواه ابن ماجه)، وكذا ابن عساكر[5].

قال الحافظ الذهبي: حديثٌ وَاهٍ جدًّا[6].

* * *

---

(١) كذا في نسخة الشارح، ووقع في متن «فضائل الأعمال»: «المقارضة».

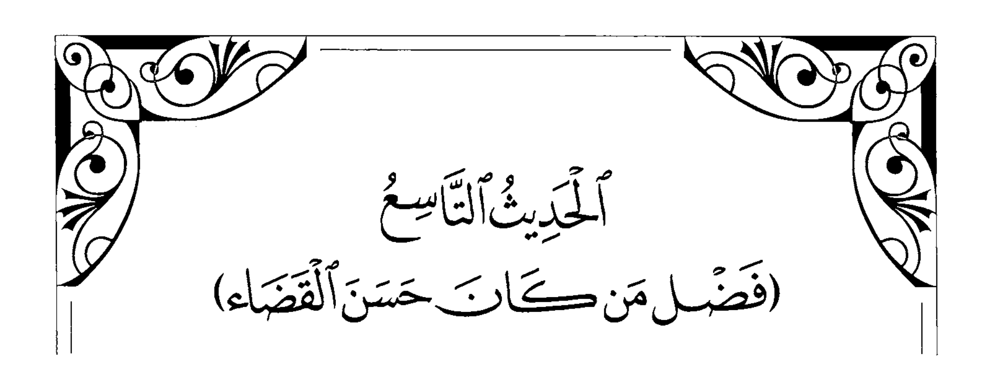
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢١٤).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: قيض).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٣٢).

(٥) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٢٦٣).

(٦) انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٣٣٥).



الحديث التاسع
(فضل من كان حسن القضاء)

٥٠٣ ـ عَنْ أَبِي رَافعٍ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَسْلفَ من رجل بَكْرًا، فَقدِمت عَلَيْهِ إبلٌ من إبلِ الصَّدَقَةِ، فَأَمَرَ أَبَا رَافعٍ أَن يَقْضِي الرجلَ بَكْرَهُ، فَرجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافعٍ فَقَالَ: لم أَجِد فِيهَا إِلَّا خيارًا رَباعِيًّا، فَقَالَ: «أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسنُهم قَضَاءً». رَوَاهُ مُسلم[1].

(عن أبي رافع) اسمه أسلمُ، وقال الإمام يحيى بن معين: اسمه إبراهيم[2]، وقيل: ثابت، وقيل: يزيد، والأول أشهر وأصح؛ كما في «جامع الأصول»[3]، (﵁)، وهو مولى رسول الله ﷺ، وقد غلبت عليه كنيته، كان قبطيًّا، وكان للعباس ﵁ فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشَّر النبي ﷺ بإسلام العباس، أعتقه.

شَهِدَ أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، ولم يشهد بدرًا وإن كان إسلامه قبلها؛ لأنه كان مقيمًا بمكة فيما ذكروا.

---

(١) رواه مسلم (١٦٠٠/ ١١٨).

(٢) انظر: «تاريخ ابن معين» (٣/ ٤٣ ـ رواية الدوري).

(٣) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ١٤٢).

وقيل: إنه شهد بدرًا.

وزوَّجه النبيُّ مولاته سلمى، فولدت له عبيدَالله.

روى عنه: عبيدالله ابنه، والحسن، وعطاء بن يسار، وسعيد المقبري.

مات ﷺ قبل عثمان بن عفان ﷺ بيسير، وقيل: مات في خلافة علي ﷺ.

قال أبو رافع: (**إن رسول الله ﷺ استسلف**)؛ أي: طلب؛ يعني: أخذ (**من رجل بكرًا**)، والسلف ـ محركةً ـ: السلم، من الإسلاف والقرض الذي لا تبعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردُّه كما أخذه.

والبكر: الفتي من الإبل، والأنثى (بكرة)، والجمع (بكار)؛ مثل: فرخ وفراخ، وقد يجمع في القلة على (أبكُر).

قال أبو عبيدة: البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس، والبكرة بمنزلة الفتاة، والقَلوص بمنزلة الجارية، والبعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة.

(**فقدمت عليه**)؛ أي: على النبي ﷺ (**إبلٌ من إبل الصدقة، فأمر**) النبي ﷺ (**أبا رافع أن يقضي الرجل**) الذي اقترض النبي ﷺ منه البكر (**بكره، فرجع إليه أبو رافع**) في سياق الكلام التفات، وإلا لكان نسقهُ أن يقول: فرجعت إليه، (**فقال**) للنبي ﷺ: (**لم أجد فيها**)؛ أي: الإبل القادمة من بعض عماله ﷺ على الصدقة (**إلا خيارًا رباعيًا**)؛ أي: له أربع سنين أعلى وأعلى من السن الذي استلفه ﷺ، (**فقال**) ﷺ لأبي رافع: (**أعطه إياه**)؛ أي: أعط الرجلَ الذي استلفنا منه البكر السنَّ الذي هو خير وأعلى من السن الذي

أخذناه منه؛ **(إن خير الناس أحسنهم قضاء)**.

وفي رواية: «إن خياركم أحسنُكم قضاء»[1]؛ أي: الـذين يـدفعون أكثـر وأحسن مما عليهم، ولم يمطلوا ربَّ الحق مع اليسار بما عليهم.

وقوله: (قضاء) تمييز، و(أحسنكم) خبر (إن).

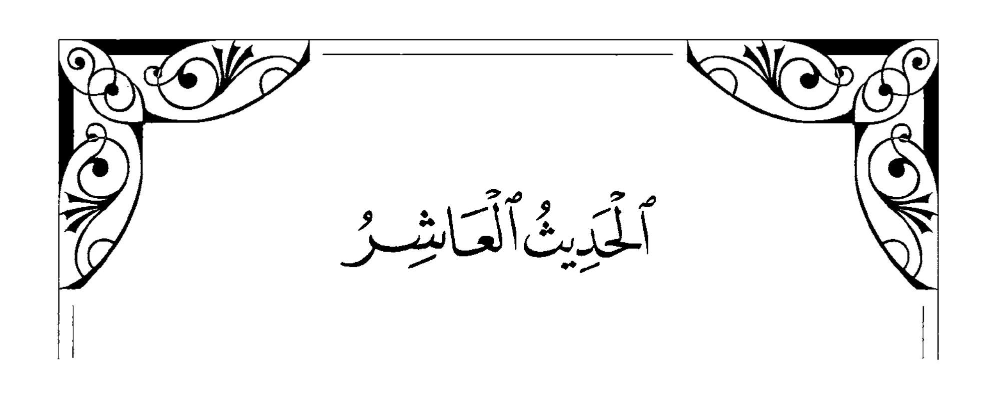
(رواه مسلم)، وفي طريق أخرى لمسلم من حديث أبي رافـع: «فـإن خير عباد الله أحسنُهم قضاء»[2].

* * *

---

(١) رواه الروياني في «مسنده» (٦٩٤). ورواه البخاري (٢٣٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٦٠٠/ ١١٩).



الحديث العاشر

٥٠٤ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: اسْتقْرض رَسُول الله ﷺ سِنًّا، فأعطى سِنًّا فوقه وقال: «خيرُكم أحسنُكم قضاءً». رواه البخاريُّ ومسلمٌ بنحوه[١].

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: استقرض رسولُ الله ﷺ سِنًّا**)؛ أي: ذا سنٍّ من الإبل، (**فأعطى**) الذي استقرض منه (**سِنًّا فوقه**)؛ أي: أكبر منه وأحسن، (**وقال**) ﷺ: (**خيركم**) معشرَ المسلمين؛ أي: من خيركم، الصحابة فمَنْ بعدهم من سائر الأمة (**أحسنُكم قضاء**).

وفي لفظ: «أحاسنكم»[٢]؛ أي: خياركم في نحو العملة والمعاملة أحسنُكم قضاء للدين الذي عليه؛ بأن يؤدي أكثر مما عليه بغير شرط ولا مطل.

وفي لفظ: «خياركم محاسنكم قضاء»[٣].

وسبب هذا الحديث: ما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: كان

(١) رواه البخاري (٢٣٠٥)، ومسلم (١٦٠١/ ١٢١، ١٢٢).

(٢) رواه الترمذي (١٣١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٤٢٣).

(٣) رواه مسلم (١٦٠١/ ١٢١).

لرجل على رسول الله ﷺ حقٌّ، فأغلظَ له، فهمَّ به أصحابُ رسـول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إن لصاحب الحق مقالًا»، فقال لهم: «اشتروا له سِنًّا فأعطوه إياه»، فقالوا: لا نجد إلا سِنًّا هو خير من سِنِّه، قال: «فاشتروه فأعطوه إياه؛ فإن من خيركم أو خيركم أحسنكم قضاء»، وقال البخـاري: «دعـوه؛ فـإن لصاحب الحق مقالًا»[1].

وفي طريق أخرى: فقال الرجل: أوفيتني أوفى الله بك[2].

وفي لفظ: أوفيتني أوفاك الله[3].

وفي لفظ: قال رسول الله ﷺ: «أفضلكم أحسنكم قضاء»[4].

وفي رواية في الصحيح: كان لرجل على النبي ﷺ سن من الإبل، فجـاء يتقاضاه... الحديث[5].

(رواه البخاري، ومسلم بنحوه)، وقد ذكرنـا لفظهمـا، ورواه الإمـام أحمد، والأربعة، وغيرهم[6].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠١/ ١٢٠).

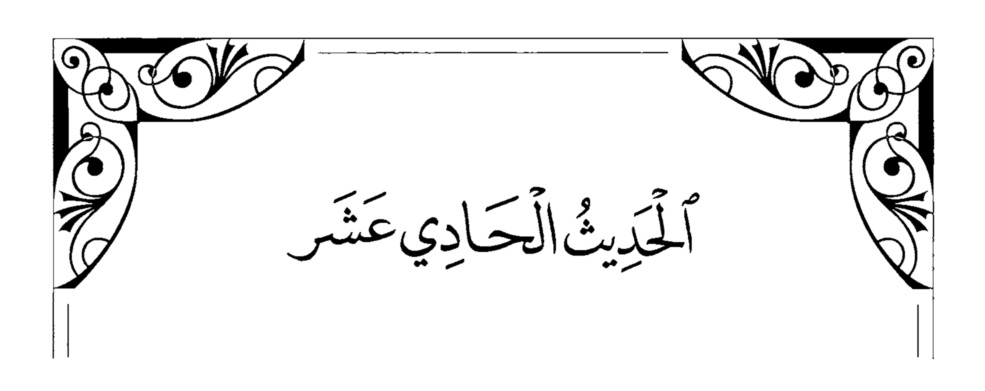
(٢) رواه البخاري (٢٣٠٥).

(٣) رواه البخاري (٢٣٩٢).

(٤) رواه البخاري (٢٦٠٩).

(٥) رواه البخاري (٢٣٠٥، ٢٣٩٣).

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٩٣)، والترمذي (١٣١٦)، والنسائي (٤٦١٨)، وابن ماجه (٢٤٢٣)، ولم نقف عليه عند أبي داود.



الحديث الحادي عشر

٥٠٥ ـ عَنِ العِربَاضِ بنِ ساريةَ ﷺ قال: كنْتُ عنـدَ النَّبِـيِّ ﷺ، فقال أعـرابيٌّ: اقضِنِي بَكْرِي، فأعطاهُ بَعِيرًا مُسِنًّا، فقــال الأعرابـيُّ: يا رسولَ اللهِ! هذا أسنُّ من بَعِيري، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «خيرُ النَّـاسِ خيرُهم قضاءً». رواه النَّسائِيُّ وابنُ ماجَه، واللَّفظُ له[١].

(عن) أبي نجيح (العرباضِ بنِ ساريةَ) بكسر عين (العرباض) المهملة وسكون الراء، فموحدة، فألف ساكنة، فضاد معجمـة، و(سـارية) بالـسين المهملة، فياء تحتية، السلمي (ﷺ).

كان العرباض من أهل الصفَّة، ثم سكن الشام، ومات بها سنة خمس وسبعين.

روى عنه أبو رهم[٢] وأبو أمامة، وجماعة من التابعين، منهم: جبيـر ابن نفير، وعبد الرحمن بن عمرو، وغيرهما.

---

(١) رواه النسائي (٤٦١٩)، وابن ماجه (٢٢٨٦).

(٢) في الأصل: «روى عن أبي رهم»، والصواب المثبت كما في «تهـذيب الكمـال» للمزي (١٩/ ٥٤٩)، و«الإصابة» لابن حجر (٤/ ٤٨٢).

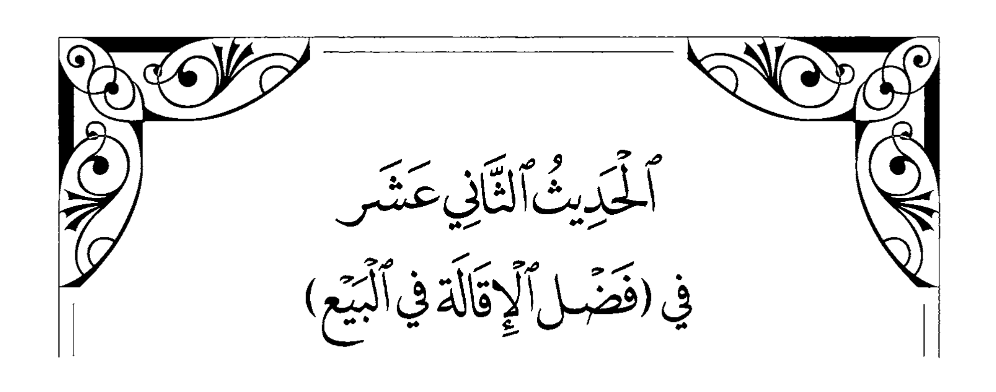
(قال) العرباض بن سارية ﷺ: **(كنت عند النبي ﷺ، فقال)** له **(أعرابي: اقضني بكري)** الذي لي عليكَ، **(فأعطاه)** النبي ﷺ؛ أي: أمر أن يعطوه **(بعيرًا مسنًّا)**؛ أي: أعلى سنًّا من الذي للأعرابي عليه، وخير وأحسن منه، **(فقال الأعرابي)** للنبي ﷺ: **(يا رسول الله)! الذي أعطوني إياه (أسنُّ)** وأحسنُ **(من بعيري)** الذي لي قِبلك، **(فقال رسول الله ﷺ: خير الناس)** في المعاملة **(خيرُهم قضاء)** للدَّين الذي عليه.

(رواه النسائي، وابن ماجه، واللفظ له).

وروى الإمام أحمد ـ ورواته ثقات مشهورون ـ عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلَ الجنةَ رَجُلٌ بسماحته قاضيًا ومقتضيًا»[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٠)، وفيه: «متقاضيًا» بدل: «مقتضيًا».



الحديث الثاني عشر
في (فضل الإقالة في البيع)

٥٠٦ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن أقَال نادمًا أقالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه، وَزَاد: «يَوْم الْقِيَامَة»[١].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من أقال) مسلمًا **(نادمًا)**؛ أي: وافقه على نقض البيع وأجابه إليه؛ كما في «النهاية»، يقال: أقاله يُقيله إقالةً وتقايلًا: إذا فسخا البيع، وعاد[٢] المبيع إلى مالكه، والثمن إلى المشتري إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما[٣].

والندم: الأسف والغم اللازم، إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه من سوء آثاره.

يقال: ندم فهو نادم وندمان، والجمع نَدامى؛ كـ (سَكارى)، ونُدَّام؛ كـ (زُنَّار).

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩).

(٢) في الأصل: «أعاد»، والمثبت من «النهاية».

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٣٤).

(**أقاله الله عثرته**)؛ أي: رفعه من سقوطه؛ كما في «المصباح»[1].

(**رواه أبو داود، و**) رواه (**ابن ماجه، وزاد: يوم القيامة**)؛ أي قال: أقال الله عثرته يوم القيامة.

وفي رواية لأبي داود في «المراسيل»: «من أقال نادمًا، أقاله الله نفسه يوم القيامة»[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» ـ ورواته ثقات ـ عن أبي شريح ـ واسمه على الأصح خويلدُ بن عمرو الكعبي ـ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال أخاه بيعًا، أقال الله عثرته يوم القيامة»[3].

ورواه ابن حبان في «صحيحه» كذلك، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[4].

وفي رواية لابن حبان: «من أقال مسلمًا عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة»[5].

* فرع:

الإقالة للنادم مشروعة، وهي فسخ، تصحُّ في المبيع ولو قبل قبضه

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: قيل).

(٢) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٥٧) من حديث أبي هريرة ﵁، وعزاه لـ «المراسيل»، ولم نقف عليه فيه.

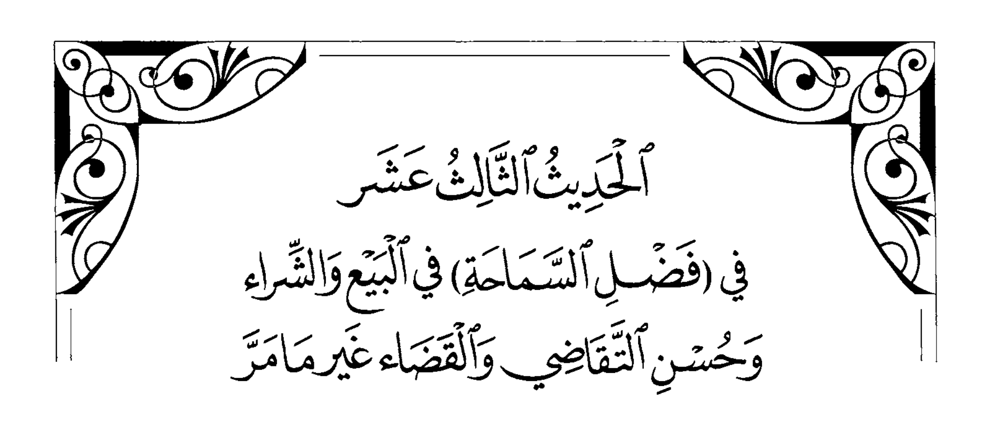
(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٨٩).

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٢٩١).

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٣٠) من حديث أبي هريرة ﵁.

من مسلم وغيره، وفي قليل وموزون بغير كيل ووزن، وبعد نداء الجمعة، ولا يحنث بها من حلف أو علق طلاقًا أو عتقًا لا يبيع، ولا يبر بها من حلف بذلك ليبيعنَّ، ومحل تفاصيلها كتب الفقه. والله أعلم.

* * *



٥٠٧ ـ عَن عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَدخَلَ اللهُ رجلًا الْجنَّةَ كَانَ سَهْلًا بَائِعًا ومُشتَرِيًا». أخرجَه النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه[1].

(عن) أمير المؤمنين **(عثمان بن عفان ﷺ)**، تقدمت ترجمته أول الكتاب **(قال: قال رسول الله ﷺ: أدخل الله)** ﷻ **(رجلًا الجنة)**؛ أي: جنة عدن التي هي مأوى المتقين، ودار الصالحين، ومنازل الأحباب، ومحال الثواب، واللفظُ بصيغة الماضي قيل: دعاء، وقيل: خبر، أو لتحقق[2] حصوله ووقوعه نُزِّل منزلة الواقع؛ نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[النحل: ١].

وقوله: (رجلًا)؛ يعني: إنساناً، وإنما خص ذكر الرجل لأنه الغالب، وإلا فلا فرق بين الذكر والأنثى في ذلك.

(كان) ذلك الرجل **(سهلًا)**؛ أي: لينًا منقادًا حالة كونه **(مشتريًا وبائعًا وقاضيًا)**؛ أي: مؤديًا لغريمه ما عليه، **(ومقتضيًا)**؛ أي: طالبًا ماله ليأخذه،

---

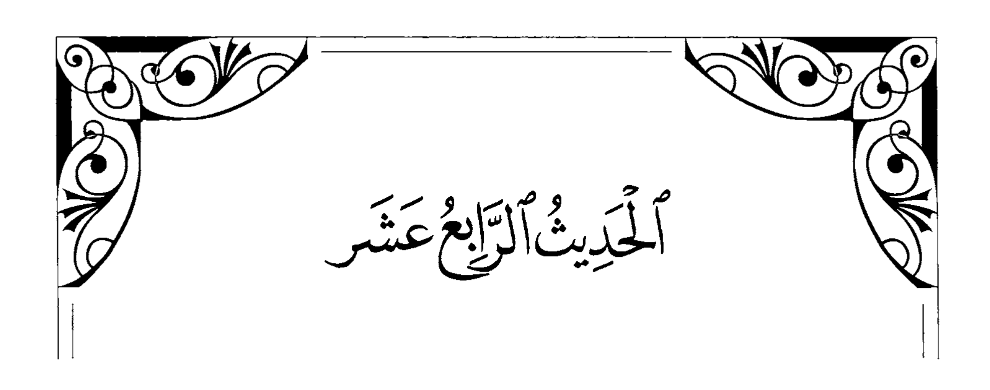
(١) أخرجه النسائي (٤٦٩٦)، وابن ماجه (٢٢٠٢).

(٢) في الأصل: «التحقيق»، والمثبت من «التيسير» للمناوي (١/ ٥٣).

فلا يعسر عليه، ولا يضايقه في استيفائه، ولا يلح عليه في الطلب، ولا يرهقـه ببيع متاعه بالبخس.

(أخرجه النسائي)، وذكر فيه: «قاضيًا ومقتضيًا»، وأخرجه **(ابـن ماجـه)**، ولم يذكر: «قاضيًا ومقتضيًا».

* * *



الحديث الرابع عشر

٥٠٨ ـ عَن جَابِرِ بنِ عبدِالله ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللهُ رجلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى». أخرجَهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِه» هَكَذَا[١].

(عن جابرِ بنِ عبدِالله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله) دعاء بصيغة الفعل الماضي لتحقق الإجابة **(رجلًا)**، وفي رواية: «عبدًا»[٢]؛ أي: من عباد الله المسلمين، **(سَمْحًا)** ـ بفتح السين المهملة وسكون الميم ـ؛ أي: جوادًا، أو سهلًا غير مضايق في الأمور، وهذا صفة مشبهة تدل على الثبوت والدوام.

ويحتمل أن رسول الله ﷺ أخبر بأن الله ﷻ رحم السمح، فلا يكون دعاء كما مرَّ.

ويكونه دعاءً جزم ابنُ حبيب المالكي، وابنُ بطال[٣]، ورجحه الداودي[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٠٣).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٦/ ٢١١).

(٤) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١١/ ١٨٩).

ويؤيد الثاني ما رواه الترمذي بلفظ: «غفر الله لرجل كان قبلكم، [كان] سهلًا (**إذا باع**)...» الحديث[1]، (و) سمحًا (**إذا اشترى، وإذا اقتضى**)، كما هو في رواية بتكرير (سمحًا) في الثلاثة[2]؛ يعني: أعطى الذي عليه بسهولة من غير ليٍّ ولا مطل إذا قضى وإذا اقتضى؛ أي: طلب قضاء حقِّه يكون بسهولة ولين، وعدم إلحاح وإلحاف.

وفي الحديث الحضُّ على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاححة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم.

(أخرجه البخاري في «صحيحه» هكذا).

قلت: لفظ البخاري قال: «رحم الله عبدًا سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى»[3]، ورواه ابن ماجه[4].

ورواه الترمذي، ولفظه: قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لرجل كان قبلكم، كان سهلًا إذا باع، سهلًا إذا اشترى، سهلًا إذا اقتضى»[5].

* * *

---

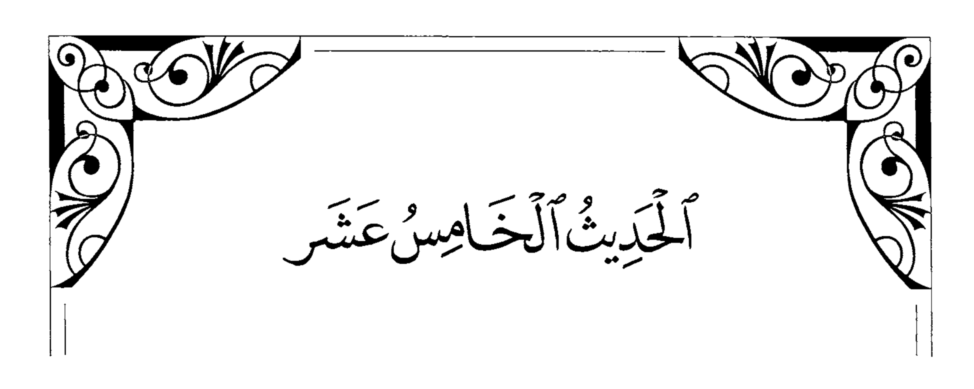
(١) رواه الترمذي (١٣٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٠٣).

(٣) لم نقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري.

(٤) رواه ابن ماجه (٢٢٠٣).

(٥) تقدم تخريجه قريبًا.



الحديث الخامس عشر

٥٠٩ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ سَمْحَ البَيْعِ، سَمْحَ الشَّراءِ، سَمْحَ الْقَضَاءِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[1].

(عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله) تعالى (يحبُّ سمحَ البيع)؛ أي: سهلَه، (سَمْحَ الشراء)، فلا يتعنَّت في شرائه وإقباضه للثمن، (سمحَ القضاء)؛ أي: سهلَ التقاضي لشرف نفسه، وحسن أخلاقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال.

(رواه الترمذي وقال: غريب)، ورواه الحاكم وقال: صحيح[2]، وأقروه.

وروى الإمام أحمد برجال الصحيح من حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمَح يُسْمَحْ لك»[3].

---

(١) رواه الترمذي (١٣١٩).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٣٣٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٤٨).

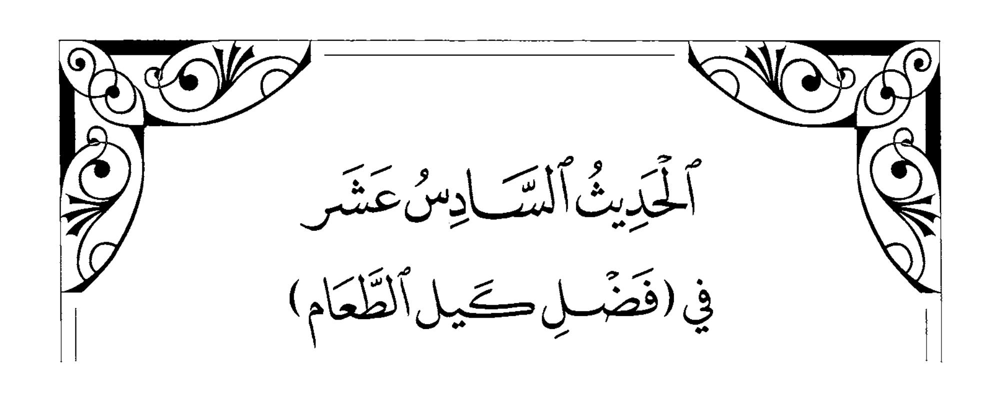
وفي «أوسط الطبراني» بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد الخـدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أفضلُ المؤمنين رجلٌ سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتضاء»[1].

وفي الباب عدة أحاديث. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٥٤٤).



الحَدِيثُ السَّادِسُ عَشَر
في (فَضْلِ كَيلِ الطَّعَام)

٥١٠ ـ عَنِ الْمِقْدَامِ بنِ مَعْدِي كَرِب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كِيْلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيْهِ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَنِ المِقْدَامِ[1].

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَه عَنِ المِقْدَامِ، عَن أَبِي أَيُّوبَ الأنصاريِّ[2].

(عن المقدامِ بنِ معدي كَرِب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كيلو طعامكم يباركْ لكم فيه).

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال ابن بطال: الكيل مندوب إليه فيما ينفقه المرء على عياله.

ومعنى الحديث: أخرجوا بكيلٍ معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدرتم، مع ما وضع الله من البركة في مُدِّ أهل المدينة بدعوته ﷺ.

وقال الحافظ ابن الجوزي: يشبه أن تكون هذه البركة للتسمية عليه عند الكيل.

وقال المهلب: ليس بين هذا الحديث وحديث عائشة ﷺ: كان عندي

---

(١) رواه البخاري (٢١٢٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٣٢).

شطر شعير آكل منه حتى طال عليَّ، فَكِلْتُه فَفَنِيَ[1]، معارضةٌ؛ لأن معنى حديث عائشة: أنها كانت تخرج قوتها وهو شيء يسير بغير كيل، فبورك لها فيه مع بركة النبي ﷺ، فلما كالته، علمت المدة التي يبلغ إليها عند انقضائها. انتهى[2].

قال في «الفتح»: وهو صرف لما يتبادر إليه الذهن من معنى البركة، وقد وقع في حديث عائشة المذكور عند ابن حبان: فما زلنا نأكل منه حتى كالته الجارية، فلم يلبث أن فني، ولو لم تكله لرجوتُ أن يبقى أكثر[3].

وقال المحب الطبري: لما أمرت عائشة بكيل الطعام ناظرة إلى مقتضى العادة، غافلة عن طلب البركة في تلك الحالة، رُدَّتْ إلى مقتضى العادة. انتهى[4].

قال في «الفتح»: والذي يظهرُ لي أن حديث المقدام المذكورَ محمولٌ على الطعام الذي يُشترى، فالبركة تحصل فيه بالكيل لامتثال أمر الشارع، وإذا لم يمتثل الأمر فيه بالاكتيال، نزعت البركة لشؤم العصيان.

قال: وحديث عائشة محمول على أنها كالته للاختبار، فلذلك دخلـ[ـه] النقص، وهو شبيه بقول أبي رافع لمَّا قال له النبي ﷺ [في الثالثة]: «ناولني الذراع»، قال: وهل للشاة إلا ذراعان؟! فقال ﷺ: «لو لم

(١) رواه البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣/ ٢٧).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٣٤٦).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤١٥).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٣٤٦).

تقل هذا؛ لناولتني ما دمتُ أطلب منك»[1]، فخرج من شؤم المعارضة انتزاع البركة[2].

قال الحافظ في «الفتح»: ويشهد لما قلته حديثُ: «لا تُحصي، فيُحصي اللهُ عليكِ»[3].

والحاصل: أن الكيل بمجرده لا تحصل به البركة ما لم ينضم إليه أمر آخر، وهو امتثال الأمر فيما يشرع فيه الكيل، ولا تنزع البركة من المكيل بمجرد الكيل ما لم ينضم إليه أمر آخر؛ كالمعارضة والاختبار. والله أعلم.

ويحتمل أن يكون معناه: كيلوا طعامكم؛ أي: إذا ادخرتموه طالبين من الله البركة، واثقين بالإجابة، فكان من كاله بعد ذلك إنما يكيله ليعرف مقداره، فيكون ذلك شكًّا في الإجابة، فيعاقب بسرعة نفاده، قاله المحب الطبري.

ويحتمل أن تكون البركة التي تحصل بالكيل بسبب السلامة[4] من سوء الظن بالخادم؛ لأنه إذا [أ]خرج بغير حساب، فقد يفرغ ما يخرجه وهو لا يشعر، فيتهم من يتولى أمره بالأخذ منه، وقد يكون بريئًا، فإذا كاله، أمن من ذلك[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٨)، والروياني في «مسنده» (٧٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٦٤).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٣٤٦).

(٣) رواه البخاري (١٤٣٣).

(٤) في الأصل: «العلامة»، والتصويب من «الفتح».

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٣٤٦).

قال في «الفتح»: وقيل: إن في «مسند البزار» أن المراد بكيل الطعام تصغير الأرغفة[1].

قال: ولم أتحقق ذلك ولا خلافه. انتهى[2].

وقد ذكروا في معنى حديث: «قوتوا طعامَكم يُبارَكْ لكم فيه» ـ رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء[3] ـ: أنه صغر الأرغفة، وهو منقول عن الأوزاعي. والله أعلم.

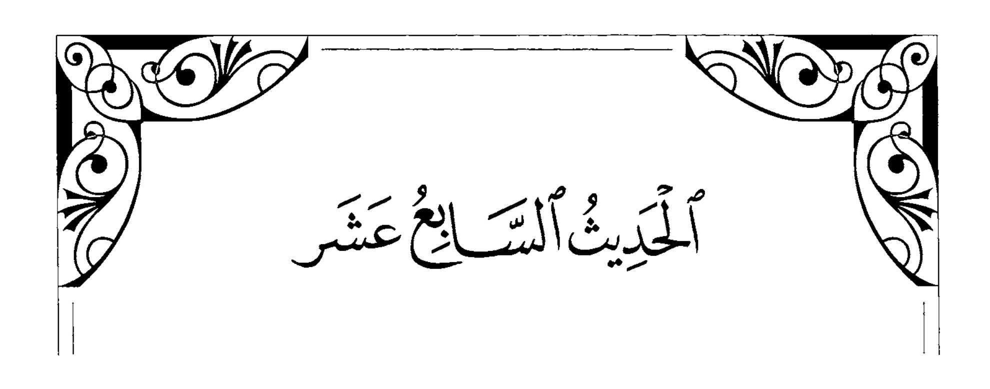
(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ الإمامُ **(البخاري عن المقدام)** بنِ معدي كرب، فهو في «مسنده»، **(ورواه ابن ماجه عن المقدام، عن أبي أيوب الأنصاري)**، فهو من مسند أبي أيوب ﷺ.

* * *

(١) انظر: «مسند البزار» (١٠/ ٤٣).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٣٤٦).

(٣) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٧٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٥): رواه البزار والطبراني، وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.



الحديث السابع عشر

٥١١ ـ عَن عَبْدِاللهِ بنِ بُسْرٍ الْمَازِنيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُم فِيْهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[١].

كالذي قبله لفظًا ومعنًى.

(عن عبدِالله بنِ بُسر) ـ بالباء الموحدة المضمومة وسكون السين المهملة ـ السلمي (المازني)، تقدمت ترجمته في (فضائل الذكر)، (ﷺ، عن النبي ﷺ قال: كيلوا) معشرَ المشترين والمدَّخرين (طعامكم) لمؤن عيالكم أو غيره حسبما ذكر قبله؛ (يبارَكْ لكم فيه) بالنماء والزيادة الناشئة عن امتثال أمر الشارع، مع ما يصحب ذلك من التيمن بالبسملة وذكرِ الله تعالى.

(رواه ابن ماجه)، ورواه كالذي قبله الإمامُ أحمد[٢]، والبخاري في

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٣١). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٦): إسناده صحيح، رجاله موثقون.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣١) من حديث المقدام ﷺ، و(٥/ ٤١٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

«التاريخ»[1]، والطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء[2].

وروى ابن النجار عن أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ مرفوعًا: «كيلوا طعامكم، فإن البركة في الطعام المكيل»[3].

*** تتمة في ذمِّ المَطْل وليِّه:**

روى البخاري، ومسلم، وأصحابُ السنن، وغيرُهم من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «مطلُ الغنيِّ ظلمٌ، وإذا أُتبعَ أحدُكم على مليءٍ، فَلْيَتْبَعْ»[4]، وهو بضم الهمزة وسكون التاء الفوقية؛ أي: أحيل.

قال الخطابي: وأهل الحديث يقولون: (اتبع) بتشديد التاء، وهو خطأ[5].

وروى ابن حبان، والحاكم في صحيحيهما عن عمرِو بنِ الشريد،

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٥١) من حديث عبدالله بن بسر ﷺ.

(٢) لم نقف عليه في «المعجم الكبير» من حديثه، بل رواه في «مسند الشاميين» (١٤٨٣)، ومن حديث عبدالله بن بسر ﷺ (١١٣٥).

(٣) لم نقف عليه عند ابن النجار، ويشهد له حديث: «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه»، رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣١)، من حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ، ورواه (٥/ ٤١٤) من حديثه عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، وكذا ابن ماجه (٢٢٣٢).

(٤) رواه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤/ ٣٣)، وأبو داود (٣٣٤٥)، والترمذي (١٣٠٨)، والنسائي (٤٦٩١)، وابن ماجه (٢٤٠٣).

(٥) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٣/ ٦٥).

عن أبيه ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لَيُّ الواجِدِ يحلُّ عِرضَه وعقوبته»[1].

(ليُّ الواجد) ـ بفتح اللام وتشديد الياء التحتية ـ ؛ أي: مطله، و(الواجد): الذي هو قادر على وفاء دينه.

وقوله: (يحل عِرضه)؛ أي: يبيح أن يُذكَر بسوء المعاملة، وعقوبتُه حبسُه.

وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» من رواية الحارث الأعور، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، والحارثُ وُثِّق، ولا بأسَ به في المتابعات، قال أميرُ المؤمنين علي ﷺ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يحب الله الغنيَّ الظَّلوم، ولا الشيخَ الجَهُول، ولا الفقيرَ المختال»[2].

وفي رواية: «إن الله يبغض الغني الظلوم، والشيخ الجهول، والعائلَ المختال»[3].

وفي حديث أبي ذر ﷺ عند أبي داود، وابن خزيمة: أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله...» الحديث[4]، وفيه الثلاثة الذين يبغضهم الله: «الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم». والله تعالى الموفق.

* * *

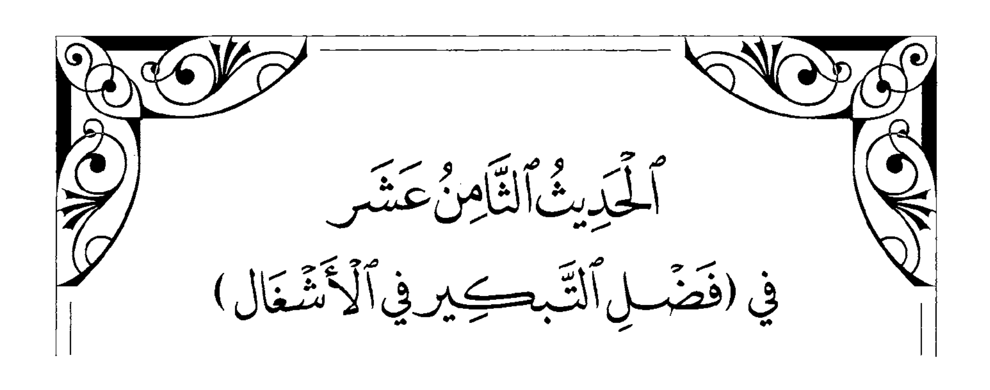
---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٦٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٨٦٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٥٨).

(٣) هذا لفظ الطبراني. انظر التعليق السابق.

(٤) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٥٦)، ولم نقف عليه عند أبي داود.



الحديث الثامن عشر
في (فضل التبكير في الأشغال)

٥١٢ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم**) أصلُه (يا أَللهُ)، حذفت أداة النداء تخفيفًا وعوضت عنها الميم، ولهذا لا يجمع بين الياء والميم إلا ضرورة؛ لأنه لا يجمع بين العوض والمعوَّض في فصيح الكلام.

(**بارك**)؛ أي: اجعل البركة واليُمْن والنماء (**لأمتي**)؛ أي: أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، والهدى الذي جاء به (**في بُكورها**)؛ أي: في سعيها في أشغالها ومطالبها في أول النهار.

فيندَب لكل من كانت له وظيفة؛ من قراءة قرآن أو حديث أو فقه، أو غيرها من سائر العلوم الشرعية، أو تسبيح أو اعتكاف، أو نحو ذلك من العبادات، أو صنعة من الصنائع، أو عمل من الأعمال مطلقًا يتمكن من فعله أول النهار وغيره أن يفعله في أول النهار، وكذلك من أراد سفرًا، أو شاء

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٣٧). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٨): إسناده ضعيف.

أمرًا، أو عقد نكاح، أو غير ذلك من الأمور؛ لهذا الحديث.

وقوله ﷺ: **(يوم الخميس)** يدل على بركة يوم الخميس ويُمنه.

قال القزويني في «عجائب المخلوقات»: يومُ الخميس مبارك، ولاسيما لطلب الحوائج، وابتداء الأسفار[1].

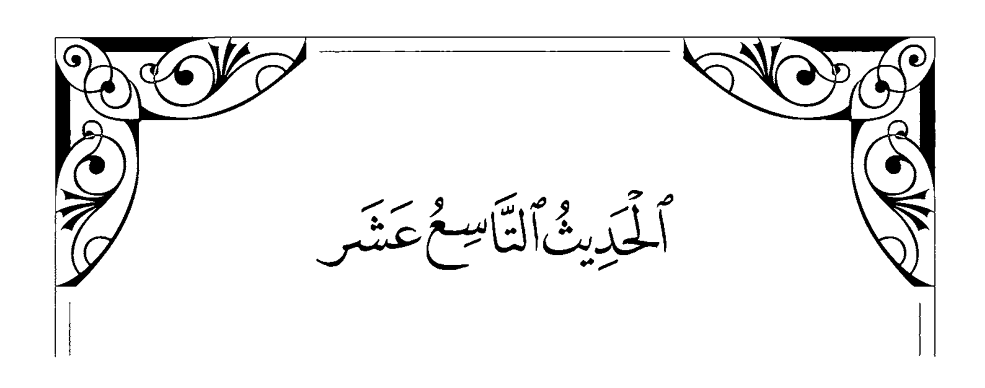
وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» من حديث أم المؤمنين عائشة الصدِّيقة ؓ مرفوعًا: «باكروا في طلب الرزق؛ فإن الغدوَّ بركةٌ ونجاحٌ»[2].

(رواه ابن ماجه).

* * *

(١) انظر: «عجائب المخلوقات» للقزويني (ص: ٦٦).

(٢) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (١٢٤٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٥٠)، وفيه إسماعيل بن قيس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦١): ضعيف.



الحديث التاسع عشر

٥١٣ ـ عَن صَخْرٍ الغامديِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأمَّتِي فِي بُكُورِها»، وَكَانَ إِذا بعَثَ سَرِيَّةً أَو جَيْشًا بَعثَهُمْ أوَّلَ النَّهَارِ، قَالَ: وَكَانَ صَخْرٌ رجلًا تَاجِرًا، وكَانَ يبْعَثُ تِجَارَتَهُ فِي أوَّلِ النَّهَارِ، فأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَهَذَا لَفظُهُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

(عن صَخْرٍ الغامدي) قال في «جامع الأصول»: هو صخرُ بنُ وَدَاعة ـ بفتح الواو وتخفيف الدال المهملة ـ الغامدي بالغين المعجمة.

وهو ابنُ عمر[و] بنِ عبدِالله بنِ كعبِ بنِ الحارثِ بنِ كعبِ بنِ عبدِالله ابنِ مالكِ بنِ الأزد. سكن الطائف، وهو معدود في أهل الحجاز.

روى عنه: عمارة بن حديد بفتح الحاء وكسر الدال الأولى المهملتين.

قال ابن عبد البر: وعمارة مجهول، لم يروِ عنه غيرُ يعلى بن عطاء

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦).

الطائفي[1]، ولم يُؤرخ وفاته.

(ﷺ قال) صخرٌ الغامدي ﷺ: **(قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان)** رسول الله ﷺ **(إذا بعث سرية)** من أصحابه ﷺ لتغير على الكفار وتجاهدهم، وتأخذ ما تقدر على أخذه من أموالهم ونسائهم وذراريهم، **(بعثهم في أول النهار)**.

قال ابن الأثير في «النهاية»: السرية: الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة، تبعث إلى العدو، وجمعها (سرايا)، سُموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم.

وقيل: سُموا بذلك لأنهم ينفذون سرًّا وخفية[2].

وفي حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا: «خير السرايا أربعمئة»، رواه أبو يعلى، وابن حبان، وأبو داود، والترمذي مطولًا[3]، وتقدم.

(قال) الراوي للحديث المذكور: **(فكان صخر)** بنُ وداعةَ ﷺ **(رجلًا تاجرًا، وكان يبعث تجارته في أول النهار)**؛ رجاء إصابة دعوة النبي ﷺ، **(فأثرى وكثر ماله)**، يقال: ثريَ القومُ وأثروا: إذا كثروا، وكثرت أموالهم.

وفي حديث صلة الرحم: «هي مثراة في المال منسأة في الأثر»[4].

---

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٥٢٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٦٣).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٥٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧١٧)، وأبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (١٩٧٩) وقال: حديث غريب، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(مثراة): مفعلة من الثراء: الكثرة.

وفي حديث إسماعيل قال لأخيه إسحاق ـ عليهما السلام ـ: إنك أثريت وأمشيت[1]؛ أي: كثر ثراؤك، وهو المال، وكثرت ماشيتك.

فعلم مما ذكرنا أن عطف (وكثر ماله) على (أثرى) عطف بيان وتفسير. والله أعلم.

(رواه)؛ أي: حديثَ صخرٍ الغامدي ﷺ المشروحَ **(أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وهذا)**؛ أي: اللفظ المذكور **(لفظُه)**؛ أي: لفظ حديث ابن ماجه، **(وقال الترمذي: حديث حسن)**.

ورواه الإمام أحمد، وابن حبان[2]، وقال الترمذي: ولا نعرف لصخر الغامدي عن النبي ﷺ غيرَ هذا الحديث.

قال الحافظ المنذري: رووه كلهم عن عمارةَ بنِ حديد عن صخرٍ، وعمارةُ بن حديد بجليٌّ، سئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: مجهول، وسئل عنه أبو زرعة فقال: لا يعرف.

وقال أبو عمر النمري: صخر بن وداعةَ الغامدي، وغامد في الأزد، سكن الطائف، وهو معدود من أهل الحجاز، روى عنه عمارةُ بن حديد، وهو مجهول، لم يرو عنه غير يعلى الطائفي، ولا أعرف لصخر غير

---

(١) أورده الزمخشري في «الفائق» (٣/ ٣٦٨)، وابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢١٠، ٤/ ٣٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٥٤).

حديث: «بورك لأمتي في بكورها»، وهو لفظ رواه جماعة عن النبي ﷺ. انتهى[1].

قال الحافظ المنذري: وهو كما قال أبو عمرو قد رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ، منهم علي، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وعبدالله بن سلام، والنواس بن سمعان، وعمران بن حصين، وجابر بن عبدالله ﷺ، وبعض أسانيدها جيدة، ونُبَيْطُ ابنُ شَرِيط، وزاد في حديثه: «يوم خميسها»[2]، وبريدة، وأوس بن عبدالله، وعائشة، وغيرهم من الصحابة، ﷺ[3].

وجمع طرقهـ[ـا] الحافظ المنذري في جزء، وبسط الكلام عليها[4].

وزاد غيره: سهلًا، وأبا رافع، وعمارة بن وَثيمة[5].

[عن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما وضع][6] رجله في الغرز وهو

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦١): فيه جماعة لم أعرفهم.

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٦).

(٤) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٣٦): وفي كثير من أسانيدها مقال، وبعضها حسن.

(٥) انظر: «البدر المنير» لابن الملقن (٩/ ٦١)، و«التلخيص الحبير» لابن حجر (٤/ ٩٧).

(٦) يوجد هنا سقط في الأصل، وما بين معكوفين تمَّ استدراكه من «مكارم الأخلاق» للخرائطي (٨٣٥)، و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٣/ ٣٢٣)، وفي إسناده العباس بن بكار الضبي وشيخه أبو بكر الهذلي، أما العباس فقال الدارقطني: =

يريد تبوك يوم الخميس، فقال[1]: «اللهم بارك لأمتي في بكورها».

وفي رواية: «اطلبوا العلم في كل اثنين وخميس، فإنه ييسر لمن طلبه، وإذا أراد أحدكم حاجة، فليبكر إليها؛ فإني سألت ربي ﷻ أن يبارك لأمتي في بكورها»، لكن هذه الرواية غير ثابتة[2].

*** تتمة:**

روى الإمام أحمد، والبيهقي، وغيرهما من حديث عثمان بن عفان ﵁ مرفوعًا: «نومُ الصبحة يمنع الرزق»[3]، وأورده ابن عدي في «الكامل»[4].

= كذاب، وقال العقيلي: الغالب على حديثه الوهم والمناكير. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر (٣/ ٢٣٧)، وأما أبو بكر سُلمى بن عبدالله الهذلي؛ فقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال أبو حاتم: ليِّن الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج بحديثه، وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يكتب حديثه. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٢/ ٤٧).

(١) كذا في الأصل، وفي مصدري التخريج: «قال».

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٣٦٤) وقال: لا أدري التلون في هذا الحديث من أبي الأحوص أو من محمد بن أيوب، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٣١٣): هذا حديث لا يصح، رواه محمد بن أيوب من حديث جابر، ورواه عن أبيه، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن عائشة، قال ابن حبان: محمد بن أيوب يروي الموضوعات، وأبوه ضعيف، قال يحيى: أيوب كذاب، وقال النسائي: متروك الحديث.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٣١).

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٣٢٧).

قال الحافظ المنذري: وهو ظاهر النكارة[1].

وروي عن سيدة النساء فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ، ورضي عنها، قالت: مرَّ بي رسولُ الله ﷺ وأنا مضجعة متصبحة، فحركني برجله، ثم قال: «يا بنيَّة! قومي اشهدي رزقَ ربك، ولا تكوني من الغافلين؛ فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»، رواه البيهقي[2].

ورواه ـ أيضًا ـ عن علي ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمةَ بعد أن صلى الصبح وهي نائمة، فذكره بمعناه[3].

وروى ابن ماجه من حديث علي ﷺ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن النوم قبل طلوع الشمس[4].

* * *

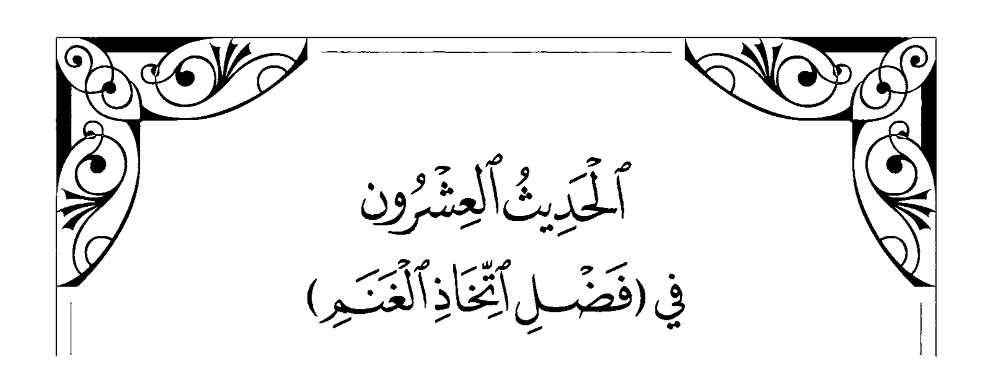
---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٦).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٣٥) وقال: إسناده ضعيف.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٣٦).

(٤) كذا في الأصل و«الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٣٦)، والحديث رواه ابن ماجه (٢٢٠٦) بلفظ: نهى رسول الله ﷺ عن السوم قبل طلوع الشمس... الحديث. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢١): إسناده ضعيف.



٥١٤ ـ عَن أمِّ هَانِئٍ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «اتَّخِذِي غنمًا؛ فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةٌ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه(١).

(عن أم هانئ ﵂) بنتِ أبي طالب، واسمه عبدُ مناف، وقيل: اسمه كنيتُه، واسم أم هانئ فاختة، وكان رسول الله ﷺ قد خطبها في الجاهلية، وخطبها هبيرةُ بنُ أبي وهب المخزومي، فزوجها أبو طالب هبيرةَ، فأتت منه بأولاد، فلما أسلمت، فرَّق الإسلام بينهما، وخطبها رسول الله ﷺ، فقالت: إني مُصْبية، فسكت عنها.

وهي إحدى المهاجرات، ومن ولدها لهبيرةَ المخزومي عقلة، وجعدةُ ابنا هبيرة.

وأنفذ رسولُ الله ﷺ إجارتها يوم الفتح.

روي لها عن رسول الله ﷺ ستة وأربعون حديثًا، أخرج لها منها في الصحيح واحد متفق عليه، فروي عنها: **(أن النبي ﷺ قال لها)** ﵂: **(اتخذي)**

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٠٤).

يا أم هانئ، وفي لفظ: «اتخذوا»[1]؛ أي: معشر الناس، أمر ندب وإرشاد **(غنمًا)**، وفي رواية: «الغنم»[2]، لا واحد لها من لفظها، والجمع أغنام، وغُنوم، وغنمٌ [مُغْنَمَة، و]مُغَنَّمَة: كثيرة، هذه عبارة «المحكم»[3].

وقال في «القاموس»: الغنم ـ محركة ـ: الشاء، لا واحد لها من لفظها، الواحدة (شاة)، وهو اسم مؤنث للجنس، يقع على الذكور والإناث، [و]عليهما جميعًا، والجمع أغنام وغُنوم وأغانم، وقالوا: غَنَمان في التثنية على إرادة قطيعين، وغنمٌ مُغْنَمَة؛ كمُكْرَمَة، ومُعَظَّمَة: كثيرة[4].

(فإن فيها)؛ أي: الغنم **(بركة)**، وفي رواية: «فإنها بركة»[5]؛ أي: خيرٌ ونماءٌ لسرعة نتاجها وكثرته؛ فإنها قد تنتج في العام مرتين، وتضع الواحد والاثنين، وربما وضعت ثلاثًا، ويؤكل منها ما شاء الله، ومع ذلك يمتلئ منها وجه الأرض.

والغنم على ضربين: ضائنة، وماعزة.

قال الجاحظ: اتفقوا على أن الضأن أفضل من الماعز بدليل الأضحية، والبداءة بذكر الضأن في القرآن، وقوله تعالى: ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[ص: ٢٣]،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٢٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٢٦).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «المحكم» لابن سيده (٥/ ٥٤٤).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غنم).

(٥) رواه ابن راهويه في «مسنده» (٢١٢٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٠).

ولم يقل: عنزًا، وقال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٧].

ومما يذكر من فضلها: أنها تلد في السنة مرة، وتفرد غالبًا، والماعز تلد مرتين، وقد تثني وتثلث، والبركة في الضأن أكثر، وأن ما ترعاه الضأن ينبت سريعًا؛ بخلاف المعز، وصوفُ الضأن أفضلُ من شعر المعز، وليس الصوف إلا للضأن، وما عداها شعر، والإبل [. . .][١].

ومنها: أن العرب إذا مدحت رجلًا، قالوا: هو كبش، وإذا ذموه، قالوا: هو تيس، ولهذا شبَّه رسولُ الله ﷺ المحلِّلَ بالتيس المستعار[٢].

ومنها: أن رؤوس الضأن أطيبُ من رؤوس الماعز، وكذلك لحمها؛ فإن لحم الماعز يحرك السوداء، ويورث النسيان، ويحرك الدم؛ كما في «حياة الحيوان» للدميري[٣].

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(ابنُ ماجه)**، وشيخه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير»، والخطيب البغدادي عن أم هانىء بلفظ: «اتخذوا الغنم؛ فإنها بركة»[٤].

وشكت امرأة أن مالها لا يزكو، فقال ـ عليه السلام ـ: «ما ألوانها؟»

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل هنا، ولعلها: «وبر».

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٣٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وانظر: «نصب الراية» للزيلعي (٣/ ٢٣٩)، و«إتحاف المهرة» لابن حجر (١١/ ٢٢٩).

(٣) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٤٥٥)، و«حياة الحيوان» للدميري (٢/ ٢٥٦).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٢٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٠).

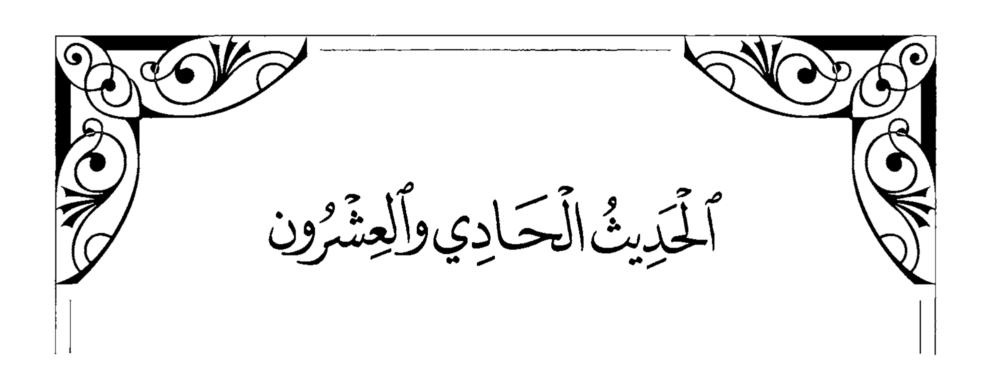
قالت: سود، فقال: «عُفرًا»؛ أي: استبدلي غنمك بيضًا؛ فإن البركة فيها[1].

وروى أبو داود عن لَقيط بن صبرةَ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كانت له مئةُ شاة لا يريد أن تزيد، كلما ولدت سخلة، ذبح مكانها شاة[2].

* * *

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث معضل، ورواه أيضًا (٧/ ١٠٦) من طريق هشام بن زياد، وهو ضعيف. قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٤٠٠): رواه حمزة النصيبي عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، وحمزة كذاب.

(٢) رواه أبو داود (١٤٢).



الحديث الحادي والعشرون

٥١٥ ـ عَنِ ابْنِ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الشَّاةُ مِن دَوَابِّ الْجَنَّةِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه أَيْضًا[١].

(عن) أبي عبدِ الرحمن عبدِالله (بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الشاة)؛ أي: الواحدة من الغنم، تقع على الذكر والأنثى، من الضأن والمعز، وأصلها (شاهة)؛ لأن تصغيرها (شُويهة)، والجمع (شياه) في أدنى العدد، تقول: ثلاث شياه، فإذا جاوزت فبالتاء، وإذا كثرت، قلت: شاء[٢] كثيرة.

(من دواب الجنة)؛ أي: الجنة فيها شاة، وأصل هذه منها، لا أنها تصير بعد الموقف إليها؛ لأنها تصير ترابًا؛ كما في الخبر[٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٠٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٤١): إسناده ضعيف، زربي بن عبدالله متفق على ضعفه، وله شاهدان من حديث أبي هريرة، رواه البزار في «مسنده»، وفي طريقه يزيد بن عبد الملك، وهو ضعيف.

(٢) في الأصل: «شيا»، والمثبت من «إرشاد الساري» للقسطلاني (١٠/ ١٧).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(رواه ابن ماجه أيضًا)، ورواه الخطيب البغدادي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[1].

قال ابن حبان: لا أصل له[2].

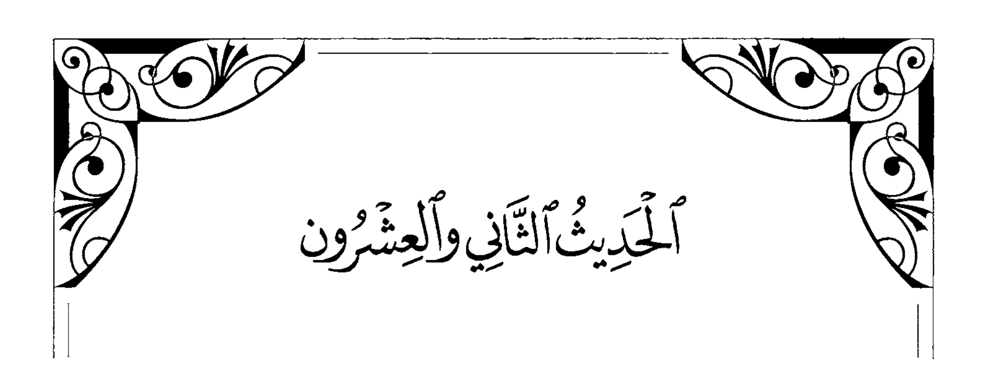
وقال ابن الجوزي: لا يصح[3].

* * *

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٣٤).

(٢) قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣١٢): زربي بن عبدالله منكر الحديث، يروي عن أنس ما لا أصل له، فلا يجوز الاحتجاج به.

(٣) انظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (٢/ ٦٦٣).



الحديث الثاني والعشرون

٥١٦ ـ عَن عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ يَرْفعُهُ قَالَ: «الإِبِلُ عِزٌّ لأَهْلِهَا، وَالْغَنَمُ بَرَكَةٌ، وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِي الْخَيلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ابْنُ مَاجَه(١).

(عن عروةَ) ـ بضم العين المهملة وسكون الراء وفتح الواو، فتاء تأنيث ـ ابن الجعد.

ويقال: عروةُ بنُ باقر بن أبي الجعد، ويقال: عروة (البارقي) بالباء الموحدة وكسر الراء، وبالقاف.

قال ابن المديني: من قال فيه: ابن الجعد، فقد أخطأ، وإنما هو عروة بن أبي الجعد.

روى عنه: الجعدي، والسبيعي، وغيرهما.

استعمله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على قضاء الكوفة، ويعد في الكوفيين، وحديثه فيهم، وهو صحابي رضي الله عنه.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٠٥). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٤١): إسناده صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بجميع رواته.

(يرفعه)؛ أي: الحديث الآتي ذكره إلى النبي ﷺ، **(قال)**؛ أي: النبي ﷺ: **(الإبل)**؛ أي: الجمال، وهو اسم واحد يقع على الجمع، وليس بجمع، ولا اسم جمع، وإنما هو دالٌّ على الجنس.

وقال الجوهري: ليس للإبل واحد من لفظها، وهي مؤنثة؛ لأن الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لها لازم، وإذا صغرتها أدخلتها الهاء، فقلت: أبيلة، وغنيمة[1].

(عِزٌّ لأهلها)؛ أي: مالكيها، الشرفُ والفخر لأهل الإبل.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: افتخر أهلُ الإبل وأهلُ الغنم عند رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «السكينة والوقار في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في أهل الإبل»[2]، وهو في الصحيحين بألفاظ مختلفة، منها: «السكينة في أهل الغنم، والفخر والرياء في أهل البراذين؛ أهل الخيل والوبر»[3].

وفي لفظ: «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أصحاب الشاء»[4].

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: أبل).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٩٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٨١٠)، وفيه الحجاج بن أرطاة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦٥): وهو مدلس.

(٣) رواه مسلم (٥٢/ ٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «الفدادين» بدل: «البراذين».

(٤) رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢/ ٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أراد بالسكينة: السكون والوقار والتواضع، وأراد بالفخر: التفاخر بكثرة المال والجاه، وغيرِ ذلك من مراتب أهل الدنيا، والخيلاء: التكبر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان: ١٨].

وهو إخبارٌ منه ﷺ عن أكثر حال أهل الغنم وأهل الإبل.

وقيل: إنه أراد ﷺ بأهل الغنم: أهلَ اليمن؛ لأن أكثرهم أهلُ غنم؛ بخلاف ربيعة ومضر؛ فإنهم أصحاب إبل.

(والغنم) بالرفع: معطوف على (الإبل)، **(بركة)** يشمل الضأنَ والمعز.

(والخيرُ معقودٌ في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)؛ أي: منوط بها، وملازم لها، كأنه عقد فيها؛ لإعانتها على الجهاد، وعدمِ قيام غيرها مقامها في الكر والفر، ولم يرد الناصية خاصة؛ كما قاله صاحب «المشارق»[1].

وقال ولي الدين العراقي: الظاهر أن هذا أمر خاص بناصيتها، ويدل عليه حديث أبي داود: «لا تقصوا نواصي الخيل ولا معارفها ولا أذنابها؛ فإن أذنابها مذابُّها، ومعارفها وقاؤها، ونواصيها معقود فيها الخير»[2]؛ فإنه جعل عقد الخير بناصيتها علةً للنهي عن قصِّ ناصيتها، وفصل بين نواصيها ومعارفها وأذنابها، فجعل الخير في النواصي، وإنما خصت بذلك؛ لأنها هي التي تحصل بها ملاقاة العدو ومكافحتهم، وإنما تكون خيرًا لصاحبها إذا لاقى بها العدو، وأما إذا فرَّ بِها، وولى ناصيتها إلى وراء، فلا خير له فيها.

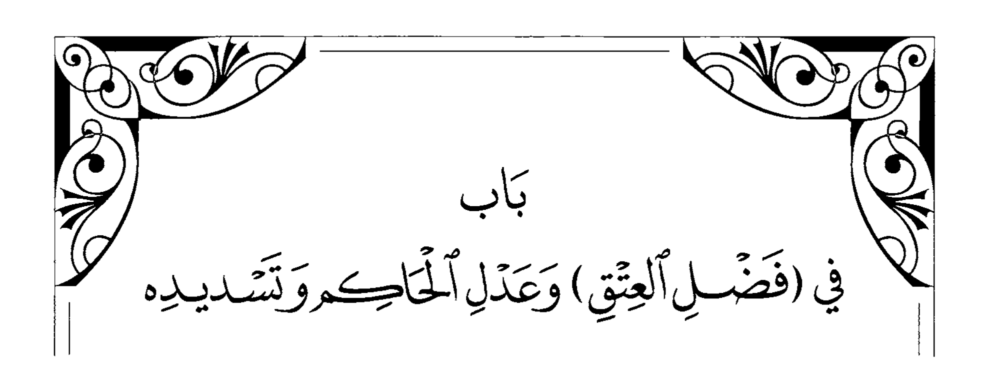
---

(١) انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (٢/ ١٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤٢) من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه، وفيه: «دفاؤها» بدل: «وقاؤها».

(**رواه**)؛ أي: الحديثَ المشروحَ (**بهذا اللفظ**) المذكورِ في المتن الإمامُ محمدُ بنُ يزيدَ (**ابنُ ماجه**)، و(ماجه) لقب لأبيه؛ كما تقـدم فـي ترجمتـه، والله الموفق.

❐ ❐ ❐



بَاب
في (فَضْلِ ٱلعِتْقِ) وَعَدْلِ ٱلحَاكِمِ وَتَسْدِيدِه

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ في ذلك سبعة أحاديث:

ٱلحَدِيثُ ٱلأَوَّلُ

٥١٧ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعتَقَ رَقَبَةً مُؤمنَةً؛ أَعتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى يُعْتَقَ فَرَجَهُ بفَرجِهِ». أَخرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسلمٌ، وَهَذَا لَفظُهُ[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمن بنِ صخرٍ (ﷺ، **عن النبي ﷺ**) قال: **(من أعتق رقبة مؤمنة)**، وفي لفظ في الصحيحين: «مسلمة»[2] بدل: «مؤمنة»، زاد في رواية: «سليمة»[3]؛ يعني: من العيوب المضرة بالعمل؛

---

(١) رواه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩/ ٢٣).

(٢) هذا لفظ البخاري.

(٣) أوردها ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٩٣)، ولم نقف عليها مسندة.

يعني: مَن فكَّها وخلَّصها من رقِّ العبودية، وحرَّرها، فلم يبق عليها لغير الله ﷻ عبوديَّة.

وخص الرقبة وإن كان العتق لجميع البدن؛ لأن الرقَّ كأنه غلٌّ في عنقه، ولأن الإنسان يهلك بزوال رقبته.

وفي «المطلع»: إنما قيل لمن أعتق نسمة: إنه أعتق رقبة، وفك رقبة ـ وقول الفقهاء: وتحرير الرقبة ـ فخصت الرقبة دون سائر الأعضاء، مع أن العتق يتناول الجميع؛ لأن حكم السيد عليه وملكه له كحبلٍ في رقبته، وكالغلِّ المانعِ له من الخروج، فإذا أعتق، فكأن رقبته أطلقت من ذلك. انتهى[1].

قال أهل اللغة: العتق: الحرية، يقال: عتَق يعتِق عتقًا ـ بكسر العين المهملة وفتحها ـ عن صاحب «المحكم» وغيره[2]، وعَتاقًا وعَتاقة، فهو عتيق وعاتق، حكاها الجوهري[3].

وفي «القاموس»: العتق بالكسر: الكرم، والجمال، والنجابة، والشرف، والحرية، وبالضم: جمع عتيق[4].

وفي «شرح البخاري» للبدر العيني: العتق لغةً: القوة، من عتق الطائر: إذا قوي على جناحيه. انتهى[5].

---

(١) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣١٤).

(٢) انظر: «المحكم» لابن سيده (١/ ١٧٧).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: عتق).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عتق).

(٥) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٣/ ٧٦).

وفي «المطلع»: قال الأزهري: هو مشتق من قولهم: عتق الفرس: إذا سبق ونجا، وعتق الفرخ: إذا طار واستقل؛ لأن العبد يتخلص بالعتق، ويذهب حيث شاء[1].

والعتق شرعًا: تحرير الرقبة، وتخليصها من الرق، والرق عجز حكمي، سببه الكفر، وهو من أفضل القُرب.

(أعتق الله) ﷻ: جواب (من أعتقَ رقبة)، **(بكلِّ عضو منه)**؛ أي: من العبد المعتق، وفي لفظ: «منها»[2]؛ أي: من أعضاء الرقبة **(عضوًا من أعضائه)**؛ أي: أعضاء السيد المعتق بكسر التاء الفوقية، والأعضاء: جمع (عضو).

قال في «القاموس»: العضو بالضم والكسر: كل لحم وافر بعظمه، والتَّعضية: التجزئة والتفريق، كالعَضو، والعِضة؛ كـ (عِدة): الفرقة والقطعة[3].

(من النار) متعلق بـ (أعتق)، **(حتى يعتق فرجه)** من النار بإعتاقه **(فرجه)** من الرق، وإنما نص على الفرج؛ لكونه محل أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل.

وظاهره: أن العتق يكفر الكبائر، وذلك لأن له مزية على كثير من العبادات؛ لأنه أشقُّ من الوضوء والصلاة والصوم؛ لما فيه من بذل المال الكثير.

---

(١) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣١٤).

(٢) رواه مسلم (١٥٠٩/ ٢٢).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عضو).

ولذلك كان الحج ـ أيضًا ـ يكفر الكبائر.

وأخذ من الحديث: ندبُ إعتاق كامل الأعضاء؛ تحقيقًا للمماثلة.

(أخرجه البخاري، ومسلم، وهذا لفظه)؛ أي: لفظ مسلم.

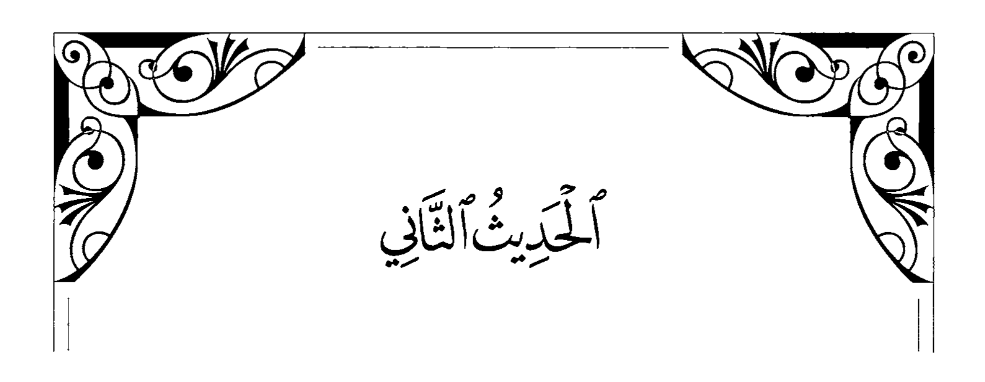
وفي لفظٍ للبخاري: «أيُّما رجلٍ أعتق امرأً مسلمًا، استنقذ الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار»، قال سعيد ابن مَرْجَانة[1]: فانطلقت به إلى علي بن الحسين، فعمد عليُّ بنُ الحسين إلى عبدٍ[2] لهُ قد أعطاه به عبدُالله ابنُ جعفر عشرة آلاف درهم، أو ألف دينار، فأعتقه[3].

* * *

(١) في هامش الأصل: «قوله: (سعيد ابن مرجانة) ـ بفتح الميم وسكون الراء، وبالجيم والنون ـ هو: أبو عثمان سعيد بن عبدالله القرشي، مولاهم، و(مرجانة) أمه، وبها يعرف، قيل: كان مولى نوفل بن الحارث، وكان منقطعًا إلى زين العابدين وصحبته، وهو من مشاهير التابعين بالمدينة، سمع أبا هريرة، وروى عنه زين العابدين، وإسماعيل بن أبي حكيم. مات بالمدينة سنة (٩٩هـ) وهو ابن (٧٧) سنة. مؤلف».

(٢) في هامش الأصل: «اسمُ عبد زين العابدين الذي أعتقه مطرِّف».

(٣) رواه البخاري (٢٥١٧).



الحديث الثاني

٥١٨ ـ عَن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرِئٍ مُـسلِمٍ أَعتَقَ امْرأً مُسلِمًا، كان فكاكَهُ من النَّار، يُجزِي كلُّ عـضوٍ منـه عـضوًا منه، وأَيُّمَا امْرِئٍ مُسلِمٍ أَعتَقَ امرأتَينِ مسلمتَينِ، كانتا فكاكَهُ مـن النَّـار، يُجزِي كلُّ عضوٍ منهما عـضوًا منـه، وأَيُّمَـا امـرأةٍ مُـسلِمةٍ أَعتقَـتِ امـرأةً مُسلِمةً، كانت فكاكَها من النَّار، يُجزِي كلُّ عضوٍ منها عـضوًا منهـا». رواه التِّرمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ(١).

(عن أبي أمامة) صُدَي (رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: أيُّما امرئ مـسلم) بجرِّ (امرئ) بإضـافة (أي) إليـه، وبرفعـه بـدلٌ مـن (أي)، و(مـا) زائـدة، و(مسلم) نعتٌ لـ (امرئ)، (أعتق امرأ)؛ أي: شخصًا (مسلمًا)، مـن ذكـر أو أنثى بزيادة (امرئ) للإيضاح (كان) ذلك العتق، وفي رواية: «فهـو»(٢)؛ أي: العتق (فكاكَه) بفتح الفاء، وتكسر؛ أي: خلاصه ونجاته (من النـار)؛ أي: فعتقه للمرء المسلم من الرق سبب لخلاصه من نار جهـنم، (يُجـزي)

(١) رواه الترمذي (١٥٤٧).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٨٨٠، ٤٨٨١) من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه.

بضم التحتية وكسر الزاي غير مهموز: يفدي (**بكل عضو منه**)؛ أي: من أعضاء العبد المعتق ـ بفتح التاء، اسم مفعول ـ (**عضوًا منه**)؛ أي: من أعضاء السيد المعتق ـ بكسر التاء، اسم فاعل ـ.

وفي لفظ: «يجزي بكل عظم منه عظمًا منه»[1]، حتى الفرج؛ كما في رواية[2].

(**وأيما امرئ**) بالجر والرفع كما تقدم، (**مسلم أعتق امرأتين مسلمتين**) من الرق، (**كانتا**)، وفي لفظ: «فهما»[3]، (**فكاكه**)، أي: خلاصه (**من النار، يجزي كل عضو منهما عضوًا منه**)، وفي لفظ: «يجزي بكل عظمين منهما عظمًا منه»[4]، فعتق الذكر يعدل عتق الأنثيين، ولهذا كان أكثر عتق النبي ﷺ ذكورًا.

(**وأيما امرأة**) بالجر والرفع كما تقدم، (**مسلمة أعتقت امرأة مسلمة**) من الرق، (**كانت**)؛ أي المعتقة ـ بفتح التاء اسم مفعول ـ، وفي لفظ: «فهي»[5]،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٦٣٢) من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٧٩) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٠): لا بأس برواته، إلا أن أبا سلمة ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٣): أبو سلمة لم يسمع من أبيه، وبقية رجاله حديثهم حسن.

(٢) انظر حديث الباب السابق.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير». انظر التعليق السابق.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣٥) من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه.

(٥) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٨٨١) من حديث كعب بن مرة رضي الله عنه.

(فكاكَها)؛ أي خلاص المعتقة ـ بكسر التاء اسم فاعل ـ ونجاتها **(من النار)**؛ أي: من نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة، **(يجزي كل عضو منها)**؛ أي: العتيقة **(عضوًا)**؛ أي: عن عضو **(منها)**؛ أي: المعتقة، حتى الفرج بالفرج.

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب).

ورواه ابن ماجه من حديث كعب بن مرة[1].

ورواه الإمام أحمد، وأبو داود بمعناه، من حديث كعب بن مرة، أو مرة بن كعب السلمي[2].

ورواه بمعناه الطبراني في «معجمه الكبير» عن عبد الرحمن بن عوف أحدِ العشرة[3]، ومن حديث مرة كابن ماجه[4]، ومن حديث أبي أمامة[5].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عقبةَ بنِ عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة، فهي فكاكه من النار»[6].

ورواه أبو داود، والنسائي، وأبو يعلى، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ولفظه: قال: «من أعتق رقبة، فكَّ الله بكل عضو من أعضائه

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٢٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣٤)، وأبو داود (٣٩٦٧).

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣١٨).

(٥) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٨٢).

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٤٧).

عضوًا من أعضائه من النار»[1].

وأخرج أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم ـ وقال: صحيح على شرطهما ـ من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فأتاه نفرٌ من سليم، فقالوا: إن صاحبنا قد أوجبَ، قال: «أعتقوا عنه رقبة، يُعتِقِ اللهُ بكلِّ عضو منها عضوًا منه من النار»[2].

ومعنى (أوجب)؛ أي: أتى بما يوجب له النار.

وأخرج الإمام أحمد عن شعبة الكوفي قال: كنا عند أبي بردة بن أبي موسى، فقال: أي بني! ألا أحدثكم حديثًا [حدثني أبي] عن رسول الله ﷺ؟ قال: «من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار»[3]. ورواته ثقات.

وفي المعنى أحاديث كثيرة. والله أعلم.

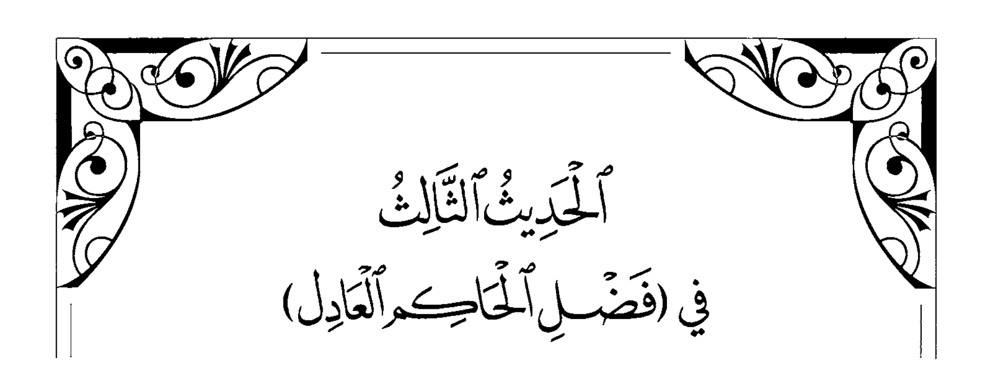
* * *

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» كما في «المقصد العلي» للهيثمي (٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٤١)، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٨٧٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأبو داود من حديث واثلة ﷺ الآتي.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٤٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٤).



الحديث الثالث
في (فضل الحاكم العادل)

٥١٩ ـ عَن عَمْرِو بنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فاجْتهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذا اجْتهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ[1].

(عن) عن أبي عبدِالله **(عمرِو بنِ العاص)** السهميِّ (ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل السحور)، **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا حكم الحاكم)**؛ أي أراد الحكم، وكان من أهل الاجتهاد، **(فاجتهد فأصاب)**؛ أي فطابق ما عند الله من الصواب، **(فله)**؛ أي: للحاكم المجتهد المصيب **(أجران)**: أجرُ الاجتهاد، وأجرُ الإصابة.

قال الإمام النووي: أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالمٍ أهلٍ للحكم، فإذا أصاب فله أجران: أجر باجتهاده، وأجر بإصابته[2].

(وإذا اجتهد)؛ بأن بذل مجهوده في قصد إصابة الحق، **(فأخطأ)**؛ بأن ظنَّ أنه الحق في نفس الأمر، فكان خلافه، **(فله أجر)** واحد على اجتهاده؛

---

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦/ ١٥).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ١٣).

لأن اجتهاده في طلب الحق عبادة يثاب عليها، وخطأه معفو عنه، فلا إثم عليه؛ لأنه بذل جهده في إصابة الحق، فكان الذي في نفس الأمر خلاف ما ظهر له.

وفي الحديث دليل على أن الحق عند الله واحد، وأن المجتهد يصيب ويخطئ.

قال في «شرح مختصر التحرير»: والمجتهد المصيب في الأمور العقليات واحد إجماعًا؛ لأنه لا سبيل إلى أن كلًّا من النقيضين والضدين حق، بل الحق أحدهما فقط، والآخر باطل، ومن لا يصادف ذلك الواحد في الواقع، فهو ضال آثم وإن بالغ في النظر، وسواء كان مُدْرَك ذلك عقلًا محضًا؛ كحدوث العالم، ووجود الصانع، أو شرعيًّا مستندًا إلى ثبوت أمر عقلي، كعذاب القبر والصراط والميزان.

ونافي الإسلام مخطئ آثم كافر مطلقًا؛ يعني: سواء كان ذلك باجتهاد أو بغير اجتهاد عند أئمة الإسلام.

قال: والمسألة الظنية الحقُّ فيها واحد عند الله تعالى، وعليه دليل، وعلى المجتهد طلبُه حتى يظن أنه وصله، فمن أصاب فمصيب، وإلا فمخطئ مُثاب عند الإمام أحمد وأكثرِ أصحابه، وقاله الأوزاعي، ومالك، والشافعي، وإسحاق، والمحاسبي، وغيرهم، وذكره أبو المعالي عن أكثر الفقهاء، وذكره ابن برهان عن الأشعري، نقل ذلك ابنُ مفلح.

قال: وثوابه على قصده واجتهاده لا على الخطأ؛ كما قاله ابن عقيل، وغيره، وبعضُ الشافعية.

وقال بعضهم: على قصده.

وفي «العدَّة» وغيرها: هو مخطئ عند الله، وحكمًا.

والقضية الجزئية التي فيها نصٌّ قاطعٌ المصيبُ فيها واحد باتفاق وإن دقَّ مسلك ذلك القاطع.

ولا يأثم مجتهد في حكم شرعي اجتهادي، ويثاب عند الأربعة وغيرهم، وخالف الظاهرية وجمعٌ، واستدل للأول ـ وهو الصحيح ـ بهذا الحديث المذكور، وبإجماع الصحابة والتابعين؛ فإنهم اختلفوا في كثير من المسائل، وتكرر ذلك وشاع من غير نكير ولا تأثيم، مع القطع بأنه لو خالف أحد في أحد أركان الإسلام الخمس، أنكروا عليه كما أنكروا على مانع الزكاة، وعلى الخوارج، ولا يأثم المجتهد حيث بذل وسعه، ولو خالف دليلًا قاطعًا، وإن لم يبذل وسعه أثم لتقصيره؛ لأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وقد أتى بما يقدر عليه، فإن قصر في بذل وسعه، أثم[1].

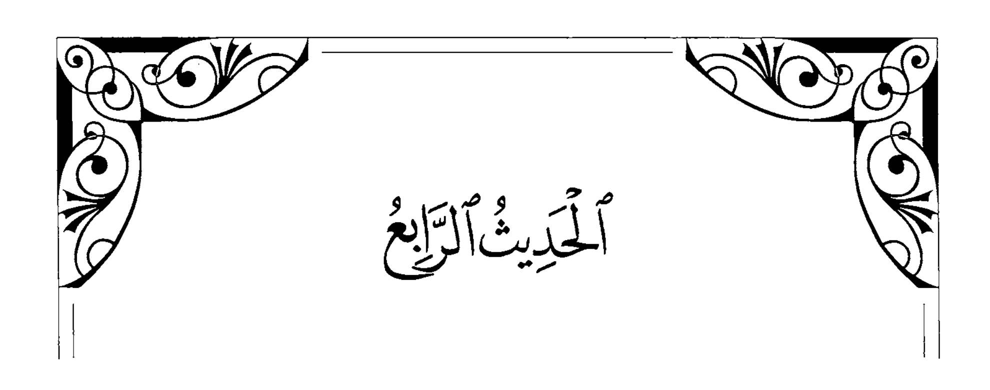
(رواه) أي: الحديثَ المشروح **(البخاريُّ، ومسلم)**، ورواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه[2].

* * *

---

(١) انظر: «شرح مختصر التحرير» لابن النجار (٤/ ٤٨٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٩١٨)، وابن ماجه (٢٣١٤).



الحديث الرابع

٥٢٠ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتهَدَ فَأَصَابَ؛ فَلهُ أَجْرَانِ، وَإِذا اجْتهَدَ فَأَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا حكم الحاكم)؛ أي: أراد الحكم، **(فاجتهد)** في بذل وسعه لأجل إصابة الحق؛ بأن يصيب الدليلَ الذي أقامه الله ﷻ عليه، فإذا اجتهد في طلبه، **(فأصاب)** الدليل الذي أقامه الله تعالى على الحق، فطابق الحكم الذي شرعه الله؛ **(فله)**؛ أي: المجتهد المصيب **(أجران)**: أجر على الاجتهاد؛ لأنه عبادة، وأجرٌ لإصابة الحكم الذي شرعه الله تعالى، **(وإذا اجتهد)** الحاكم العالم الذي هو أهل للحكم، **(فأخطأ)** الحكمَ الذي شرعه الله تعالى ونصب عليه الدليل؛ بأن لم يصادف اجتهادُه الدليلَ المنصوب، فأخطأ الصواب؛ **(فله أجر)**

---

(١) رواه النسائي (٥٣٨١)، والترمذي (١٣٢٦)، ورواه أبو داود (٣٥٧٤)، وابن ماجه (٢٣١٤) عقب حديث عمرو بن العاص ﷺ.

الاجتهاد؛ لأنه عبادة، ولا يأثم بعدم الإصابة؛ لأنه بذل وسعه في إصابة الحق، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وأما من ليس بأهل للحكم، فلا يحل له الحكم ولو أصاب.

وفي حديث بريدة ﷺ عند أبي داود، والترمذي، وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «القضاةُ ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة؛ فرجل عرف الحقَّ فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار»[1].

فإذا حكم من ليس أهلًا للحكم؛ فهو آثم، ولا ينفذ حكمه، سواء وافق الحكمَ الشرعي أم لا، وعلى المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على ما تقدم له من اجتهاده؛ لإمكان أن يظهر له خلافه.

(رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن غريب).

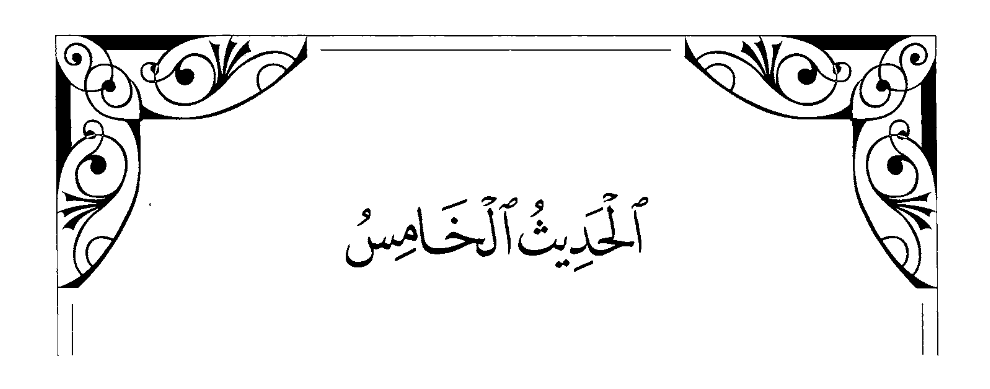
قلت: بل رواه الإمام أحمد، والبخاري، وغيرهم[2]، وفي الباب غيره. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٠٤)، والبخاري (٧٣٥٢) عقب حديث عمرو بن العاص ﷺ.



الحديث الخامس

٥٢١ ـ عَن عَبْدِالله بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ المُقسطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ من نورٍ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعدِلُونَ فِي حُكمِهِم وأَهلِيهِم وَمَا وَلُوا». رَوَاهُ مُسلِمٌ[١].

(عن) أبي عبدِ الرحمن **(عبدِالله بنِ عمرو)** بن العاص (رضي الله عنهما، **عن النبي ﷺ**): أنه **(قال: إن المقسطين)** بضم الميم وسكون القاف وكسر السين المهملة: جمع (مقسِط)، وهو العادل، يقال: أقسط يقسط، فهو مقسِط: إذا عدل، وقسط يَقسِط، فهو قاسط، فكأن همزة (أقسط) للسلب؛ كما يقال: شكا إليه فأشكاه، وفي أسمائه تعالى: المقسِط، وهو العادل.

(عند الله) عز وجل، عنديةُ تعظيم ورفعة ومكانة، لا عندية مكان.

زاد في رواية: «يوم القيامة»[٢]؛ لأنه يوم ظهور الجزاء، وبيان ثواب الأعمال، جالسون **(على منابر)**: جمع (منبر)، وهو المكان المرتفع،

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧/ ١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٠)، والحميدي في «مسنده» (٥٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٨٧).

مشتق من النبر، وكل مرتفع منتبر[1]، ومنه اشتق المنبر؛ كما في «النهاية»[2].

وفي «المطلع»: المنبر بكسر الميم، قال الجوهري: نبرت الشيءَ: إذا رفعته، ومنه سمي المنبر[3].

(من نور)؛ أي: من أجسام نورانية.

قال الإمام النووي: هذا على حقيقته وظاهره[4].

(عن يمين الرحمن) ﷻ، **(وكلتا يديه يمين)**؛ أي: ليس فيما يضاف إليه من صفة اليدين شمال، أتى النبي ﷺ بذلك دفعًا لتوهم أن يقال لما يقابل اليمين من يديه: يسار، بل كل منهما يمين.

قالوا: يا رسول الله! ومن هؤلاء الذين بهذه المنزلة الرفيعة، والدرجة العالية المنيفة؟ قال ﷺ: هم **(الذين يعدلون في حكمهم)**؛ أي: فيما قُلدوا من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، فيعدلون بين الأخصام المترافعين إليهم والمتحاكمين لديهم، ولا يحابون، ولا يجورون، **(و)** الذين يعدلون في **(أهليهم)**؛ أي: في القيام بما يجب عليهم لأهليهم من الأزواج والأولاد والأقارب، **(و)** يعدلون في **(ما)**؛ أي: في الذي **(وَلُوا)** - بفتح الواو وضم اللام المخففة؛ أي: فيما كانت لهم عليه ولاية - بالتخفيف بصيغة المعلوم،

---

(١) في الأصل: «منبر»، والمثبت من «النهاية».

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٦).

(٣) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ١٠٧).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ٢١١).

من الولاية؛ كنظر على وقف، أو يتيم، أو صدقة، ونحوها.

وروي: «وُلُّوا» ـ بضم الواو واللام المشددة مبنيًا للمجهـول ـ ؛ أي: جُعِلوا وَلِيِّين عليه.

(رواه مسلم)، ورواه الإمام أحمد، والنسائي[1].

وفي «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ عن عياض بن حمار ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسِط [متـصدِّق] موفَّـق، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى [و]مسلم، وعفيف متعفِّف ذو عيال»[2].

وروى الترمذي، والطبراني في «الأوسط» ـ وقال الترمـذي: حـديث حسن غريب ـ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم[3] منه مجلسًا، إمامٌ عادل، وأبغـضُ الناس إلى الله تعالى، وأبعدُهم منه مجلسًا، إمامٌ جائر»[4].

ولفظ الطبراني: «أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة إمامٌ جائرٌ».

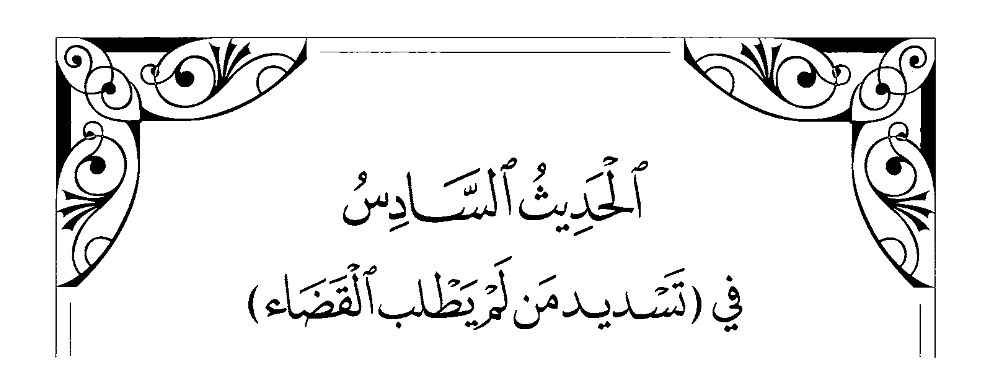
* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٠)، والنسائي (٥٣٧٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥/ ٦٣).

(٣) في الأصل: «وأدناه»، والتصويب من الترمذي.

(٤) رواه الترمذي (١٣٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٥٩٥).



الحَدِيثُ السَّادِسُ
في (تَسْدِيدِ مَن لَمْ يَطْلُبِ القَضَاءَ)

٥٢٢ ـ عَن أَنَسِ بنِ مَالكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَن طَلَبَ الْقَضَاءَ واسْتَعَانَ عَلَيْهِ؛ وُكِلَ إِلَيْهِ، وَمَن لم يَطْلُبْهُ وَلَم يَستَعِنْ عَلَيْهِ؛ أَنزَلَ اللهُ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه، وَهَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «أَنزَلَ اللهُ عَلَيهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ»، وَقَالَ ابْنُ مَاجَه: «نزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَسَدَّدَهُ»[1].

عن أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالك)** ﷺ **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من طلب)**، وفي رواية: «من ابتغى»[2]، **(القضاء)**؛ أي: رجل طلبه **(واستعان عليه)**؛ أي: على توليته وتحصيله.

وفي لفظ: «وسأل فيه»[3]؛ أي: في توليته شفعاء؛ أي: سأل جماعة أن يشفعوا له في توليته.

(وُكِل) بضم الواو وكسر الكاف مبنيًّا للمفعول؛ أي: وكله الله ﷻ

(١) رواه أبو داود (٣٥٧٨)، والترمذي (١٣٢٤)، وابن ماجه (٢٣٠٩).

(٢) هذا لفظ الترمذي.

(٣) هذا لفظ الترمذي.

(إليه)؛ أي: إلى القضاء، أو إلى نفسه.

وفي رواية: «وُكِلَ إلى نفسه»[1]، فلا يسدده الله تعالى، ولا يعينه، بل يكل تدبيره ومصالحه إلى نفسه العاجزة عن جلب نفع إليها، أو دفع ضرر عنها، وترك كلاءه وتدبيره فيما وليه من القضاء بين الناس.

(ومن)؛ أي: وأيُّ رجل **(لم يطلبه)**؛ أي: لم يطلب القضاء، **(ولم يستعن عليه)**؛ أي: على توليته، وفي رواية: «ومن أُكره عليه»[2]، **(أنزل الله ﷻ)** عليه **(ملكًا)** من ملائكته **(يسدده)**؛ أي: يوقع في نفسه إصابة الصواب، ويلهمه إياه، ويوقعه في أحكامه وأقضيته حتى يعمل فيها بالسداد.

قال في «القاموس»: سدَّده تسديدًا: قوَّمه، ووفَّقه للسداد؛ أي: الصواب من القول والعمل، وسدَّ يسِدُّ: صار سديدًا، وسدَّ الثلمة؛ كـ(مدَّ): أصلحها ووثقها، واستدَّ: استقام، وأسدَّ: أصاب السداد وطلبه، والسَّدَد: الاستقامة؛ كالسَّدَاد، وأما سِداد القارورة والثغر، فبالكسر فقط[3].

(رواه أبو داود)، واللفظ له، **(والترمذي)**، ولفظه ما أشرنا إليه، وهو: «مَن ابتغى القضاء، وسأل فيه شفعاء، وكل إلى نفسه، ومن أُكره عليه، أنزل الله عليه ملكًا يسدِّده»، **(وابن ماجه)**.

ولما ذكرنا قال الحافظ المصنف رحمه الله تعالى، ورضي عنه:

---

(١) هذا لفظ الترمذي وابن ماجه.

(٢) هذا لفظ الترمذي.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (مادة: سدد).

(وهذا)؛ أي: المتن المذكور **(لفظُ أبي داود، وقال الترمذي: أنـزل الله عليـه ملكًا يسدِّده)**.

قلت: بل لفظ الحافظ الترمذي ما ذكرناه بحروفه.

(وقال) الحافظ محمد **(بـن ماجـه)** ـ وهـو روايـة للترمـذي ـ: قـال رسول الله ﷺ: «من سأل القضاء، وكل إلى نفسه، ومـن جبـر عليـه»[1]، **(نزل)**، وفي لفظ: «ينزل»[2]، **(إليه)**، وفي لفظ: «عليـه»[3]، **(مَلَـك)**، وفـي رواية: «من السماء»[4]، **(فيسدده)**، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

* * *

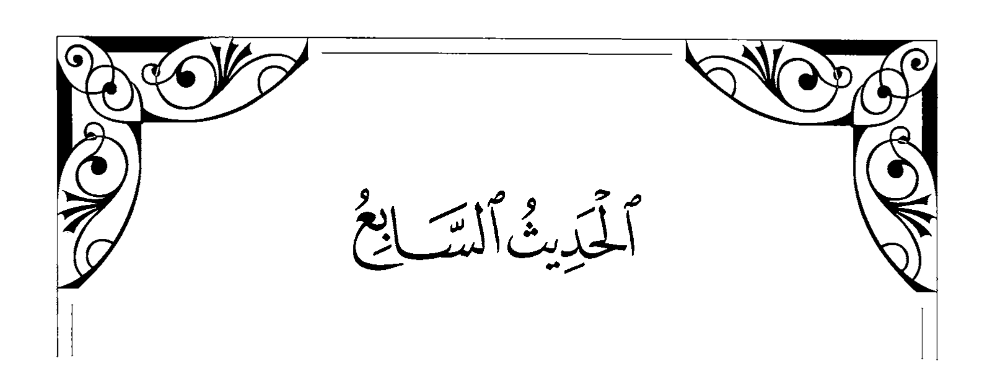
---

(١) رواه الترمذي (١٣٢٣).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) هذا لفظ الترمذي.

(٤) لم نقف عليها.



الحديث السابع

٥٢٣ ـ عَن عَبْدِالله بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُ مَعَ القَاضِي مَا لم يَجُرْ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ، وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[١].

(عن) أبي إبراهيم، ويقال: أبو محمد، **(عبدالله بن أبي أوفى ﷺ)**، واسم (أبي أوفى): علقمةُ بن قيسِ بنِ خالد[٢] بنِ الحارث بن أبي أسيد بنِ رفاعةَ بن ثعلبةَ بنِ هوازنَ بن أسلم الأسلمي، شهد الحديبية وخيبر وما بعد ذلك من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قُبض رسول الله ﷺ، ثم تحول إلى الكوفة، وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين، وقيل: سنة ستٍّ، ورجَّحه النووي[٣]، وقيل: سنة ثمان، وكان قد كُفَّ بصره.

---

(١) رواه الترمذي (١٣٣٠).

(٢) كذا في الأصل، و«الكنى والأسماء» للدولابي (١/ ١٩٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١/ ٣٤)، وعند النووي وغيره: علقمة بن خالد بن الحارث.

(٣) انظر: «المجموع» للنووي (٣/ ٣٣٠).

وروى عنه: الشعبي، وإسماعيل بن خالد، وعمرو بن مرة.

روي له عن رسول الله ﷺ خمسة وسبعون حديثًا، اتفقا على عشرة، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بحديث.

(قال) عبدُالله بنُ أبي أوفى: **(قال رسول الله ﷺ: الله)** ﷻ **(مع القاضي)** بعونه وإرشاده وتوفيقه وهدايته **(ما لم يَجُر)** في حكمه؛ بأن يتعمد الظلم، **(فإذا جار)** في حكمه، وتمادى على ظلمه، **(تخلى)** الله ﷻ **(عنه)**؛ أي: قطع عنه إعانته وتسديده، وتوفيقه وإسعافه؛ لما أحدث من الجور، **(ولزمه الشيطان)** يُغويه ويُضله ليخزيه غدًا ويذلَّه.

(رواه الترمذي وقال: حديث غريب).

ورواه ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، إلا أنه قال: «فإذا جار، تبرأ الله منه»[1].

ورووه كلهم من حديث عمران القطان.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمران القطان.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

قال الحافظ المنذري: عمران بن داود القطان، قال عباس عن يحيى: ليس بشيء، وضعفه أبو داود، والنسائي، وقال ابن عدي: هو ممن يُكتب حديثه، وحدث عنه عفان، ووثقه، ومشاه الإمام أحمد، واحتج به

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٢٦).

ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم[1]. والله تعالى أعلم.

*** تنبيه:**

قد أجمع الناس من المسلمين على نصب القضاة للفصل بين الناس، وهو فرض كفاية؛ كإمامة، فعلى الإمام أن ينصب بكل إقليم قاضيًا، وعليه أن يختار ويتحرى لذلك أفضل من يجد علمًا وورعًا، ويأمره بالتقوى، وتحري العدل، ويأمره أن يستخلف في كل صُقع أفضلَ من يجد لهم.

ويجب على من يصلح للقضاء إذا طُلب ولم يوجد غيره ممن يوثق به، أن يدخل فيه إن لم يشغله عما هو أهمُّ منه، ومع وجود غيره ممن يصلح، الأفضلُ أن لا يجيب، ويُكره له طلبُه إذًا.

ويحرم بذلُ مال فيه وأخذُه، وتصح توليةُ مفضولٍ مع وجود أفضلَ منه، وتوليةُ حريصٍ عليها، وولايته رتبة دينية، ونصبة شرعية، وفيه فضل لمن قويَ على القيام به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ: والواجب اتخاذُها دينًا وقُربة؛ فإنها من أفضل القُربات، وإنما فسد حالُ الأكثر لطلب الرئاسة والمال بها. انتهى[2].

وفي تولية القضاء خطر عظيم، ووزر كبير لمن لم يُؤَدِّ الحق به، فمن عرف الحق ولم يقض به، أو قضى على جهل، فهو في النار، ومن عرف الحق وقضى به، فهو في الجنة.

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٧٦ ـ مصطفى البابي الحلبي).

(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٤/ ٦٢٤).

وكان من طريقة السلف الصالح الامتناعُ عن الدخول فيه، والحرج من توليه؛ لما فيه من الحرج.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي القضاء، أو جُعل قاضيًا بين الناس، فقد ذُبح بغير سكين». رواه أبو داود، والترمذي، واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب[1].

ورواه ابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[2].

قال الحافظ المنذري: ومعنى قوله: (ذبح بغير سكين): أن الذبح بالسكين يحصل به إراحةُ الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذبحت بغير سكين، كان فيه تعذيب لها.

وقيل: إن الذبح لما كان في ظاهر العرف وغالب العادة بالسكين، عدلَ ﷺ عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك؛ ليعلم أن مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه دون هلاك بدنه؛ كما ذكره الخطابي[3]. والله أعلم.

وروى الطبراني بسند رواته ثقات من حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدَّس أمةٌ لا يُقضى فيها بالحقِّ، ويأخذُ الضعيفُ حقَّه من القوي غير متعتع»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٧١)، والترمذي (١٣٢٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٣٠٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠١٨).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ١١١).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٨٥).

ورواه البزار بنحوه من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ مختصرًا[1]، والطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد جيد[2].

ورواه ابن ماجه مطولًا من حديث أبي سعيد ﵁[3].

وروى أبو داود من حديث أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدلُه جورَه، فله الجنة، وإن غلب جورُه عدلَه، فله النار»[4].

وقد أشرنا إلى حديث أبي موسى الأشعري ﵁ عن النبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة: رجل قضى بغير الحق يعلم[5] بذلك، فذلك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس، فهو في النار، وقاض قضى بالحق، فذلك في الجنة». رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وقال: حسن غريب[6].

وروى الإمام مالك عن سعيدِ بنِ المسيبِ: أنَّ مسلمًا ويهوديًّا اختصما إلى عمر ﵁ فرأى الحقَّ لليهودي، فقضى له عمر به، فقال له اليهودي:

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٨/ ٢١٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣٤)، و«المعجم الأوسط» (٤٩٤٩).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤٢٦).

(٤) رواه أبو داود (٣٥٧٥).

(٥) كذا في الأصل، واللفظ للترمذي، وفيه: «فعلم» بدل: «يعلم».

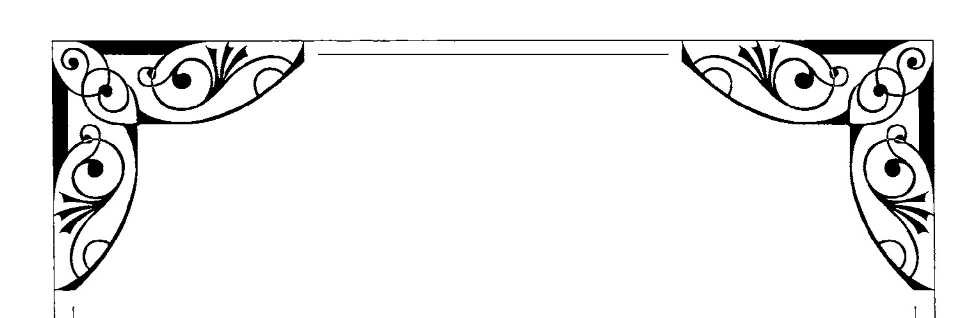
(٦) رواه أبو داود (٣٥٧٣)، وابن ماجه (٢٣١٥)، والترمذي (١٣٢٢)، من حديث بريدة ﵁.

والله! لقد قضيتَ بالحق، فضربه عمر بالدرَّة وقال: وما يدريك؟ فقال اليهودي: والله! إنا نجد في التوراة: ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك، وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق، فإذا ترك الحق، عرجا وتركاه[1].

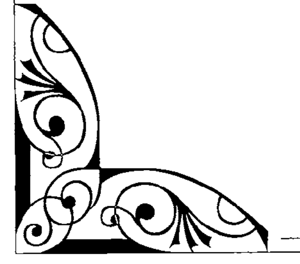
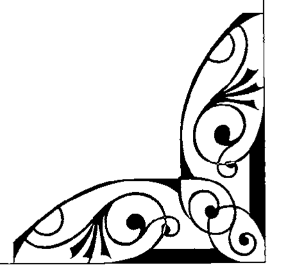
وفي الباب أحاديث كثيرة جدًّا. والله أعلم.

❐❐❐

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٧١٩).



كتاب فضائل القرآن العظيم



كتاب فضائل القرآن العظيم

والذكر الحكيم، والمعجزة الظاهرة، والآية الباهرة، الذي تحيرت العقول عند سماعه، وتفطرت الألباب من حسن أسلوبه وانسجام إبداعه، حتى إن المشركين من العرب ـ مع كونهم أهل الفصاحة واللسن ـ تحيروا وأدهشهم أسلوبه، ونودي عليهم بالعجز عن مماثلته بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[البقرة: ٢٣]، وهم مصاقيع الكلام، وبلغاء النظر والنظام، فعدلوا عن مصاقعة اللسان إلى مقارعة السنان، وقد قال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فأخبر سبحانه جميع خلقه بأن هذا القرآن معجز لهم، وأنهم لو اجتمعوا كلهم لا يأتون بمثله ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كل من سمع القرآن، وعرفه الخاص والعام، وعُلِمَ ـ مع ذلك ـ أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله.

ومن حين بُعث النبي ﷺ وإلى الآن الأمرُ كذلك، مع العلم[1] من أن

(١) في الأصل: «اعلم»، ولعل الصواب المثبت.

الخلق كلهم كانوا كفارًا قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه في أول بعثته القليلُ ممن أسلم من أصحابه الأُول، وكان الكفار من أحرص الناس على إبطال قوله، مجتهدين بكل طريق يمكن على إطفاء نور ما جاء به، تارة يذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور من الغيب حتى يسألوه عنها؛ كما سألوه عن قصة يوسف، وأهل الكهف، وذي القرنين، ويجتمعون في مجمع بعد مجمع على ما يقولونه فيه.

فإذا كان ﷺ قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد أخرى، وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها، لفعلوها؛ فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول لسائر الناس في سائر الأرض.

فهذا يوجب علمًا بيِّنًا لكل أحد بعجزِ جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي تكرر جنسها؛ كإحياء الموتى؛ فإن هذا لم يأت أحد بنظيره، فإقدامه ﷺ في أول الأمر على هذا التحدي ـ وهو بمكة، وأتباعُه قليلٌ ـ على أن يقول خبرًا يقطع به أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله في ذلك العصر، وفي سائر الأعصار المتأخرة = لا يكون إلا مع جزمه بذلك، وتيقنه له، وإلا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبُه، فيفتضح، فيرجع الناس عن تصديقه، وإذا كان جازمًا بذلك، متيقنًا له، لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله تعالى له بذلك.

وليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان أن جميع الخلق لا يقدرون

أن يأتوا بمثل كلامه إلا إذا علم العالم أن ذلك خارج عن قدرة البشر، والعلمُ بهذا يستلزم كونَه معجزًا.

واعلم أن القرآن العظيم يتفاوت إعجازه، ويتفاضل ثوابه؛ فإن الفرق يظهر بين آية الكرسي وآية الدَّيْن، وبين سورة الإخلاص وسورة ﴿تَبَّتْ﴾؛ فقد قال رسولُ الله ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن العظيم، وهو ﷺ أعلمُ بجمله وتفاصيله، وبفضله وتفضيله: «﴿يسٓ﴾ قلبُ القرآن»[1]، وفاتحة الكتاب أفضلُ سورة في القرآن[2]، وآية الكرسي أعظمُ آية في القرآن[3]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن[4]؛ كما يأتي ذلك والكلام عليه إن ـ شاء الله تعالى ـ، وإن ذهب أبو الحسن الأشعري، والقاضي الباقلاني إلى المنع، ويروى مثلُ هذا القول عن الإمام مالك. والله أعلم.

واعلم أنَّا إنما ذكرنا هذا التمهيد؛ لتعلم عظم قدر القرآن المجيد، وأنه الآية العظمى، وهو متضمن لنبوة نبينا المصطفى وشريعته، وهو أعلم معجزاته، ففي شريعته معجزته، وفي معجزته شريعته، وهذا بديع جدًّا. وبالله التوفيق.

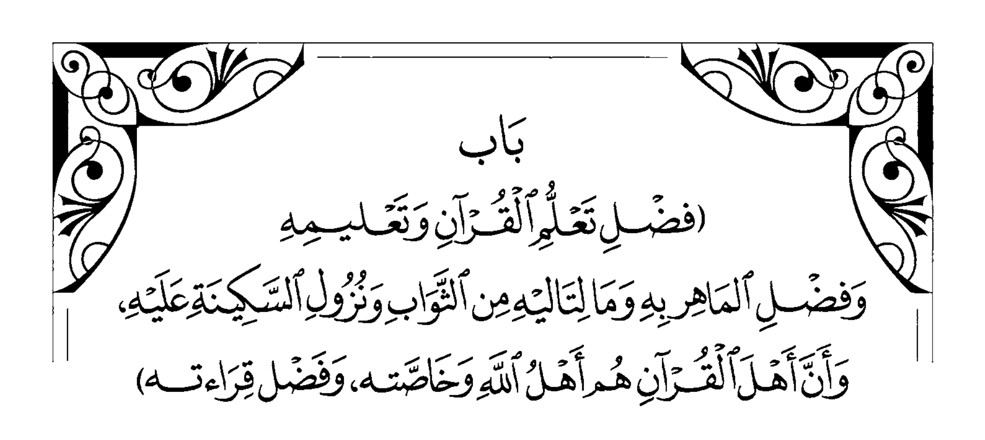
❐❐❐

(١) انظر الحديث (٥٥٢).

(٢) انظر الحديث (٥٤١).

(٣) انظر الحديث (٥٤٥).

(٤) انظر الحديث (٥٦٣ ـ ٥٦٦).



وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الباب سبعة عشر حديثاً:

الحديث الأول

٥٢٤ ـ عَن عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١].

(عن) أمير المؤمنين **(عثمانَ بنِ عفانَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: خَيْرُكم)**؛ أي: معشرَ المخاطَبين من الصحابة فمَنْ بعدَهم (مَـن)؛ أي: أيُّ شخص من ذكر وأنثى **(تعلَّم القرآنَ)** العظيم، **(وعلَّمـه)**، هكـذا فـي أكثـر الروايات بالواو، وكذا وقع عند الإمام أحمد عن بهز، وعنـد أبـي داود[٢]، وللسرخسي من رواة «صحيح البخاري»: «أو علَّمه»، وهي للتنويع لا للـشك،

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٥٨)، وأبو داود (١٤٥٢).

وكذا رواه الإمام أحمد عن غندر، وزاد في أوله: (إن)[1]؛ أي: إن خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ورواية الواو أظهر من رواية (أو)؛ لأن التي بـأو تقتضي إثبات الخيرية المذكورة لمن فعل أحدَ الأمرين، فيلزم أن من تعلَّم القرآن، ولو لم يعلِّمه غيرَه أن يكون خيرًا ممن عمل بما فيه مثلًا، ولم يتعلمه.

لا يقال: يلزم على رواية الواو ـ أيضًا ـ أن من تعلَّمه وعلَّمه غيره أن يكون أفضل ممن عمل بما فيه من غير أن يتعلمه[2]، ولم يعلمه غيره؛ لأنا نقول: يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلِّم غيره يحصل له النفعُ المتعدي؛ بخلاف من يعمل فقط، بل من أشرف العمل تعليمُ الغير، فمعلمُ غيره يستلزم أن يكون تعلَّمه، وتعليمُه لغيره عملٌ وتحصيلُ نفعٍ مُتَعَدٍّ.

لا يقال: لو كان المعنى حصولَ النفع المتعدي؛ لاشترك كل من علم غيره علمًا نافعًا في ذلك؛ لأنا نقول: القرآن أشرف العلوم، فيكون مَنْ تعلَّمه وعلَّمه لغيره أشرفَ ممن تعلم غير القرآن وإن علَّمه، فيثبت المدَّعى.

ولا شك أن الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مكملٌ لنفسه ولغيره، جامعٌ بين النفع القاصر والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضلَ، وهو من جملة من عنى الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، والدعاء إلى الله يقع بأمور من جملتها القرآن، وهو أشرفُ الجميع، وعكسه الكافرُ المانع لغيره من الإسلام؛ كما

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٥٨).

(٢) في الأصل: «يستعمله»، والتصويب من «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٧٦).

قال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾[الأنعام: ١٥٧].

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون المقرئ أفضلَ من الفقيه.

قلنا: لا؛ لأن المخاطَبين بذلك كانوا فقهاء النفوس؛ لأنهم أهلُ اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثرَ مما يدريها مَن بعدَهم بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية، فمن كان في مثل شأنهم، شاركهم في ذلك، لا من كان قارئًا أو مقرئًا محضًا لا يفهم شيئًا من معاني ما يقرؤه أو يُقْرِئه.

وفي «مفتاح دار السعادة» للمحقق ابن القيم ما نصُّه: تعلُّمُ القرآن وتعليمُه يتناول: تعلُّم حروفه وتعليمها، وتعلُّم معانيه وتعليمها، وهو أشرف قسمي علمه وتعليمه؛ فإن المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، وتعلُّم المعنى وتعليمه تعلُّم الغاية وتعليمها، وتعلُّم اللفظ المجرد وتعليمه تعلُّم الوسائل وتعليمها، وبينهما كما بين الغايات والوسائل. انتهى[(١)].

فإن قيل: فيلزم أن يكون المقرئ أفضلَ ممن هو أعظمُ غَناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلًا.

قلنا: حرف المسألة يدور على النفع المتعدي، فمن كان حصوله عنده أكثر، كان أفضل، فلعلَّ مَن مضمرة في الخبر، ولا بد ـ مع ذلك ـ من مراعاة الإخلاص في كل صنف منهم.

ويحتمل أن تكون الخيرية وإن أطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٤).

خوطبوا بذلك كان اللائق بحالهم ذلك.

أو المراد: خير المتعلمين من يعلِّم غيره، لا من يقتصر على نفسه، أو المراد: مراعاة الحيثية؛ لأنه خير الكلام، فمتعلمه خيرٌ من متعلمِ غيرِه بالنسبة إلى خيرية القرآن.

وكيفما كان فهو مخصوص بمن عَلم وتعلم؛ حيث يكون قد علم ما يجب عليه عيناً.

(رواه البخاري)، وعزاه الحافظ المنذري في «ترغيبه» للبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم[1].

ورواه الإمام أحمد، وغيره[2].

قلت: وفي عزوه لمسلم نظر؛ فإنه لم يخرج حديث عثمان المذكور؛ كما نبه في «الفتح» وغيره[3]، وعزاه في «جامع الأصول» للبخاري، وأبي داود، والترمذي[4]، وزاد فيه الترمذي: قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.

وعلَّم القرآن في زمن عثمان ﷺ حتى بلغ الحجاجُ بن يوسف[5].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٤٢ ـ ت عمارة)، والحديث رواه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٨٢)، وابن ماجه (٢١١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٧٥).

(٤) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٢/ ٤٥٢).

(٥) أي: حتى ولي الحجاج على العراق؛ كما في «فتح الباري» لابن حجر =

وفي رواية للترمذي: «خيركم - أو أفضلكم - من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[1].

قال الحافظ ابن حجر: بين [أول] خلافة عثمان وآخر ولاية الحجاج اثنتان وسبعون سنة إلا ثلاثة أشهر، وبين آخر خلافة عثمان وأول ولاية الحجاج العراق ثمان وثلاثون سنة.

قال: ولم أقف على تعيين ابتداء إقراء أبي عبد الرحمن وآخره، والله أعلم بمقدار ذلك.

قال: ويعرف من الذي ذكرته أقصى المدة وأدناها، والله أعلم، انتهى[2].

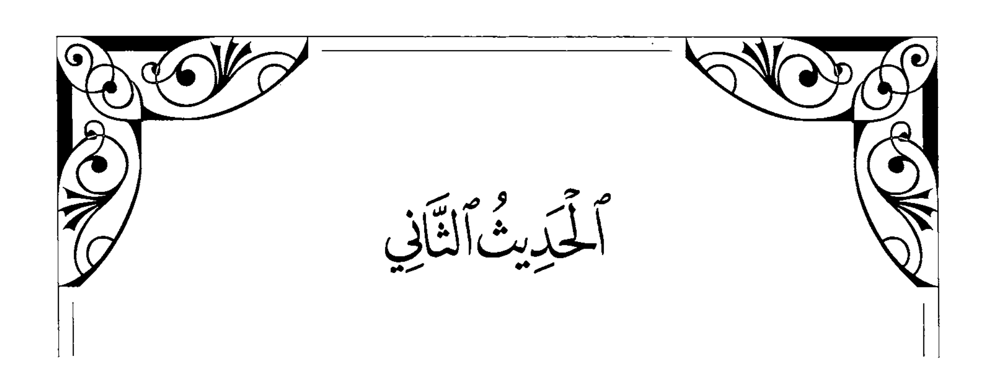
ووقع في بعض نسخ البخاري قصة أبي عبد الرحمن السلمي وإقرائه. والله أعلم.

* * *

= (٩/ ٧٦). وانظر: «سنن الترمذي» (٥/ ١٧٣).

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٧٦).



الحديث الثاني

٥٢٥ ـ عَن عَليٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1].

(عن) أمير المؤمنين (**عليِّ بنِ أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: خيركم**) معشرَ المخاطبين من الصحابة المكرمين رضوان الله عليهم أجمعين (**مَنْ تعلَّم القرآنَ**) العظيمَ، والذكرَ الحكيم، (**وعلَّمه**) لغيره.

ووجهُهُ مع أن الجهاد وكثيرًا من الأعمال أفضل: أن الخيرية بحسب المقامات، فاللائق بأهل ذلك المجلس التحريضُ على التعلم والتعليم، أو أن المراد: خير المتعلِّمين المعلِّمين من كان تعلمه وتعليمه في القرآن لا غيره؛ إذ خيرُ الكلام كلام الله تعالى، فلذلك خيرُ الناس بعد النبيين مَن اشتغل به؛ كما أشرنا إليه في الذي قبله.

(**رواه الترمذي**)، وقال فيه وفي حديث عثمانَ قبلَه: هذا حديث حسن صحيح.

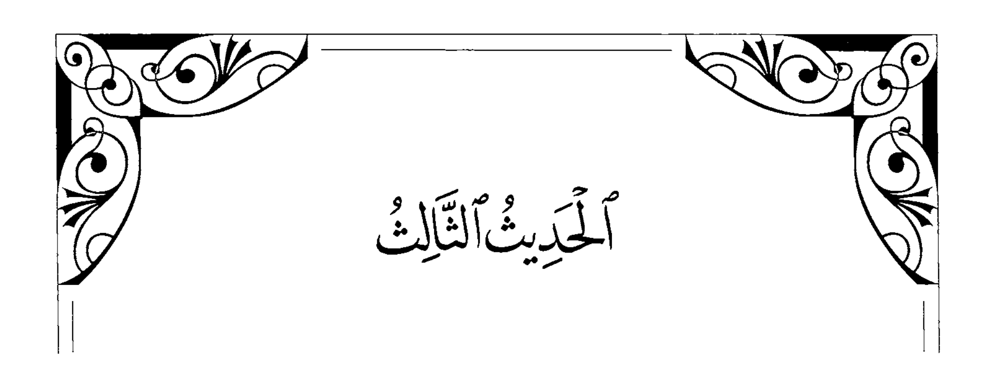
---

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٩).

ورواه الإمام أحمد، وغيره[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٥٣).



الحديث الثالث

٥٢٦ ـ عَن عُقبةَ بنِ عَـامرٍ ﷺ قَـالَ: خـرَجَ إِلَيْنَـا رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَنحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فقَالَ: «أَيُّكُم يُحِبُّ أَن يَغْدُوَ كلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطحَـانَ أَوِ العَقِيـقِ، فَيأْتِـيَ بناقتَين كَوْمَاوينِ فِي غيـرِ إِثْـمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» قُلْنَـا: يَا رَسُولَ اللهِ! كُلُّنا يُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلاَ يَغْدُو إِلَى الْمَـسْجِدِ فَيـتَعلَّمَ فِيهِ أَو يقرأَ آيتَيْنِ من كتابِ اللهِ خيرٌ من ناقتَينِ، وَثَلاَثٌ خيرٌ من ثَلاَثٍ، وَأَرْبعٌ خيرٌ لهُ من أَرْبعٍ، وَمن أعدادهنَّ من الإِبـِلِ». رَوَاهُ مُسلم[1].

(عن) أبي حماد، أو أبي عامر **(عقبة بنِ عـامر)** الجهنـيِّ ﷺ **(قـال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحنُ في الصُّفَّة)**، جملة (ونحن في الـصفة) مـن المبتدأ والخبر جملة حالية، والواو واو الحـال، **(فقـال)** ﷺ لنـا: **(أيكـم)** معشرَ المخاطبين من أصحابي فمَنْ بعدكم من سائر أمتي المسلمين **(يحبُّ)** ويطلبُ **(أن يغدو)**؛ أي: يذهب غدوةً **(كلَّ يوم)** من أيام حياته، والغدوةُ: المرة من الغدوِّ، وهو سيرُ أولِ النهار، نقيضُ الرواح.

وقـد غـدا يغـدو غـدوًّا، والغـدوة بالـضم: مـا بـين صـلاة الغـداة

---

(١) رواه مسلم (٨٠٣/ ٢٥١).

وطلـوع الشمـس.

وفي «القاموس»: الغدوة بالضم: البُكر[ة]، أو ما بين صـلاة الفجـر وطلوع الشمس؛ كالغَداة والغَدِيَّـة، والجمـع غَـدَوات وغَـدِيَّات وغَـدايا، وغُدُوٌّ[1]، أو لا يقال: غدايا إلا مع عشايا، وغدا عليه غُدُوًّا بالضم، وغـاداه: باكره[2].

(إلى بُطحانَ والعقيقِ) قال في «المطالع»: بطحان بـضم البـاء يرويـه المحدثون، وحكى أهل اللغة فيه بطحان بفتحها وكسر الطاء، وكذلك قيَّده أبو علي في «بارعه»، وأبو حاتم البكري.

قال البكري: لا يجوز غيره، وهو موضع واد بالمدينة[3].

وفي «القاموس»: بطحان بالضم، أو الصواب الفـتح وكـسر الطـاء: موضع بالمدينة، وبالتحريك: موضع في ديار تميم[4].

والمراد بالحديث الأول.

والعقيق: موضع بالمدينة ـ أيضًا ـ في «القاموس» وغيره، وباليمامة، وبالطائف، وبتهامة، وبنجد، وستة مواضع أخر.

وأصله: كل مسيل شقه ماء السيل، وضبطُه كـ (أمير)، وهو ـ أيضًا ـ اسم لخرز [أحمر] يكون باليمن وسواحل بحر روميـة، [منـه] جـنسٌ كـدرٌ

---

(١) في الأصل: «غداو»، والتصويب من «القاموس».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غدو).

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (١/ ٥٨٥).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: بطح).

كماءٍ يجري من اللحم المُمَلَّح، وفيه خطوطٌ بيضٌ[1] خفيَّةٌ، مَن تختَّم به، سكنت رَوعتُهُ عند الخصام، وانقطع عنه الدم من أي موضع كان، ونُحَاتَةُ جميع أصنافه؛ تُذهِبُ حفر الأسنان، ومحروقُهُ يُثَبِّتُ متحرِّكها[2].

الواحدة بهاء، والجمع (عقائق)، وجمع الوادي منه (أعقَّة)[3].

وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: «يغدو إلى بطحان، أو إلى العقيق»[4]، وفي لفظ: «والعقيق»[5].

قال في «النهاية»: العقيقُ وادٍ من أودية المدينة مسيل للماء، وهو الذي ورد ذكره في الحديث أنه وادٍ مبارك[6]، وفي حديث آخر أن العقيق ميقات أهل العراق[7].

قال: وهو موضع قريب من ذات عِرْقٍ قبلها بمرحلة أو مرحلتين.

---

(١) في الأصل: «تشفف»، والمثبت من «القاموس».

(٢) [ينظر في صحة ذلك من حيث الواقع والطب]. [اللجنة العلمية].

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عقق).

(٤) رواه أبو داود (١٤٥٦).

(٥) رواه أبو نعيم في «المسند المستخرج على صحيح مسلم» (١٨٢٤).

(٦) رواه البخاري (١٥٣٤) من حديث عمر ﷺ.

(٧) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢١) من حديث أنس ﷺ، وفيه أبو ظلال هلال بن يزيد. قال العراقي في «طرح التثريب» (٥/ ١٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١٦): وثقه ابن حبان وضعفه جمهور الأئمة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

قال: وفي بلاد العرب مواضعُ كثيرة تسمى العقيق، وكل موضع شقَّه السيل من الأرض فهو عقيق، والجمع: أعقة وعقائق. انتهى[1].

(**فيأتي**) مع قرب سيره، وسرعة رواحه من غدوه (**بناقتين كَوْمَاوين**): تثنية (كَوْمَاء)، بفتح الكاف وسكون الواو وبالمد هي: الناقة العظيمة السنام، يحصل له ذلك (**في غير إثم**) يكتسبه، (**ولا قطيعة رحم**)؛ بأن ينتهب أقاربه أو أولياءه ونحوهم، بل هو سالم من ذلك كله.

(**قلنا: يا رسول الله! كلنا**)؛ أي: كل واحد منا (**يحب ذلك**)؛ لأنه نفع بلا مشقة ولا إثم ولا عقاب، (**قال**) ﷺ: (**أفلا يغدو**) أحدكم (**إلى المسجد، فيتعلم فيه**)؛ أي: المسجد، وأكثرُ الروايات ساقط منها لفظة: (فيه)، (**أو**) قال بدل (يتعلم): (**فيقرأ آيتين من كتاب الله**) ﷻ فهو (**خير له من ناقتين، و**) يتعلم أو يقرأ (**ثلاث**) آيات (**خير من ثلاثٍ**) من النياق، (**وأربع**) آيات (**خير له**) وأنفعُ وأعوَدُ عليه (**من أربع**) من النياق، (**و**) كلما ازداد من الآيات خيرٌ له (**من أعدادهن من الإبل**)؛ لأن ثواب الآيات باقٍ متصل، وما يحصل بقراءتهن من الثواب في دار النعيم دائمٌ مستمر، لا يفنى ولا يبيد على ممر الأزمنة والأحقاب؛ بخلاف الإبل من النياق فإنها تزول، ويذهب النفع بها بلا شقاق.

(**رواه مسلم**) في «صحيحه».

ورواه أبو داود في «سننه»، وعنده: «كوماوَيْن زَهْرَاوين بغير إثم بالله ﷻ، ولا قطيعة رحم»، قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: «فلأن يغدو أحدكم كل

---

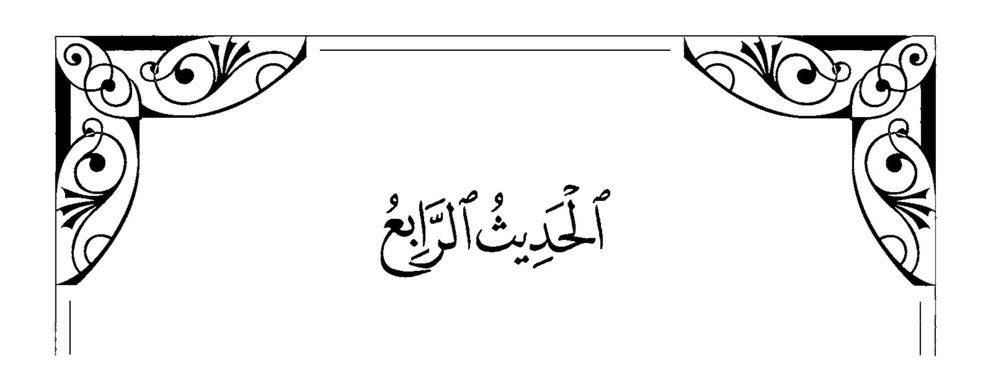
(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٧٨).

يوم إلى المسجد، فيتعلَّم آيتين من كتاب الله، خيرٌ له من ناقتين، وإن ثلاث فثلاث مثل أعدادهن [من الإبل]»[1].

قوله: (زهراوين) بفتح الزاي وسكون الهاء: تثنية (زهراء): البيـضاء المشرقة ذات النضارة والبهجة والحسن.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٤٥٦).



٥٢٧ ـ عَن أَبِـي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَـا ذَرٍّ! لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِن كتابِ اللهِ خيرٌ لَكَ من أَنْ تُـصَلِّيَ مئـةَ ركْعَـةٍ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(**عن أبي ذر**) جُنْدُب ـ بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها، فموحدة ـ ابن جنادةَ بضم الجيم وتخفيف النون؛ كما تقدم في ترجمته في (فضل صلاة الضحى).

(ﷺ **قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: يا أبا ذر!**) أتى ﷺ بـ (يا) التي هي لنداء البعيد غالبًا لقصد التنبيه وإحضار باله وفكره، أو لبعد شأو المحدث عنه، (**لأَنْ تغدو**)؛ أي: تذهب غدوة النهار؛ أي: بُكرته، (**فتعلَّم**) بفتح التاء الفوقية على حذف إحدى التاءين ـ والأصل: (فتتعلَّم) ـ والعين المهملة وتشديد اللام، ويجوز ضم التاء مبنيًّا للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على أبي ذر، و(آية) بالنصب مفعولٌ ثانٍ (**من كتاب الله**) ﷻ (**خيرٌ لك من أن تصلي مئة ركعة**).

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٩).

(رواه ابن ماجه)، وتمامه: «ولأن تغدوَ فتعلَّمَ بابًا من العلم، عُمل به أو لم يُعمل به، خيرٌ من أن تصلي ألف ركعة».

قال الحافظ المنذري: وإسنادُه حسن[1].

وفي «مفتاح دار السعادة»: عن أبي هريرة وأبي ذر ﵄: أنهما قالا: باب من العلم نعلمه، عمل به أو لم يعمل، أحبُّ إلينا من مئة ركعة تطوعًا، وقالا: سمعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو على هذه الحال؛ مات شهيدًا»[2].

ورواه ابن أبي داود عن شاذان، عن حجاج، به[3].

قال المحقق ابن القيم: وشاهدُه ما مرَّ من حديث الترمذي عن أنس ﵁ يرفعه: «من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع»[4].

وروى الخطيب عن أبي هريرة ﵁: أنه قال: لأَنْ أعلمَ بابًا من العلم في أمر أو نهي، أحبُّ إليَّ من سبعين غزوةً في سبيل الله[5].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٤).

(٢) رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٨٠)، والبزار في «مسنده» (٨٥٧٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٥).

(٣) لم نقف عليه عند ابن أبي داود، ورواه من طريقه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٣٦٧).

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ١١٨)، والحديث رواه الترمذي (٢٦٤٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٥) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٢).

قال في «مفتاح دار السعادة»: وهذا إن صحَّ فمعناه: أحبُّ إليَّ من سبعين غزوة في سبيل [الله] بلا علم؛ لأن العمل بلا علم فساده أكثر من صلاحه.

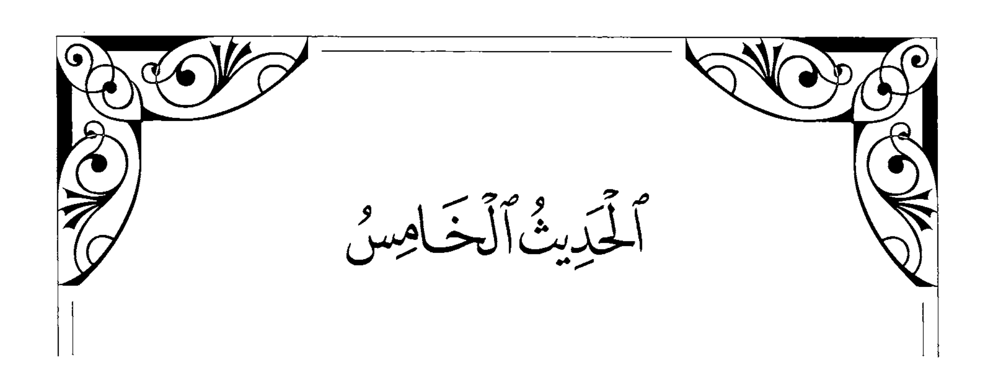
أو يريد علمًا يتعلمه ويعلمه، فيكون له أجر من عمل به إلى يوم القيامة، وهذا لا يحصل في الغزو المجرد.

وروى أبو حاتم بنُ حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من دخل مسجدنا هذا ليتعلَّم خيرًا أو ليعلِّمه؛ كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك؛ كان كالناظر إلى ما ليس له»[1]، ويأتي هذا في (كتاب العلم) إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ١١٨، ١٢٣)، والحديث رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٧).



الحديث الخامس

٥٢٨ ـ عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ يَتَتَعْتَعُ لَهُ أَجْرَانِ». أَخرَجَهُ مُسلِمٌ بِمَعْنَاهُ[1].

عن أم المؤمنين (**عائشة**) الصدِّيقة (﵂ **قالت: قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن**)؛ أي: الحاذق بالقراءة، وقد مَهَر يمهَر مهارةً: حَذِق.

قال في «القاموس»: الماهر: الحاذق بكلِّ عمل، والسابح المجِدُّ، والجمع (مَهَرة)، وقد مَهَر الشيءَ وفيه وبه؛ كـ (منع)، مَهْرًا ومهورًا، ومَهارًا ومَهارة. انتهى[2].

(**مع السَّفَرة**)؛ أي الملائكة (**الكرام البررة**): قال ابن عباس ومجاهد: السفرة: الكَتَبة[3].

---

(١) رواه مسلم (٧٩٨/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مهر).

(٣) روى قول ابن عباس ﵄ البخاري في «صحيحه» في التفسير، سورة عبس، تعليقًا.

وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم (سافر)، يقال: سفرت؛ أي: كتبت، ومنه قيل للكتاب: سفر، وجمعه (أسفار).

وقال آخرون: (السفرة): الرسل من الملائكة، واحدهم (سفير)، وهو الرسول، وسفير القوم: الذي يسعى بينهم للصلح، وسفرت بين القوم: إذا أصلحت بينهم؛ أي: مع الملائكة الكرام على الله.

(البررة): جمع (بارٍّ)؛ أي: المطيعين لله ﷻ.

قال ابن التين: كأنه ـ أي: الماهر بالقرآن، الحافظ له ـ مع السفرة فيما يستحقه من الثواب.

(والذي يقرؤه)، وفي لفظ: «والذي يقرأ القرآن»[1]، **(وهو عليه شاقٌّ يتتعتع فيه)**؛ أي في القرآن؛ أي: يتردد في تلاوته عيًّا، والتعتعة في الكلام: العيُّ والتردد، وأصلها الحركة؛ كما في «المطالع»[2].

وفي «القاموس»: والتَّعْتَعُ: الفافاءُ، ووقعوا في تعاتعَ؛ أي: أراجيف [وتخليط]، وتَعْتَعَهُ: تَلْتَلَهُ[3]، وفي الكلام: تردَّد من حَصَرٍ أو عِيٍّ كـ (تَتَعتَع). انتهى[4].

وفي لفظ: «والذي يقرأ القرآن، ويتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ»[5]، **(له**

---

(١) رواه مسلم (٧٩٨/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٢٦).

(٣) في الأصل: «ثلثله»، والتصويب من «القاموس».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: تعع).

(٥) رواه مسلم (٧٩٨/ ٢٤٤). وفيه: «يتتعتع» بدل: «يتعتع».

أجران)، وفي رواية: «وهو عليه شديد»[1] بدل: «شاقٌّ».

قال ابن التين: اختلف هل له ضعفُ أجر الذي يقرأ حافظًا، أو يضاعَف له أجره، وأجر الأول أعظم؟ قال: وهذا أظهر، ولمن رجح الأول أن يقول: الأجر على قدر المشقة.

قال الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ: **(أخرجه مسلم بمعناه)**.

قلت: بل رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم[2].

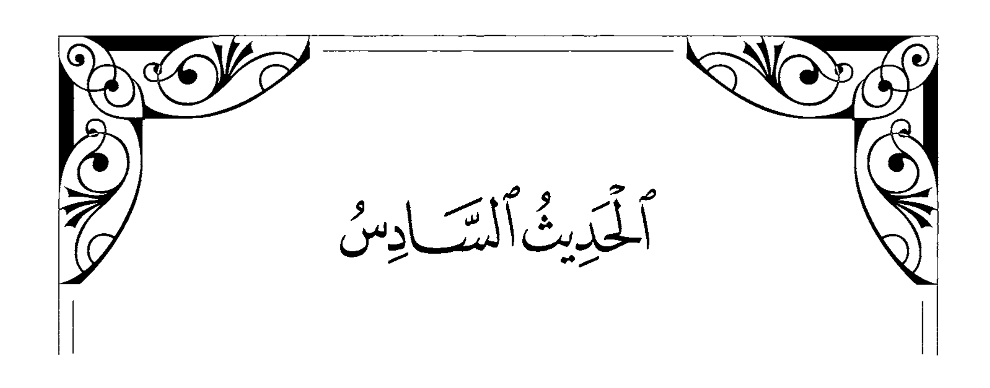
وفي رواية أبي داود، والترمذي: «الذي يقرأ القرآن، وهو ماهر به»، وليس فيه لفظة (يتعتع)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال أبو داود: «وهو يشتد عليه».

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٧).

(٢) رواه أبو داود (١٤٥٤)، والترمذي (٢٩٠٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٩٢)، وابن ماجه (٣٧٧٩).



الحديث السادس

٥٢٩ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قومٌ فِي بَيتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ يَتلُونَ كتابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَينَهُم، إِلَّا نَزلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». أَخرجَهُ مُسلِمٌ[١].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله) ﷻ.

قال الإمام النووي: فيه دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المساجد؛ يعني: جماعة.

قال: وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وخالف مالك، وتأوله بعض أصحابه[٢].

وكره علماؤنا قراءة الإدارة، وهي: أن يقرأ قارئ ثم يقطع، ثم يقرأ قارئ غيره.

وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ روَّح الله روحه ـ عن أكثر العلماء: أنها

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩/ ٣٨).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٢١).

حسنة كالقراءة مجتمعين بصوت واحد[1].

قال في «الفروع»: وكره أصحابنا قراءة الإدارة، وقال حرب: حسنة.

قال: وحكاه شيخنا ـ يعني: شيخ الإسلام ـ عن أكثر العلماء، وأن للمالكية وجهين؛ كالقراءة مجتمعين بصوت واحد، وجعلها شيخنا ـ أيضًا ـ [كـ]ـقراءة الإدارة، وذكر الوجهين في كراهتها، قال: وكرهها مالك[2].

قال في «الفروع»: ولو اجتمع القوم لقراءة ودعاءٍ وذكْرٍ، فعن الإمام أحمد: أيُّ شيء أحسن من هذا؟ كما قالت الأنصار[3]، وفاقًا للشافعي، وعنه: لا بأس به، وعنه: محدَث.

ونقل ابن منصور عن الإمام أحمد: ما أكرهه إذا لم يجتمعوا على عمد، إلا أن يكثروا.

وقال ابن منصور: يعني: يتخذوه عادة، وكرهه مالك[4].

واحتج الجمهور على عدم الكراهة بهذا الحديث.

---

(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» لشيخ الإسلام (٤/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٩٥).

(٣) وهذا إشارة إلى ما رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥١٤٤) عن ابن سيرين قال: جَمَّع أهلُ المدينة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ، وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذين سمّوها الجمعة، فقالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى أيضًا مثل ذلك، فهلم فلنجعل يومًا نجتمع ونذكر الله ونصلي ونشكره فيه ـ أو كما قالوا ـ، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة، فصلى بهم يومئذ وذكَّرَهم، فسمّوه الجمعة.

(٤) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٩٥).

(**يتلون**)؛ أي: يقرؤون (**كتاب الله**) ﷻ، (**ويتدارسونه بينهم**).

قال في «النهاية»: تدارسوا القرآن؛ أي: اقرؤوه وتعهدوه لئلا تنسوه، يقال: درس يدرس درسًا ودراسة، وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد للشيء[1].

وقوله: (بينهم)؛ أي: يشتركون في قراءة بعضهم على بعض، وأصلُ موضوع (تدارسَ) تفاعل للمشاركة.

(**إلا نزلت عليهم السكينة**) بالسين المهملة وزن (عظيمة)، المراد بها هنا الرحمة، وقيل: الطمأنينة والوقار.

قال النووي: هذا أحسن[2].

وحكى ابنُ قرقول[3] والصغاني فيها كسرَ أولها والتشديد؛ بلفظِ مرادفِ المدية، وسبقه إلى ذلك الحربي، وحكاه عن بعض أهل اللغة.

وقد تكرر لفظ السكينة في القرآن والحديث، فروى الطبري وغيره عن علي رضي الله عنه قال: السكينة ريح هفافة، لها وجه كوجه الإنسان[4]، وقيل: لها رأسان.

وعن مجاهد: لها رأس كرأس الهر[5].

وعن الربيع بن أنس: لعينيها شعاع[6].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٢١).

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٥/ ٤٩١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١١).

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) أورده ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٥٨).

وعن السدي: السكينة طِست من ذهب من الجنة يغسل فيها قلوب الأنبياء[1].

وعن أبي مالك قال: هي التي ألقي فيها الألواح والتوراة والعصا[2].

وعن وهب بن منبه: هي روح من الله[3].

وقيل: سكون القلب، وهذا اختيار الطبري[4].

وقيل: الملائكة.

قال في «الفتح»: والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به، واللائق بالحديث المذكور هنا ما ذكرناه عن النووي.

وقال النووي ـ أيضًا ـ: المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة[5].

ومن ثم قال: **(وغشيتهم الرحمة)**؛ أي: علتهم وسترتهم، وأحاطت بهم، **(وحفتهم الملائكة)**؛ أي: بأجنحتها؛ أي: طافت بهم يدورون حولهم، ورفرفت عليهم بأجنحتها يستمعون القرآن والذكر.

وقد قيل: إن الملائكة التي تحفهم بعدد المجتمعين، وقد يمدُّهم الله ﷻ بما يزيد عليهم، لكن لا ينقصون عنهم، ولهذا كان كلما كثر الاجتماع كان

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٦١٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٧٧) عن السدي مختصرًا.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٦١٢).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٦١٣).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٨).

أفضل؛ لكثرة الملائكة، ولأن الرحمة مع الجماعة.

(وذكرهم الله) ﷻ (فيمن)؛ أي: في الملائكة الذين (عندَه) ـ سبحانه وتعالى ـ كما في حديث: «من ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم»، وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا[1].

قال الحافظ ابن رجب: وهذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله ﷻ؛ كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن لأهل ذكر الله أربعًا: تنزل السكينة عليهم، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب ﷻ فيمن عنده»[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢].

وذكرُ الله تعالى لعبده: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين الملائكة، ومباهاته به[3]، وتنويهه بذكره.

قال الربيعُ بنُ أَنس: إن الله ﷻ ذاكرٌ مَنْ ذكره، وزايدٌ مَنْ شكره، ومعذبٌ من كفره[4].

وذكر البخاري في «صحيحه» عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣]، قال أبو العالية:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥/ ٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٠/ ٣٩) بنحوه.

(٣) في الأصل: «ومباهاتهم»، والتصويب من «جامع العلوم».

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٤٦).

صلاة الله على عبده هو ثناؤه عليه بين ملائكته، وتنويهه بذكره[1].

(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ (مسلم).

قال الحافظ ابن رجب: خرَّجه مسلم من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، واعترض عليه غيرُ واحد من الحفاظ في تخريجه، منهم: أبو الفضل الهروي[2]، والدارقطني[3]؛ فإن أسباطَ بنَ محمد رواه عن الأعمش قال: حُدِّثنا[4] عن أبي صالح، فتبيَّن[5] أن الأعمش لم يسمعه من أبي صالح، ولم يذكر مَن حدَّثه به عنه، ورجح الترمذي وغيره هذه الرواية[6].

ورواه ـ أيضًا ـ أبو داود وغيره[7]، وسيأتي الكلام عليه في (باب: فضل الذكر) إن شاء الله تعالى.



---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في التفسير، باب قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب: ٥٤] تعليقًا.

(٢) في الأصل: «المروي»، والتصويب من «جامع العلوم».

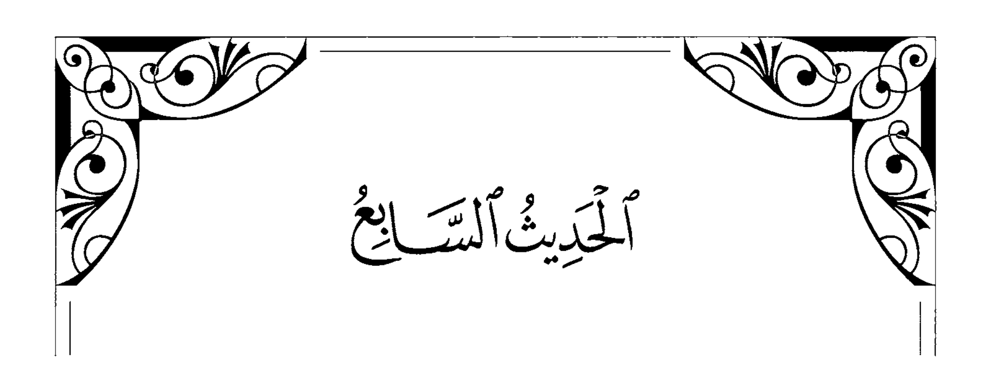
(٣) انظر: «العلل» للدارقطني (١٠/ ١٨٤).

(٤) في الأصل: «حدث»، والمثبت من «جامع العلوم»، وفي «سنن الترمذي» و«علل الدارقطني»: «حدِّثت».

(٥) في الأصل: «فبين»، والتصويب من «جامع العلوم».

(٦) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٣٧)، وانظر: «سنن الترمذي» (٥/ ١٩٥).

(٧) رواه أبو داود (١٤٥٥).



الحديث السابع

٥٣٠ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحدُكُم إِذا رَجَعَ إِلَى أَهلِهِ أَن يَجِدَ فِيهِ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نعَمْ، قَالَ: «فثَلاثُ آيَاتٍ يَقرَؤُهُنَّ أَحَدُكُم فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِن ثَلاثِ خَلِفَاتٍ سِمَانٍ عِظَامٍ». رَوَاهُ مُسلِمٌ[1].

(عن أبي هريرة) أيضًا (﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: أيحب أحدكم) معشرَ المخاطبين من الصحابة فمَنْ بعدَهم من سائر الأمة؛ أي: أيفرح ويُسَر ويطلب ويرغب (إذا رجع) من المسجد، أو من سوقه، أو من أي خروج خرج من بيته (إلى أهله) من زوجة وغيرها (أن يجد فيه)؛ أي: في أهله وبيته (ثلاثَ خَلِفات): جمع (خلفة) بالفتح، وهي: الحامل، والخلفات: النوقُ الحوامل، وقد جاء مفسرًا: «في بطونها أولادُها»[2]، وهي خَلِفَةٌ إلى أن يمضي أمد نصف حملها، فتكون عُشَراء؛ كما في «المطالع»[3].

---

(١) رواه مسلم (٨٠٢/ ٢٥٠).

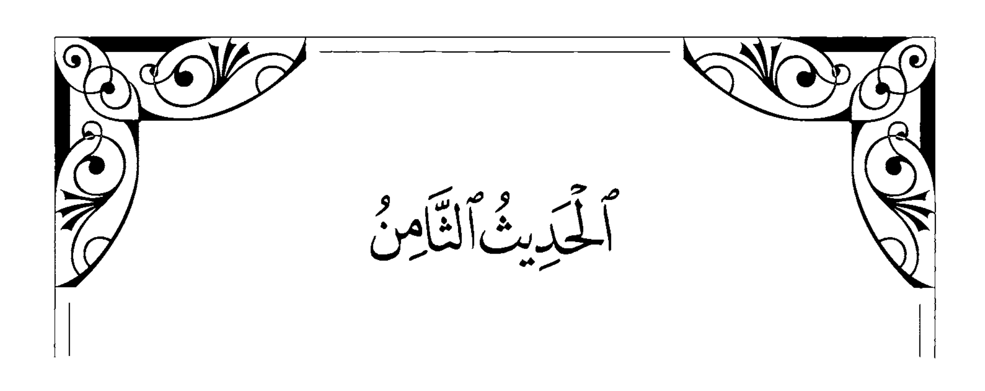
(٢) رواه النسائي (٤٧٩٩)، وابن ماجه (٢٦٢٨)، من حديث ابن عمر ﵄.

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٤٤٠).

(عظامٍ): صفة لـ (الخلفات)؛ أي: كبار عاليات السنام، **(سمانٍ)**: صفة أخرى؛ أي غير مهازيل، بل هي سمانٌ ذواتُ شحوم؟ **(قلنا: نعم)**، كل واحد يحب ذلك، ويطلبه ويوده ويسر به، **(قال)** ﷺ: إذا كان أحدكم يحبُّ ذلك؛ **(فثلاث آيات)** من كتاب الله ﷻ **(يقرؤهن أحدُكم في صلاته)**، سواء كانت جهرية، أو سرية، فرضًا أو نفلًا، جماعة أو منفردًا **(خير له)** وأفضلُ **(من ثلاث خلفات عظام سمان)**؛ لما ينال بقراءة الثلاث آيات من الأجر والثواب، والمنازل العالية، والدرجات الغالية، في دار البقاء والنعيم، والمعزَّة والتكريم؛ فإن ذلك يبقى ولا يزول، والخلفات وكلٌّ زينة الدنيا مآلها إلى الأفول.

(رواه مسلم).

* * *



الحَدِيثُ الثَّامِنُ

٥٣١ ـ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ أَهلِينَ مِنَ النَّاسِ»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَهْـلُ الْقُـرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وخَاصَّتُهُ». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَه، وَالنَّسَائِيُّ فِـي «فَضَائِلِ القُرْآنِ»[1].

(**عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله أَهلينَ**) ـ بفـتح الهمزة وسكون الهاء ـ جمع (أهل)، ويجمع ـ أيضًا ـ على آهال وأهـال ـ بمـد الهمزة وعدمه ـ ، وأَهْلات، ويحرَّك؛ كما في «القاموس»[2].

(**من الناس، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال**): هـم (**أهل القـرآن**) العظيم، والذكر الحكيم، وأكد ﷺ ذلك، وزاده بياناً وتقريـرًا فـي النفـوس بقوله: (**هم أهل الله وخاصـته**) المختـصون بـه؛ بمعنـى: أنـه لمـا قـربهم واختصَّهم، كانوا أهله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٧)، وابـن ماجـه (٢١٥)، والنسائي فـي «فضائل القرآن» (٥٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: أهل).

(رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والنسائي في «فضائل القرآن»).

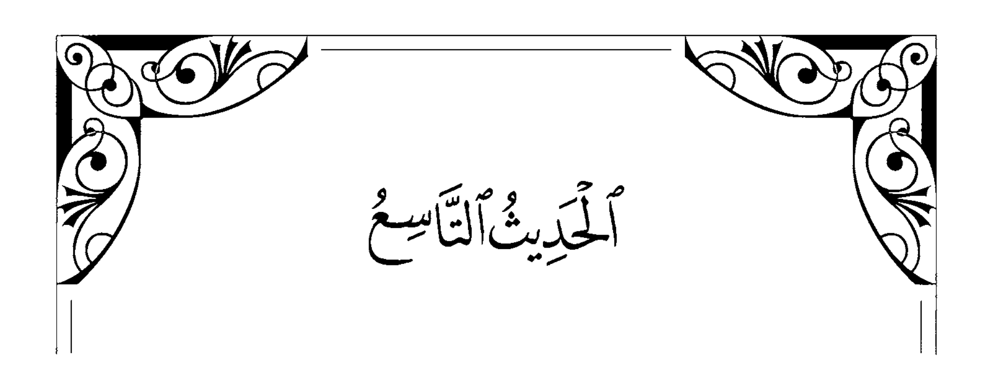
ورواه الحاكم وقال: إنه يروى من ثلاثة أوجه عن أنس ﷺ أجودُها: عن ابن مهدي حدثنا عبد الرحمن بن بديل، عن أبيه، عن أنس[1].

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: هو إسناد صحيح[2].

* * *

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٤٦).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٣١).



الحديث التاسع

٥٣٢ ـ عَن عَبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن قَرَأَ حرفًا مِن كِتَابِ اللهِ فَلهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حرف، وَلَكِن ألفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمن (عبدِالله بنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ حرفًا) واحدًا (من كتاب الله) ﷻ، (فله حسنة) عظيمة، (والحسنة) الواحدة تضاعَف (بعشر أمثالها، لا أقول): كلمة (﴿الٓمٓ﴾ حرف) واحد بعشر حسنات، (ولكن ألف حرف) بعشر حسنات، (لام حرف) بعشر حسنات، (وميم حرف) بعشر حسنات. (رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب).

وعن عبدِالله بنِ مسعود ـ أيضًا، ﷺ ـ عن النبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدبةُ الله، فاقبلوا مأدبتَه ما استطعتم، إن هذا القرآن حبلُ الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمةٌ لمن تمسَّك به، ونجاةٌ لمن اتبعه، لا يزيغ

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠).

فيُستَعتب، ولا يعوجُّ فيُقَوَّم؛ ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَخْلَق من كثرة الردِّ؛ اتلوه؛ فإن الله يأجرُكم على تلاوته كلَّ حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، رواه الحاكم من رواية صالح بن عمر، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عنه، وقال: تفرد به صالح بن عمر، وهو صحيح[1].

وتعقب عليه بأن إبراهيم بن مسلم الهجري ضعفه ابنُ معين.

وقال أبو حاتم: ليس بقوي[2]، ووثقه ابن حبان[3]، وابن خزيمة، وأخرجا له في صحيحيهما غيرَ ما حديثٍ عن أبي الأحوص.

وقال ابن عدي: إنما أنكروا عليه كثرة روايته عن أبي الأحوص، عن عبدالله ـ يعني: ابن مسعود، رضي الله عنه ـ، وعامتها مستقيمة[4].

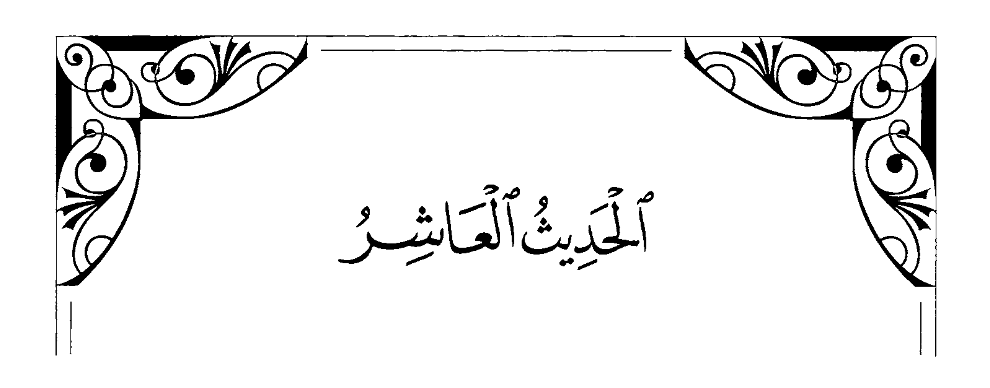
* * *

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٤٠).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٣٢).

(٣) ذكره ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٩٩) وقال: كان ممن يخطئ فيكثر.

(٤) انظر: «الكامل في الضعفاء» (١/ ٢١٢).



ٱلْحَدِيثُ ٱلْعَاشِرُ

٥٣٣ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يا ربِّ! حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثمَّ يَقُولُ: يَا ربِّ! زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثمَّ يَقُولُ: يَا ربِّ! ارْضَ عَنهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالَ لَهُ: اقْرَأْ وارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ[1].

(**عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: يجيء القرآن**) العظيمُ؛ كما في سائر نسخ «فضائل الأعمال»؛ أي: ثوابه وأجره، وفي رواية: «يجيء صاحب القرآن»[2]، (**يومَ القيامة**) العظمى، الذي هو يوم الجزاء، (**فيقول**) ثوابُ القرآن: (**يا ربِّ! حَلِّه**)؛ أي: حَلِّ صاحبَ القرآن؛ أي: ألبسه حليًا، (**فيلبس**) ـ بضمِّ أوَّله وسكون اللام وفتح الموحدة مبنيًّا للمفعول ـ؛ أي: فيلبسه الله ﷻ؛ أي: يأمر الملائكة الكرام أن تُلبسه (**تاجَ الكرامة**)، والتاج:

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٩٦).

هو ما يُصاغ للملوك من الذهب والجوهر، وقد توَّجَه: ألبسه التاج، وفي الحديث: «العمائم تيجانُ العرب»[1]، أراد: أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك؛ لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس، أو بالقلانس، والعمائم فيهم قليلة.

(ثم يقول) مثالُ القرآن أو ثوابُه: **(يا ربِّ! زِدْه، فيلبس)** صاحب القرآن؛ أي: تُلبسه الملائكة الكرام بأمر الله ﷻ **(حلَّة الكرامة)**، أصل الحلَّة: ثوبان غيرُ لفقين[2] رداء وإزار، سُمِّيا بذلك لأن كل واحد منهما يحل على الآخر.

قال الخليل: لا يقال: حلَّة لثوب واحد.

وقال أبو عبيد: الحللُ برودُ اليمن[3].

قال بعضهم: لا يقال: حُلَّة حتى تكون جديدة يحلُّها[4] عن طيِّها.

وفي الحديث: أنه رأى رجلًا عليه حلَّة، ائتزر بإحداهما، وارتدى بالأخرى[5]، فهذا يدل على أنهما ثوبان.

(ثم يقول: يا رب! ارضَ عنه)؛ أي: أحلَّ عليه رضاك الذي هو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في الأصل: «لقفين»، والتصويب من «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ١٩٦).

(٣) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ٢٢٨).

(٤) كذا في الأصل، وفي «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ١٩٦): «لحلها».

(٥) أورده أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٢٢٨).

الغايةُ القصوى، **(فيرضى)** ﷻ (عنه).

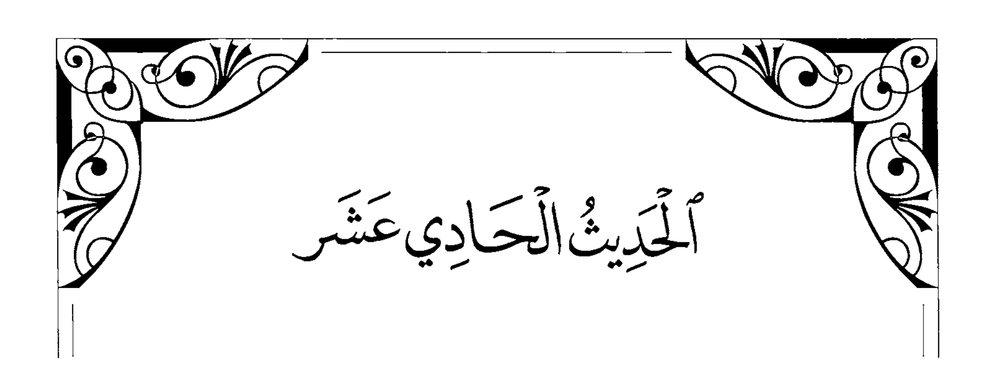
وفي رواية: فيقول ـ جل وعلا ـ: «رضيت عنه»[1]، **(فيقال)** له عند ذلك: **(اقرأ)** لكتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ **(وارق)**؛ أي: اصعد في درجات الجنات بحسب ما تقرأ من القرآن، **(ويزاد)** على كونه ينال بقراءته كل آية من القرآن درجة من درجات الجنات **(حسنةً)** عظيمة من الملِك الديَّان.

(رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)، ورواه ابن خزيمة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[2].

* * *

(١) أورد هذه الرواية ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٥٠١) وعزاها للترمذي، ولم نقف عليها عند الترمذي.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٢٩)، ولم نقف عليه عند ابن خزيمة.



الحديث الحادي عشر

٥٣٤ ـ عَن عَبْدِاللهِ بنِ عَمْرٍو ﵄، عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «يُقَـالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَـكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ، والنَّـسَائِيُّ، وَالتِّرْمِـذِيُّ وَقَـالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

(عن عبدِالله بنِ عمـرِو بـنِ العـاص ﵁ عـن النبـيِّ ﷺ قـال: يقـال لصاحب القرآن)؛ أي: قارئه العاملِ بما فيه، الناهجِ على مـا يقتـضيه يـومَ القيامة، (اقرأ) كتاب الله ﷻ، (وارقَ) في درجات الجنات صاعدًا إلى منازلك الرفيعة، وقصورِك الباذخة الوسيعة، (ورَتِّلْ) قراءتك؛ أي: ترسَّل وتمهَّـل في قراءتك؛ من الرَّتَل: الذي هو حسنُ تناسق الشيء، والحسنُ من الكـلام، والطيِّـبُ من كلِّ شيء؛ كالرَّتِل؛ كـ (كتف)، يقال: رتَّـل الكـلامَ تـرتـيلًا: أحسنَ تأليفَه، وترتَّل فيه: ترسَّل.

(كما كنت ترتل) قراءتك (في) حيـاة (الـدنيا؛ فـإن منزلَـكَ)، وفـي

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٥٦)، والترمذي (٢٩١٤).

لفظ: «منزلتك»[1] إلى جهة الصعود (عند آخر آيةٍ تقرؤها)، وفي لفظ: «تقرأُ بها»[2].

(رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

ورواه ابن ماجه ـ أيضًا ـ، وابن حبان في «صحيحه»، وغيرهم[3].

قال الخطابي: جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن على قدر درجات الجنة، فيقال للقارئ: ارق في الدرج على قَدْرِ ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه، كان رقيُّه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة[4].

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية حتى يقرأ آخر شيء معه»[5].

---

(١) هذا لفظ الترمذي.

(٢) هذا لفظ الترمذي.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٦٦). ورواه ابن ماجه (٣٧٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بنحوه، وفي إسناده عطية العوفي. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٢٥): ضعيف.

(٤) انظر: «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٨٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٠)، وفي إسناده عطية العوفي، وقد تقدم الكلام عليه.

قال الإمام المحقق ابن القيم: وهذا صريح في أن دَرَج الجنة تزيد على مئة درجة، وأما حديث أبي هريرة ﷺ الذي رواه البخاري في «صحيحه» عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مئة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة»[1] = فإما أن تكون هذه المئة درجة من جملة الدرج، وإما أن تكون نهايتها هذه المئة، وفي ضمن كل درجة درج دونها، ويدل على المعنى الأول حديثُ زيدِ بنِ أسلمَ، عن عطاءِ بنِ يسارٍ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن صلى هؤلاء الصلواتِ الخمسَ، وصام شهر رمضان؛ كان حقًّا على الله أن يغفر له، هاجر أو قعد حيث ولدته أمه»، قلت: يا رسول الله! ألا أخرج فأوذن الناسَ؟ قال: «لا، ذرِ الناس يعملون؛ فإن في الجنة مئة درجة، بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس، وعليها يكون العرش، وهي أوسط شيء في الجنة، [ومنها تفجر أنهار الجنة]، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس». رواه الترمذي هكذا بلفظه[2].

وروى ـ أيضًا ـ من حديث عطاء عن عبادةَ بنِ الصامت ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة مئة درجة»، ثم ذكر نحو حديث معاذ[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٣٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٣١).

وفيه ـ أيضًا ـ من حديث عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مئة عام». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب(١).

وفيه ـ أيضًا ـ من حديث أبي سعيد يرفعه: «إن في الجنة مئة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن؛ لوسعتهم»(٢). ورواه الإمام أحمد بدون لفظة: (في) في «مسنده».

ولفظ الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الجنة مئة درجة، ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن؛ [لـ]ـوسعتهم»(٣).

قال في «حادي الأرواح»: وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة: (في) وبدونها، فإن كان المحفوظ ثبوتها، فهي من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها، فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار، ولا تناقض ما بين تقدير الدرجتين بالمئة سنة وتقديرها بالخمسمئة؛ لاختلاف السير في السرعة والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريبًا للإفهام، ويدل له حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «مئة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، وأبعد ما بين السماء والأرض»، قلت:

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٩).

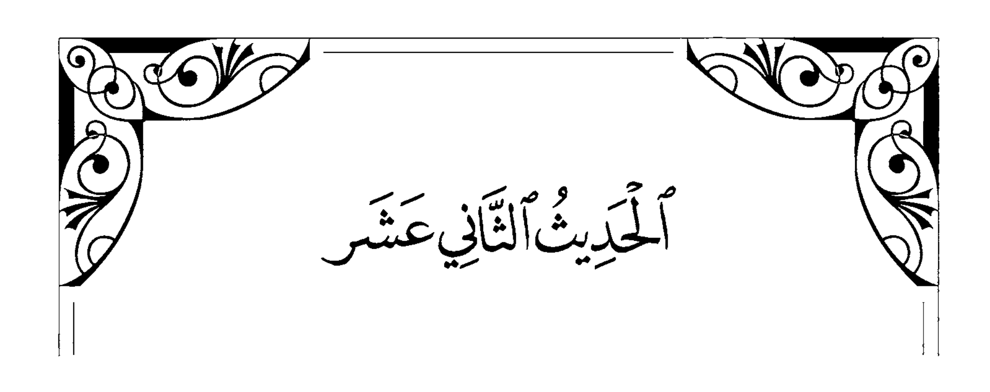
(٢) رواه الترمذي (٢٥٣٢).

(٣) انظر: «حادي الأرواح» لابن قيم الجوزية (ص: ٥٥)، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٩).

يا رسول الله! لمن؟ قال: «للمجاهدين في سبيل الله»[1].

* * *

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه. والحديث رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (ص: ١٩٥).



الحديث الثاني عشر

٥٣٥ ـ عَن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»، قَالَ أَبُو النَّضْرِ: يَعْنِي الْقُرْآنَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[1].

(عن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ما تقرَّبَ العبادُ)؛ أي: ما فعلوا فعلًا ولا قولًا من سائر العبادات **(إلى الله)** ﷻ متعلِّق بـ (تقرَّبَ)، **(بـ)** شيء **(مثل ما)**؛ أي: الذي **(خرج منه)**؛ أي: من الله ﷻ.

(قال أبو النضر: يعني القرآن. رواه الترمذي وقال): حديث **(غريب)**.

وأول الحديث: قال أبو أمامة ﷺ: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ما أَذِنَ الله ـ تبارك وتعالى ـ لشيء ما أَذِنَ لعبد يقرأ القرآنَ في جوف الليل»[2].

قال في «النهاية»: أي: ما استمعَ الله لشيء كاستماعه لعبد يقرأ القرآن

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١١).

(٢) كذا في الأصل، والمؤلف قد أورد هنا لفظ «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٩٩)، وهو خلاف ما في الترمذي.

العظيم في جوف الليل[١].

وفي الحديث الآخر: «ما أذن الله لشيء كأَذَنه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن»[٢]؛ أي: يتلوه يجهر به.

يقال منه: أَذِنَ يأذَن أَذَناً بالتحريك.

وقال ابن قرقول في «المطالع»: «ما أذن الله لشيء كأذَنه» ـ بفتح الذال المعجمة في المصدر وكسرها في الماضي ـ ومعناه: ما استمع كاستماعه.

قال: ووقع في مسلم ـ يعني: في حديث: «ما أذن لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن»[٣] ـ: «كإذنه» ـ بسكون الذال، من الإذن ـ في رواية يحيى ابن أيوب، والأول أولى بمعنى الحديث، وأشهر في الرواية.

وقد غلَّطَ الخطابي هذه الرواية؛ لأن مقصد الحديث لا يقتضي أنه أراد الإذن والفعل، وإذا كان بمعنى الإعلام، قيل فيه: آذن إيذاناً[٤].

وفي حديث أبي أمامة بعد قوله: «ما أذن الله لشيء ما أذن لعبد يقرأ القرآن في جوف الليل»: «وإن البِرَّ ليذَرُّ على رأس العبد ما دام في مصلاه»، ثم قال: «وما تقرَّب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه»، قال أبو النضر: يعني القرآن، منه بدأ الأمر به، وإليه يرجع الحكم فيه[٥].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٣٣).

(٢) رواه مسلم (٧٩٣/ ٢٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه مسلم (٧٩٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (١/ ٢٢٨).

(٥) كذا لفظ الحديث عند ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٤٩٩)، وهو خلاف ما في الترمذي.

وفي رواية: «ما أذن الله لعبد في شيء أفضلَ من ركعتين يصليهما، وإن البر. . .» الحديث[1].

وفي لفظ: «في شيء أفضل من ركعتين، أو أكثر من ركعتين»[2].

ورواه الإمام أحمد[3].

وقال الذهبي: إنه حديث واهٍ.

وأورده الحافظ المنذري بصيغة التمريض[4].

* * *

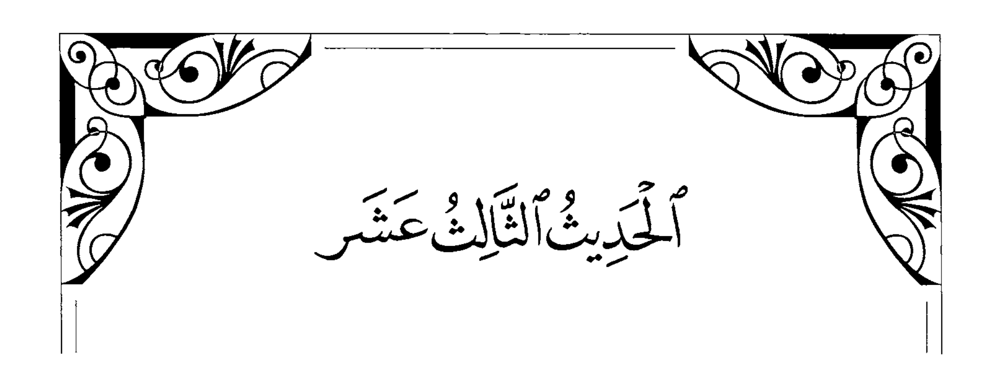
---

(١) هذا لفظ الترمذي.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٦١٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٢٤)، من حديث جبير بن نوفل ﷺ. وانظر ما قاله أبو نعيم والذهبي في «ميزان الاعتدال» (٨/ ١٦٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٨).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٢٨).



الحديث الثالث عشر

٥٣٦ ـ عَن سَهْلِ بنِ مَعَاذٍ الْجُهَنِيِّ، عَن أَبِيْهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَن قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيْهِ؛ أُلبِسَ والدَاهُ تاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوءُهُ أَحسَنُ من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟!». رواه أبو داود[1].

(**عن سهلِ بنِ معاذ**) بنِ أنسٍ (**الجهنيِّ**)، تابعي روى (**عن أبيه**) معاذ ابن أنس الجهني، وروى عنه الليثُ، ويزيد بن أبي حبيب، وَفَرْوة بن مجاهد.

قال ابن لهيعة: هو من أهل الشام.

(ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: من**)؛ [أي]: أيُّ شخص مسلم من ذكر وأنثى (**قرأ القرآن**) العظيم، (**وعمل بما**)؛ أي: بالذي (**فيه**) من الأحكام؛ من وعد ووعيد وغيرِهما، (**أُلبس**) بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الموحدة مبنيًّا للمفعول (**والداهُ**)؛ أي: أبواه ـ بالرفع ـ نائب الفاعل، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والضمير البارز

(١) رواه أبو داود (١٤٥٣).

راجع على من قرأ القرآن العظيم، **(تاجًا)** مفعول ثانٍ، وتقدم تفسير التاج، **(يومَ القيامة)** العظمى؛ لأنه يوم الجزاء، فمن نجا فاز، ومن عطب خاب، **(ضوءُهُ)**؛ أي: ضوء ذلك التاج ونوره ولمعانُه **(أحسنُ)** وأبهى **(من ضوء الشمس)** إذا دخلت **(في بيوت الدنيا لو كانت)** الشمس **(فيكم)** معشرَ أهل الأرض ودخلت بيوتكم، فكيف كان يحصل لبيوتكم من النور والإضاءة والإشراق مع أنها في السماء الرابعة، وقد حصل من ضوئها ما ملأ العالم، وحصل من نورها وضوئها ما لا مزيد عليه؟!

هذا التاج، وهذا الإشراق والنور والابتهاج يحصل لوالدَي قارئ القرآن العظيم والذكرِ الحكيم العاملِ بما فيه من ترغيب وترهيب، ومسنون ومندوب، **(فما ظنكم)** معشرَ المخاطبين بما يحصل للشخص **(الذي يعمل)** هو نفسُه **(بهذا؟!)** بأن يقرأ القرآن ويعمل، فإذا كان هذا التاج، وهذا التنويه والابتهاج لوالدَي القارئ العامل بما في القرآن فالذي يحصُل له نفسُه أعظمُ وأفضلُ وخير بكثير؛ لأن ذلك ثواب المتسبب، فثواب الفاعل أعظم وأبهج. والله أعلم.

(رواه أبو داود)، ورواه الحاكم، كلاهما عن زبان، عن سهل، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[1].

قال الحافظ المنذري: زبان ـ بفتح الزاي ـ بن فائد ضعفه ابن معين، وقال أحمد: أحاديثه مناكير، ووثقه أبو حاتم، وقال ابن يونس: كان على

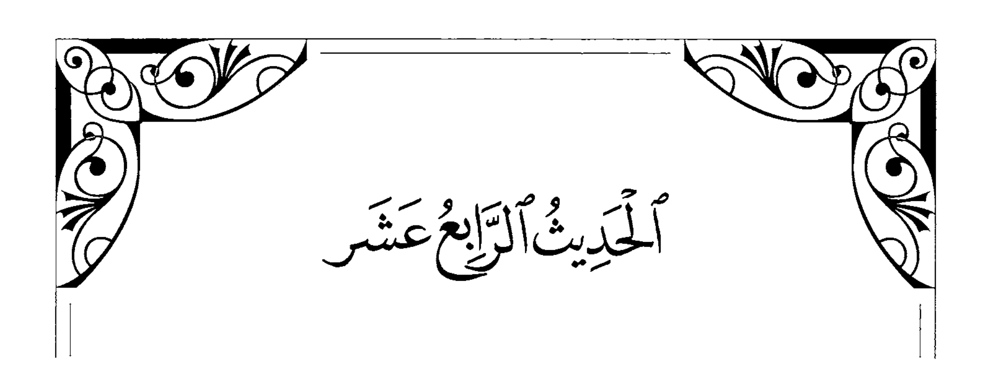
---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٨٥).

مظالم مصر، وكان من أعدلِ ولاتهم[1].

* * *

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٧٠ ـ مصطفى البابي الحلبي).



الحديث الرابع عشر

٥٣٧ ـ عَن عَليٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ، فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِن أَهلِهِ، كلُّهُمْ قَد وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه، وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ مَاجَه «فَاسْتَظْهَرَهُ، فَأَحَلَّ حَلاَلَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أمير المؤمنين أبي السِّبطين السعيدين الحسنِ والحسين ﷺ **(عليِّ ابنِ أبي طالب)** الأَنْزعِ البطينِ ﷺ و**(كرم الله وجهه، قال: قال رسول الله ﷺ: من)**؛ أي: أيُّ شخص مسلم من ذكر وأنثى **(قرأ القرآن)** العظيمَ، والذكرَ الحكيم، **(فاستظهره)**؛ أي: حفظه عن ظهر قلبه، فدل على فضل القراءة عن ظهر القلب؛ لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم.

والحاصل: أن حفظ القرآن مطلوب، ومرغَّب فيه.

وقد أخرج ابنُ أبي الدنيا بإسناد صحيح عن أبي أمامة: اقرؤوا القرآن، ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة؛ فإن الله لا يعذب قلباً

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٥)، وابن ماجه (٢١٦).

وعى القرآن[١].

وإن كانت القراءةُ من المصحف نظرًا أفضلَ من القراءة عن ظهر قلب.

وأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» من طريق عبدالله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ رفعه، قال: «فضل قراءة القرآن نظرًا على من يقرؤه ظهرًا، كفضل الفريضة على النافلة»[٢]، وإسناده ضعيف.

ومن طريق ابن مسعود موقوفًا: أديموا النظر في المصحف[٣]، وإسناده صحيح.

ومن حيث المعنى القراءة في المصحف أسلمُ من الغلط، لكن القراءة عن ظهر قلب أبعدُ من الرياء، وأمكن للخشوع، فالذي يظهر: أن الفضيلة تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. والله أعلم.

قال في «النهاية»: «من قرأ القرآن فاستظهره»؛ أي: حفظه، يقال: قرأت القرآن عن ظهر قلبي؛ أي: قرأته من حفظي.

وفي الحديث: «ما نزل من القرآن آية إلا لها ظهر وبطن»[٤]، قيل: ظهرها لفظها، وبطنها معناها.

وقيل: أراد بالظهر ما ظهر تأويله وعُرف معناه، وبالبطن ما بطن.

---

(١) لم نقف عليه عند ابن أبي الدنيا، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٧٩)، والدارمي في «سننه» (٣٣١٩، ٣٣٢٠).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٠٣).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق (ص: ٩٧) عن الحسن مرسلًا.

وقيل: قصصه في الظاهر أخبار، وفي الباطن عبرة وتنبيه وتحذير، وغير ذلك.

وقيل أراد بالظهر التلاوة، وبالبطن التفهم والتعظيم[1]، ولهذا قال في هذا الحديث بعد قوله: «فاستظهره»:

(فأحلَّ حلاله): ما حلل القرآن العظيم، **(وحرم حرامه)**؛ أي: اعتقد أن كل ما حرمه القرآن حرام، واجتنبه، كما أنه فعل ما أمر به من الواجبات والمندوبات، وانتهى عما نهى عنه من المحظورات والمكروهات، **(أدخله الله)** ﷻ **(الجنة)** التي عرضُها السماوات والأرض أُعدت للمتقين؛ لفعله الأوامر، واجتنابه الزواجر، **(وشفعه في عشرة)** أشخاص **(من أهله، كلهم)**؛ أي: كل واحد منهم **(قد وجبت له النار)**؛ لما ارتكب من الذنوب والأوزار، فيعافيه منها الكريمُ الغفار، ويدخله الجنةَ دارَ القرار، بشفاعة قريبه المقرب المختار، والله ولي الأسرار.

(رواه) أبو عيسى **(الترمذي، وابن ماجه، ولم يذكر)** الإمام الحافظ محمد **(بن ماجه)** في حديثه قوله: **(فاستظهره، فأحلَّ حلاله، وحرم حرامه)**، بل قال: «من قرأ القرآن، أدخله الله الجنة... إلخ».

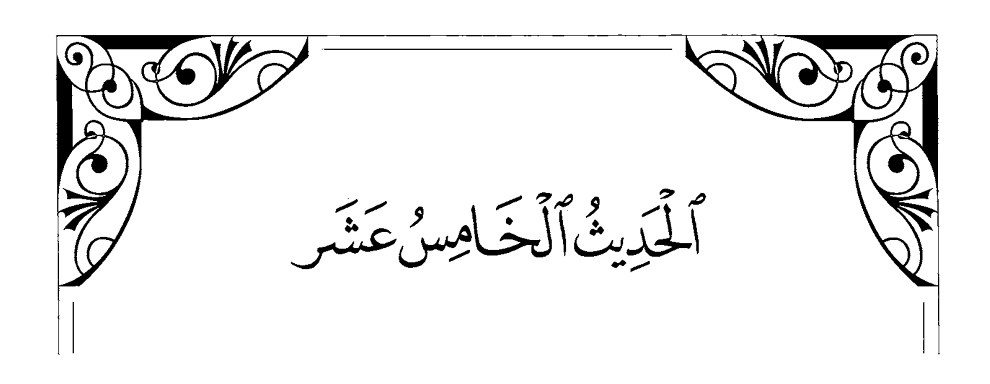
(وقال) الحافظ أبو عيسى **(الترمذي: حديث غريب)**، وذكره الحافظ المنذري بصيغة التمريض[2]، وهي في اصطلاحه لما لا يتطرق إليه احتمال التحسين. والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٣١).



الحَدِيثُ الخَامِسُ عَشَر

٥٣٨ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَؤُوهُ وَارْقُدُوا، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ مَن تَعَلَّمَهُ فَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ كُلَّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَن تَعَلَّمَهُ وَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ عَلَى مِسْكٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَهَذَا لَفظُهُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

(**عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: تعلموا القرآن**) العظيم، والذكرَ الحكيم، (**واقرؤوه**) في التهجد وغيره، (**وارقدوا**) هكذا في سائر نسخ «فضائل الأعمال»، وفي بعض نسخ «الجامع الصغير» كذلك، وفي بعضها: «لا ترقدوا».

قلت: والذي في «جامع الأصول»: «تعلَّموا القرآن، [وعلِّموه]، واقرؤوه، وقوموا به»[2].

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٤٩)، وابن ماجه (٢١٧).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٧١).

وفي «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري: «تعلَّموا القرآن، واقرؤوه»، ولم يقل: «وقوموا به»[1].

وأول الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسولُ الله ﷺ بعثًا، وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فقرأ كل رجل ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثِهم سنًّا، فقال: «ما معك أنت يا فلان؟» قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة، قال: «معك سورة البقرة؟» قال: نعم، قال: «اذهب فأنت أميرهم؛ فإنها إن كادت لتستحصي الدِّين كلَّه»، فقال رجل من أشرافهم: والله! ما منعني يا رسول الله أن أتعلَّمها إلا خشية أن لا أقوم بما فيها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلَّموا القرآن، واقرؤوه، وقوموا به»؛ **(فإن مثل القرآن من)** كذا في نسخ «فضائل الأعمال»، والذي في نسخ «جامع الأصول» لابن الأثير، و«ترغيب المنذري»، و«الجامع الصغير» للسيوطي: «فإن مثل القرآن لمن»[2]، **(تعلمه)** ـ بزيادة اللام ـ، فقرأه، **(فقام به)**؛ أي: بالقرآن في صلاته، أو غيرها **(كمثل)** بزيادة الكاف **(جراب)** بكسر الجيم، والعامة تفتحها.

وفي «القاموس»: والجراب ـ ولا يفتح، أو لغيَّة فيما حكاه عياض وغيره ـ: المزوَد، أو الوعاء، والجمع جُرْب، وجُرُب، وأَجرِبة[3].

(محشو)؛ أي: مملوء **(مسكًا)** ـ بكسر الميم ـ: طيبًا معروفًا مقويًّا

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جرب)، وقوله: (لُغَيَّة) أي تفتح الجيم أحياناً، وهي لغة قليلة الاستعمال في (الجراب) والمشهور كسر الجيم.

للقلب، نافعًا للخفقان، وتقدم.

(يفوح)؛ أي: ينتشر **(ريحه)**، يقال: فاح المسك فَوْحًا وفوحانًا، وفَيْحًا وفَيَحاناً: انتشرت رائحته، ولا يقال في الكريهة، أو عامٌّ كما في «القاموس»[1].

والريح جمعه أرواح، وأرياح، ورياح، ورِيَح؛ كـ(عنب)، والرائحة: النسيم طيبًا أو نتنًا، والأرَجُ ـ بفتح الهمزة والراء فجيم ـ، والأريج، والأريجة: توهج ريح الطيب، يقال: أرج؛ كـ(فرح).

(كل مكان)، وفي «جامع الأصول»: «يفوح بريحه كل مكان»[2].

وفي «ترغيب المنذري» كـ«الجامع الصغير»: «يفوح ريحه في كل مكان»، بزيادة: (في)[3].

(ومثل من تعلمه)، وفي لفظ: «ومن تعلمه» بغير كلمة: (مثل)[4]، **(ورقد)**؛ أي: نام.

قال في «القاموس»: الرَّقْد: النوم؛ كالرُّقاد والرُّقود بضمهما، أو الرُّقاد خاصٌّ بالليل[5].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: فوح).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٧٢)، وفيه: «يفوح ريحه في كل مكان».

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٢٩)، و«فيض القدير» للمناوي (٣/ ٢٥٥).

(٤) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٠٩).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: رقد).

(وهو)؛ أي: القرآن العظيم **(في جوفه)**؛ أي: بطنه.

قال في «القاموس»: الجوف: المطمئن [المتسع] من الأرض، ومنك: بطنك[1].

وفي لفظ: «ومثل من تعلمه ويرقد وهو في جوفه»[2]؛ **(كمثل جِراب أوكي)**؛ أي: ربط فمه **(على مسك)** في جوف ذلك الجراب، فلا يفوح ريحه منه، وإن فاح فقليل.

(رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وهذا لفظه)؛ يعني: اللفظ المذكور؛ أي: لفظ ابن ماجه، وقد ذكرناه بجميع ألفاظه عندهم، والمطول للترمذي، **(وقال الترمذي: حديث حسن)**، ورواه ابن حبان، والحاكم في صحيحيهما[3].

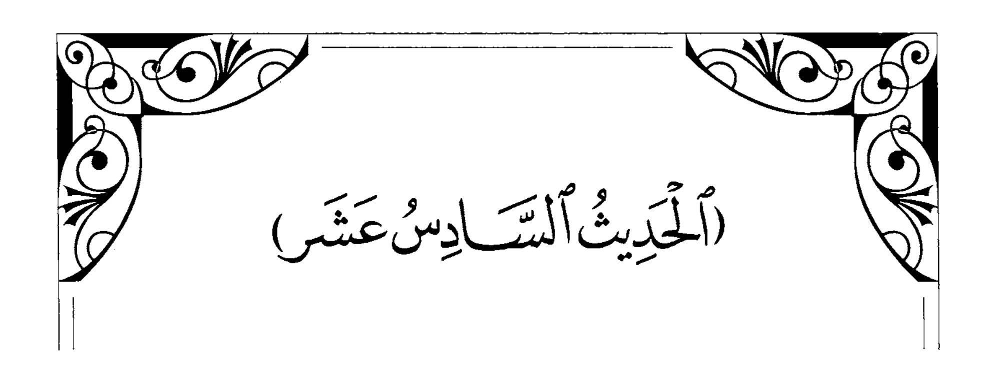
* * *

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جوف).

(٢) كذا أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٤٧٢)، وعزاه للترمذي.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢١٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٢٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.



الحديث السادس عشر

٥٣٩ ـ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: مَن شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَن ذِكْرِي وَمَسأَلَتِي؛ أَعْطَيتُهُ أفضلَ مَا أُعطِي السَّائِلِينَ، وَفضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلقِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

(**عن أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ**)، وهذا وأمثاله يسمى: حديثًا قدسيًّا منسوبًا لحضرة الملك القدوس، المتنزِّه عن جميع النقائص والرذائل، المتصف بالأوصاف الجميلة، والنعوت الجليلة.

(**مَن**)؛ أي: كل إنسان من ذكر وأنثى من المسلمين (**شغله القرآن**) العظيمُ، والذكرُ الحكيم تلاوةً ودراسةً، وتعلُّمًا وتعليمًا لحروفه ومعانيه (**عن ذكري**) من التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل وسائر الأذكار، مع أن القرآن العظيم من أعظم الأذكار، (و) شغله القرآن العظيم عن (**مسألتي**) من الأدعية والتوسلات والابتهالات، (**أعطيته**)؛ لاشتغاله بكلامي، وتفريغ

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦).

وسعه لتلاوة القرآن وتعلُّمه وتعليمه (**أفضلَ**) وأعظمَ وأجزلَ (**ما أُعطي السائل**) من الأجر والثواب والعود الأخروي والدنيوي.

نعم، الاشتغالُ وصرف الزمان في الأذكار الموظفة مثل التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل دُبُرَ الصلوات المفروضة، ونحو إجابة المؤذن، وأمثال ذلك أفضل.

وفي حديث عمر بن الخطاب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضلَ ما أُعطي السائلين»[1]؛ لأن الذكر ثناءٌ على الله ﷿ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤالُ العبد حاجته، وقراءةُ القرآن أفضلُ من الذكر والدعاء.

هذا كله من حيث النظر إلى كل منها مجردة، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أَولى من الفاضل، بل قد يعرض ما يعينه، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود؛ فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهيٌّ عنها، إما نهي تحريم، أو كراهة، وكذا التسميعُ والتحميدُ في محلهما أفضلُ من القراءة، وكذلك التشهد و(ربِّ اغفرْ لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني) بين السجدتين

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٣٧)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٥٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٥٦)، وفي إسناده صفوان بن أبي الصهباء، ذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٣٢١)، وقال في «المجروحين» (١/ ٣٧٦): منكر الحديث، يروي عن الأثبات ما لا أصل له من حديث الثقات، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من الروايات. وقال عن حديث عمر ﵁: موضوع.

أفضلُ من القراءة؛ كما في «الكلم الطيب» للمحقق ابن القيم ـ طيب الله مثواه[1] ـ ، وكذلك سائر الأذكار الموظفة، الاشتغالُ بها، وصرفُ الزمن فيها، والإتيانُ بها في محالها، أفضلُ من قراءة القرآن وإن كان القرآن أفضل.

(وفضل كلام الله ﷻ) الذي هو القرآن العظيم، والذكرُ الحكيم **(على سائر)**؛ أي: بقية **(الكلام)** غيرِه **(كفضل الله)** ـ تعالى وتقدس ـ **(على غيره)** من سائر خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه، وعدل عنه إلى غيره؛ اختلت الحكمة، وفقدت المصلحة المطلوبة منه، وهكذا الأذكار المقيدة بمحالَّ مخصوصةٍ أفضلُ من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضلُ من الأذكار المطلقة.

قال المحقق ابن القيم: اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذِّكر والدعاء أنفعَ له من قراءة القرآن، مثاله: أن يتفكر في ذنوبه، فيحدث ذلك له توبة واستغفارًا، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه.

وكذلك ـ أيضًا ـ قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر؛ لم يحضر قلبه فيهما، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها؛ اجتمع قلبه كله على الله، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالًا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء ـ والحالة هذه ـ أنفعَ له وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم وأجل من الدعاء.

قال: وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء

---

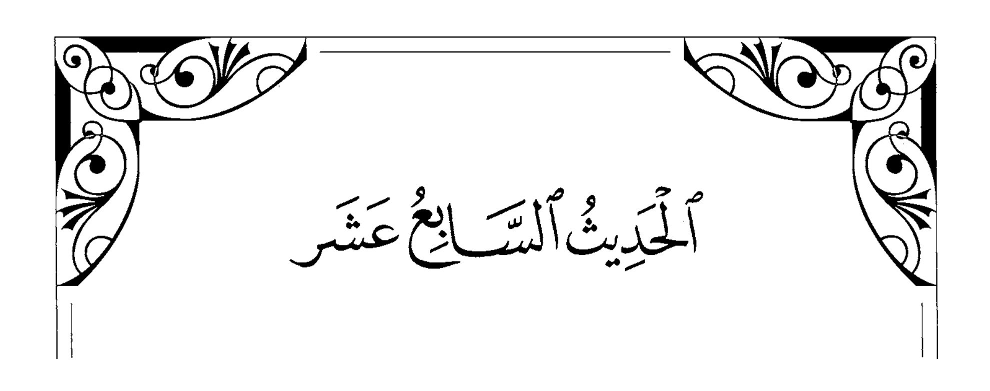
(١) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٣).

في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطى كلُّ ذي حقٍّ حقَّه، ويوضع كلُّ شيء موضعه، فللعين موضع، وللرجل موضع، وللماء موضع، وللحم موضع، وحفظُ المراتب من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي[1]. والله تعالى الموفق.

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(الترمذيُّ وقال: حديث حسن غريب)**.

* * *

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.



الحديث السابع عشر

٥٤٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ»، قَالَ: وَمَا الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَضْرِبُ مِن أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(**عن**) أبي العباسِ حبرِ الأمة، وترجمانِ القرآنِ؛ عبدِالله (**بنِ عباسٍ** رضي الله عنهما **قال: قال رجل**) من أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي عنهم: (**يا رسول الله! أي العمل أحبُّ إلى الله**) عز وجل حتى نعمله، وندأب فيه؟ (**قال**) ﷺ: أحبُّ العمل إلى الله تعالى (**الحالُّ المرتحلُ، قال**) الرجلُ للنبي ﷺ: (**وما الحال المرتحلُ**) يا رسول الله؟ (**قال**): الشخص المسلم (**الذي يضرب من أول القرآن**)؛ أي: يقرأ من أول القرآن (**إلى آخره**)؛ أي: سائرًا مسرعًا فيه، مع الترسل والترتيل، (**كلما حلَّ ارتحلَ**)؛ أي: كلما فرغ من قراءة القرآن؛ بأن ختمه، ابتدأ في ختمة ثانية، فهو كالمسافر الذي كلما وصل إلى داره ومنزله، وفرغ من سفره؛ أنشأ سفرًا آخر، فارتحل عن داره التي نزل بها

(١) رواه الترمذي (٢٩٤٨).

إلى سفرة أخرى، وهلم جرًّا.

قال القاضي أبو يعلى بن الفراء من أعلام علمائنا بعد ذكره لمعنى هذا الخبر من حديث أنس ﷺ ـ رواه ابن أبي داود[1] ـ : ظاهر هذا أنه يستحب ذلك، وأن المراد به الحث على تكرار الختم ختمة بعد ختمة[2].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح أبو عيسى **(الترمذي وقال: حديث غريب)**.

وقال الترمذي ـ أيضًا ـ : وقد رواه زرارة بن أوفى، ولم يذكر فيه: عن ابن عباس، قال: وهذا عندي أصح؛ يعني: من الرواية التي فيها ابنُ عباس؛ يعني: كون الحديث مرسلًا أصح من كونه متصلًا.

قال العلامة ابن مفلح في «الآداب الكبرى»: روى الترمذي من حديث صالح المري ـ وهو ضعيف ـ عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس، فذكره. ثم رواه الترمذي عن زرارة مرسلًا، وقال: هذا عندي

---

(١) قال البهوتي في «كشاف القناع» (١/ ٤٣٠): وروى ابن أبي داود بإسنادين صحيحين عن قتادة، عن أنس: كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا.

ويستحب إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى؛ لحديث أنس: «خير الأعمال الحَلّ والرِّحْلة»، قيل: وما هما؟ قال: «افتتاح القرآن وختمه».

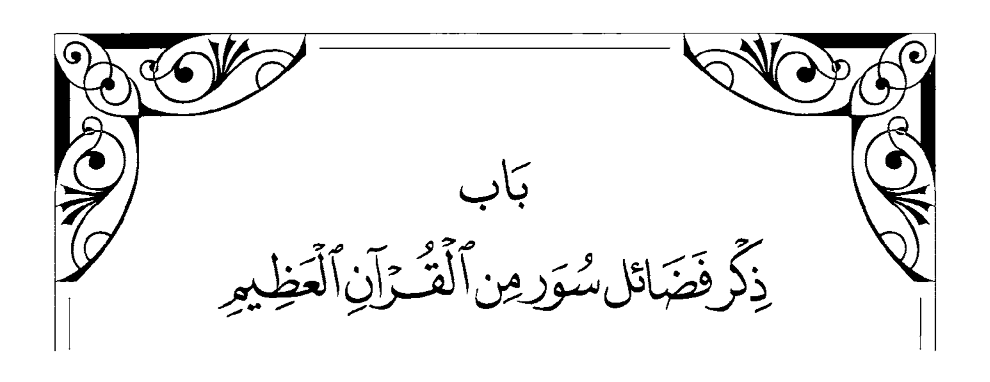
والحديث الأول الذي أورده البهوتي رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦٠)، والحديث الثاني أورده الديلمي في «الفردوس» (٢٨٨٩) بلفظ: «خير الأعمال الحل والرحلة، افتتاح القرآن وختمه».

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٠٣).

أصح[1]. والله الموفق.

❑❑❑

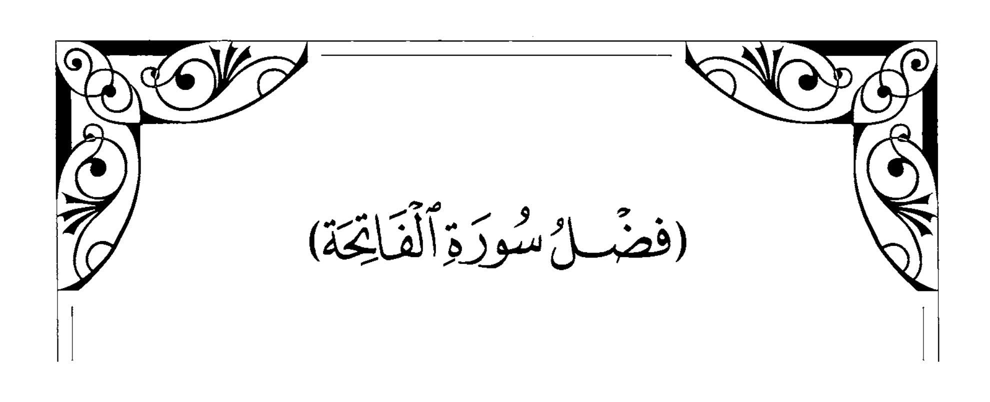
(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.



مخصوصات بذكر بأحاديثَ عن صاحب الشرع النبي المصطفى ﷺ، وإن كان جميع القرآن فضيلًا؛ لأنه كلام ربِّ العالمين، فهو أفضل الـذِّكر، ولكنَّ الحق المعتمد أن بعضه أفضلُ من بعـض، إمـا بحـسب متعلقـه، أو بحسب الثواب والأجر على قراءة بعض أكثر وأجزل من بعض.

وذكر الحافظ المصنف في هذا الباب اثنين وثلاثين حديثًا في فـضائل عدة سور مخصوصة من القرآن الكريم، منها:

❏ ❏ ❏



(فَضْـلُ سُورَةِ ٱلْفَاتِحَةِ)

أي: فاتحة الكتاب الذي هو القرآن العظيم.

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٥٤١ ـ عَن أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ: «هِيَ السَّبعُ المَثَانِي، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ». أخرجه البُخَارِيُّ[1].

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ في أمِّ القرآن: هي**)؛ أي: سورة الفاتحة (**أمُّ القرآن**)؛ أي: تسمى بذلك، وأم الكتاب، وإنما سميت بذلك؛ لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، ويقال لها: فاتحة الكتاب؛ لأنه يفتتح بها في المصاحف، فتكتب قبل الجميع.

وقيل: سمِّيت بأمِّ الكتاب لأن أمَّ الشيء ابتداؤه وأصله، ومنه سميت مكة: أم القرى؛ لأن الأرض دحيت من تحتها.

وقال بعض شراح البخاري: التعليل بأنها يبدأ بها يناسب تسميتها

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٤).

فاتحة الكتاب، لا أم الكتاب[1].

والجواب: أنه يتجه ما قال بالنظر إلى أن الأم مبدأ الولد.

وقيل: سمِّيت أمَّ القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن؛ من الثناء على الله، والتعبد بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش.

ونقل السهيلي عن الحسن وابن سيرين ـ ووافقهما بَقِيّ بن مَخْلَد ـ كراهيةَ تسمية الفاتحة أُمَّ الكتاب، وتعقَّبه السهيلي.

ويَرِدُ على من زعم الكراهةَ الأحاديثُ الصحيحة الصريحة بتسميتها بأم القرآن، منها: هذا الحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه»، ورواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني»[2]، وإذا ثبت النص، طاح ما دونه.

(وهي)؛ أي: سورة الفاتحة التي هي أم القرآن (**السبعُ المثاني**).

وفي لفظ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أُوتيته»[3]، وهذا صريح بأن المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ

---

(1) قاله البرماوي في «اللامع الصبيح» (١١/ ٤٩٠)، زاد: إلا أن يريد أن الأم مبدأ الولد.

(2) رواه البخاري (٤٧٠٤)، وأبو داود (١٤٥٧)، والترمذي (٣١٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) رواه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾[الحجر: ٨٧] هي الفاتحة، وعليه فالمراد بالسبع الآي؛ لأن الفاتحة سبع آيات، وهو قول سعيد بن جبير[١].

واختُلف في تسميتها مثاني، فقيل: لأنها تثنى في كل ركعة؛ أي: تعاد.

وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى.

وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة، لم تنزل على من قبلها.

قال ابن التين: وفي الحديث دليل على أن ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ليست آية من القرآن؛ يعني: من الفاتحة.

(وهي)؛ أي: أم القرآن التي هي الفاتحة **(القرآنُ العظيم)** الذي أُوتيته.

قال الخطابي: في قوله ﷺ: «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» دلالةٌ على أن الفاتحة هي القرآن العظيم، وأن الواو [في هذه الآية] ليست بالعاطفة التي تفصل بين الشيئين، وإنما هي التي تجيء بمعنى التفصيل؛ كقوله تعالى: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[الرحمن: ٦٨]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[البقرة: ٩٨]. انتهى[٢].

واعترض عليه الحافظ ابن حجر باحتمال أن قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧] محذوف الخبر، والتقدير: والقرآن العظيم ما زاد على الفاتحة، أو القرآن العظيم هو الذي أوتيه زيادةً على الفاتحة[٣].

---

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (١٤/ ٥٦).

(٢) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (٣/ ١٧٩٨).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٥٩).

وللفاتحة أسماء أخرى جُمعت من آثار أخرى، منها: الكنـز، والواقيـة، والشافية، والكافية، وسورة الحمد، والحمد لله، وسورة الصلاة، وسورة الشفاء، والأساس، وسورة الشكر، وسورة الدعاء.

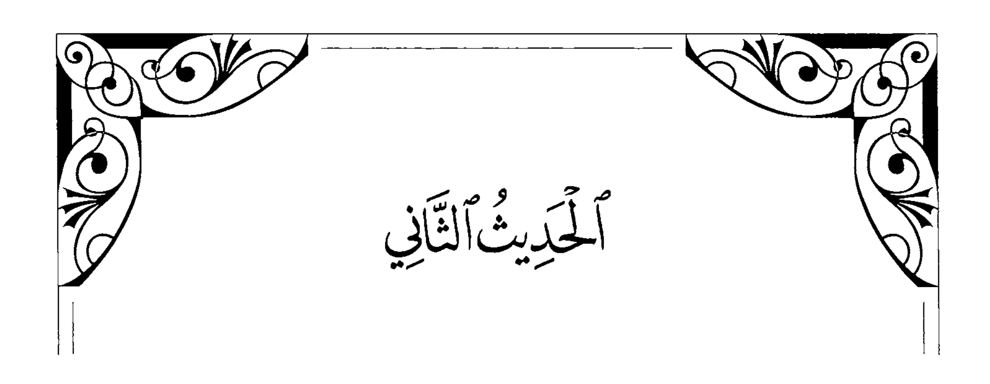
(أخرجه)؛ أي حديث أبي هريرة المشروحَ **(البخاريُّ)** في تفسير سورة الحجر، ولفظه: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني».

ورواه الترمذي بلفظ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني»[1].

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.



الحديث الثاني

٥٤٢ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ نَفَرًا مِن أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيْهِمْ لَدِيغٌ أَو سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُم رَجُلٌ مِن أَهْلِ المَاءِ فَقَالَ: «هَلْ فِيكُم مِن رَاقٍ؛ إِنَّ فِي المَاءِ رجلًا لديغًا أَو سليمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُم فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ فَبَرَأَ، فَجَاءَ بالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَكَرِهُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا! حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُم عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ». انْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِإِخْرَاجِهِ[1].

(عن) أبي العباس عبدِالله (بنِ عباس رضي الله عنهما: أن نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ) النفر: اسمُ جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة، ولا واحد له من لفظه، كذا في «النهاية»[2].

وفي «القاموس»: النفر: الناسُ كلهم، وما دونَ العشرة من الرجال

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣٧).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٩٢).

كالنفير، والجمع (أنفار)[1].

وفي «المنتخب» من «مسند عبد بن حميد» أخرج من حديث أبي سعيد الآتي من طريق يعلى بن عبيد، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ سريةً ثلاثين رجلًا[2]، فبيَّن في هذه الرواية أن عدَّة النَّفر المذكور في هذا الحديث كانوا ثلاثين رجلًا.

(مرُّوا بماء) لحيٍّ من أحياء العرب على ذلك الماء **(فيهم)**؛ أي: في الحي **(لديغ)** في الحديث طيٌّ، وهو أنهم نزلوا بهم ليلًا، فأبوا أن يضيفوهم؛ أي: أن يَقْرُوهم نُزُلَهم من الطعام والشراب، فنزلوا ناحية منهم، فلدغ سيدُهم؛ أي: سيدُ الحي، ولم يُسَمَّ.

واللديغ ـ بالدال المهملة، فغين معجمة ـ: القريص.

قال في «القاموس»: لدغته العقربُ والحيَّة؛ كـ(منع)، لدغًا وتلداغًا، فهو ملدوغ، ولديغ. وقومٌ لَدْغَى، ولُدَغاء: وُقَّاعٌ في الناس[3].

وأما (لذع) ـ بالذال المعجمة والعين المهملة ـ كـ(منع): ما كان بالنار والحب، يقال: لذع الحبُّ قلبه: آلمه، ولذع بعيره لَذْعةً أو لذعتين: وسمه بطرف الميسم، وفلانٌ مذَّاع لذَّاع: مخلاف للوعد.

(أو) قال: فيهم **(سليم)**، وهو اللديغ، وسموه سليمًا تفاؤلًا بأن

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: نفر).

(٢) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٨٦٦).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: لدغ).

يسلم وتحصل له العافية، (**فعرض لهم**)؛ أي: لذلك النفر من أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم (**رجلٌ من أهل**) حيٍّ ذلك (**الماء، فقال**) لهم: (**هل فيكم من راقٍ**): اسم فاعل من رقى يَرقِي، والرُّقى: جمع (رقية)، وهو التعويذ.

قال في «القاموس»: الرُّقية بالضم: العُوذة، والجمع (رُقًى)، ورقاه رَقيًا ورُقِيًّا ورُقيةً، فهو رَقَّاء: نفث في عُوذته. انتهى[1].

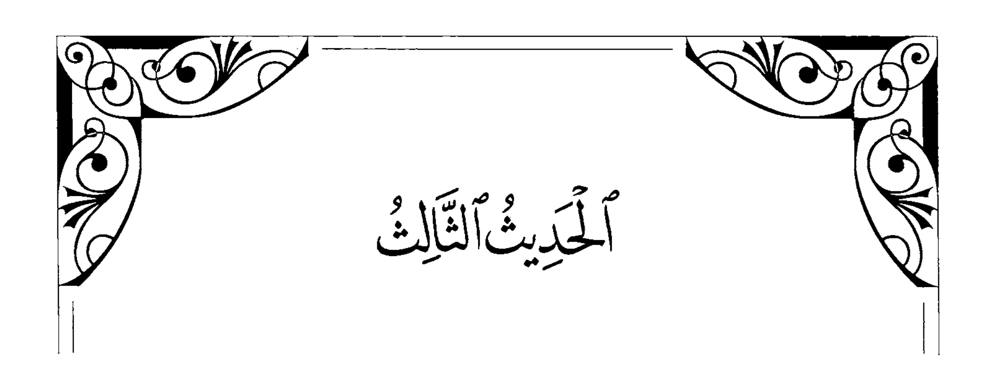
(**إن في**) حيِّ (**الماء**)؛ أي: إنما سألتكم: هل فيكم من راقٍ؟ لأن في الحي (**رجلًا لديغًا**)؛ أي: لدغته حية، (**أو قال**): إن في الماء (**سليمًا**)؛ يعني: لديغًا، وهو سيد الحي. قال: (**فانطلق**) معه (**رجل منهم**) هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه كما يأتي في الحديث الآتي، (**فقرأ**) أبو سعيد (**بفاتحة الكتاب**)، وجعل يمسح المكان الذي لدغ من بدنه، وكانوا جاعَلُوهم (**على شاء**) من الغنم، (**فبرأ**) اللديغ، وسلموا الجعل، (**فجاء**) الراقي (**بالشاء**) يسوقها (**إلى أصحابه**)، وهم بناحية الحي، (**فكرهوا ذلك**)، وقالوا: لا نأكل منها شيئًا، (**وقالوا**) للراقي: قد (**أخذت على كتاب الله**) عز وجل (**أجرًا**)، فلا نأكل منها شيئًا حتى نسألَ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فساروا راجعين من غزوتهم (**حتى قدموا المدينة**) النبوية ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ، (**فقالوا: يا رسول الله! إنه** (**أخذ على**) رقيه بـ (**كتاب الله**) عز وجل (**أجرًا**) بما جاعَلَهم على أن يرقي لديغَهم، فبرأ، فدفعوا له الشاء التي كانوا جعلوها له نظيرَ رقيته بكتاب الله، (**فقال رسول الله ﷺ: إن أحق**) وأحرى (**ما أخذتم**

(١) المرجع السابق (مادة: رقي).

عليه أجرًا)؛ أي: جُعلًا (كتابُ الله) ﷻ.

(انفرد البخاري بإخراجه عن مسلم)، وعن غيره من الكتب الستة.

* * *



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٥٤٣ ـ عَن أَبِـي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ نَاسًـا مِـن أَصْـحَابِ النَّبِـيِّ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِن أَحيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُم فَلَم يُضَيِّفُوهُم، فَقَالُوا لَهُم: هَل فِيكُم رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَـدِيغٌ أَو مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُم: نَعَم، فَأَتَـاهُ فَرَقَـاهُ بِفَاتِحَـةِ الْكِتَـابِ، فَبَـرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِن غَنَمٍ، فَأَبَى أَن يَقبَلَهَا وَقَالَ: حَتَّى أَذكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِـيِّ ﷺ، فَأَتَى النَّبِـيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ! واللهِ مَا رَقَيتُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: «مَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟»، ثُـمَّ قَالَ: «خُذُوهَا وَاضرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: يَقْـرَأُ أُمَّ الْقُـرْآنِ وَيجْمَـعُ بُزَاقَـهُ وَيَتفُـلُ[1]. أَخرَجَـهُ البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ، وَهَذَا لَفْظُ مُسلِمٍ[2].

(عن أبي سعيد الخدري)، واسمه سعدُ بنُ مالكِ بـنِ سـنان، (ﷺ: أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ كانوا في سفر)، وفي رواية في الصحيحين:

---

(١) هذه رواية البخاري.

(٢) رواه البخاري (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢٠١/ ٦٥).

قال أبو سعيد: كنَّا في مسير لنا[1].

(فنزلوا)، وفي الأخرى: «فنزلنا منزلًا»[2]، **(بحيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم)**؛ أي: طلبوا من ذلك الحي أن يضيفوهم، **(فلم يضيفوهم)**، وفي رواية: فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيدُ ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهطَ الذين نزلوا؛ لعلهم يكون عندهم بعض شيء، فأتوهم[3]، **(فقالوا لهم)**: يا أيها الرهط! إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فـ **(فيكم من راقٍ)** يرقي؛ **(فإن سيد الحي)**، وهو عريفهم، ومَن رجوعُ أمورهم إليه **(لديغ، أو)** قالوا: **(مصاب)**، وفي رواية: عند أحد منكم من شيء؟[4]، **(فقال رجل منهم)**: من الصحابة، وهو أبو سعيد الخدري ﷺ: **(نعم)** فينا راقٍ.

وفي رواية: فجاءت جارية، فقالت: إن سيد الحي سليم[5]، والسليمُ هو اللديغ، سمي بذلك تفاؤلًا من السلامة؛ لكون غالبِ من يلدغ يعطب.

وقيل: سليم (فعيل) بمعنى (مفعول)؛ لأنه أسلم للعطب.

قالت: وإن نفرنا غُيَّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبِنُهُ برقية؛ أي: نظنه ونعرفه ونتهمه برقية، **(فأتاه)**؛ أي: جاء الصحابي سيدَ

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠١/ ٦٦).

(٣) رواه البخاري (٢٢٧٦).

(٤) رواه البخاري (٢٢٧٦).

(٥) رواه البخاري (٥٠٠٧).

الحي اللديغ، **(فرقاه بفاتحة الكتاب)**.

وفي رواية: لمَّا جاؤوهم قال بعضهم: إني والله لأَرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيِّفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلًا، فصالحوهم على قطيع من الغنم[1].

وفي رواية الترمذي أن الراقي هو أبو سعيد ﷺ، وأن الغنم كانت ثلاثين شاة[2].

فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **(فبرأ الرجل)**، وفي الرواية الأخرى: فكأنما نُشِط من عِقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ[3]، **(فأعْطى)** اللديغُ الذي هو سيد الحيِّ الراقيَ **(قطيعًا من غنم)**؛ أي: ثلاثين شاة.

وفي الرواية الأخرى: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، وقال بعضهم: اقتسموا[4]، **(فأبى)** الراقي الذي هو أبو سعيد **(أن يقبلها)**؛ أي: الغنم؛ يعني: أن يتصرف فيها بقسمة أو غيرها، **(وقال)**: لا تفعلوا فيها شيئًا من قسمة ولا غيرها من سائر التصرفات **(حتى أذكر ذلك)**؛ أي: ما جاعلونا عليه من الغنم، ودَفْعَهم الغنمَ لنا، وأخذَنا لها.

وفي الرواية الأخرى: قال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٦٣).

(٣) رواه البخاري (٢٢٧٦).

(٤) انظر التعليق السابق.

فنذكر الذي كان[1]، **(لرسول الله ﷺ)**، فننظر الذي يأمرنا به، **(فأتى النبيَّ ﷺ، فذكر ذلك له)**.

وفي الرواية الأُخرى: فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنًا، فلما رجع، قلنا له: أكنتَ تحسن رقية؟ أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأمِّ الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئًا حتى نأتي ونسأل رسولَ الله ﷺ[2].

(فقال: يا رسول الله! ما رقيتُ إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم رسولُ الله ﷺ، وقال: وما أدراك أنها رقية؟)، وفي لفظ: «وما كان يدريك أنها رقية؟»[3].

وفي آخر: «وما يدريك أنها رقية؟»[4].

(ثم قال) ﷺ: قد أصبتم، **(خذوها)**؛ أي: الثلاثين شاة، **(واضربوا لي بسهم معكم)**، وفي رواية: «واضربوا لي معكم سهمًا»[5].

وفي آخر: «اقسموا واضربوا لي بسهم»، وضحك النبي ﷺ[6].

(وفي رواية): جعل الرجل ـ يعني: أبا سعيد ـ **(يقرأ أم الكتاب)**؛ أي: الفاتحة، **(ويجمع بصاقه)** في فيه، **(ويتفل)** على المحل الذي به

---

(١) رواه البخاري (٢٢٧٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠٠٧).

(٣) رواه أبو طاهر المُخَلِّص في «المُخَلِّصيات» (١٧٧١).

(٤) رواه البخاري (٢٢٧٦).

(٥) انظر التعليق السابق.

(٦) رواه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١/ ٦٦) دون ذكر الضحك، وقد ورد ذكره في حديث آخر رواه البخاري (٥٧٣٦).

الوجع من بدنه.

(رواه البخاري، ومسلم)، وأبو داود، والترمذي، وغيرهما[1]، **(وهذا اللفظ)** المذكور؛ أي: الذي كتبناه بالأحمر **(لفظ مسلم)**، وقد ذكرنا لفظ البخاري وغيره.

قال الإمام المحقق ابن القيم: إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصَّ ومنافعَ؛ فما الظن بكلام ربِّ العالمين، ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلُها؛ لتضمنها جميعَ معاني الكتاب؟ فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الرب في طلب الإعانة به، والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء، وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه، ولتضمنها ذكرَ أصناف الخلائق، وقسمتهم إلى منعَمٍ عليه؛ لمعرفته بالحق، والعمل به، ومغضوبٍ عليه؛ لعدوله عن الحق بعدَ معرفته، وضال؛ لعدم معرفته له، مع ما تضمنته من إثبات القدر والشرع والأسماء والمعاد والتوبة، وتزكية النفس وإصلاح القلب، والرد على جميع أهل البدع، وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يُستشفى بها من كل داء. انتهى[2].

وفي رواية للترمذي أنه قرأ ـ يعني: أبا سعيد رضي الله عنه ـ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ سبعَ مرات[3].

---

(١) رواه أبو داود (٣٤١٨)، والترمذي (٢٠٦٤).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٤/ ١٧٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٦٣).

وفي رواية: قال أبو سعيد: فانطلقت معهم، فجعلت أقرأ فاتحة الكتاب، وأمسح المكان الذي لدغ حتى برأ، قال: أعطونا الغنم، فقلت: لا والله! لا نأكلها حتى نسأل عنها رسولَ الله ﷺ، ما أدري ما أرقي، وما أحسن الرقى، فلما قدمنا، أتينا رسولَ الله ﷺ، فأخبرناه، فقال: «ما أدراك أنها رقية؟ أو: ما أعلمك أنها رقية؟ نعم، فكلوها واضربوا لي معكم بسهم»[1]، وقد أخرجه ابن ماجه[2].

* **تنبيهات:**

الأول: (الرقى) ـ بضم الراء والقاف، مقصور ـ جمع (رقية) بسكون القاف، يقال: رقى ـ بالفتح في الماضي ـ يرقي ـ بالكسر في المستقبل ـ ورقيت فلاناً ـ بكسر القاف ـ أرقيه، واسترقى: طلب الرقية، فالجميع بغير همز، وهو بمعنى التعويذ بالذال المعجمة.

وقد أخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصححه ابن حبان، والحاكم من حديث ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ كان يكره عشر خصال، فذكر فيها: الرقى إلا بالمعوذات[3].

وأخرج الترمذي ـ وحسَّنه ـ والنسائي من حديث أبي سعيد: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجانِّ، وعينِ الإنسان حتى نزلت المعوذات،

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٥٣٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٥٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٨٠)، وأبو داود (٤٢٢٢)، والنسائي (٥٠٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤١٨).

فأخذها، وترك ما سواها[1].

وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عوف بن مالك ﷺ قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رُقَاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[2].

ولمسلم - أيضًا - من حديث جابر ﷺ: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آلُ عمرٍو بن حزم فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، [وإنك نهيت عن الرقى]، قال: فعرضو[هـ]ـا عليه، فقال: «ما أرى بأسًا، من استطاع أن ينفع أخاه؛ فلينفعه»[3].

وقد تمسَّك قوم بهذا العموم، فأجازوا كل رقية جُرِّبت منفعتها ولو لم يُعقل معناها، لكن دلَّ حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك؛ يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك، فيمنع احتياطًا.

وزعم قوم: أنه لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة؛ لما في حديث

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٥٨)، والنسائي (٧٨٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٠/ ٦٤).

(٣) رواه مسلم (٢١٩٩/ ٦٣).

عمران بن حصين ﵁ مرفوعًا: «لا رقية إلا من عين أو حُمَّة»[1].

وأجيب: بأن معنى الحصر فيهما أنهما أصل كلِّ ما يحتاج إلى الرقية، فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مسٌّ، ونحو ذلك؛ لاشتراكها في كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني، ويلتحق بالسم كلُّ ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية.

وقد وقع عند أبي داود في حديث أنس مثل حديث عمران، وزاد: «أو دم»[2].

وفي مسلم عن أنس ﵁ قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقى من العين والحمة والنملة[3]، وفي حديث آخر: والأذن[4].

ولأبي داود من حديث الشفاء بنتِ عبدِالله: أن النبي ﷺ قال لها: «ألا تُعلِّمينَ هذه ـ يعني: حفصة ـ رقيةَ النملة؟»[5]، والنملةُ: قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.

وقيل: المراد بالحصر معنى الأفضل؛ أي: لا رقية أنفع؛ كما قيل: لا سيف إلا ذو الفَقَار.

وقال قوم: المنهيُّ عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذونُ

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٨٩).

(٣) رواه مسلم (٢١٩٦/ ٥٨).

(٤) رواه البخاري (٥٧١٩).

(٥) رواه أبو داود (٣٨٨٧).

فيه ما كان بعد وقوعه، ذكره ابنُ عبد البر، والبيهقي، وغيرهما[1]، وانظر فيه في «الفتح» وقال: وكأنه مأخوذ من الخبر الذي قرنت فيه التمائم بالرقى، فأخرج أبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم من طريق ابن أخي زينب امرأةِ ابنِ مسعود، عنها، عن ابن مسعود رضي الله عنهما رفعه: «إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شركٌ»[2]، وفي الحديث قصة.

و(التمائم): جمع (تميمة)، وهي خرزٌ أو قلادةٌ تعلَّق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يرفع الآفات.

و(التِّولة) بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا: شيء كانت المرأة تجلب به محبةَ زوجها، وهو ضربٌ من السحر.

وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفعَ المضار، وجلبَ المنافع من عند غير الله.

ولا يدخل في ذلك ما كان من أسماء الله وكلامه؛ فقد ثبت في الأحاديث استعمالُ ذلك قبل وقوعه؛ فإنه كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه ينفث بالمعوذات، ويمسح بهما وجهه؛ كما يأتي[3].

وكان ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، وبكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة[4].

---

(١) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٣٥٠)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١٧/ ١٦١).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٥٠٥).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري من (٣٣٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وصحح الترمذي من حديث خولةَ بنتِ حكيم ﵂ مرفوعًا: «مَن نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق؛ لم يضره شيءٌ حتى يتحول»[1].

وعند أبي داود، والنسائي بسند صحيح، عن سهل بن أبي صالح، عن أبيه، عن رجل من أسلم: جاء رجل فقال: لُدغتُ الليلة فلم أنم، فقال له النبي ﷺ: «لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذُ بكلمات الله التامَّة من شرِّ ما خلق؛ لم يضرك»[2].

والأحاديث في هذا المعنى موجودة.

لكن قد يقال: إن الرقى أخصُّ من التعوذ، وإلا فالخلاف في الرقى مشهور، ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله تعالى، والالتجاءِ إليه في كل ما وقع، وما يُتوقع.

وقال ابن التين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطبُّ الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق؛ حصل الشفاء بإذن الله، فلما عزَّ هذا النوع؛ فزع الناس إلى الطب الجثماني، وتلك الرقى المنهيُّ عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره ممن يدَّعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشبهة مركبة من حق وباطل، تجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين، والاستعانة بهم، والتعوذ بمردتهم.

ويقال: إن الحيات لعداوتها الإنسانَ بالطبع، تصادق الشياطين؛ لكونها

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٧).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٩٨)، والنسائي (١٠٣٩٧).

أعداء بني آدم، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين؛ أجابت، وخرجت من مكانها، كما في «الفتح»[1].

وكذا اللديغ إذا رُقي بتلك الأسماء؛ سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه؛ ليكون بريئًا من ثبوت الشرك.

وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماءُ الأمة.

وقال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقي به الجاهلية مما لا يُعقل معناه، فيجب اجتنابه؛ لئلا يكون فيه شرك، أو يؤدي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله تعالى أو بأسمائه، فيجوز، فإن كان مأثورًا، يستحب.

الثالث: ما كان بأسماء غير الله من مَلَك أو معظم من المخلوقات؛ كالعرش، قال: فهذا ليس من الواجب اجتنابه، ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله والتبرك بأسمائه، فيكون تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به، فينبغي أن يُجْتنبَ؛ كالحلف بغير الله تعالى[2].

الثاني: روى الإمام أحمد، وأبو داود بإسناد صحيح، وكذلك ابن السني، عن خارجة بن الصلت البرجمي، عن عمه علاقة بن صيحار التميمي رضي الله عنه قال: أقبلنا من عند النبي ﷺ، فأتينا على حَيٍّ من العرب،

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١٩٦)، وقد نقل عنه المؤلف مطولًا.

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (١/ ٤٦٦).

فقالوا: إنا أُنبئنا أنكم قد جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم من دواء أو رقية؟ فإن عندنا معتوهًا في القيود، فجاؤوا بمعتوه في القيود، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاث مرات غدوة وعشية، أجمع بصاقي ثم أتفل، فكأنما نُشِط من عِقال، فأعطوني جعلًا، فقلت: لا حتى أسأل النبي ﷺ، فسألتُه فقال: «كُلْ، لَعمري! مَن أكل برقية باطل لقد أكلتَ برقية حقٍّ»(١).

وفي رواية عنه: أنه أتى النبي ﷺ، ثم أقبل راجعًا من عنده، فمرَّ على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهلُه: إن صاحبكم هذا قد جاء بخير، فهل عندكم شيء يداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوني مئة شاة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «هَلْ إِلَّا هذا؟»(٢).

وفي رواية: «قلتَ غيرَ هذا؟» قلتُ: لا، قال: «خذها، فلَعمري مَن أكل برقية باطل لقد أكلتَ برقية حق»(٣).

ورواه أبو داود ـ أيضًا ـ بلفظ آخر(٤).

قال أهل اللغة: المعتوه: هو المصاب في عقله، وله عشر ألفاظ: مجنون، ومعنون، ومهروع، ومخفوع، ومعتوه، وممتوه، ومُمته، وممسوس، وبه لَمَمٌ، ومصاب في عقله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢١١)، وأبو داود (٣٩٠١)، وابن السني (٦٣٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٩٦).

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) رواه أبو داود (٣٨٩٧).

قال في «تحفة العباد»: وأما قول العامة: مخزوع، فهو تصحيف من مهروع، قاله المحقق ابن القيم. انتهى[1].

قال العلماء: التفل: نفخٌ بريقٍ يسيرٍ كما يشير إليه في الحديث بقوله: (أجمع بصاقي)، وفائدتُه التبركُ بتلك الرطوبة والنفس المباشر للرقية كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذِّكر.

قال بعض المحققين: في الفاتحة شفاء من كل داء ظاهر وباطن؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ شفاء من الرياء، وفي قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ شفاء من مرض الكفر، وفي قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ شفاء من مرض الضلال، وأنشدوا:

إذا مرضنا تداوَيْنا بذكركمُ

فإن تركناه زادَ السقمُ والمرضُ

الثالث: قد قدَّمنا في الحديث الثاني أن اللديغ ـ بالدال المهملة والغين المعجمة ـ: القريص، وأن صاحب «القاموس» قال فيه: لدغته الحية والعقرب؛ كـ (منع). . . إلخ[2].

وفي «الفتح»: استعمال اللدغ في ضرب العقرب مجاز، والأصل أنه الذي يضرب بفيه، والذي يضرب بمؤخره يقال له: لسع، وبأسنانه: نهش ـ بالمعجمة والمهملة ـ وبأنفه: نكز ـ بنون وكاف وزاي ـ وبنابه:

---

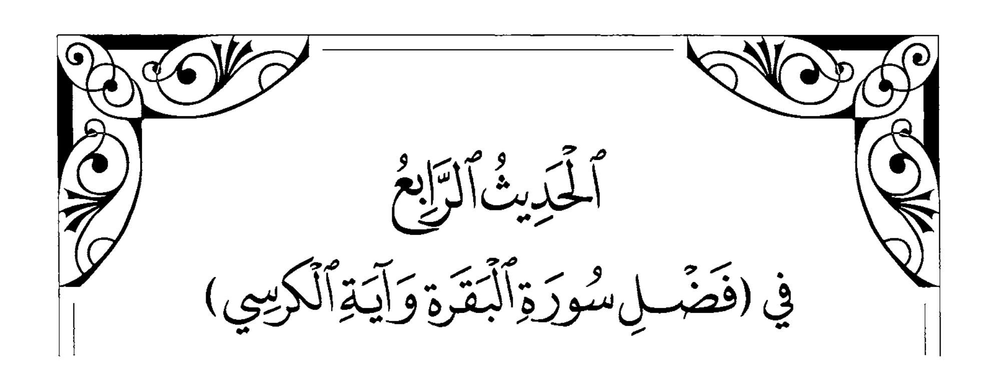
(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٤/ ٩٨٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: لدغ).

نشط، هذا هو الأصل، وقد يستعمل بعضها مكـان بعـض تجـوُّزًا[1]. والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١٩٩).



الحَدِيثُ الرَّابِعُ
في (فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ وآيَةِ الكُرْسِي)

اتفقوا على أن سورة البقرة مدنية، وأنها أول سورة نزلت بها.

٥٤٤ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تجْعَلُوا بُيُوتكُمْ قُبُورًا؛ فَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُقْرَأُ فِيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخلُهُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ مُسلِمٌ[1].

(**عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: لا تجعلوا بيوتكم**)؛ أي: مساكنكم (**قبورًا**)؛ أي: كالقبور في ترك الصلاة فيها؛ فإن النهي ورد عن الصلاة في القبور، فلا ينبغي لكم ولا يحسُن منكم أن تجعلوا بيوتكم مثلَها، (**فإن البيت الذي يقرأ**) بضم أوله مبنيًّا للمفعول (**فيه**)؛ أي: في ذلك البيت (**سورة البقرة**) بالرفع نائب الفاعل، (**لا يدخله الشيطان**)؛ أي: المعهود، وهو العاصي من الجن؛ أي: لا يدخله جنس الشيطان، فهو في قوة النكرة؛ أي: لا يدخله أيُّ شيطان كان من شياطين الجن.

(**رواه مسلم**) في «صحيحه».

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ عند مسلم، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٨)، والترمذي (٢٨٧٧) وقال: حديث حسن صحيح.

وفي لفظ لمسلم، والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة»[1].

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا بيوتكم قبورًا»[2]؛ أي: تجعلوها كالقبور في خُلُوِّها عن الذكر والعبادة، صلُّوا فيها.

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه من حديث جابر ﷺ[3]، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة[4]، والدارقطني من حديث أنس: أنه ﷺ قال: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده؛ فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته؛ فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرًا»[5].

وفي «مسند الإمام أحمد»، والصحيحين، وغيرهما من حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم،

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠/ ٢١٢)، وفيه: «ينفر» بدل: «يفرُّ»، ولم نقف عليه بهذا اللفظ عند الترمذي. انظر التعليق السابق.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١١٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣١٥)، ومسلم (٧٧٨/ ٢١٠)، ورواه ابن ماجه (١٣٧٦) عن جابر، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) لم نقف عليه عند مسلم بهذا اللفظ، وإنما روى أصل الحديث (٧٨٠/ ٢١٢). وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٧٣).

(٥) رواه الدارقطني في «الأفراد» كما في «الجامع الصغير» للسيوطي. انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٤١٨).

ولا تتخذوها قبورًا»[1].

قال القرطبي: (من) للتبعيض؛ أي: شيئًا منها، والمراد: النوافل[2].

وحكى القاضي عياض عن بعضهم: أن معناه: اجعلوا من فرائضكم في بيوتكم؛ ليقتدي بكم من لا يخرج إلى المسجد من نسوة وغيرهن[3].

وردَّه الإمام النووي، وقال في حديث: «فليجعل لبيته منها نصيبًا»؛ أي: من صلاته المشتملة على الفرض والنفل، فليجعل الفرض في المسجد، والنافلة للبيت؛ لحديث: «أفضلُ صلاة المرء في بيته إلا المكتوبةَ»[4].

قال النووي: الصواب أن المراد: النافلة، ولا يجوز حمله على الفريضة.

قال: وإنما حثَّ على النافلة في البيت؛ لكونه أخفى وأبعدَ عن الرياء، وأصونَ عن المحبِطات، وليتبرك أهلُ البيت بذلك، وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وتنفر منه الشياطين[5]، وليحصل في البيت بالصلاة وقراءة القرآن خير، وهو عمارته بذكر الله ﷻ، وبطاعته، وحضور الملائكة واستغفارهم، وما يحصل لأهله من الثواب.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦)، والبخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٤١١).

(٣) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٣/ ١٤٤).

(٤) رواه البخاري (٧٢٩٠) من حديث زيد بن ثابت ﷺ.

(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/ ٦٧).

* **تنبيهات:**

الأول: اختلف العلماء في المراد بقوله ﷺ: «صلوا في بيوتكم»[1]، و«اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم»، و«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا»، فقال قوم: المراد منه النهيُ عن الصلاة في المقابر.

وقال آخرون: بل المراد منه الندب إلى الصلاة في البيوت؛ إذ الموتى لا يصلون؛ كأنه قال: لا تكونوا كالموتى الذين لا يصلون في بيوتهم، وهي القبور.

وقال البغوي: المراد لا تجعلوا بيوتكم وطنًا للنوم فقط لا تصلون فيها؛ فإن النوم أخو الموت، والميت لا يصلي[2].

وقال التوربشتي: يحتمل أن من لم يصلِّ في بيته جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر[3].

وتأوَّله آخرون على أن المراد النهي عن دفن الموتى في البيوت، وتعقبه الخطابي بأنه ﷺ دُفن في بيته[4]، وأجاب الكرماني أنه من خصائصه، وقد ورد أن الأنبياء يُدفنون حيث يموتون[5].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٩/ ٧٧٧)، والترمذي (٤٥١)، والنسائي (١٥٩٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٤/ ١٣٣).

(٣) انظر: «الميسر» للتوربشتي (١/ ٢٠٥).

(٤) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ٣٩٣).

(٥) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٤/ ٩٤).

الثاني: فعل السنن الرواتب في البيوت أفضلُ من فعلها في المساجد إلا سنةَ جمعة؛ فإنَّ فعلها في المسجد مكانه أفضل، نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه.

وقال في «الفروع»: وفعلها ـ أي: الرواتب ـ في البيت أفضل؛ خلافًا للإمام مالك في النهاريات.

وعن الإمام أحمد: أن الأفضل فعله في البيت مختص بالفجر والمغرب، زاد في «المغني»: والعشاء، وعنه: التسوية.

وفي آداب «عيون المسائل»: صلاة النافلة في البيوت أفضل منها في المساجد إلا الرواتب.

وقال أبو عبد الرحمن عبدُالله بنُ الإمام أحمد لأبيه: إن محمد بن عبد الرحمن قال في سنة المغرب: لا تجزئه إلا في بيته؛ لأن النبي ﷺ قال: «هي من صلاة البيوت»[1]، قال الإمام أحمد: ما أحسنَ ما قالَ[2]!

وفي «المبدع»: في سنة الجمعة إن صلى بسلام أو سلامين مكانه، نص عليه، وعنه: في بيته أفضل. انتهى[3].

وذكر بعض علماء الشافعية: أن النوافل في البيوت أفضل إلا ما استثني؛ كسنة الجمعة القبلية، وركعتي الإحرام، والطواف.

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٠)، والترمذي (٦٠٤)، والنسائي (١٦٠٠)، من حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٨٧).

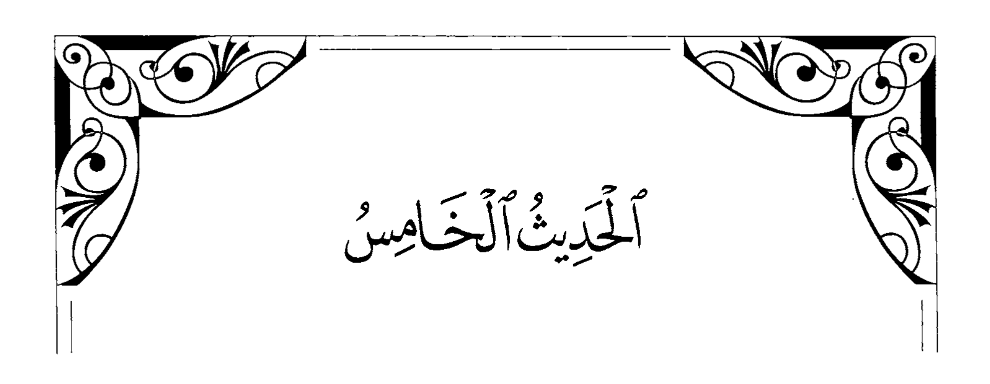
(٣) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٢/ ١٦٩).

قال الزركشي: وصلاة الضحى؛ لخبر رواه أبو داود[1]، وصلاة الاستخارة، وصلاة مُنشئ السفر، والقادمِ منه، والماكثِ بالمسجد لتعلُّمٍ أو تعليم، أو اعتكاف، والخائف فوتَ الراتبة. انتهى.

قلت: وظاهر معتمد مذهبنا في غير الرواتب التسويةُ بين المساجد والبيوت ما لم يوجد ثمَّ مرجح. والله أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٢٨٧) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه.



الحديث الخامس

٥٤٥ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لكلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَفِيْهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ؛ آيَةُ الْكُرْسِيِّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[1].

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لكلِّ شيءٍ سنامٌ**).

قال في «النهاية»: سنامُ كلِّ شيءٍ: أعلاه[2].

(**وإن سنام**)؛ أي: أعلى (**القرآن**) وأرفعه (**سورة البقرة**)؛ أي: هي أفضل السور التي فصلت فيها الأحكام، وضربت فيها الأمثال، وأقيمت الحجج؛ إذ لم تشتمل سورة من سور القرآن ما اشتملت عليه من ذلك، (**وفيها**)؛ أي: في سورة البقرة (**آية هي سيدة آي القرآن**)، الآية في الأصل: العلامة، والشخص، وتجمع على آيات، وآي، والآية من القرآن: كلام متصل إلى انقطاعه، (**وهي**)؛ يعني: سيدة القرآن (**آيةُ الكرسي**)؛ أي: الآية التي يذكر فيها الكرسي؛ لاشتمالها على التوحيد.

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٨).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ١٥٩).

قال الجلال السيوطي: لا تنافي بين كون الفاتحة أعظَم السور وبين حديث أن البقرة أعظمُ السور؛ لأن المراد به ما عدا الفاتحة من السور التي فصلت فيها الأحكام، وضربت فيها الأمثال، وأقيمت فيها الحجج، فلم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه من ذلك، ولذلك سميت: فُسطاطَ القرآن.

قال ابن العربي في «أحكامه»: سمعت من بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام ابن عمر رضي الله عنهما ثمان سنين على تعلمها. أخرجه الإمام مالك في «الموطأ»[1].

وقال ابن العربي ـ أيضًا ـ : وإنما كانت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها؛ فإن الشيء إنما يشرُف بشرف مقتضاه ومتعلقاته، وهي في آي القرآن كسورة الإخلاص في سوره، وهذه آية، والسورة أعظم؛ لأنه وقع التحدي بها، فهي أفضل من الآية التي لم يتحدَّ بها، وسورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفًا، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفًا.

قال الغزالي: قال ﷺ في الفاتحة: «أفضل سورة»[2]، وفي آية الكرسي: «سيدة آي القرآن»؛ فإن الفضل هو الزيادة، والأفضل هو الأزيد.

وأما السؤدد، فهو رسوخُ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع، ويأبى التبعية، والفاتحة تتضمن التنبيه على معانٍ كثيرة، ومعارفَ مختلفة، فكانت أفضلَ، وآيةُ الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المقصودة المتبوعة

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٥).

(٢) رواه ابن خزيمة (٨٦٢) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

التي تتبعها سائر المعارف، فكان وصف السيد بها أليق[1].

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: القرآن على قسمين: فاضل، وهو كلام الله في الله، ومفضول، وهو كلامه في غيره؛ كقوله حكاية عن فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[القصص: ٣٨]، وكحكاياته عن الكفار، ونحو ذلك.

وقال الجلال السيوطي: بل القرآن ثلاثة أقسام: أفضل، وفاضل، ومفضول؛ لأن كلامه ﷻ فيه منه بعضٌ أفضل من بعض؛ كتفضيل الفاتحة والإخلاص. انتهى[2].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح أبو عيسى **(الترمذي، وقال: غريب)** لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير، وضعفه. انتهى كلام الترمذي.

قلت: وذكر الحافظ المنذري عن الدارقطني وغيره في حكيم بن جبير: أنه متروك، وقال النسائي: ليس بالقوي، ومَشَّاه بعضُهم وحَسَّنَ أمره. انتهى[3].

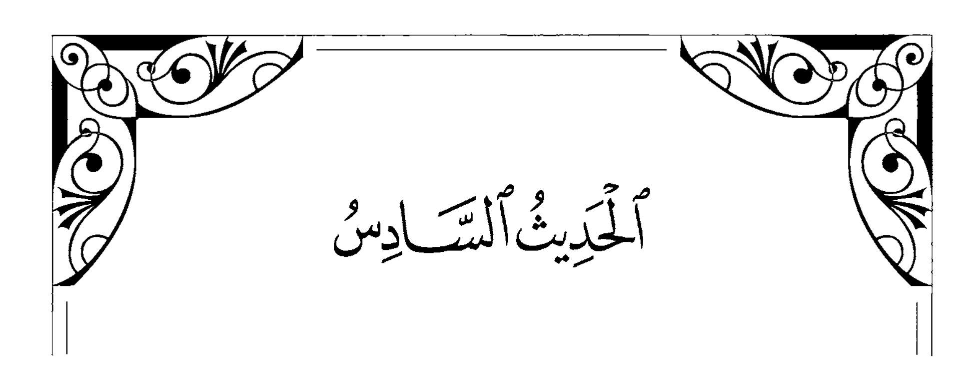
* * *

---

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٤/ ٤٢١).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٤١٧).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٦٩ ـ مصطفى البابي الحلبي).



الحديث السادس

٥٤٦ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرأَ ﴿حمٓ﴾ الْمُؤمن إِلَى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِين يُصبحُ؛ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَن قرأَهُما حِينَ يُمْسِي؛ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصبحَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ) من أمتي المسلمين سورة (﴿حمٓ﴾ المؤمن)؛ يعني: أول سورة غافر (إلى) قوله تعالى: (﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ ـ ٣])؛ أي: قرأ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ ـ ٣]، (و) قرأ (آية الكرسي حين يصبح)؛ أي: يدخل في الصباح، وهو من طلوع الفجر الثاني الذي هو الصادق، (حُفظ) ـ بضم أوله وكسر الفاء مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ؛ أي: حفظه الله ﷻ (بهما)؛ أي: بقراءتهما ذلك اليوم؛ بأن يرسل ملائكة يحفظونه من كل سوء، ويستمر ذلك من وقت قراءته لهما (حتى يمسي)؛ أي: يدخل في المساء بغيبوبة الشمس، (ومن

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٩).

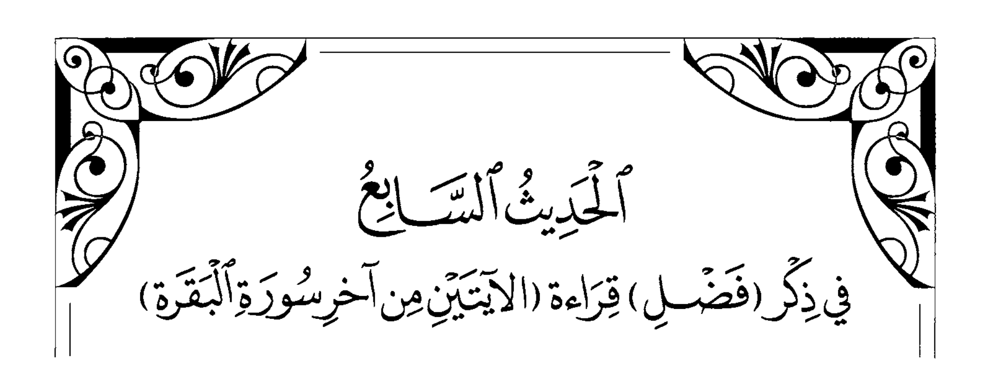
قرأهما)؛ أي: أول ﴿حمٓ﴾ المؤمن إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وآية الكرسي **(حين يمسي)**؛ أي: يدخل في المساء، **(حفظ)** بضم أوله مبنيًّا للمفعول؛ أي: حفظه الله ﷻ بأن يرسل إليه ملائكة يحفظونه من كل شر، أو يحفظه هو تعالى بصرف الشر عنه، أو بصرفه هو عن الشر **(بهما)**؛ أي بقراءتهما **(حتى يصبح)**؛ أي: يطلع الفجر الثاني.

(رواه الترمذي وقال: حديث غريب).

قلت: والذي في «جامع الأصول»: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ الدخان كلها، وأول ﴿حمٓ﴾ غافر إلى ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ حين يمسي؛ حفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح؛ حُفظ بها حتى يمسي». أخرجه الترمذي[1]، وقال: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الرحمن [بن أبي بكر] بن أبي مليكة من قِبل حفظه.

* * *

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٩٤).



الحديث السابع
في ذكر (فضل) قراءة (الآيتين من آخر سورة البقرة)

٥٤٧ ـ عَن أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الآيَتَانِ مِن آخِرِ الْبَقَرَةِ مَن قَرأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[١].

(عن أبي مسعود) اسمه عُقبةُ بنُ عمرِو بنِ ثعلبةَ **(البدريِّ)**، تقدمت ترجمته في (فضل الصدقة)، وأخرجه الإمام أحمد من وجه آخر، فقال فيه: عن عقبة بن عمرو[٢]، **(ﷺ، عن النبي ﷺ قال: الآيتان)**، وفي لفظ: «من قرأ بالآيتين»[٣].

وفي لفظ آخر: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة»[٤].

وأخرجه الإمام أحمد، فقال فيه: «من سورة البقرة»[٥]، لم يقل: (آخر).

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧/ ٢٥٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٢).

(٣) رواه البخاري (٥٠٠٨).

(٤) رواه البخاري (٥٠٠٩).

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢١).

وفي لفظ عند الإمام أحمد: «من قرأ الآيتين الأخيرتين»[1].

(من آخر سورة البقرة)؛ يعني: من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة، فآخر الآية الأولى: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، ومن ثم إلى آخر السورة آية واحدة، وأما ﴿مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾، فليست رأس آية باتفاق القارئين.

(مَنْ)؛ أي: أيُّ مسلم **(قرأها في ليلة)**، وفي رواية: «من قرأهما بعد العشاء الآخرة»[2].

وفي حديث النعمان بن بشير رفعه: «إن الله كتب كتابًا أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة». أخرجه علي بن سعيد العسكري[3]، وأصله عند الترمذي، والنسائي، وصححه ابن حبان، والحاكم[4].

ولأبي عبيد في «فضائل القرآن» من مرسل جُبير بن نُفير، نحوه، وزاد: «فاقرؤوهما، وعلِّموهما أبناءكم ونساءكم؛ فإنهما قرآن وصلاة ودعاء»[5].

(كفتاه)؛ أي: أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن. قَدَّمَه في «الفتح»[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢١)، وفيه: «الآخرتين» بدل: «الأخيرتين».

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٨٤).

(٣) لم نقف عليه عند العسكري.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، والنسائي (١٠٨٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٦٥).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٣٣).

(٦) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٦).

وقيل: أجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقًا، سواء كان داخل الصلاة، أم خارجها.

وقيل: أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد؛ لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالًا.

وقيل: معناه: وقتاه كل سوء.

وقيل: كفتاه شر الشيطان.

وقيل: دفعتا عنه شر الإنس والجن.

وقيل: كفتاه بما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك؛ لما تضمنتاهُ من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله، وابتهالهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم.

والوجهُ الأولُ ورد صريحًا من طريق عاصم، عن علقمة، عن أبي[1] مسعود ﷺ: مَن قرأ خاتمة البقرة؛ أجزأت عنه قيام الليل[2].

ويؤيد الوجه الرابع حديثُ النعمان بن بشير ﷺ رفعه: «إن الله كتب كتابًا وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، لا يُقرأان في دار فيقربها الشيطان ثلاث ليال». أخرجه الحاكم، وصححه[3].

قلت: وأخرج الترمذي حديث النعمان بن بشير، ولفظه: «إن الله تعالى كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم

---

(١) في الأصل: «ابن»، والتصويب من «فتح الباري» (٨/ ١٥٢).

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٧٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٦٥).

بهما سورة البقرة، ولا تُقرأان في دار ثلاث مرار، فيقربها شيطان»[1].

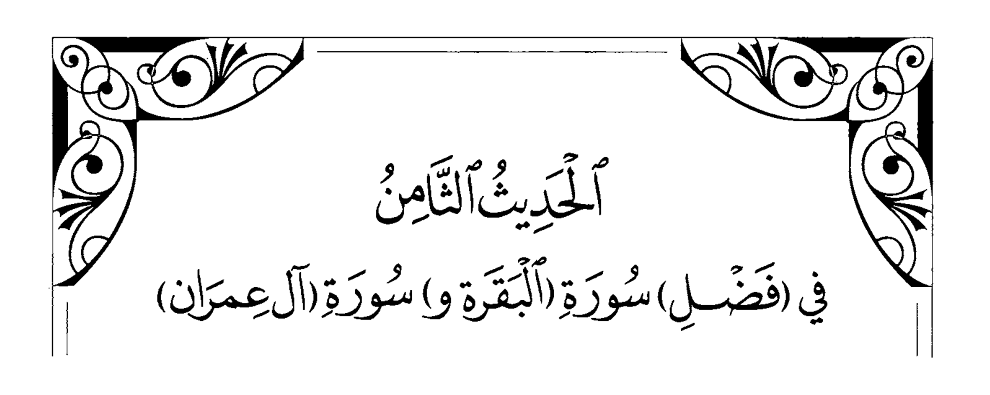
وفي حديث معاذ رضي الله عنه لما أمسك الجني: وآية ذلك أنه لا يقرأ أحد منكم خاتمة سورة البقرة، فيدخل أحدٌ منَّا بيته تلك الليلة. أخرجه الحاكم[2].

(رواه)؛ أي: الحديث المشروح **(البخاري، ومسلم)**، وغيرهما.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٦٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



الحديث الثامن
في (فضل) سورة (البقرة و) سورة (آل عمران)

٥٤٨ ـ عَن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَو كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَو كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِن طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَن أَصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَستَطِيعُهَا البَطَلَةُ»، وقَالَ مُعَاوِيَةُ بنُ سَلَّام: بَلغَنِي أَنَّ البَطَلَةَ السَّحَرَةُ. رَوَاهُ مُسلم[١].

(عن أبي أمامة) صُدَيِّ بنِ عجلانَ (الباهلي)، تقدمت ترجمته في (فضل المشي إلى الصلاة)، (ﷺ **قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: اقرؤوا القرآن**) العظيم، والذكرَ الحكيم؛ **(فإنه)**؛ أي: القرآن **(يأتي يوم القيامة)** حال كونه **(شفيعًا)** لدى الله ﷻ **(لأصحابه)** الذين كانوا يحفظونه ويقرؤونه، ويقومون به، ويقفون على حدوده، فيحرمون ما حرم، ويحلون ما أحله.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٤/ ٢٥٢).

قال الحافظ المنذري: ومعنى هذا عند أهل العلم: أنه يجيء ثواب قراءة القرآن، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبهه من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. انتهى[1].

وقال غيره: يصور ذلك صورة بحيث يجيء يوم القيامة يراه الناس؛ كما يجعل الله تعالى لأعمال العباد خيرها وشرها صورة ووزنًا يوضع في الميزان، فيقبل المؤمن هذا وأمثاله، ويعتقده بإيمانه؛ لأنه ليس للعقل في مثل هذا مجال.

(اقرؤوا) معشرَ المسلمين من أمتي أمةِ الإجابة **(الزهراوَيْن)**: سورة **(البقرة، وسورة آل عمران)**، سميتا بالزهراوين لنورهما وهدايتهما، وعظم أجرهما **(فإنهما)**؛ أي: البقرة وآل عمران **(يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمامتان)** ـ بفتح الغين المعجمة، فميم، فألف، ثم ميم مفتوحة، فتاء فوقية، فألف، فنون ـ تثنيةُ (غمامة)، **(أو كأنهما غيايتان)** مثنى (غَياية) ـ بغين معجمة وياءين مثناتين تحت ـ وهي كل شيء أظل الإنسانَ فوق رأسه؛ كالسحابة والغاشية ونحوهما، قاله المنذري[2].

وقال في «النهاية»: الغمامة: السحابة[3].

وقال: تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان، أو غيايتان، الغياية: كل شيء أظلَّ الإنسانَ فوق رأسه؛ كالسحابة وغيرها. انتهى[4].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٤٢).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٨٩).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٤٠٣).

وهو بفتح الغين المعجمة وتخفيف المثناتين التحتيتين.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي: المراد: أن ثوابهما يأتي كغمامتين[1]، **(أو)** يأتيان ـ أي: البقرة وآل عمران ـ يعني: ثوابهما **(كأنهما فرقان)**؛ أي: قطعتان كما في «النهاية»، و«الترغيب»، وغيرهما[2]، **(من طيرٍ صوافَّ)**؛ أي: باسطاتٍ أجنحَتَها في الطيران، والصواف: جمعُ (صافَّة)، **(يحاجان)**؛ أي: يخاصمان **(عن أصحابهما)**؛ أي: حَمَلتهما القائمين بهما.

ثم قال ﷺ: **(اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها)**؛ أي: قراءتها وحفظها **(بركة)**؛ أي: نماء وزيادة، **(وتركها)**؛ أي: عدم أخذها وحفظها **(حسرة)**؛ أي: تأسف وندم، وتلهف وغُرم، **(ولا يستطيعها)**؛ أي: سورة البقرة **(البَطَلَة)** بفتح الموحدة والطاء المهملة؛ كما في «المشارق»[3].

(قال معاوية بن سلَّام: بلغني أن البطلة) في هذا الحديث المراد بهم **(السحرة. رواه مسلم)**، ورواه الإمام أحمد[4].

ومعاوية بن سلَّام: هو ابن أبي سلَّام الحبشي، روى عن أبيه إن[5] كان [ذلك] محفوظًا، وجدِّه، وروى عن أخيه زيد، والزهري، وجماعة.

---

(١) انظر: «الديباج» للسيوطي (٢/ ٤٠٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٤٤٠)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٤١).

(٣) انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٨٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٩).

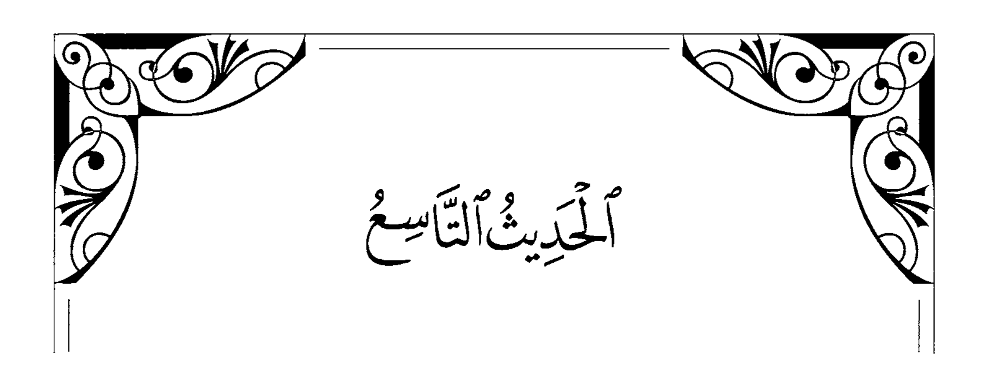
(٥) في الأصل: «أنه»، والتصويب من «تهذيب الكمال» للمزي (١٢/ ٢٩١).

وروى عنه: أبـو مـسهر، وأبـو توبـة الحلبـي، ومـروان الظـاهري، وآخرون.

وثَّقه الإمام أحمد، ويحيى بن معين[1]، وغير واحد.

* * *

(١) انظر: «تاريخ ابن معين» (ص: ٢١٢ ـ رواية الدارمي).



الحَدِيثُ التَّاسِعُ

٥٤٩ ـ عَنِ النوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ الْكِلابِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَو ظُلَّتَانِ سَودَاوَانِ بَينَهُمَا شَرْقٌ، أَو كَأَنَّهُمَا فِرقَانِ مِن طَيرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَن صَاحِبِهِمَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

(عن النوَّاسِ بنِ سمعانَ الكلابيِّ ﷺ)، وأبوه (سمعان) بكسر السين المهملة ـ قيل: وبفتحها ـ وسكون الميم، وبالعين المهملة.

(قال) النواسُ ﷺ: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى[2] بالقرآن) العظيم (يومَ القيامة) العظمى؛ حيث يقوم الناس ويحشرون لفصل القضاء، (و) يؤتى بـ (أهلِه الذين كانوا يعملون به)، و(بأهله) محله الرفع نائب

---

(١) رواه مسلم (٨٠٥/ ٢٥٣).

(٢) في هامش الأصل: «بضم أوله مبنيًا لما لم يسم فاعله، وقوله: (بالقرآن) بالرفع نائب الفاعل».

الفاعل معطوف على (القرآن)، **(في الدنيا)** متعلق بـ (يعملون)، **(تقدمُهُ)**؛ أي: تأتي قدامَ القرآن العظيم **(سورةُ البقرة، و)** سورة **(آلِ عمران)**؛ أي: يأتي ثواب القرآن العظيم يومَ القيامة، ويأتي أمامه ثوابُ سورة البقرة، وآل عمران؛ كما تقدم قريبًا.

وفي قوله ﷺ في هذا الحديث ما يدل على ما فسره أهلُ العلم من أن المراد: يجيء ثواب قراءة القرآن؛ إذ قال: «وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا»، ففي هذه دلالة أنه يجيء ثواب العمل؛ كما ذكره الحافظ المنذري في «ترغيبه»[1].

(وضربَ لهما)؛ أي: لسورة البقرة وآل عمران **(رسولُ الله ﷺ ثلاثة أمثال)**، يقال منه: مثَّله تمثيلًا: صوَّره له حتى كأنه ينظر إليه.

قال النواس رضي الله عنه: **(ما نسيتهن)**؛ أي: الثلاثة أمثال التي مثلها رسولُ الله ﷺ وضربَها لسورة البقرة وآل عمران **(بعدُ)**، وفي لفظ: (ما نسيتهن بعدَه)[2]؛ أي: بعدما ضربها ومثَّلها لنا إلى الآن:

المثال الأول: (قال) ﷺ: **(كأنهما)**؛ أي: سورة البقرة وآل عمران؛ أي: ثوابهما **(غمامتان)**: تثنية (غمامة): وهي السحابة، وجمعها: (الغمام).

والمثال الثاني: ما أشار إليه بقوله: **(أو)** كأنهما؛ أي: كأن ثوابهما **(ظُلَّتان)**: تثنية (ظُلَّة): وهي السحابة التي تُظلك، وفي الحديث: أنه ﷺ

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٤٢).

(٢) لم نقف عليه.

ذكر فِتناً كأنها الظلل[1]؛ أي: جمع (ظلة).

قال في «النهاية»: كلُّ ما أظلك، واحدتُها (ظلة)، أراد أنها كالجبال، أو السحب[2].

وقوله: **(سوداوان)** تثنية (سوداء) يؤيد إرادة السحاب، **(بينهما)**؛ أي: بين الظلتين السوداوين **(شرق)** ـ بفتح الشين المعجمة، وقد تكسر، وسكون الراء بعدها قاف ـ؛ أي: بينهما فرق تضيء؛ أي: ضوء ونور.

المثال الثالث: ما أشار إليه بقوله: **(أو كأنهما)**؛ أي: سورة البقرة وآل عمران؛ يعني: كأن ثوابهما أمام ثواب القرآن يقدمه **(فرقان)**؛ أي: قطعتان **(من طير صواف)** بفتح الصاد المهملة والواو وتشديد الفاء بينهما ألف ساكنة؛ أي: باسطاتٍ أجنحتها في الطيران.

والصوافُّ: جمعُ (صافَّة).

(يحاجان) بضم أوله، فحاء مهملة مفتوحة، فألف، فجيم مشددة مفتوحة، فألف، فنون؛ أي: يخاصمان ويجادلان **(عن صاحبهما)** الذي كان يقرأ بهما، ويسهر ليله، ويظمأ نهاره، وكان يحلل حلال القرآن، ويحرم حرامه، ويمتثل أمره، ويجتنب زجره، ويقوم به آناء الليل وأطراف النهار.

---

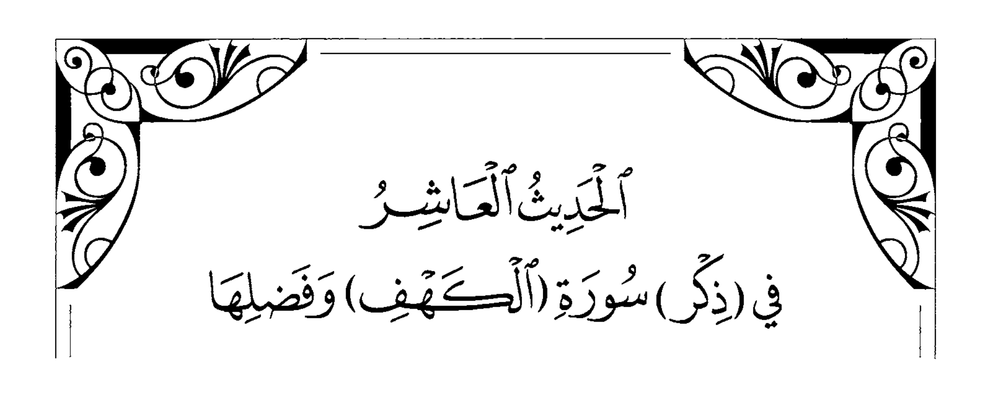
(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٧)، والحميدي في «مسنده» (٥٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٩٨)، من حديث كرز بن علقمة الخزاعي ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠٥): رواه أحمد والبزار والطبراني بأسانيد واحدها رجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٦٠).

(رواه مسلم) بن الحجاج فـي «صـحيحه»، والترمـذي فـي «سـننه»، وقال: حديث غريب[1].

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٣).



الحديث العاشر
في (ذكر) سورة (الكهف) وفضلها

٥٥٠ ـ عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِن أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»، وَقَالَ شُعْبَةُ: «مِن آخِرِ الْكَهْفِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

(عن أبي الدرداء) عُويمر بنِ عامر الأنصاريِّ (ﷺ: **أن نبي الله ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من أول)**، وفي رواية: «من آخر»[2]، **(سورة الكهف؛ عُصم)**؛ أي: حفظ **(من)** المسيح **(الدجال)**؛ أي: من فتنته.

قيل: سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يُفتتن بالدجال.

(وقال شعبة) بن الحجاج، يكنى بأبي بسطام العتكي، مولاهم، بصري الأصل، مولده ومنشؤه بواسط، ثم انتقل إلى البصرة، وعلمه كوفي.

كان إمامًا من أئمة المسلمين، وركنًا من أركان الدين، به حفظ الله أكثر الحديث.

---

(١) رواه مسلم (٨٠٩/ ٢٥٧).

(٢) انظر التعليق السابق.

قال الإمام الشافعي ﷺ: لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق[1].

ولد سنة ثلاث وثمانين، ومات سنة ستين ومئة، وهو ابن سبع وسبعين سنة، وكان أكبر من سفيان الثوري بعشر سنين.

سمع الحسن البصري، وطلحة بن مصرف، وابن سيرين، وقتادة، وأيوب، وخالد الحذاء، وعبد الملك بن عمير، والأعمش، وعمرو بن دينار، وسعيد المقبري.

وروى عنه: أيوب السختياني، والأعمش، ومحمد بن إسحاق، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وشريك بن عبدالله، وابن مهدي، وغندر، وابن المبارك، ووكيع، وأبو داود الطيالسي، وخلق كثير سواهم، وقدم بغداد مرتين، وحدث بها.

قال الإمام أحمد ﷺ: شعبة أثبت في الحكم من الأعمش، وأحسن حديثًا من الثوري، لم يكن في زمن شعبة مثلُه[2].

وكان سفيان يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث[3].

وقال ابن منجويه: شعبة كان من سادات أهل زمانه حفظًا وإتقانًا، وورعًا وفضلًا، وهو أولُ من فتش في العراق عن أمر المحدِّثين، وجانبَ الضعفاءَ والمتروكين، وصار عَلَمًا يُقتدى به، وتبعه عليه بعده أهلُ العراق[4].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٧)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ٨٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٧٠).

(٣) رواه ابن الجعد في «مسنده» (١٥).

(٤) انظر: «رجال صحيح مسلم» لابن منجويه (١/ ٢٩٩).

قال شعبة ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الحديث: من حفظ عشر آيات (**من آخر سورة الكهف**) بدل من أولها؛ لما في ذلك من العجائب والدلائل؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ [الكهف: ١٠٢]... إلخ.

وقال القرطبي: اختلف المتأولون في سبب ذلك، فقيل: لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهُلْهُ ذلك، فلا يفتن به.

وقيل: لقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ﴾[الكهف: ٢]؛ تمسكًا بتخصيص البأس بالشدة واللدنية، وهو مناسب لما يكون من الدجال من دعوى الإلهية، واستيلائه وعظيم فتنته، ولذلك عظَّم النبيُّ ﷺ أمرَه، وحذَّر منه، وتعوَّذ من فتنته، فيكون معنى هذا الحديث: أن من قرأ هذه الآيات وتدبَّرها، ووقف على معناها، حَذِره، فأَمِنَ من ذلك.

وقيل: هذا من خصائص هذه السورة كلها، فقد روي: «مَن حفظ سورة الكهف، ثم أدركه الدجال؛ لم يُسَلَّط عليه»[1].

وعلى هذا تجتمع رواية من روى: «من أول سورة الكهف»، ورواية من روى: «من آخرها»، ويكون ذكر[2] العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٦٢) بنحوه، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في الأصل: «ذلك»، والتصويب من «المفهم».

وقيل: إنما كان ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢]؛ فإنه يهوِّن بأس الدجال، وقوله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢]؛ فإنه يهوِّن الصبر على فتنة الدجال بما [يـ]ـظهر من جنته وناره، وتنعيمه وتعذيبه، ثم ذمُّه لمن اعتقدَ الولدَ يُفهم منه أن مَن ادعى الإلهية أولى بالذم، وهو الدجال.

ثم قصة أصحاب الكهف فيها عبرٌ تناسبُ العصمة من الفتن، وذلك أن الله تعالى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، فهؤلاء القوم ابتلوا فصبروا، وسألوا [إ]صلاح أحوالهم، فأُصلِحَتْ لهم، وهذا تعليمٌ لكلِّ مدعُوٍّ إلى الشرك.

ومن روى: «من آخر الكهف»، فلِما في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى آخر السورة من المعاني المناسبة لحال الدجال، ولما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ [الكهف: ١٠١] [من] تنبيه على أحوال تابعي الدجال؛ إذ قد عَمُوا عن ظهور الآيات التي تكذبه. انتهى(١).

وقال الشيخ سراج الدين البلقيني: الحكمة في اختصاص هذه الآيات بهذه الفضيلة: أنه اجتمع فيها من التوحيد، ونفي الإلهية عن غير الله، وتكذيب من كفر ما لم يجتمع في غيرها، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤] الآية.

---

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٤٣٩).

وقال الشيخ أكملُ الدين في شرح «المشارق»[1]: قيل: يجوز أن يكـون التخصيص بها لما فيها من ذكر التوحيد، وخلاص أصحاب الكهف من شر القعدة المتجبرة.

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ (مسلم)، واللفظ له.

ورواه أبو داود، والنسائي، وعندهما: «عُصم من فتنـة الـدجال»[2]، وهو كذلك في بعض نسخ مسلم.

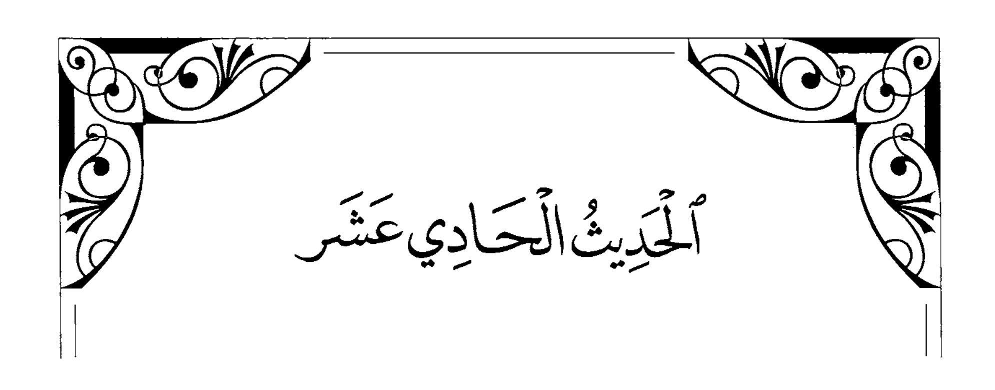
وفي رواية النسائي: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف».

* * *

---

(١) علَّامة المتأخرين، وخاتمة المحقِّقين، أكمل الدين محمد بن محمد بن محمـود البابرتي، برع وساد، وأفتى ودرَّس وأفاد، وصنَّف فأجـاد، لـه: «تحفـة الأبـرار شرح مشارق الأنوار». توفي سنة (٧٨٠هـ). انظر: «تاج التراجم» لابن قطلوبغـا (ص: ٢٧٧)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٦٨٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٨٦).



٥٥١ ـ عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الثَّلاَثَ آيَاتٍ مِن أَوَّلِ الكَهْفِ؛ عُصِمَ مِن فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

(عن أبي الدرداء) أيضًا (ﷺ، **عن النبي ﷺ قال: من قرأ الثلاث آيات من أول الكهف، عُصم)** بقراءتها **(من فتنة الدجال. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)**، وهذا لا يعارض ذكر العشر فيما قبله؛ لأن الثلاث أدنى ما دفع به الفتن وغايةُ الكمال العشر، أو أنه يختلف باختلاف الأشخاص.

وأخرج الحاكم ـ وقال: صحيح على شرط مسلم ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من قرأ الكهف كما أنزلت؛ كانت له نورًا يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها، ثم خرج الدجال؛ لم يسلط عليه، ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؛ كتب في رَقٍّ، ثم طبع بطابع،

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٦).

فلم يكسر إلى يوم القيامة»[1].

وعن أبي سعيد الخدري ـ أيضًا ـ رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ أضاء له من النور ما بين الجمعتين». رواه النسائي والبيهقي مرفوعًا[2]، والحاكم موقوفًا ومرفوعًا ـ أيضًا ـ وقال: صحيح الإسناد[3].

ورواه الدارمي في «مسنده» موقوفًا على أبي سعيد، ولفظه: قال: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق[4].

وفي أسانيدهم كلهم ـ إلا الحاكم ـ أبو هاشم يحيى بن دينار الرماني، والأكثرون على توثيقه، وبقية الإسناد ثقات.

وفي إسناد الحاكم الذي صححه نعيمُ بنُ حماد، قال الحافظ المنذري في آخر «الترغيب»: نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، الإمامُ المشهور، قال الأزدي: كان نعيم يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات مزورة في ثلب النعمان.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٢).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٤٩)، ولم نقف عليه بهذا اللفظ عند النسائي. انظر: «فتح الغفار» للصنعاني (٢/ ٦٣٧).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٢) مرفوعًا، ولم نقف عليه بهذا اللفظ موقوفًا، إنما بلفظ الحاكم السابق مختصرًا.

(٤) رواه الدارمي في «مسنده» (٣٤٠٧).

وقال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديثَ يوقفها الناس.

وقال ابن يونس: كان يهم في الحديث، وروى أحاديثَ منكراتٍ عن الثقات.

وقال النسائي: هو ضعيف.

وقال ابن معين: صدوق، أنا أعرفُ الناس به، كان رفيقي بالبصرة، كتب عن روح بن عبادة خمسين ألف حديث، ووثقه الإمام أحمد.

وقال العجلي: ثقة، صدوق.

وأخرج له البخاري مقروناً.

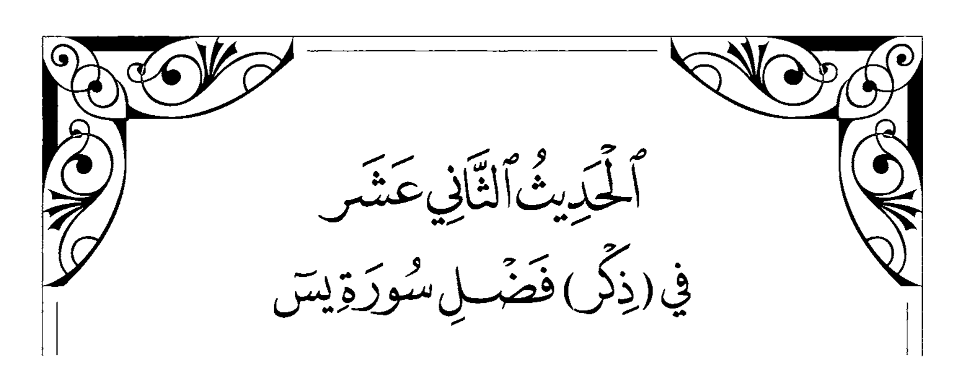
وأما يحيى بن دينار أبو هاشم الرماني، فثقة مشهور، تكلم فيه[1].

وأخرج أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» بإسناد لا بأس به من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يوم القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين»[2].

* * *

(١) انظر: «الترغيب والترغيب» للمنذري (٤/ ٥٧٩).

(٢) لم نقف عليه. انظر المرجع السابق (١/ ٢٩٨).



الحَدِيثُ الثَّانِي عَشَر
فِي (ذِكْر) فَضْلِ سُورَةِ يسٓ

٥٥٢ ـ عَن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ ﴿يسٓ﴾، وَمَن قَرَأَ ﴿يسٓ﴾ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[١].

(عن أنسٍ) بنِ مالك (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل شيء)** من الأشياء **(قلبًا)**؛ أي: لبًّا خالصًا.

قال في «النهاية»: قلب كلِّ شيءٍ: لبُّه وخالصُه، ومنه الحديث: «إن لكل شيء قلبًا»[٢]، **(وقلب القرآن ﴿يسٓ﴾)**.

وفي الحديث: أن يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ كان يأكل الجراد، وقلوبَ الشجر[٣]؛ يعني: الذي ينبت في وسطها غضًّا طريًّا قبل أن يقوى ويصلب، واحدها (قُلْب) بالضم لِلْفَرْق[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٧).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٩٦).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٧٩)، والإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٧).

(٤) قوله: (بالضم لِلْفَرْق) يعني بضم القاف للفرق بينه وبين القَلْب الذي في =

وفي حديث: كان علي رضي الله عنه قرشيًّا قلبًا[1]؛ أي: خالصًا من صميم قريش، يقال: فلانٌ عربيٌّ قلبٌ؛ أي: خالصٌ، فـ ﴿يسٓ﴾ خالص القرآن العظيم المودع فيه المقصود منه؛ لاحتوائها مع قصر نظمها، وصغر حجمها على الآيات الساطعة، والعلوم النافعة، والإشارات الناصعة، والمعاني الدقيقة، والمباني الرقيقة، والزواجر البالغة، والأوامر الباهرة النابغة، والشواهد البديعة، والفوائد الرفيعة؛ مما لو تدبره المؤمن العليم، والفطن اللوذعي الفهيم؛ لرأى من ذلك العجبَ العجاب، والمعنى الرائق المستطاب.

(**ومن قرأ**) سورة (﴿**يسٓ**﴾، **كتب الله**) عز وجل (**له**)؛ أي: قدر، أو أمر الملائكة أن تكتب له (**بقراءتها**) ثوابَ (**قراءة القرآن**) العظيم (**عشر مرات**)؛ أي: قدر ثواب قراءته عشر مرات بدون سورة ﴿يسٓ﴾؛ كما في رواية بلفظ: «دون ﴿يسٓ﴾»[2]، وورد: «اثنتي عشرة مرة»[3]، ولا تعارض؛ لاحتمال أنه أعلمَ أولًا بالقليل ثم بالكثير، أو بالعكس.

(**رواه الترمذي، وقال: حديث غريب**)، وفيه شيخ مجهول، ورواه

= الصدر بفتح القاف.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكرها ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٤٨١)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٤٦).

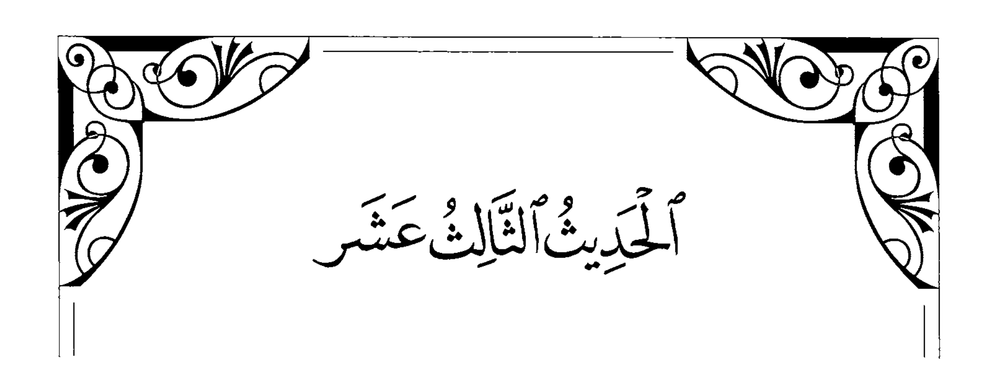
(٣) رواه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٣٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٣٦).

الدارمي[1]، وأورده الحافظ المنـذري فـي «ترغيبـه» بـصيغة التمـريض[2]، وهي في اصطلاحه لما لا يتطرق إليه احتمالُ التحسين.

* * *

(١) رواه الدارمي (٣٤١٦).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٤٦).



الحديث الثالث عشر

٥٥٣ ـ عَن مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَؤُوا ﴿يسٓ﴾ عَلَى مَوْتَاكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَه، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[(١)].

(**عن معقلِ بنِ يسارٍ**) المزنيِّ، بايعَ تحت الشجرة، سكن البصرة، وإليها ينسب.

روى عنه الحسن البصري، وجماعات.

مات في إمرة عبيدالله بن زياد بعدَ الستين، وقيل: بل مات في زمن معاوية.

(ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا**) سورة (**﴿يسٓ﴾ على موتاكم**).

وفي رواية ذكرها المحقق ابن القيم: «عند موتاكم»[(٢)]؛ أي: عند من حضره منكم معشرَ المسلمين؛ لاشتمالها على أحوال البعث والقيامة، فيتذكر

---

(١) رواه أبو داود (٣١٢١)، وابن ماجه (١٤٤٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٧٤).

(٢) وهي رواية ابن ماجه.

بها هذا إذا كانت القراءة عنده قبل موته؛ كما هو الكثير المتعارَف، والمراد اقرؤوها عليه بعد موته، والأَولى الجمعُ بين قراءتها عند الموت، وبعدَه.

قال المحقق ابن القيم: وخص ﷺ ﴿يسٓ﴾ بذلك لما فيها من التوحيد، والمعاد، والبشرى بالجنة لأهل التوحيد؛ كقوله: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] الآية.

وفي رواية: «اقرؤوا على موتاكم ﴿يسٓ﴾»[١].

(رواه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي في) كتابه (**«عمل يوم وليلة»**).

ورواه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم، ولفظ الحديث: عن معقل بن يسار رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «قلبُ القرآن ﴿يسٓ﴾، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرؤوها على موتاكم ثمَّ»، وصححه الحاكم، واللفظ للنسائي، وهو عند الباقين مختصر كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى[٢].

وروى الإمام أحمد في «المسند» من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنامُ القرآن وذروتُه، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكًا، واستخرجت ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] من تحت العرش فوصلت بها ـ أو قال: فوصلت بسورة البقرة ـ و﴿يسٓ﴾ قلبُ القرآن،

---

(١) وهي رواية النسائي المتقدمة في «عمل اليوم والليلة».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٧٥)، جميعًا دون قوله: «ثَمَّ».

لا يقرؤها رجل يريد بها وجهَ الله والدار الآخرة، إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم»[1].

وروى أبو محمد الدارمي بسنده عن عطاء بن رباح قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «من قرأ ﴿يسٓ﴾ في صدر النهار، قُضيت حوائجه»[2].

وروى الدارمي ـ أيضًا ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا: من قرأ ﴿يسٓ﴾ حين يصبح، أعطي يُسْرَ يومه حتى يمسي[3].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن عكرمة: أنه قال: من قرأ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، لم يزل ذلك اليوم في سرور حتى يمسي[4].

وروى الإمام مالك، وابن السني، وابن حبان في «صحيحه» من حديث جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿يسٓ﴾ في ليلة ابتغاء وجه الله، غفر له»[5].

* * *

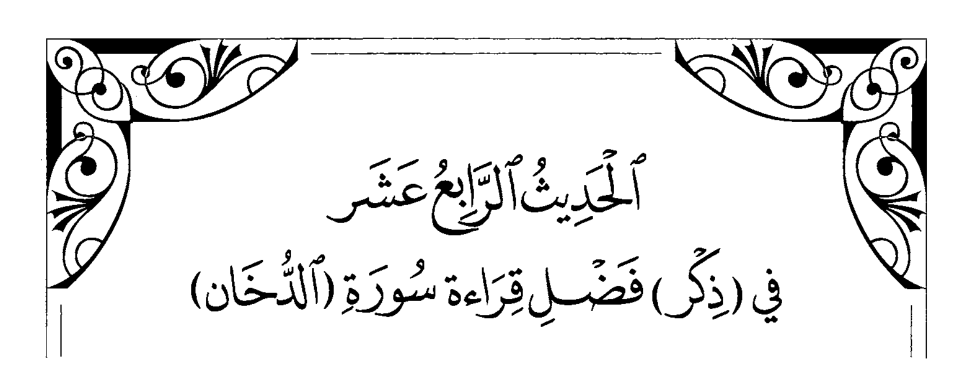
(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١١): رواه أحمد، وفيه راوٍ لم يسمَّ، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني وأسقط المبهم.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤١٨).

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤١٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٨).

(٥) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٧٤)، ولم نقف عليه عند الإمام مالك.



الحَدِيثُ الرَّابِعُ عَشَر
في (ذِكْر) فَضْلِ قِرَاءة سُورَةِ (الدُّخَان)

٥٥٤ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرَأَ ﴿حمٓ﴾ الدُّخان فِي لَيْلَة، أصبح يسْتَغْفر لَهُ سَبْعُونَ ألف ملك». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ(١).

(**عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من**)؛ أي: أيُّ شخص مسلم من ذكر وأنثى (**قرأ**) سورة (**حم الدخان في ليلة**) من الليالي؛ أيَّ ليلة كانت، (**أصبح يستغفر له**)؛ أي: لقارئ سورة الدخان (**سبعون ألف ملك**) من ملائكة الله؛ أي: يطلبون من الله ﷻ له المغفرة.

والمراد بهذا العدد: التكثير، لا التحديد.

(**رواه**) أبو عيسى (**الترمذي، وقال**): حديث (**غريب**)، ورواه الدارقطني(٢).

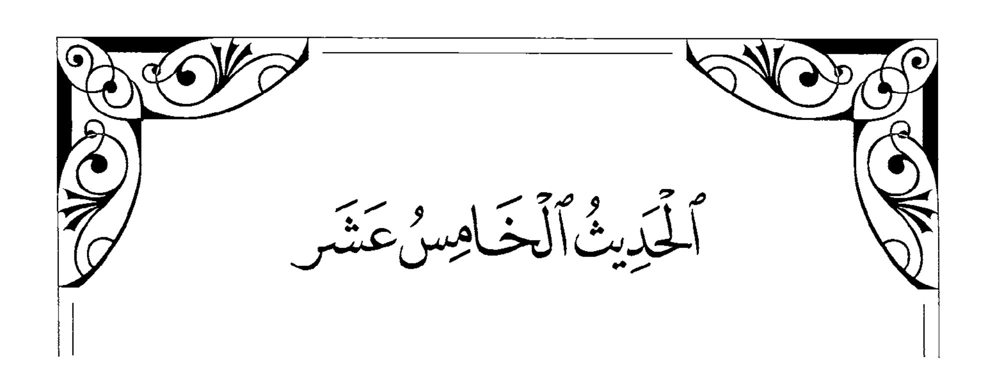
وفي «جامع الأصول»: قال الترمذي: أحد رواته ضعيف، وقال محمد: هو منكر(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٨).

(٢) لم نقف عليه.

(٣) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٤٨١).



الحديث الخامس عشر

٥٥٥ ـ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرَأَ ﴿حمٓ﴾ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ؛ غُفِرَ لَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١].

(عن أبي هريرة) أيضًا (﵁: **قال رسول الله ﷺ: من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة)**، وفي لفظ: «في ليلة جمعة، أو يوم جمعة»، لكن من حديث أبي أمامة ﵁، ولفظه: قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حمٓ﴾ الدخان في ليلة جمعة، أو يوم جمعة؛ بنى الله له بها بيتًا في الجنة». رواه الطبراني من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف[٢]، وفي حديث أبي هريرة ﵁: «من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة؛ غفر له».

(رواه الترمذي)، وقال: هذا حديث لا يعرف إلا من هذا الوجه.

ورواه الدارقطني، ولفظه: «من قرأ الدخان في ليلة الجمعة، أصبح مغفورًا له»[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٢٦).

(٣) لم نقف عليه.

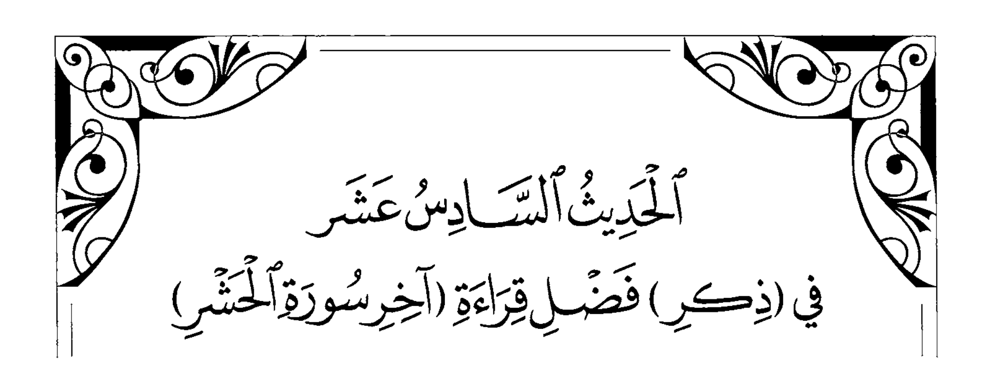
وروي عن الحسن البصري عن رسول الله ﷺ مرسلًا: «من قرأ سورة الدخان في ليلة، غفر له ما تقدم من ذنبه»، رواه [ابن] الـضريس[1]، ورواه [غير][2] حماد موصولًا بذكر أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه انقطاع[3].

* * *

(١) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٢) من طريق حماد.

(٢) ما بين معكوفتين من «فيض القدير».

(٣) وهي رواية الترمذي (٢٨٨٩) من حديث الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.



الحديث السادس عشر
في (ذكر) فضل قراءة (آخر سورة الحشر)

٥٥٦ ـ عَن مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن قَالَ حِينَ يُصبحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثمَّ قَرَأَ ثَلاَثَ آيَاتٍ مِن آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ؛ وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِي، وَإِن مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَن قَالَهَا حِينَ يُمْسِي بِتِلْكَ الْمَنزِلَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن معقل بن يسار) المزني (ﷺ، **عن النبي ﷺ: من)**؛ أي: أيُّ شخص مسلم من هذه الأمة **(قال)**، وفي لفظ: «من قرأ»[2] بدل: «من قال»، **(حين يصبح)**؛ أي: يدخل في وقت الصباح **(ثلاثَ مرات: أعوذ)**؛ أي: ألجأ وأتحصن **(بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ)** بعد ذلك في أثره **(ثلاث آيات من آخر سورة الحشر)**، وأول الثلاث آيات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[الحشر: ٢٢]، إلى آخر

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٢ ـ ط الرشد).

السورة، **(وكل الله)** ﷻ **(به)**؛ أي: بمَن قرأ القراءة المذكورة **(سبعين ألف ملك)** من ملائكته ـ جل وعلا ـ، والمراد بالعدد المذكور التكثير دون التحديد، **(يصلون عليه)**؛ أي: يستغفرون له، ويدعون له بنحو: اللهم اغفر له وارحمه، ويستمرون على ذلك الدعاء والاستغفار **(حتى)**؛ أي: إلى أن **(يمسي)** بغروب شمس يومه ذلك، **(وإن مات في ذلك اليوم)** الذي قرأ فيه الذكر المذكور، **(مات شهيدًا)**؛ أي: أثيب ثواب الشهداء.

(ومن قالها)، وفي لفظ: «قرأها»[1]؛ أي: الآيات الثلاث بعد قوله: **(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)** **(حين يمسي)**؛ أي: يدخل في المساء **(بتلك المنزلة)**؛ أي: وكل الله ﷻ به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يصبح.

وفي لفظ: «من قرأها حين يمسي»[2]، فكذلك.

(رواه الترمذي، وقال: حديث غريب).

وفي البغوي في آخر سورة الحشر قال: رواه أبو عيسى عن محمود ابن غيلان، عن أبي أحمد الزبيري ـ يعني خالد بن طهمان ـ عن نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. انتهى[3].

---

(١) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٤٨٢) وعزاه للترمذي، ولم نقف عليه عنده.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٧).

ورواه الإمام أحمد، وابن السني[1]، ورواه النسائي في «فضائل القرآن»[2].

وروى أبو بكر بن السني من حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «من قال حين يصبح: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم؛ أُجير من الشيطان الرجيم حتى يمسي»[3].

وروى أبو محمد الدارمي عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - قال: من قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر إذا أصبح، فمات من يومه ذلك؛ طبع بطابع الشهداء، وإن قرأ إذا أمسى، فمات من ليلته؛ طبع بطابع الشهداء[4].

وروى محمد بن جرير الطبري، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أمامة ﷺ مرفوعًا: «من قرأ خواتيمَ الحشر من ليل أو نهار، فمات من ذلك اليوم أو الليلة؛ فقد أوجب الجنة»[5].

وفي «تحفة العباد» لأبي بكر بن أبي داود في أدلة الأوراد: ذكر التميمي - رحمه الله تعالى - من منافع قراءة آخر سورة الحشر ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٠).

(٢) لم نقف عليه عند النسائي.

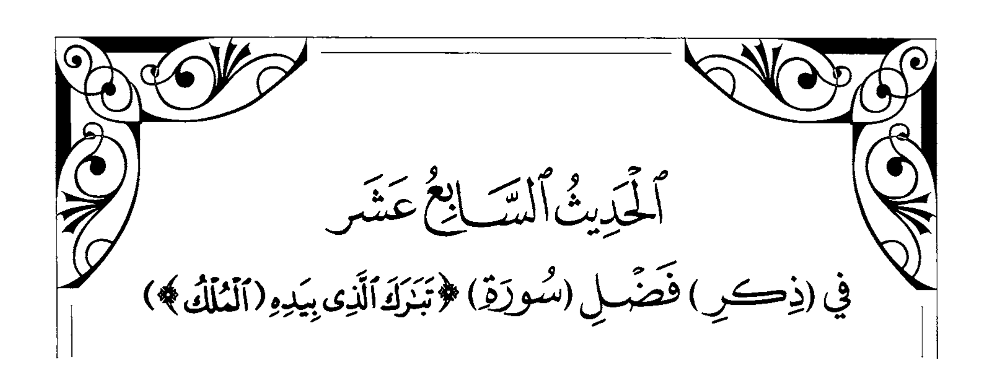
(٣) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٩).

(٤) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤٢٣).

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٠١)، ولم نقف عليه عند الطبري.

ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾[الحشر: ٢١] إلى آخرها: أنه يسكن الضَّرَبان بأي عضو كان إذا تلاها وهو على طهارة.

* * *



الحديث السابع عشر

في (ذكر) فضل (سورة) ﴿تبارك الذي بيده (الملك)﴾

٥٥٧ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لَا يَحْسَبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا قَبْرُ إِنْسَانٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْمُلْكِ حَتَّى خَتَمَهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لَا أَحْسَبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا قَبْرُ إِنْسَانٍ يَقْرَأُ ﴿تَبَارَكَ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ الْمَانِعَةُ، هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[1].

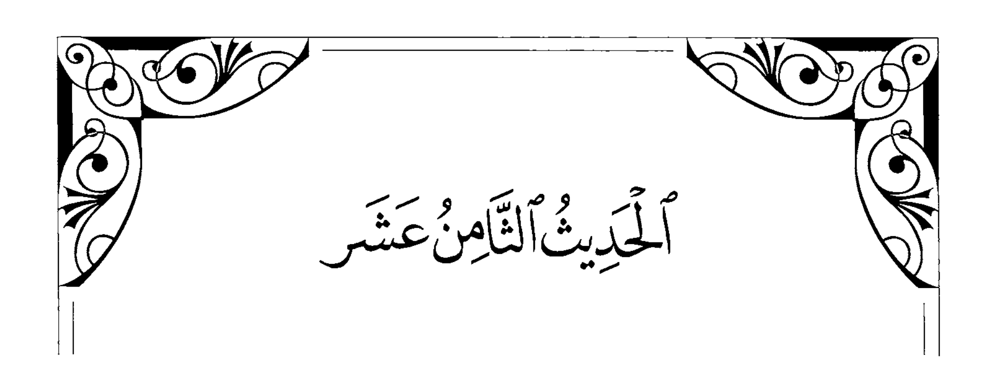
(عن) أبي العباس عبدِالله **(بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: ضربَ بعضُ أصحاب النبي ﷺ)**؛ أي: نصب **(خباءه)** ـ بكسر الخاء المعجمة وفتح الموحدة، فألف ممدودة، فهاء؛ كـ (كتاب) ـ: من الأبنية المعروفة من خيمة ونحوها، من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت **(على قبر)** ميت، **(وهو)**؛ أي: الصحابي الذي ضرب خباءه **(لا يحسب)**؛ أي: لا يظن ولا يعلم **(أنه)**؛ أي: المحل الذي بنى خباءه عليه **(قبر)**، إما لاندراسه، أو لعدم إظهار أعلام القبور عليه، **(فإذا)** هو **(قبر**

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٠).

إنسان يقرأ سورة) تبارك **(الملك)** من أولها، واستمر في قراءتها **(حتى ختمها)**، وصاحب الخباء يسمعها منه، **(فأتى النبيَّ ﷺ، فأخبره، فقال: يا رسول الله! ضربت خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ)** سورة (﴿تَبَٰرَكَ﴾) الملك **(حتى ختمها)**؛ أي: يقول صاحب الخباء: **(وأنا أسمع)** ذلك منه في قبره، **(فقال رسول الله ﷺ: هي)**؛ أي: سورة تبارك الملك **(المانعة)**؛ أي: من عذاب القبر، يعني: أنها تمنع أن يعذب قارئها في قبره، **(هي المنجية، تنجيه)**؛ أي: قارئها **(من عذاب القبر)**.

(رواه الترمذي، وقال): حديث **(غريب)**، وفي «تحفة العباد»: حسن غريب.

* * *



الحديث الثامن عشر

٥٥٨ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غفَرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن سورة من القرآن)؛ أي: من سوره، وقد مرَّ أن السورة اسم للطائفة منه (ثلاثون)، وفي رواية: «ما هي إلا ثلاثون»[2]، (آية شفعتْ لرجل) كان ملازمًا على قراءتها، فما زالت تسأل الله عز وجل (حتى غفر) الله تعالى (له) ذنوبه وخطاياه.

وفي رواية: «حتى أخرجته من النار»[3].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١).

(٢) رواها ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٨)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١٤٤٥)، وفيه: «فأخرجته» بدل: «حتى أخرجته».

(وهي سورة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾)؛ وفي لفظ: «وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[1] بإسقاط (سورة).

(رواه أبو داود، والترمذي، وقال) الترمذي: حديث (حسن، ورواه النسائي في «عمل يوم وليلة»)، ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان في «صحيحه»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[2].

وعند أبي داود: «تشفع لصاحبها»[3].

وروى الحاكم في «المستدرك» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «وددت أنها في قلب كل مؤمن؛ يعني: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[4].

وفي «مسند الحافظ عبد الرحمن بن حميد» عن ابن عباس أيضًا رضي الله عنهما موقوفًا: أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى، قال: اقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ واحفظها، وعلِّمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك؛ فإنها المنجية، والمجادلة، تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له إلى ربها أن تنجيه من عذاب النار إذا كانت في

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٩٩)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٨٧).

(٣) رواه أبو داود (١٤٠٠).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٦) وقال: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح، ولم يخرجاه.

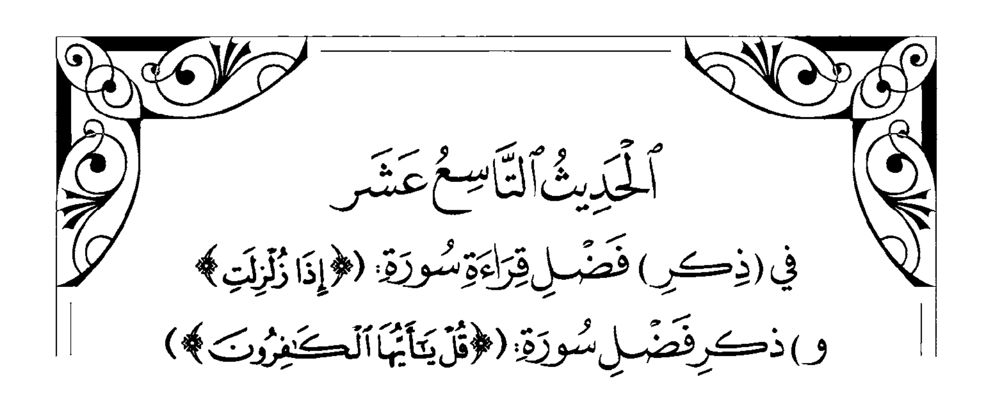
جوفه، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر[1].

قال ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري ـ رحمه الله ـ : تجادل عن صاحبها في قبره. رواه الترمذي[2].

* * *

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٠٣).

(٢) لم نقف عليه عند الترمذي، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٩) عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أنه أخبره. . .



الحديث التاسع عشر

في (ذكر) فضل قراءة سورة: (﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و) ذكر فضل سورة: (﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾)

٥٥٩ ـ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ عُدِلَتْ لَهُ نِصْفَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبُعِ الْقُرْآنِ»[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ)** من المسلمين من ذكر أو أنثى سورة: (﴿إِذَا زُلْزِلَتِ) الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ إلى آخرها، **(عدلت)**؛ أي: وازنت وساوت **(له)**؛ أي: لقارئها؛ أي: وازن ثواب قراءتها مرةً واحدة **(نصفَ القرآن)**؛ أي: ثواب نصف القرآن العظيم.

يقال: عدله يعدله، وعادله: وازنه، والعدل ـ بالكسر والفتح ـ بمعنى المثل والنظير، وقيل: بالفتح ما عادله من جنسه، وبالكسر ما ليس من جنسه، وقيل بالعكس؛ كما في «النهاية»[2].

(ومن قرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، عدلت له بربع القرآن).

قال العلماء: المقصود الأعظم بالذات من القرآن العظيم المبدأ

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٩١).

والمعاد، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ مقصورة على ذكر المعاد مستقلة ببيان أحواله، فتعادل نصفه، وجاء في حديث آخر أنها ربع القرآن؛ كما في حديث أنس ﵁ عند الترمذي، وسنذكره بتمامه[1].

وتقرير ذلك أن يقال: القرآن يشتمل على تقرير التوحيد والنبوءات، وبيان أحكام المعاش، وأحكام المعاد، وهذه السورة مشتملة على القسم الأخير من الأربع، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ محتوية على القسم الأول منها؛ لأن البراءة عن الشرك إثبات للتوحيد، فتكون كل واحدة منهما كأنها ربع القرآن.

قال الطيبي: فإن قلت: هلَّا حملوا المعادلة على التسوية في الثواب على المقدار المنصوص عليه؟ فالجواب: منعهم ذلك لزومُ فضل ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ على سورة الإخلاص، والقول الجامع فيه ما ذكر التوربشتي من قوله: نحن وإن سلكنا هذا المسلك بمبلغ علمنا، نعتقد ونعترف أن بيان ذلك على الحقيقة إنما يُتلقى من قِبل الرسول ﷺ؛ فإنه هو الذي يُنتهى إليه في معرفة حقائق الأشياء، والكشف عن خفيات العلوم، فأما القول الذي نحن بصدده، ونحوم حوله على مقدار فهمنا، وإن سلم من الخلل والزلل؛ لا يتعدى عن ضرب من الاحتمال[2].

وقال المحقق شمسُ الدين ابنُ القيم في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد»: القرآن شطران: شطر في الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها، والأمور

---

(١) انظر شرح الحديث (٥٦٠).

(٢) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (٥/ ١٦٦٩).

الواقعة فيها، وشطر في الآخرة وما يقع فيها.

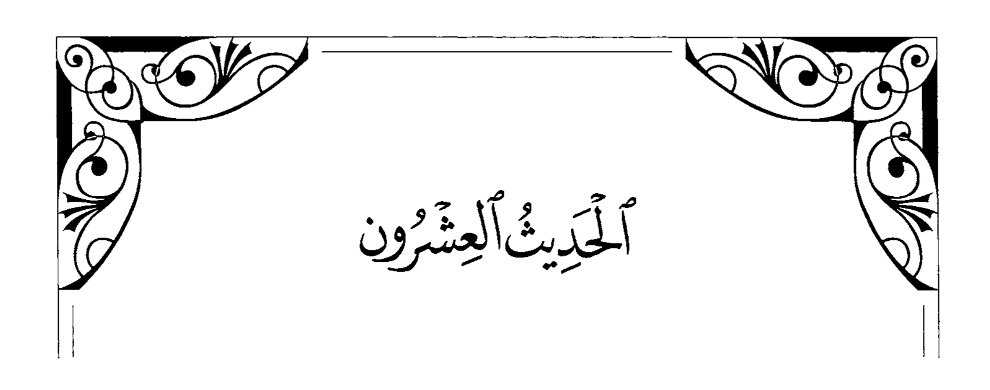
قال: وسورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ كلها من هذا الشطر، فلم يذكر فيها إلا الآخرة وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكانها، فكانت تعدل نصف القرآن. انتهى[1].

وقال بعض المحققين: القرآن مشتمل على الأمر والنهي، وكل واحد منهما ينقسم إلى: ما يتعلق بعمل القلب، وإلى ما يتعلق بعمل الجوارح، فحصل من ذلك أربعة أقسام، وسورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تشتمل على النهي عن عبادة غير الله تعالى، وهي من الاعتقاد، وذلك من أعمال القلوب، فكانت تعدل ربع القرآن على هذا التقسيم. انتهى.

* * *

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ٣١٧).



الحديث العشرون

٥٦٠ ـ وَعَنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ ﵄ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُـرْآنِ، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تَعْـدِلُ رُبُـعَ الْقُرْآنِ». رَوَاهُمَا التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ عَنْهُمَا: غَرِيبٌ[1].

عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسـول الله ﷺ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعـدل)؛ أي: يوازن ثواب قراءتها **(نصف القرآن)** بحسب ما مرَّ من التعليل والبيان، **(و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدل)** في ثواب قراءتها **(ربع القرآن)**.

(رواهما)؛ أي: حديث ابن عباس هذا، والذي قبله حديث أنس ﵁ أبو عيسى **(الترمذي، وقال عنهما)**؛ أي: عن كـل واحـد منهمـا: حـديث **(غريب)**.

قلـت: روى حـديـثَ ابـن عبـاس ﵄ الحـاكم، وقـال: صـحيح الإسناد[2].

وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث يمان بـن المغيـرة، وأخرجـه

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٨).

الحاكم ـ أيضًا ـ من حديثه.

قال الحافظ المنذري في يمان بن المغيرة العنزي: روى عباس عن يحيى: ليس حديثه بشيء، وقال [البخاري]: منكر الحديث، وضعفه أبو زرعة، والدارقطني، وقال ابن عدي: لا أرى فيه بأسًا، وصحح الحاكم حديثه. انتهى[1].

وأما حديث أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان؟» قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به.

وفيه: قال له النبي ﷺ: «أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن»، قال: «أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؟» قال: بلى، قال: «ربع القرآن، تزوَّج تزوَّج». رواه الترمذي عن سلمة بن وردان، عن أنس، وقال: حديث حسن[2].

وقد تكلم في هذا الحديث مسلم في كتاب «التمييز»[3].

وقال في «تحفة العباد» عن حديث أنس الذي ذكره المصنف: حديث حسن.

وروى الإمام أحمد بسنده عن مهاجر أبي الحسن الكوفي، عن شيخ أدرك النبي ﷺ، قال: خرجت مع النبي ﷺ في سفر، فمرَّ برجل يقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فقال: «أما هذا، فقد برئ من الشرك»، وإذا آخر

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٥).

(٣) انظر: «التمييز» لمسلم (ص: ١٩٤).

يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال النبي ﷺ: «[بها] وجبت له الجنة»[1].

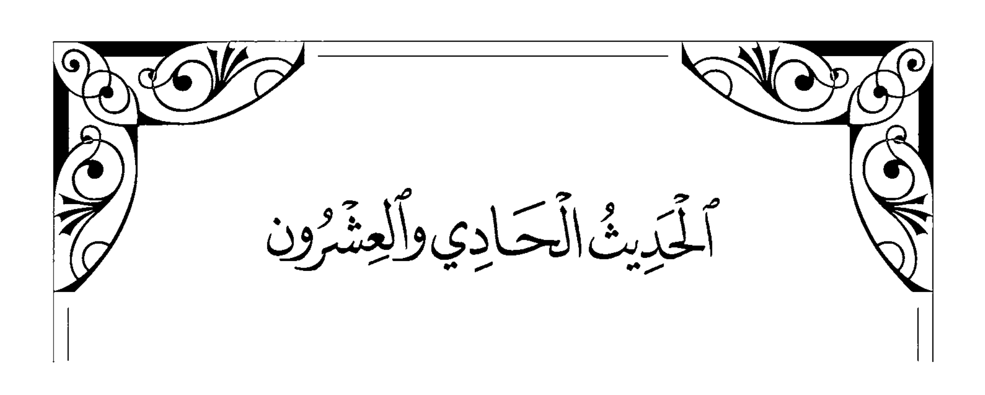
ورواه أبو محمد الدارمي عن مهاجر أبي الحسن ـ أيضًا ـ، ولفظه: قال: جاء رجل زمن زياد إلى الكوفة، فسمعته يحدث أنه كان مع النبي ﷺ في مسير له، قال: وركبتي تصيب أو تمس ركبته، فسمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ الحديث، إلا أنه قال عن الذي يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: «غُفِر له»[2].

قال التميمي: من قرأ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ كل صباح ومساء؛ أمن من الشرك والشك، وسوء الظن والاعتقاد.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٦٣، ٦٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٥): رواه أحمد بإسنادين في أحدهما شريك، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٣٤٢٦).



٥٦١ ـ عَن نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيِّ ﷺ: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَوَيتُ إِلَى فِرَاشِي، فَقَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(عن نوفل الأشجعي) ﷺ[2]: (أنه أتى النبي ﷺ، فقال) له: (يا رسول الله! علمني شيئاً) من القرآن والذكر (أقوله إذا أويت)؛ أي: دخلت (إلى فراشي) لأنام عليه، (قال) له رسول الله ﷺ: (اقرأ) إذا أويت إلى فراشك لتنام (﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ فإنها)؛ أي: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (براءة من الشرك)، فإذا قرأها الإنسان إذا أوى إلى فراشه لينام، ونام عليها؛ فقد برئ من الشرك.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠١).

(٢) الصحابي الجليل أبو فروة نوفل بن فروة الأشجعي، قال ابن عبد البر: نزل الكوفة، لم يرو عنه غير بنيه: فروة وعبد الرحمن وسحيم. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٥١٣).

(رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي في «عمل يوم وليلة»).

وفي رواية عن نوفل الأشجعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نَم على خاتمتها؛ فإنها براءة من الشرك»[1].

وفي «مسند أبي يعلى الموصلي» من حديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله تعالى؟ تقرؤون ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عند منامكم»[2].

وفي «جامع الأصول» لابن الأثير: أن فروة بن نوفل أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! علِّمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي، فقال له: «اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نَم؛ فإنها براءة من الشرك»، قال شعبة: أحياناً نقول مرة، وأحياناً لا نقولها[3].

وفي رواية عن فروة، عن أبيه، قال الترمذي: وهو أصح.

أخرجه الترمذي، وأخرجه أبو داود عن فروة، عن أبيه[4].

* * *

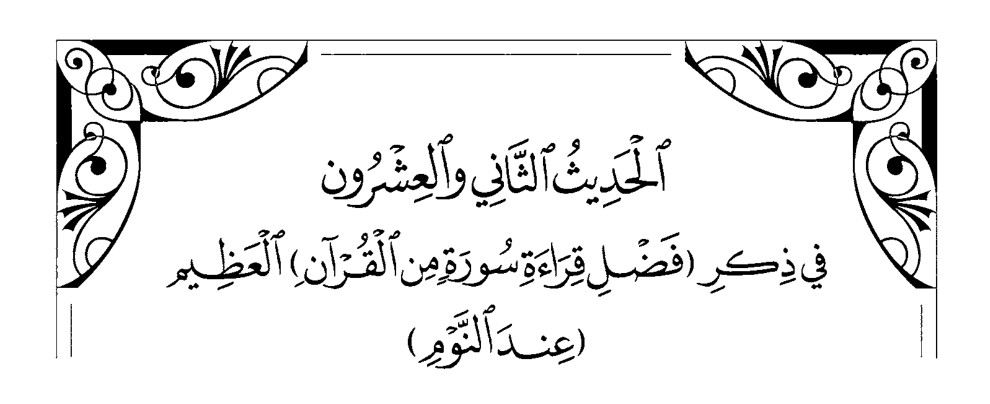
---

(١) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠٢).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (١٥/ ٤٥٢).

(٣) كذا في الأصل، وفي «جامع الأصول»: «أحياناً يقول مرة وأحياناً لا يقولها».

(٤) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٢٦٤).



الحديث الثاني والعشرون
في ذكر (فضل قراءة سورة من القرآن) العظيم (عند النوم)

٥٦٢ ـ عَن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِن مُسلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ يَقْرَأُ سُورَةً مِن كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكًا، فَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(عن شدادِ بنِ أوسٍ) الأنصاري (ﷺ)، قد تقدمت ترجمته في (فضل الاستغفار)، (قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم) من المسلمين من رجل أو امرأة (يأخذ مضجعه)؛ أي: يضطجع على جنبه من الليل لينام (يقرأ) عندما يضطجع قبلَه وفي حال اضطجاعه (سورةً من كتاب الله) ﷻ؛ أيَّ سورة كانت من القرآن العظيم، (إلا وكل الله به)؛ أي: بقارئ سورةٍ من كتاب الله ﷻ (ملكًا) من ملائكته تعالى يحفظه، (فلا يقربه)، ولا يصل إليه، ولا يدنو منه (شيء) من جميع المؤذيات (يؤذيه)، ويستمر في الحفظ والكلاءة (حتى)؛ أي: إلى أن (يَهُبَّ)[2]؛ أي: يستيقظ من نومه (متى

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨١٢).

(٢) في هامش الأصل: «من باب (ردَّ). اهـ لغة».

هبَّ)؛ أي: إلى أن يستيقظ متى ما استيقظ، وإن طال نومه.

وفي لفظ: «لا يدع شيئًا يقربه حتى يهب»[1].

وفي رواية: «بعث الله له ملكًا يحفظه من كل شيء يؤذيه»[2].

(**رواه الترمذي، والنسائي في «عمل يوم وليلة»**)، ورواه الإمام أحمد[3]، قال الجلال السيوطي: إسناده حسن[4].

وفي «أذكار النووي» أنه ضعيف، قال: ومعنى (هَبَّ): انتبه وقام[5].

*** فائدة:**

روى أبو الشيخ الأصبهاني بسنده عن جُبير بن مُطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتحب يا جبيرُ أن تكون أمثلَ أصحابك هيبةً، وأكثرهم زادًا؟» قلت: نعم بأبي أنت وأمي، قال: «فاقرأ هذه السور الخمس: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وافتتِحْ كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم»، قال جبير: فكنت غنيًّا[6] كثير المال، وكنت أخرج مع من شاء الله في السفر، فأكون أَبَذَّهُم هيئة، وأقلهم زادًا، فما زلتُ منذ

---

(١) هذا لفظ النسائي في «عمل اليوم والليلة».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٥).

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٤٩٥).

(٥) انظر: «الأذكار» للإمام النووي (ص: ٧٦).

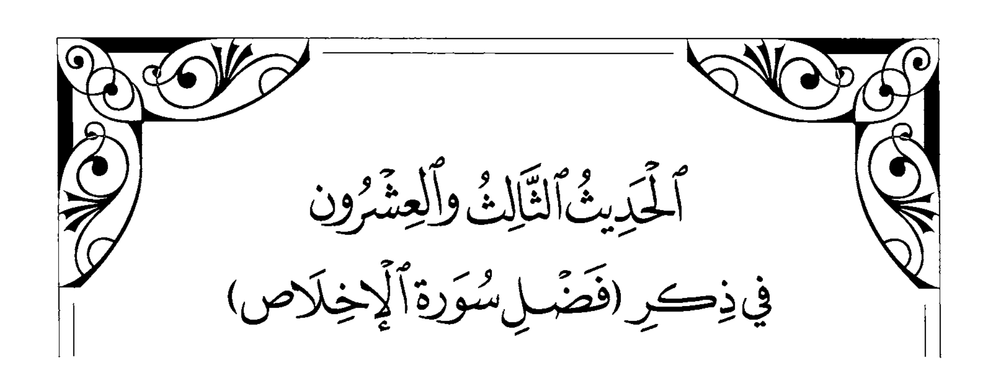
(٦) في الأصل: «غير»، والتصويب من «مسند أبي يعلى».

علمنيهنَّ رسول الله ﷺ وقرأتهنَّ من أحسنهم هيئة، وأكثرهم زاداً حتى أرجع في سفري وفي إقامتي، وحتى ما كان من أصحابي أحد إلا أفاد شيئاً مني[1].

* * *

---

(١) لم نقف عليه عند أبي الشيخ، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٧٤١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٤): رواه أبو يعلى، وفيه من لم أعرفهم.



الحديث الثالث والعشرون
في ذكر (فضل سورة الإخلاص)

أي: في توحيد الله ﷻ وعدم الإشراك، ومن ثم تسمَّى كلٌّ واحدة من سورتي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بسورة الإخلاص؛ فإن سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تسمى سورة الإخلاص؛ كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[1]، والعلامة أبو بكر بن أبي داود في كتابه «تحفة العباد».

٥٦٣ ـ عَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِنَحْوِهِ[2].

(عن أبي سعيدٍ) سعدِ بنِ مالكٍ **(الخدريِّ ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لـ)** بعض **(أصحابه)** ﵃: **(أيعجز)** قال في «الفتح»: بكسر الجيم[3].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١٠/ ٢٧٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠١٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٦٠).

قلت: ولعل هذا إذا كانت الياء المثناة التحتية مرفوعة؛ لأن الأفصح في (يعجز) كسر الجيم، ويجوز فتحها، حُكي عن الأصمعي: عجزت ـ بفتح الجيم ـ أعجز، وعجزت ـ بكسرها ـ أعجز ـ بفتحها ـ، وحكاها أبو حاتم عن أبي زيد، وقال: إنها لغة رديئة، وحكاها القزاز في «الجامع»، وابن القطاع في (فعل وأفعل)[1]، وغيرهم.

والعجز في كلام العرب: أن لا يقدر على ما يريده.

(أحدكم) منصوب على أنه مفعول **(أن يقرأ)** بفتح الهمزة وسكون النون، و(أن) وما بعدها في تأويل مصدر فاعل (يعجز)؛ أي: أيعجز أحدَكم قراءةُ ثلث القرآن؟

وأما على ما في نسخ «الفضائل»، فلفظه: أن يقرأ **(بثلث القرآن)**؛ فيظهر فتح الجيم حينئذ.

وقوله: **(في ليلة)**؛ أي: واحدة، متعلق بـ(يقرأ)، **(فشق)** ـ بفتح الشين المعجمة وتشديد القاف ـ؛ أي: صعب عليهم، وحصل لهم به مشقة؛ لأن ظاهره طلب قراءة ثلث القرآن في ليلة من كلٍّ واحد منهم، ولا شك أن في ذلك مشقة وتشديدًا **(عليهم، و)** من ثَمَّ **(قالوا: وأينا)** معشرَ أصحابك **(يُطيق)**؛ أي يستطيع **(ذلك)**، ويقدر عليه، ويجعل ذلك في طاقته وقدرته، ولم يعجز عنه؛ فإن فعلَ ذلك وإدامَته تُخِلُّ بحظوظهم من النوم ونحوه، فنحن نعجز عن ذلك ولا نطيقه **(يا رسول الله)**، صلى الله وسلم عليك.

---

(١) انظر: «الأفعال» لابن القطاع (٢/ ٣٤٣).

(قال) ﷺ: ليس الأمر كما تظنون، ولكن (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن).

(أخرجه) الإمام محمد بن إسماعيل (البخاري) في «صحيحه» (بنحوه).

قلت: لفظ البخاري كما في (فضائل القرآن) من «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلثُ القرآن». انتهى.

وعند الإسماعيلي من رواية أبي خالد الأحمر عن الأعمش: فقال: «يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فهي ثلث القرآن»[1].

ووقع في رواية أبي مسعود[2] المذكور نظيرُ ذلك؛ كما في «الفتح»[3].

ويحتمل أن يكون سمَّى السورة بهذا الاسم لاشتمالها على الصفتين المذكورتين، أو يكون بعض رواته كان يقرؤها كذلك، فقد جاء عن عمر ﷺ: أنه كان يقرأ: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، بغير ﴿قُلْ﴾ في أولها[4].

وقوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلثُ القرآن» حمله بعضُ العلماء على ظاهره، فقال: هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنها أحكام وأخبار وتوحيد،

---

(١) لم نقف على هذه الرواية عند الإسماعيلي، ورواها الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٨).

(٢) في الأصل: «سعيد»، والتصويب من «الفتح».

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٦٠).

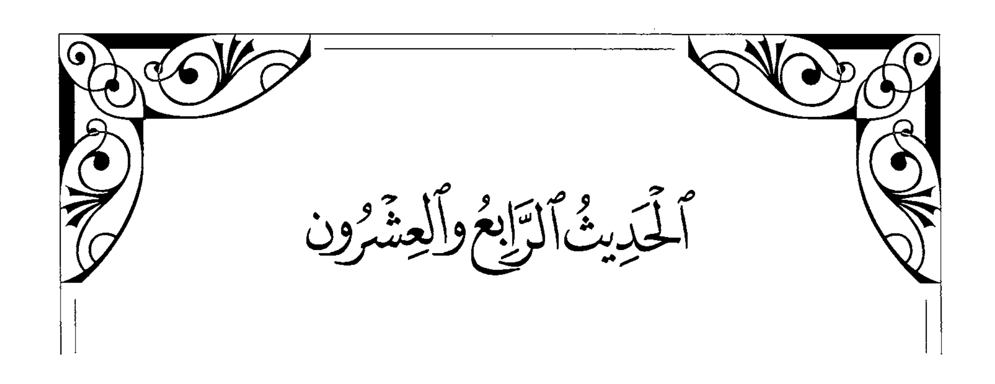
(٤) أوردها ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٦٠).

وقد اشتملت هي على القسم الثالث، فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار.

ويستأنس لهذا بما أخرجه أبو عبيد من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: جزأ النبي ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جزءًا من أجزاء القرآن[1].

* * *

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٦٨).



الحديث الرابع والعشرون

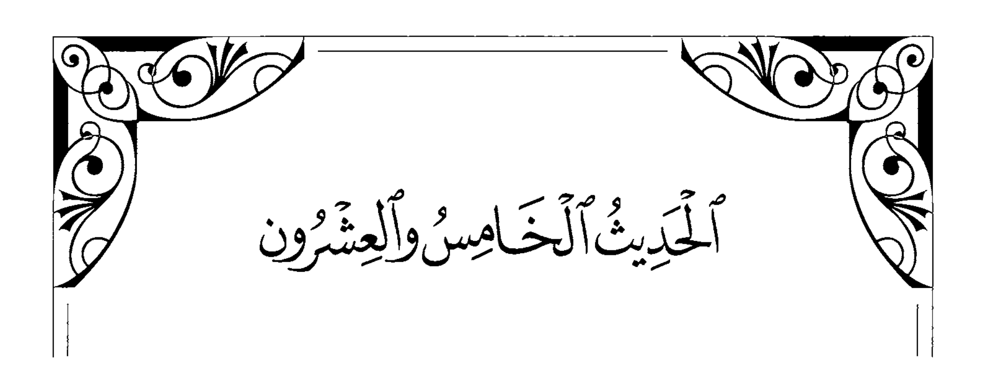
٥٦٤ ـ عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟» فَقَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

(**عن أبي الدرداء**) عُويمر بن عامر الأنصاري (ﷺ **عن النبي ﷺ قال: أيعجز أحدكم**) معشر الصحابة فمَنْ بعدهم (**أن يقرأ في ليلة ثلثَ القرآن**) العظيم؟ (**فقالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن**) في ليلة ولا ينام مع الاشتغال في النهار في نحو المعيشة والاكتساب للعيال؟ فإن هذا يشق علينا، (**قال**) ﷺ: (**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن**) في الأجر والثواب، فإذا قرأها الإنسان؛ حصل له مثل ثواب قراءة ثلث القرآن.

(**رواه مسلم**) في «صحيحه».

* * *

(١) رواه مسلم (٨١١/ ٢٥٩).



٥٦٥ ـ عَن قتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فَلَانًا بَاتَ اللَّيْلَةَ يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا، كَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[1].

(عن قتادةَ بنِ النعمانِ) الأنصاريِّ (ﷺ) تقدمت ترجمته في (صوم عاشوراء)، **(أن رجلًا قام في زمن النبي ﷺ يقرأ من السحر)** في آخر الليل (**﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**) كلها، **(يردِّدها)**، كلما ختمها ابتدأها، **(لا يزيد)** في قراءته **(عليها، كأن)**، وفي لفظ: «فكأن»[2] بزيادة الفاء، **(الرجل)**؛ أي: السائل **(يتقالُّها)** بتشديد اللام، وأصله: يتقالَلُها؛ أي: يعتقد أنها قليلة،

(١) رواه البخاري (٥٠١٣).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٩١).

وفي رواية: «كأنه يقللها»[1]، وفي رواية أخرى: «فكأنه استقلها»[2]، والمراد: استقلالُ العمل، لا التنقيص.

(فلما أصبح)؛ أي: دخل في الصباح؛ **(أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن فلاناً الليلةَ بات يقرأ من السحر ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يرددها لا يزيد عليها)**.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: فلان القارئُ هو قتادة بنُ النعمان راوي الحديث؛ فقد أخرج الإمام أحمد من طريق الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بات قتادةُ بنُ النعمان يقرأ من الليل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يزيد عليها... الحديث[3]، والذي سمعه لعله أبو سعيد؛ فإنه أخوه لأمه، وكانا متجاورين، وبذلك جزم ابن عبد البر[4]، وكأنه أبهمَ نفسَه وأخاه.

وقد روى الدارقطني من طريق إسحاق بن الطباع عن مالك في هذا الحديث: قال أبو سعيد: إن لي جارًا يقوم بالليل، فما يقرأ إلا بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص: ٢٦٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ٢٢٧)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وفيه: «فكأنه تقالها، يقول: استقلها».

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٢٧٦)، و«التمهيد» (١٩/ ٢٢٨)، كلاهما لابن عبد البر.

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٩)، ولم نقف على هذا الحديث عند =

(فقال النبي ﷺ: فوالذي نفسي بيده!)؛ يعني: الله ـ جل جلاله ـ، وكانت هذه الصيغة من أكثر ما يأتي بها في حلفه وأيمانه ﷺ، (إنها)؛ أي: سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (لتعدِلُ)؛ أي: تساوي وتوازن في الأجر والثواب (ثلثَ القرآن) العظيم.

(أخرجه البخاري)، فأتى بالمؤكدات؛ من القسم، و(إن) المشددة، واللام في جواب القسم؛ ليعلم تحقيق حصول ذلك.

قال القرطبي: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى تضمنا جميعَ أوصاف الكمال، لم يوجدا في غيرها من السور، وهما: ﴿الأحد﴾، ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؛ لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك: أن ﴿الأحد﴾ يُشعر بوجوده الخاصِّ الذي لا يشاركه فيه غيره، و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ يُشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده، فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لشيء حاز جميع فضائل الكمال، وذلك لا يصلح إلا لله ﷻ، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة؛ كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثلثاً. انتهى[1].

وقال غيره: تضمنت هذه السورة توحيد الاعتقاد، وصدق المعرفة، وما يجب إثباته لله من الأحدية المنافية لمطلق الشركة، والصمدية المثبتة له

= الدارقطني، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٦٦).

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٢/ ٤٤٢).

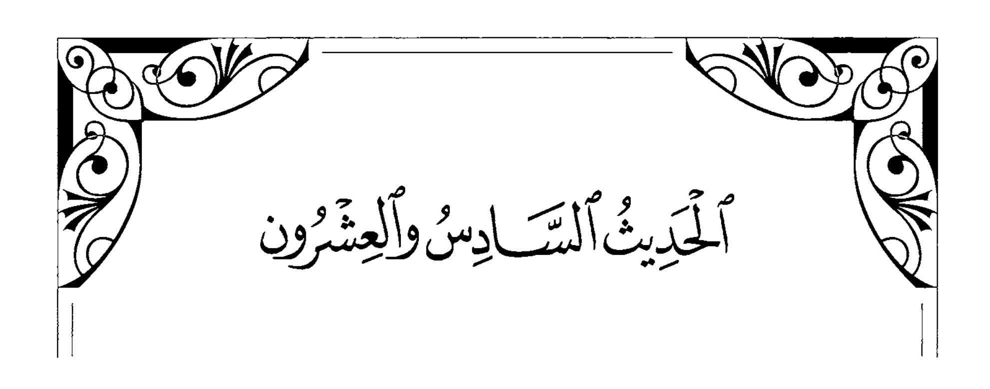
جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى، ونفي الكفء المتضمن لنفي الشبيه والنظير، وهذه مجامع التوحيد الاعتقادي، ولذلك عادلت ثلثَ القرآن؛ لأن القرآن خبر وإنشاء، والإنشاء أمر ونهي وإباحة، والخبر خبر عن الخالق، وخبر عن خلقه، فأخلصت سورة الإخلاص للخبر عن الله، وخلصت قارئها عن الشرك الاعتقادي.

ومن العلماء من حمل المثلية على تحصيل الثواب، فقال: معنى كونها ثلثَ القرآن: أن ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثلَ ثواب مَنْ قرأ ثلث القرآن، وقيل: مثله بغير تضعيف.

قال في «الفتح»: وهي دعوى بغير دليل، ويؤيد الإطلاقَ حديثُ مسلم عن أبي الدرداء المارِّ؛ فإنه ذكر نحوَ حديث أبي سعيد المتقدم وقال فيه: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»[1]، ويؤكد ذلك:

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٦١).



الحديث السادس والعشرون

٥٦٦ ـ عَن أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَقَـرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا. رَوَاهُ مُسلم[١].

(عن أبي هريرةَ ﷺ قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ)، فقال: «احـشدوا؛ فسأقرأ عليكم ثلثَ القرآن»، ولفظ «فضائل الأعمال»: (فقال: أقرأ علـيكم ثلث القرآن) العظـيم، (فقـرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾ حتـى ختمها)، ثم قال: «ألا إنها تعدل ثلث القرآن»[٢].

(رواه مسلم)، ولأبي عبيد من حديث أُبي بن كعب: «مـن قـرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾، فكأنما قرأ ثلث القرآن»[٣].

وإذا حُمل على ظاهره؛ فهل ذلك لثلـثٍ مـن القـرآن مُعَـيَّن، أو لأي ثلث فرض منه؟ انظر فيه في «الفتح»، قال: ويلزم على الثاني أن من قرأهـا

---

(١) رواه مسلم (٨١٢/ ٢٦٢).

(٢) رواه مسلم (٨١٢/ ٢٦١).

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٦٨).

ثلاثًا، كان كمن قرأ ختمة كاملة.

وقيل: المراد من عمل بما تضمنته من الإخلاص والتوحيد، كان كمن قرأ ثلث القرآن.

وادّعى بعضهم أن قوله: «تعدل ثلث القرآن» يختص بصاحب الواقعة؛ لأنه لما رددها في ليلته؛ كان كمن قرأ ثلث القرآن بغير ترديد.

قال القابسي: ولعل هذا الرجل الذي جرى له ذلك لم يكن يحفظ غيرها، فلذلك استقلَّ عملَه، فقال له الشارعُ ذلك؛ ترغيبًا له في عمل الخير وإن قَلَّ.

وقال ابن عبد البر: من لم يتأول هذا الحديث أخلصُ ممن أجاب فيه بالرأي.

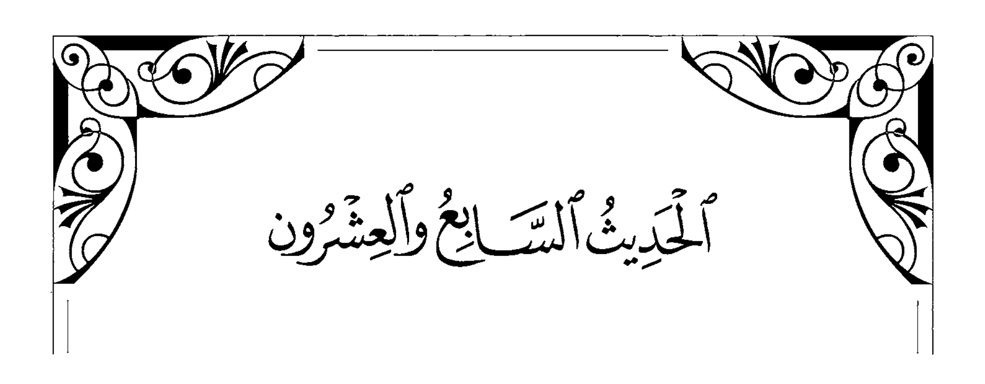
وفي هذه الأحاديث[1] إثبات فضل ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وقد قال بعض العلماء: إنها تضاهي كلمة التوحيد؛ لما اشتملت عليه من الجمل المثبتة والنافية، مع زيادة تعليل، ومعنى النفي فيها: أنه الخالق الرازق المعبود؛ لأنه ليس فوقه من يمنعه من ذلك كالوالد، ولا من يساويه في ذلك كالكفء، ولا من يعينه على ذلك كالولد.

وفيه: إلقاءُ العالمِ المسائلَ على أصحابه، واستعمال اللفظ في غير ما يتبادر للفهم؛ لأن المتبادر من إطلاق ثلث القرآن أن المراد ثلث حجمه المكتوب مثلًا، وقد ظهر أن ذلك غير مراد[2].

---

(١) كذا في الأصل، وفي «الفتح»: «الحديث».

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٦١).



الحديث السابع والعشرون

٥٦٧ ـ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَلْزَمُ قِرَاءَةَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي الصَّلَاةِ مَعَ كُلِّ سُورَةٍ وَهُوَ يَؤُمُّ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «مَا يُلْزِمُكَ هَذِهِ السُّورَةَ؟» قَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: «حُبُّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ». رَوَاهُ البَخَارِيُّ تَعْلِيقًا، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ(١).

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ: أن رجلًا)** اختُلف في اسم هذا الرجل، قال ابن بشكوال: اسمه قتادة بن النعمان المتقدم ذكره(٢)، وهذا بعيد جدًّا، ونقل عن الإمام الحافظ ابن منده في كتاب «التوحيد» له أن اسمه كلثوم بن زهدم(٣)، وكذلك فسره ابن طاهر(٤)، واعترضه البرماوي

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة، تعليقًا، والترمذي (٢٩٠١).

(٢) انظر: «غوامض الأسماء المبهمة» لابن بشكوال (١/ ٨٤)، وقد قاله في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في حق الرجل الذي يرددها كأنه يتقالها.

(٣) انظر: «التوحيد» لابن منده (١/ ٦٥).

(٤) ذكره في «صفوة التصوف» كما في «هدي الساري» لابن حجر (ص: ٣٤٤).

بأنه غير موجود في شيء من السرايا، وأنه لا أحد من الصحابة يسمى بهذا الاسم، وإنما الذي ذكروه: كلثوم بن الهِدْم، وكلثوم بن الحصين، وكلثوم ابن علقمة، وكلثوم بن المصطلق[1].

قال الذهبي: ولعله الأول[2]؛ يعني: أن كلثوم بن المصطلق هو كلثوم بن علقمة.

وقال بعض شراح «العمدة»: إن الرجل هو كلثوم بن الهِدْم[3]، وكأنه يقول: إن القائل كلثوم بن زهدم تصحيف والتباس، وإن صوابه كلثومُ بن الهدم.

قال الحافظ البرماوي: وهذا لا يصح ـ أيضًا ـ؛ لأن كلثوم هذا كان شيخًا كبيرًا من الأنصار، نزل عليه النبي ﷺ حين قدومه في هجرته إلى المدينة، وأقام عنده أربعة أيام، ثم خرج إلى أبي أيوب الأنصاري، أو سعد ابن خيثمة، على الخلاف المشهور في ذلك في السير، وما كان ﷺ يؤمِّر يومئذ على سراياه أحدًا من الأنصار، بل لم يخرج أحد من الأنصار في شيء من السرايا الواقعة قبل غزوة بدر العظمى.

وأيضًا: فقد نقل ابن عبد البر عن الطبري: أن كلثوم بن الهدم أولُ من مات من الأنصار بعد مقدم النبي ﷺ المدينة، مات بعد قدومه بأيام،

---

(١) قد نص البرماوي في «اللامع الصبيح» (٤/ ١٣٠) على أنه كلثوم بن الهدم، قال: ذكره ابن المديني في «الصحابة».

(٢) انظر: «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن الملقن (٣/ ٢١٠).

في حين ابتداء بنيانِ مسجده وبيوته، وكان موته قبل موت أبي أمامَة أسعدَ بنِ زرارة بأيام[1]، ومات أسعدُ بنُ زرارةَ في شوال على رأس ستة أشهر من الهجرة، والسرايا إنما كانت بعد ذلك، فأولُ راية عُقدت لعبيدةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلب بنِ عبدِ منافٍ في ربيع الأول بعدَ مقدمه ﷺ باثني عشر شهرًا.

وقيل: لواء حمزة إلى سيف البحر.

وقيل: إنه ﷺ أرسلهما معًا.

وصحح مغلطاي أن أول سرية سريةُ حمزة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر[2]، وبذلك قال أبو محمد بن حزم تبعًا لموسى بن عقبة، وابن سعد، وغيرهما[3]، فموتُ كلثوم بن الهدم قبل السرايا جميعها.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: إنه رأى بخط الحافظ رشيد الدين العطار: عن عبد الوهاب بن أبي عبدالله بن منده، عن أبيه، فسمى الرجل: كرز بن زهدم[4].

وظاهر ما اعتمده في «الفتح»: أنهما قصتان، فالذي كان يؤم في مسجد قباء غير أمير السرية؛ فإن الذي كان يؤم في مسجد قباء كان يبدأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وأمير السرية كان يختم بها، وإنه كان يصنع ذلك في كل

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٨)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ١٣٢٨).

(٢) انظر: «الإشارة إلى سيرة المصطفى» لمغلطاي (ص: ١٨٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٦)، «جوامع السيرة» لابن حزم (ص: ١٧).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٢٥٨).

ركعة، ولم يصرح بذلك في قصة الآخر، وفي هذا أن النبي ﷺ سأله، وأمير السرية سأل أصحابه أن يسألوه، وفي هذا أنه قال: إنه يحبها، فبشره بالجنة، وأمير السرية قال: إنها صفة الرحمن، فبشره أن الله يحبه.

قال أنس رضي الله عنه: إن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ **(كان يلزم قراءة سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾)**.

وفي حديث أنس رضي الله عنه: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، وكان إذا قرأ افتتح بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، **(في الصلاة مع كل سورة)** يقرأ بها في صلاته بعدَ قراءة الفاتحة، ثم يقرأ بعد السورة بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، **(وهو)**؛ أي: الرجل **(يؤم أصحابه)**؛ أي: يصلي بهم إمامًا، **(فقال له)**؛ أي: للرجل الذي يلزم قراءة سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **(رسولُ الله ﷺ: ما)**؛ أي: أي شيء **(يلزمك)** ـ بضم أوله وكسر الزاي ـ قراءة **(هذه السورة؟)** أي: ما يحملك على قراءتها في كل ركعة من صلاتك؟ وما يمنعك من قراءة غيرها؟ فأجاب الرجلُ رسولَ الله ﷺ بأن **(قال: إني أحبها)**؛ أي: أحبُّ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلفرط حبي لها صرت أقرؤها في صلاتي مع كل سورة قرأت بها، فأخبر الرجلُ أن الحاملَ له على ذلك المحبةُ وحدها، **(قال)** ﷺ للرجل مبشرًا له، وراضيًا بصنعه الذي يصنعه من قراءته لـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مع كل سورة يقرؤها في صلاته: **(حُبُّها)**؛ أي: سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: محبتك لها **(أدخلك الجنة)**؛ أي: جنة المأوى المعهودة، وأتى بالفعل

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة، تعليقًا، والترمذي (٢٩٠١)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٥٣٧).

الماضي وإن كان دخول الجنة مستقبلًا؛ تحقيقًا لوقوع ذلك.

قال ناصر الدين بن المنير في هذا الحديث: إن المقاصد تغير أحكام الفعل؛ لأن الرجل لو قال: إن الحامل له على إعادتها أنه لا يحفظ غيرها؛ لم يبشر برتبة المحبة ودخول الجنة، لكنه اعتل بحبها، فظهر صحة قصده، فصوبه.

وفيه: دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه والاستكثار لتلاوته، ولا يعد ذلك هجراناً لغيره.

(رواه البخاري تعليقًا) من غير إسناد؛ بأن قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم... الحديث.

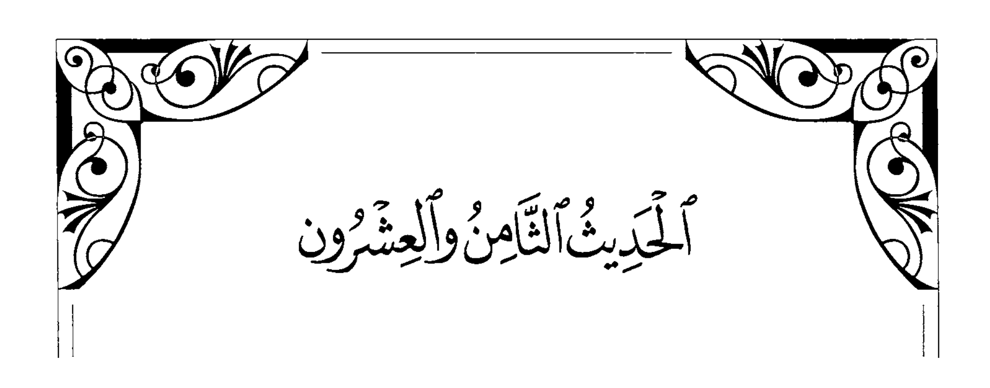
(ورواه) أبو عيسى **(الترمذي)** متصلًا، وكذا البزار، والبيهقي[1]، **(وقال الترمذي: حديث صحيح)**.

وفي «الفتح»: قال الترمذي: حسن صحيح **(غريب)** من حديث عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم عن ثابت[2].

* * *

(١) رواه البزار في «مسنده» (٦٨٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٤٠).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٤٧٠)، وفيه: حسن غريب.



الحديث الثامن والعشرون

٥٦٨ ـ عَن عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ ﷻ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَهَذَا لَفْظُهُ[1].

(**عن**) أم المؤمنين (**عائشة**) الصدِّيقةِ (﵂: **أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا**) ـ تقدم الكلام في تعيين الرجل في حديث أنس المار ـ أميرًا (**على سرية**)، وتقدم أن السرية: الطائفةُ من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة تُبعث إلى العدو، وجمعها (سرايا)، (**وكان**) وفي لفظ: «فكان»[2] ـ بالفاء بدل الواو ـ (**يقرأ لأصحابه**) الذين معه وتحت لوائه (**في صلاتهم**) التي يصليها بهم إمامًا بعد قراءة سورة الفاتحة وسورة، (**فيختم**) الركعة (**بـ**) قراءة (﴿**قُلْ**

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣/ ٢٦٣).

(٢) رواه النسائي (٩٩٣).

هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾)، ويكون فيه دلالة على جمع قراءة السورتين بعد الفاتحة في ركعة واحدة، ويحتمل أن يكون يختم بها في آخر ركعة يقرأ فيها السورة، (**فلما رجعوا**) من غزاتهم إلى المدينة المنورة هو وأصحابه؛ (**ذكروا**)؛ أي: ذكر أصحابه أو بعضهم (**ذلك**)؛ أي: ختمَهُ في كل ركعة، أو في آخر ركعة من صلاته بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (**لرسول الله ﷺ**) متعلق بـ (ذكروا)، (**فقال**) رسول الله ﷺ لهم: (**سلوه**)؛ أي: سلوا أميركم: (**لأي شيء يصنع ذلك؟**)؛ أي: ما سبب ختم كل ركعة بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾؟ (**فسألوه**)؛ أي: سأل الأميرَ أصحابُه عن ذلك، (**فقال**) مجيبًا لهم عن سؤالهم: (**لأنها**)؛ أي: سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾؛ يعني: علة ختمي كلَّ ركعة من صلاتي بقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أنها (**صفةُ الرحمن**)؛ أي: فيها صفة الرحمن (ﷻ، **فأنا أحب أن أقرأ بها**) في كل صلاتي؛ تلذذًا ومحبة لذكر صفاته ـ جل وعلا ـ فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه بما قال، (**فقال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يحبه**) لمحبته لقراءة هذه السورة.

وفي هذا دليل على الرضا بفعله ذلك.

(**رواه البخاري، ومسلم، وهذا لفظه**)؛ أي: لفظ مسلم.

ورواه النسائي[1]، ورواه البخاري ـ أيضًا ـ والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه بأطولَ منه، وقال في آخره: فلما أتاهم النبي ﷺ؛ أخبروه الخبر، فقال ﷺ للرجل: «يا فلان! ما منعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ـ يعني: من طلبهم منك عدمَ لزومك لقراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ـ وما يحملك على

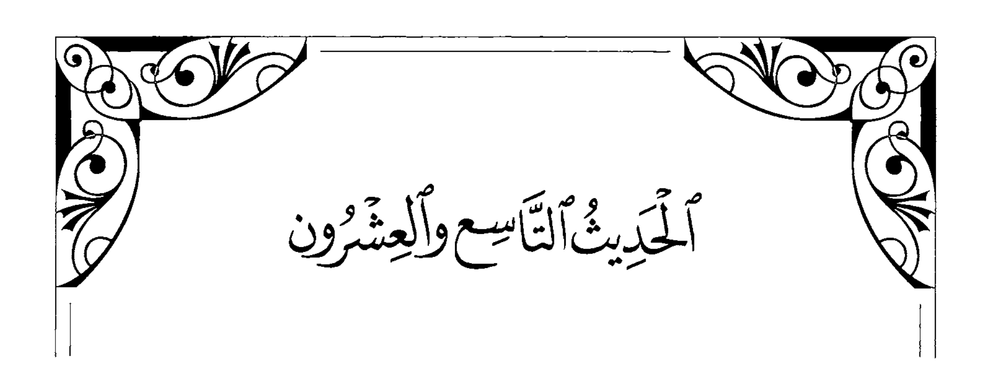
---

(١) رواه النسائي (٩٩٣).

لزوم هذه السورة في كل ركعة؟» فقال: إني أحبها، فقال ﷺ: «حُبُّك إياها أدخلك الجنة»؛ كما تقدم في الذي قبل هذا[1]. والله أعلم.

* * *

(١) وهو حديث الباب السابق.



الحديث التاسع والعشرون

٥٦٩ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرأَ فِي يَوْمٍ مِئَتَيْ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ مُحِيَ عَنْهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ».

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ فَنَامَ عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِئَةَ مَرَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ؛ يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: يَا عَبْدِي! ادْخُلْ عَلَى يَمِينِكَ الجَنَّةَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ عن النبي ﷺ): أنه (قال: من قرأ) من المسلمين من ذكر وأنثى (كلَّ يوم) من أيام حياته، وفي لفظ: من قرأ (مئتي مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾)[2].

وفي لفظ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئتي مرة»[3]، (مُحي عنه)؛

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٨).

(٢) لم نقف عليه.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٤٢، ٢٥٤٦)، والرزاز في «تاريخ واسط» (ص: ٥٩).

أي: عن قارئ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ العددَ المذكور من صحيفة عمله **(ذنوبُ خمسين سنة)**، والظاهر عدمُ اعتبار التوالي في قراءتها؛ **(إلا أن تكون عليه)**؛ أي: على من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ العدد المذكور **(دَيْن)**، فلا يمحى؛ لأنه حق آدمي، ولعل محله إذا كان حالًا وأمكنه وفاؤه ولم يفعل.

وفي حديث أنس ﷺ مرفوعًا عند البيهقي ـ وفيه كذاب ـ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئتي مرة، غفرت له ذنوب مئتي سنة»[1].

وعند ابن عدي، والبيهقي عنه، مرفوعًا: «من قرأ في يوم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئتي مرة، كتب الله له ألفًا وخمسمئة حسنة، إلا أن يكون عليه دَين»[2].

وروى الخيارجي في «فوائده» من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعًا: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله»[3].

وقال الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ: **(وقال رسول الله ﷺ: من)** أي: أيُّ إنسان مسلمٍ من ذكر وأنثى **(أراد أن ينام على فراشه)**؛ أي: قصد النوم، وذكر الفراش جريًا على الغالب، **(فنام على يمينه)**؛ أي: على شقه الأيمن، والأفضل أن يكون مستقبلَ القبلة، **(ثم)** بعد اضطجاعه على

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٧٠ ـ ط الكتب العلمية)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٤٧).

(٣) لم نقف عليه عند الخيارجي، وأورده بسند الخيارجي الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٢٠٦، ٢٦٦).

شقه الأيمن، أو بعد أن يأوي إلى فراشه ولو قبل اضطجاعه (**قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مئة مرة**)، والأفضل أن يأتي بالبسملة في كل مرة، (**فإذا كان يوم القيامة**) العظمى، ومجازاة كل عامل بما عمل، (**يقول له**)؛ أي: يقول لمن قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ العددَ المذكورَ عند نومه (**الربُّ** ﷻ) فاعل (يقول له)، (**يا عبدي: ادخل على**) على جهة وناحية (**يمينك الجنة**)؛ أي: جنة المأوى التي هي دار المتقين.

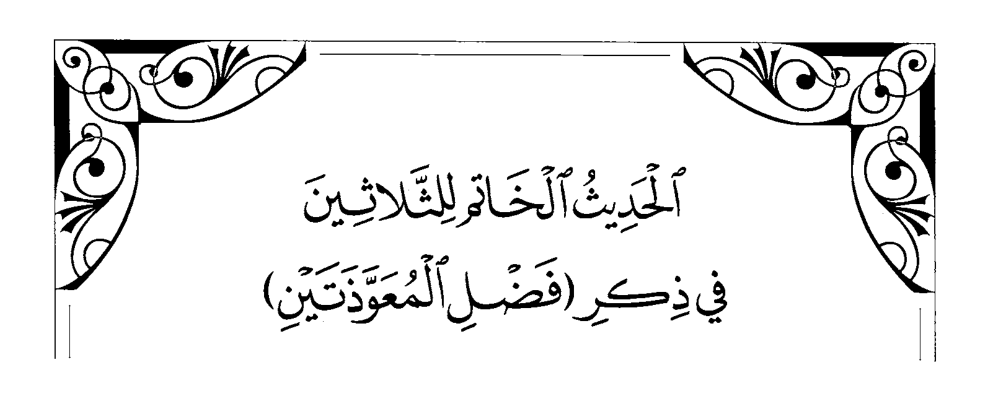
(**رواه الترمذي وقال: حديث غريب**) من حديث ثابت عن أنس.

وأورد شطره الأول الحافظُ المنذري في «ترغيبه» بصيغة: (روي)[1]، وقد مرَّ غير مرة أنه في اصطلاحه لما لا يتطرق إليه احتمالُ التحسين. والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٩٤).



الحديث الخاتم للثلاثين في ذكر (فضل المعوذتين)

أي: سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

٥٧٠ ـ عَن عَبْدِاللهِ بنِ خُبَيْبٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِيْنَ تُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِن كُلِّ شَيْءٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَهَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ[1].

(عن عبدالله بن خبيب) ـ بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى وسكون الياء التحتية، فموحدة ثانية ـ هو أبو معاذ الجهني، حليفُ الأنصار، ومن ثم نسبه الحافظ المصنف إلى الأنصار فقال: **(الأنصاري)**، مدني (رضي الله عنه)، له ولإخوته صحبة، حديثُه في أهل الحجاز، روى عنه ابنهُ معاذ **(قال: خرجنا)** معشر نفر من الصحابة رضي الله عنهم **(في ليلة مطر وظُلمة شديدة**

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، والنسائي (٥٤٢٨).

نطلب رسولَ الله ﷺ؛ **ليصلي لنا)**؛ أي: يؤمنا ونصلي معه جماعة، وفي لفظ: (ليصلي بنا)[1]: صلاة العشاء الأخير، أو صلاة الفجر، **(فأدركناه)**؛ أي: صادفناه ولحقناه، وهذا يدل على أنهم كانوا في سفر كما يأتي.

(فقال) لي: **(قل، فلم أقل شيئًا، ثم قال)** لي ثانية: **(قل، فلم أقل شيئًا، ثم قال)** لي ثالثًا: **(قل، قلت: يا رسول الله! ما)**؛ أي: أي شيء **(أقول؟ قال)** ﷺ: **(﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين)** بكسر الواو المشددة **(حين تمسي)**؛ أي: زمن دخولك في المساء، **(وحين تصبح)**؛ أي: زمن دخولك في الصباح **(ثلاثَ مرات)**، فإنك إذا قلتها ثلاث مرات، فإنها **(تكفيك من كل شيء)** يؤذيك.

(رواه أبو داود)، واللفظ له كما يأتي في كلام الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ **(و)** رواه **(الترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وهذا)**؛ أي: اللفظ الذي ذكره المصنف **(لفظُ)** الإمام سليمان بن الأشعث **(أبي داود)** في «سننه».

ورواه البيهقي، وابن السني، وغيرهم[2].

ورواه الإمام أبو عبد الرحمن عبدُالله بنُ الإمام أحمد في زوائد «المسند»، وعنده قال: أصابنا عطش وظلمة، فانتظرنا رسولَ الله ﷺ ليصلي بنا، فخرج، فأخذ بيدي وقال: «قل»، فسكتُّ، قال: «قل»،

---

(١) رواه النسائي (٥٤٢٨).

(٢) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨١).

قلت: ما أقول؟ فذكره[1].

ورواه النسائي، إلا أنه قال: أصابنا طشٌّ وظلمة، وفيه: فخرج فقال: «قل»، قلت: ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح[ثلاثًا]؛ تكفيك كل شيء»[2].

وفي رواية له قال: كنت مع رسول الله ﷺ بطريق مكة، فأصبت خلوةً من رسول الله ﷺ، فدنوت منه، فقال: «قل»، قلت: ما أقول؟ قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾» حتى ختمها، ثم قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» حتى ختمها، ثم قال: «ما تعوَّذ الناسُ بأفضلَ منها»[3].

قوله في رواية النسائي: (أصابنا طشٌّ)، قال في «القاموس»: الطشُّ: المطر الضعيف، وهو فوق الرذاذ، يقال منه: طشَّت السماء تطُشُّ وتطِشُّ وأطشَّت. انتهى[4].

وفي «نهاية ابن الأثير»: الطشة: داء يصيب الناس كالزكام، سميت طشةً؛ لأنه إذا استنثر صاحبها؛ طشَّ كما يطش المطر، وهو الضعيف القليل[5].

ومنه: حديث الشعبي وسعيد في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٢).

(٢) رواه النسائي (٥٤٢٨).

(٣) رواه النسائي (٥٤٢٩).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: طشش).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٢٤).

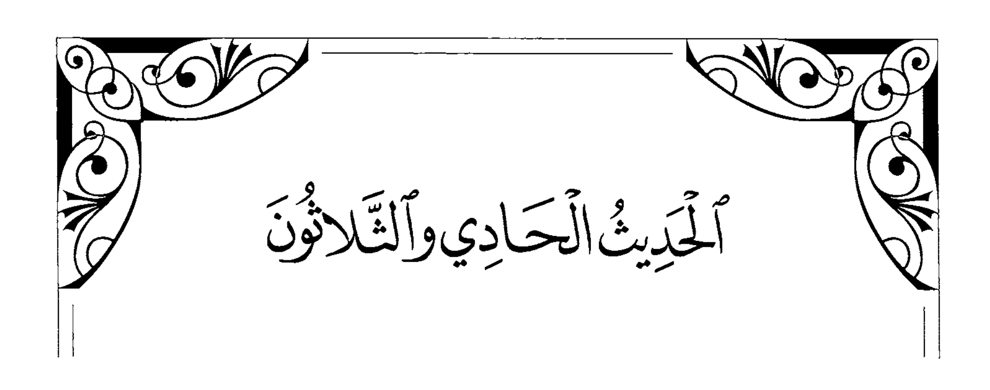
ﭐلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[الأنفال: ١١]، قال: طش يوم بدر[١].

ومنه حديث الحسن: أنه كان يمشي في طشٍّ ومطر[٢].

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٧١)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٨٤٣).

(٢) رواه الحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١١٥٩).



الحديث الحادي والثلاثون

٥٧١ ـ عَن عقبةَ بن عَامرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «ألم تَرَ آياتٍ أُنزلت عَليَّ اللَّيْلَةَ لم يُرَ مِثْلهنَّ؟ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». رَوَاهُ مُسلم[1].

(عن) أبي حماد، أو أبي عامر (**عقبةَ بنِ عامرٍ**) الجهنيِّ (ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضل الصيام في سبيل الله تعالى)، (**قال: قال رسول الله ﷺ: ألم**) استفهام تقريري، (**ترَ**) يا عقبةُ (**آياتٍ**) من القرآن العظيم (**أُنزلت**) بضم الهمزة وسكون النون وكسر الزاي فلام فتاء تأنيث ساكنة مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله؛ أي: أنزل الله ﷻ (**عليَّ الليلةَ لم يُرَ**) بضم التحتية، (**مثلُهن**): مرفوع على أنه نائب فاعل (يُرى).

وفي رواية: «لم نرَ ـ بالنون ـ مثلَهن»[2]: مفعول (نرى)، زاد في رواية: «قَطُّ»[3]؛ أي: على سبيل القطع والجزم؛ يعني: من جهة الفضل:

---

(١) رواه مسلم (٨١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٢).

(٣) وهي رواية مسلم (٨١٤).

(﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. **رواه مسلم**)[1].

ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي[2]، وفي لفظ قال: «أنزل عليَّ ـ أو أنزلت عليَّ ـ آيات لم يُرَ مثلهن قَطُّ المعوذتين»[3]، زاد في رواية عند ذكر عقبة: وكان من رفعاء أصحاب محمد ﷺ[4].

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح[5].

وفي رواية أبي داود قال: كنت أقودُ برسول الله ﷺ ناقته، فقال لي: «يا عقبة! ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟» فعلَّمني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فلم يرني سُررت بهما جدًّا، فلما نزل لصلاة الصبح، صلى بهما للناس، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من الصلاة، التفتَ إليّ، فقال: «يا عقبة! كيف رأيت؟»[6].

اختصره النسائي، وفيه: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين، قال عقبة: فأمّنا بهما رسولُ الله ﷺ في صلاة الفجر[7].

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (١٤٦٢)، والترمذي (٣٣٦٧)، والنسائي (٥٤٤٠).

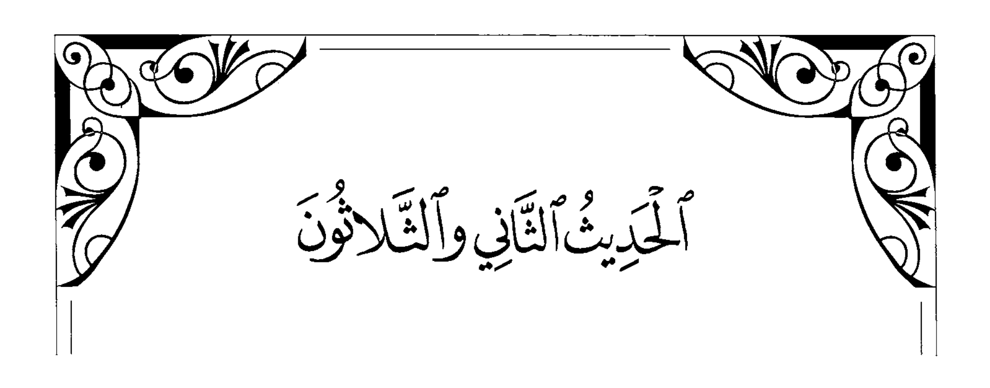
(٣) رواه مسلم (٨١٤/ ٢٦٥).

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٤٥٣).

(٦) رواه أبو داود (١٤٦٢).

(٧) رواه النسائي (٩٥٢).



الحديث الثاني والثلاثون

٥٧٢ ـ عَن عقبَةَ بنِ عَامرٍ ﷺ قَالَ: كنتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «يَا عقبَة! قل»، فقلت: مَا أَقُول يَا رَسُولَ الله؟ فَسكت عني، ثمَّ قَالَ: «يَا عقبَة! قل»، فقلت: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ الله؟ فَسكت عني، فَقلت: اللَّهُمَّ اردده عَليّ، فقَالَ: «يَا عقبَة! قل»، فَقلت: مَا أَقُول يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾»، فقرأتُها حَتَّى أتيتُ على آخرهَا، ثمَّ قَالَ: «قل»، فقلت: مَا أَقُول يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»، فقرأتُها حَتَّى أتيت على آخرِهَا، ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْد ذَلِك: «مَا سَأَلَ سَائلٌ مثلهمَا وَلَا استعاذ مستعيذٌ بمثلهما». رَوَاهُ النَّسَائِيّ[1].

(عن عقبةَ بنِ عامرٍ) أيضًا (ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ)، وفي رواية لأبي داود قال: بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء، إذ غشيتنا ريح وظُلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ: ﴿أَعُوذُ

(١) رواه النسائي (٥٤٣٨).

بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[1].

(فقال)، وفي رواية أبي داود: ويقول[2]: **(يا عقبة! قل، فقلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ فسكتَ)** رسولُ الله ﷺ **(عني)**؛ أي: عن إعادة أمري ومخاطبتي، **(فقلتُ)** في نفسي: **(اللهم اردده)**؛ أي: رسولَ الله ﷺ **(عليَّ)**؛ أي: بأن يخاطبني، ويبين لي ما أمرني به، **(فقال)** عليه السلام: **(يا عقبة! قل، فقلت: ما)**؛ أي: أيَّ شيء **(أقول يا رسول الله؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، فقرأتها)**؛ أي: سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ من أولها **(حتى أتيت على آخرها)** بتعليم رسول الله ﷺ لي في ذلك كله؛ بأن يلقنِّي إياها كلمةً بعد كلمة، **(ثم قال)** لي رسولُ الله ﷺ: **(قل، فقلت)** له: **(ما أقول يا رسول الله؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، فقرأتها)**؛ أي: سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ من أولها **(حتى أتيت على آخرها)**، يلقنني إياها رسولُ الله ﷺ كلمة كلمة، **(ثم قال رسول الله ﷺ عندَ ذلك)**؛ أي: عند فراغي من قراءتهما بتلقينه ﷺ: **(ما سأل سائل)**؛ أي: ما طلب طالب **(مثلَهما)** في الالتجاء والتحصّن من جميع الأذى، **(ولا استعاذ)**؛ أي: طلب العوذ؛ فإن لفظ (عاذ) وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن والالتجاء؛ أي: وحقيقة معناها: الهروبُ من شيء تخافه إلى مَنْ يعصمك منه، فلهذا قال ﷺ: ولا استعاذ **(مستعيذ بمثلهما)**، فالذي تتحصن به وتلجأ إليه يسمَّى: معاذًا، كما يسمى: ملجأ وحرزًا.

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٣).

(٢) انظر التعليق السابق.

فمعنى أعوذ: ألتجئ وأعتصم وأتحرز، وفي أصله قولان: **أحدهما**: أنه مأخوذ من الستر، **والثاني**: أنه مأخوذ من لزوم المجاورة.

(رواه)؛ أي: حديث عقبة بن عامر المشروحَ **(النسائي)**[1]، وله في رواية أخرى قال: بينما أقود برسول الله ﷺ في غزاة، فقال: «يا عقبة! قل»، فاستمعت إلى أن قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»، فقرأ حتى ختمها، ثم قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وقرأت معه حتى ختمها، ثم قرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فقرأت معه حتى ختمها، ثم قال: «ما تعوّذ بمثلهما أحد»[2].

وله في رواية أخرى قال: أهديت للنبي ﷺ بغلة شهباء، فركبها، فأخذ عقبة يقودها، فقال النبي ﷺ لعقبة: «اقرأ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾»، فأعادها حتى قرأتها، فعرف أني لم أفرح بها جدًّا، فقال: «لعلك تهاونت بها، فما قمت»؛ يعني: بمثلها[3].

وتقدم في رواية عند أبي داود: أن عقبة ﷺ قال: كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته[4]، وهذا الحديث أنه كان يقود بغلة شهباء أهديت له، فلعلهما كانا مع النبي ﷺ، وكان أولًا راكبًا إحداهما، ثم ركب الأخرى لما ركب عقبة.

فقد جاء في رواية عند النسائي: قال عقبة: بينما أقود برسول الله ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه النسائي (٥٤٣٠).

(٣) رواه النسائي (٥٤٣٣).

(٤) رواه أبو داود (١٤٦٢).

في نقب من تلك النقاب؛ إذ قال: «ألا تركب يا عقبة؟» فأجللتُ رسولَ الله ﷺ أن أركب مركب رسول الله ﷺ، ثم قال: «ألا تركب يا عقبة؟» فأشفقت أن تكون معصية، فنزل فركبت هنيهة ونزلت، وركب رسول الله ﷺ، ثم قال ﷺ: «ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟»، وفيه: ثم قال: «يا عقبة! اقرأ بهما كلما نمت وقمت»[1].

وزاد في أخرى: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما»[2].

وفي رواية عند أبي داود: «يا عقبة! تعوذْ بهما، فما تعوذَ متعوذٌ بمثلهما»[3].

وأخرج الترمذي من هذا طرقًا أُخَر، وفيه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين في دُبر كل صلاة[4]. ورواه الإمام أحمد[5].

وروى الإمام أحمد ـ أيضًا ـ في «المسند» من حديث عقبةَ بنِ عامر رضي الله عنه قال: لقيني رسول الله ﷺ، فابتدأني فأخذ بيدي، فقال: «يا عقبةُ بنَ عامر! ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم؟» قال: قلت: بلى، جعلني الله فداك، قال: فأقرأني: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

(١) رواه النسائي (٥٤٣٧).

(٢) رواه النسائي (٥٤٣٨).

(٣) رواه أبو داود (١٤٦٣).

(٤) رواه الترمذي (٢٩٠٣) وقال: حديث حسن غريب.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٥).

أَحَدٌ ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، ثم قال: «لا تنسهن، ولا تبت ليلة حتى تقرأهن»، قال: فما نسيتهن منذ قال: «لا تنسهن»، وما بتُّ ليلة قطُّ حتى أقرأهن. . . الحديث[1].

* **فوائد:**

الأولى: قال المحقق ابن القيم: لهاتين السورتين ـ يعني: المعوذتين ـ تأثير عظيم خاصّ في التحصّن من الشيطان الرجيم، ودفع شره، وفي دفع السحر والعين، وسائر الشرور، وإن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهما أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس، لأن سورة الفلق تضمنت الاستعاذة من أمور أربعة:

أحدها: شر المخلوقات التي لها شرٌّ عمومًا.

الثاني: شر الغاسق إذا وقب، فهذا خاصّ بعد عامّ، وقد قال أكثر المفسرين: إنه الليل إذا أقبل بظلمته من الشرق، ودخل في كل شيء، وأظلم، والغسق: الظلمة، يقال: غسق الليل، وأغسق: إذا أظلم، والوقوب: الدخول، ويرشد إليه الاستعاذة بربّ الفلق الذي هو الصبح والنور.

وقد روى الترمذي من حديث أم المؤمنين عائشةَ الصدّيقة ﵂ قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي، فنظر إلى القمر فقال: «يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا؛ فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٦). ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٣٧).

وهذا وإن كان في الظاهر يخالف التفسير الأول[1]، فلا يخالفه في نفس الأمر، بل يوافقه، ويشهد لصحته، فإن القمر هو نفسه في[2] الليل، وسلطانه الليل، فهو غاسق إذا وقب؛ أي: إذا طلع، والليل غاسق إذا أظلم، وإنما أمر ﷺ بالاستعاذة من شر الليل، وشر القمر إذا وقب؛ لأن الليل إذا أقبل انتشرت الأرواح الشريرة الخبيثة، وفيه تنتشر الشياطين.

وفي الصحيح: أن النبي ﷺ أخبر أن الشمس إذا غربت، انتشرت الشياطين، ولهذا قال ﷺ: «فاكفتوا صبيانكم، واحبسوا مواشيكم حتى تذهب فحمةُ العشاء»[3].

وفي الليل تتسلط شياطين الإنس والجن؛ بخلاف النهار؛ لأنه نور، وسلطانُ الشياطين في الظلمات، والمواضع المظلمة، والمظالم، وعلى أهل الظلم، ولهذا كان سلطان السحر وعظم تأثيره إنما هو بالليل دون النهار، فالسحر الليلي عندهم هو السحر القوي التأثير؛ كما في «بدائع الفوائد»[4].

الثالث: شر النفاثات في العقد، وهذا هو شر السحر، و﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط، وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر.

والنفث: هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل.

---

(١) في الأصل: «الأولى»، والتصويب من «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٤٢).

(٢) كذا في الأصل، وفي «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٤٢): «آية» بدل «نفسه في».

(٣) رواه مسلم (٢٠١٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما بنحوه.

(٤) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦، ٤٤٢ ـ ٤٤٥).

الرابع: شر الحاسد إذا حسد، وقد دلّ القرآن والسنة على أن حسد الحاسد يؤذي المحسود، فنفس حسده شرّ متصل بالمحسود من نفسه وعينه، وإن لم يؤذ بيده ولسانه؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، فحقق الشر منه عند صدور الحسد.

والحاسد يكون من الجن والإنس؛ فإن الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله.

الثانية: المستعاذ به هو الله ﷻ، فهو رب الفلق، ورب الناس، ملك الناس، إله الناس، لا تنبغي الاستعاذة إلا به، فلا يسوغ ولا يجوز الاستعاذة بمخلوق.

ومن ثم احتج أهل السنَّة على المعتزلة بأن كلماتِ الله تعالى غيرُ مخلوقة؛ بأن النبي ﷺ استعاذ بها، فقال: «أعوذ بكلمات الله التامات»[1]، وهو ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبدًا.

الثالثة: الفلق في الآية الكريمة أريد به: الصبح، وهو قول جابرِ بنِ عبدِالله، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وأكثر المفسرين[2].

قال في «البغوي»: وهي رواية العوفي عن ابن عباس ﭫ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾[الأنعام: ٩٦][3].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية ﭬ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٤٧).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ فَعل بمعنى المفعول؛ كالقبض بمعنى المقبوض، فكلُّ ما فلقه الربّ فهو فلق.

قال الحسن: الفلق كلُّ ما انفلق عن شيء؛ كالصبح، والحب، والنوى[1].

قال الزجاج: إذا تأملت الخلق، بان لك أن أكثره عن انفلاق؛ كالأرض بالنبات والسحاب بالمطر.

وقال كثير من المفسرين: الفلق: الصبحُ؛ فإنه يقال: هذا أَبينُ من فلق الصبح وفرق الصبح.

وقال بعضهم: الفلق: الخلق كله، وأما من قال: إنه واد في جهنم، أو سجنٌ[2] في جهنم أو أنه اسم من أسماء جهنم، فهذا لا تعرف صحته[3].

قال شيخ الإسلام: وإذا قيل: الفلق يعم ويخص، فبعمومه للخلق أستعيذ من شر ما خلق، وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ من شر غاسق إذا وقب؛ فإن الغاسق قد فسر بالليل؛ كقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[الإسراء: ٧٨]؛ كما تقدم.

وقد روي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: أن الغاسق النجم[4].

---

(١) أورده الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٤).

(٢) في «مجموع الفتاوى»: «شجرة».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٧/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٥٢).

قال ابن زيد: هو الثريا، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها[1].

وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس لما فسر الغسق بالليل، فزعم بعض الناس أن الغاسق إذا وقب: القمر إذا خسف واسود.

ومعنى وقب: دخل في الكسوف.

قال: وهذا ضعيف، وما قاله رسول الله ﷺ لا يعارض بقول غيره، فالقمر آية الليل؛ وكذلك النجم إنما يُرى بالليل.

قال: وبعض شياطين الجن والإنس يتوسلون بالقمر، ويدعونه ويعبدونه، ولأبي معشر البلخي مصنف في القمر، يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة.

فذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخلق عمومًا، ثم خص الأمر بالاستعاذة من شر الغاسق إذا وقب، وهو الزمان الذي يعم شره، ثم خص بالذكر السحر والحسد، فالسحر يكون من الأنفس الخبيثة، لكن بالاستعانة بالأشياء؛ كالنفث في العقد، والحسدُ يكون من الأنفس الخبيثة ـ أيضًا ـ، إما بالعين، وإما بالظلم باللسان واليد.

فسورة الفلق فيها الاستعاذة من المخلوقات عمومًا وخصوصًا[2]. والله أعلم.

الرابعة: الاستعاذة في سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ من شر الوسواس

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٥٢).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٧/ ٥٠٥ ـ ٥٠٨).

الخناس، فالمستعاذ به الله ﷻ، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، والمستعاذ منه الشر، وهو ظلم العبد نفسَه، وهو شر من داخل يدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي، فهو شر المعايب.

وأما الشر المستعاذ به في سورة الفلق، فشر المصائب، والشرُّ كله يرجع إلى العيوب والمصائب، ولا ثالث لهما؛ كما في «البدائع»[1].

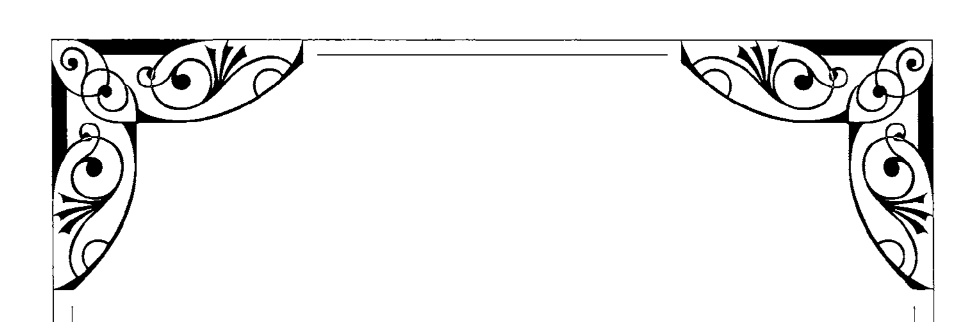
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يستعيذوا هنا ـ يعني: في سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ـ من شر المخلوقات مطلقًا كما استعاذوا في سورة الفلق، بل استعاذوا من الشر الذي يكون مبدؤه في نفوسهم، وإن كان ذكر رب الناس، ملك الناس، إله الناس ليستعيذوا بالله من شر الناس ليعيذهم، وليعيذ منهم، فما حصل لإنسي شرّ من إنسي إلا كان مبدؤه من الوسواس الخناس[2]. والله الموفق.

❐ ❐ ❐

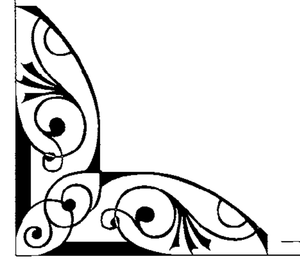
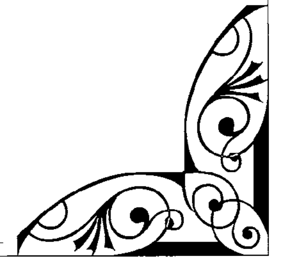
---

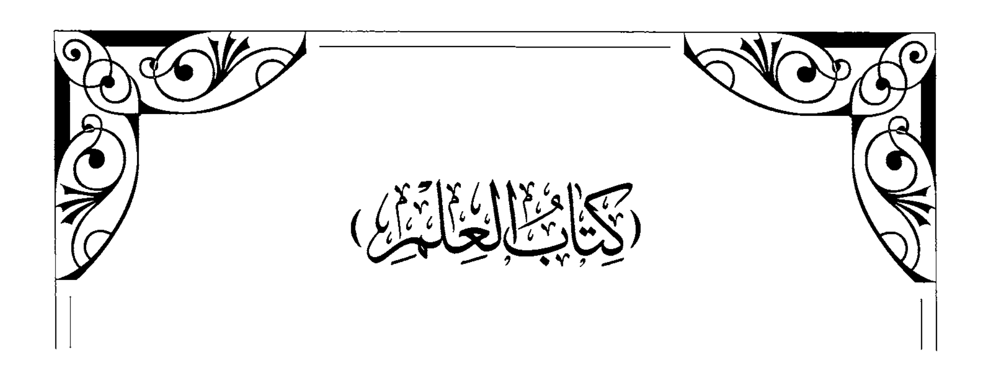
(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٧/ ٥١٥).



كِتَابُ العِلْمِ



(كتاب العلم)

اعلم أن العلم قد اختُلف فيه: هل يحد، أو لا يحد؟ فقيل: لا يحدّ لعسره، وإنما يميز بالبحث والتقسيم.

وقال بعضهم: بل لا يحد لوضوحه؛ لأنه ضروري.

والمعتمد: أن العلم يحد، وحَدُّه أنه صفة يميز المتصف بها تمييزًا جازمًا مطابقًا لا يحتمل النقيض، وأنه يتفاوت كالمعلوم، وكالإيمان، وقد يراد بالعلم مجردَ الإدراك، سواء كان جازمًا، أو مع احتمال راجح، أو مرجوح، أو مساوٍ.

وقد يطلق ويراد به التصديق قطعيًا أو ظنيًا، وقد يطلق ويراد به: معنى المعرفة.

ومن أمثلة هذا: قولُه تعالى في المنافقين: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾[التوبة: ١٠١]؛ أي: تعرفهم، ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾[التوبة: ١٠١]، وقد تطلق المعرفة ويراد بها: العلم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾[المائدة: ٨٣]؛ أي: علموا.

ويطلق العلم ويراد به: الظن، كما أن الظن يطلق ويراد به العلم،

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[البقرة: ٤٦]؛ أي: يعلمون.

والمعرفة من حيث إنها علم مستحدَث، أو انكشاف بعد لبس، أخصُّ منه؛ لأن العلم يشمل غير المستحدَث، وهو علم الله، ويشمل المستحدث، وهو علم العباد. ومن حيث إنها يقين أو ظن أعم من العلم؛ لاختصاصه حقيقة باليقين.

وقد قال بعضهم: إن المعرفة مرادفة للعلم.

وعلم الله تعالى قديم ليس بضروري، ولا نظري، ولا يوصف ـ جل وعلا ـ بأنه عارف، وعلمُ المخلوق محدَث، وهو ضروري ونظري.

ولسنا بصدد تفصيل ذلك؛ لأن محله علم الأصول، وإنما ذكرنا هذه النبذة تعريفًا للعلم في الجملة. والله تعالى أعلم.

* **فائدة:**

أفضلُ تطوعات البدن الجهادُ، أطلقه الإمام أحمد، والأصحاب، فالنفقةُ فيه؛ كما في «الفروع» وغيره[١].

وعن الإمام أحمد رواية ثانية: العلم وتعلُّمه وتعليمُه أفضل من الجهاد وغيره[٢]، وفاقًا لأبي حنيفة، ومالك.

نقل مهنا عن الإمام أحمد ﷺ أنه قال: طلب العلم أفضل الأعمال

---

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٦٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٦٥).

لمن صَحَّت نيتُه، قيل: فأي شيء تصحيح النية؟ قال: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهل[1].

وسأله ابن هانئ: يطلب الحديث بقدر ما يظن أنه قد انتفع به؟ قال: العلم لا يعدله شيء[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فاستشهد سبحانه بأولي العلم على أَجَلِّ مشهودٍ عليه، وهو توحيده، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من عشرة أوجه ذكرها المحقق شمسُ الدين ابنُ القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة ومنشور[3] ولاية العلم والإرادة»[4]. والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الكتاب إلى (باب فضل الذكر) تسعة وعشرين حديثاً.

* * *

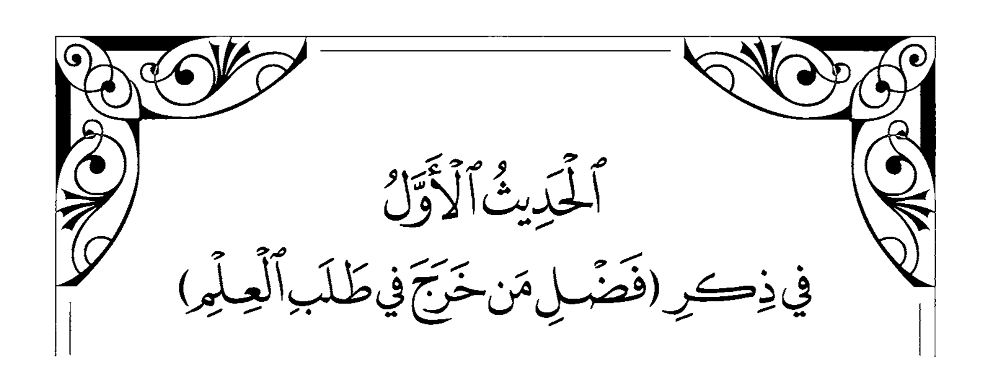
---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٦٦).

(٣) في الأصل: «ونشور»، والتصويب من كلام ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٧)، وفيه: «وسميته: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة».

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٤٨).



الحديث الأول
في ذكر (فضل من خرج في طلب العلم)

٥٧٣ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ، عَن النَّبِـي ﷺ قَالَ: «مَن سلك طَرِيقًا يلْتَمسُ فِيهِ علمًا؛ سهَّل الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجنَّة». أخرجه مُسلم[1].

(**عن أبي هريرة**) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ، **عن النبي ﷺ قال: مَنْ سلكَ طريقًا**)؛ أي: مرّ به، وفيه، وسواء كان الطريق حسيًّا، أو معنويًّا، (**يلتمس**)؛ أي: يطلب ويبتغي (**فيه**)؛ أي: من سلوكه في الطريق لأجل التماس العلم (**علمًا**) مفعول (يلتمس)، (**سهّل الله**) علا وجل (**له**)؛ أي: للسالكِ الملتمس (**به**)؛ أي: العلم؛ أي: بسببه (**طريقًا**) في الدنيا؛ بأن يوفقه للعمل الصالح، أو في الآخرة (**إلى الجنة**)؛ أي: يجازيه يوم القيامة بأن يسلك به طريقًا لا صعوبة فيه ولا هول إلى أن يدخل الجنة سالمًا.

وفي رواية: «**سلك الله به**»[2] بدل: «**سهل الله له به**».

قال الطيبي: الضمير المجرور في (به) عائد إلى (مَن)، والباء للتعدية؛ أي: يوفقه أن يسلك طريق الجنة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

ويجوز أن يرجع الضمير إلى العلم، والباء سببية، ويكون (سلك) بمعنى: سهل، والعائد إلى (مَنْ) محذوف، والمعنى: سهل الله له بسبب العلم طريقًا من طرق الجنة.

فعلى الأول: (سلك) من السلوك يعدى بالباء، وعلى الثاني: من السلك، والمفعول محذوف؛ كقوله تعالى: ﴿نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[الجن: ١٧][(١)]، قيل: ﴿عَذَابًا﴾ مفعول ثانٍ.

وعلى التقديرين نسبة السلك إلى الله تعالى على طريق المشاكلة. انتهى[(٢)].

(رواه مسلم)، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن[(٣)].

قال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: لم يقل في هذا الحديث الترمذي: صحيح؛ لأنه يقال: دلس[(٤)] عن الأعمش في هذا الحديث؛ لأنه رواه بعضهم فقال الأعمش: حُدِّثت عن أبي صالح[(٥)].

قال ابن القيم: والحديث رواه مسلم في «صحيحه» من أوجُه عن

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (ص: ٢١٥)، وفيه: الكوفيون: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياء، والباقون بالنون.

(٢) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٢/ ٦٧٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٩٤٥)، وتقدم تخريجه عند مسلم.

(٤) في الأصل: «لأن مسلمًا رواه» بدل «لأنه يقال: دلس»، والتصويب من «مفتاح دار السعادة».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ١٩٥).

الأعمش عن أبي صالح[1]، قال الحاكم في «مستدركه»: هو صحيح على شرط البخاري، ومسلم[2]، قد رواه عن الأعمش جماعة، منهم: زائدة، وأبو معاوية، وابن نمير[3].

قال الحافظ ابن رجب: هذا الحديث خرجه مسلم من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، واعترض عليه ـ أي: على مسلم ـ غيرُ واحد من الحفاظ في تخريجه، منهم: أبو الفضل الهروي[4]، والدارقطني، فإن أسباطَ بنَ محمد رواه عن الأعمش، قال: حُدثت عن أبي صالح[5]، فبين أن الأعمش لم يسمعه من أبي صالح، ولم يذكر مَنْ حدثه به عنه.

قال الحافظ ابن رجب: ورجح الترمذي وغيره هذه الرواية[6].

قال المحقق ابن القيم: الحديث محفوظ، وله أصل.

قال: وقد تظاهر الشرع والقدر على أن الجزاء من جنس العمل، فكما سلك طريقًا يطلب منه حياة نفسه، ونجاته من الهلاك، سلك الله به طريقًا يحصل له ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٠٠).

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧١)، والحديث المذكور رواه مسلم (٢٦٩٩) من طريق أبي معاوية وابن نمير، ورواه أبو داود (٣٦٤٣) من طريق زائدة.

(٤) في الأصل: «المروذي»، والمثبت من «جامع العلوم الحكم».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ١٩٥).

(٦) انظر: «جامع العلوم الحكم» لابن رجب الحنبلي (ص: ٣٣٧).

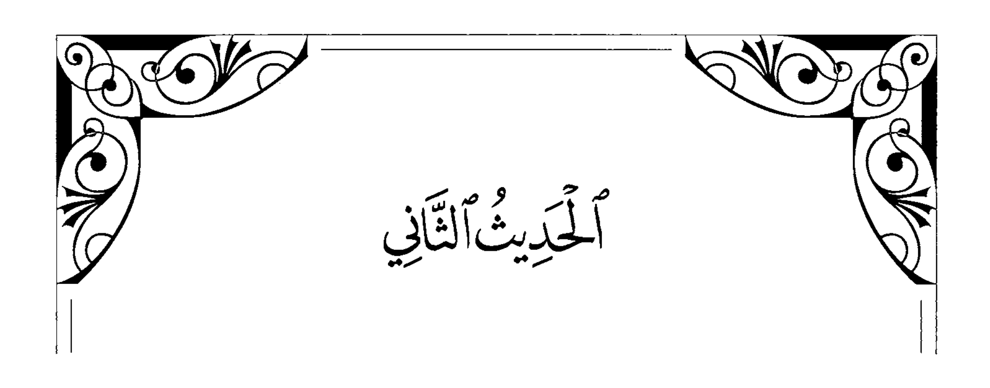
وقد روي من حديث عائشة، رواه ابن عدي[1] مرفوعًا، ولفظه: «أوحى الله إليّ أنه من سلك مسلكًا يطلب العلم، سهلتُ له طريقًا إلى الجنة. انتهى[2].

ويشهد لصحة حديث أبي هريرة هذا:

* * *

(١) في الأصل: «العربي»، والتصويب من «مفتاح دار السعادة».

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧١)، والحديث المذكور رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦/ ١٦٠).



الحديث الثاني

٥٧٤ ـ عَن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «مَن سلكَ طَرِيقًا يطْلبُ فِيهِ علمًا سلك الله بِهِ طَرِيقًا من طُرُق الجنَّة، وَإِن المَلاَئِكَة لتَضَع أَجْنِحَتها رضًا لطَالب الْعلم». أخرجه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ[١]، وَقَالَ فِي رِوَايَة: «طَرِيقًا إِلَى الجنَّة»[٢]، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَقَالَ: «سهل الله لَهُ طَرِيقًا»[٣].

(عن أبي الدرداء) عويمر بن عامر (رضي الله عنه **قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سلك طريقًا يلتمس)**، وفي لفظ: «يبتغي»[٤]، **(فيه)** متعلق بـ (يلتمس)؛ أي: يطلب فيه **(علمًا)** نكرة للعموم، فيعم كلَّ شيء شرعي وآلته، **(سلك)**؛ أي: سهل **(الله)** له **(به)**؛ أي: بسببه **(طريقًا من طرق الجنة)**؛ بأن يوفقه لعمل صالح يوصله إليها جزاء على سلوكه في الدنيا طريقَ

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢).

(٢) وهي رواية الترمذي (٢٦٨٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٣).

(٤) وهي رواية الترمذي (٢٦٨٢).

العلم الموصلة إلى رضا الرب، **(وإن الملائكة)**؛ أي: ملائكة الله الكرام **(لتضعُ)**؛ أي: تفرش وتبسط **(أجنحتها)**: جمع جناح، وهو للطائر موضع اليد من الآدمي.

ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا وتوقيرًا وإكرامًا لما يتحمله من ميراث النبوة ويطلبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن شدة محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له؛ لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب؛ فإن الملائكة أنصحُ خلق الله وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كلُّ سعادة وعلم وهدًى، ومن نفعهم لبني آدم ونصحِهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويُثنون على محسنهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العباد أضعاف حرصهم على مصالح أنفسهم، بل يريدون لهم من خيري الدنيا والآخرة ما لا يريد العبد لنفسه، ولا يخطر بباله؛ كما قال بعض التابعين: وجدنا الملائكةَ أنصحَ خلق الله لعباده، ووجدنا الشياطين أغشَّ الخلق للعباد[1].

وفي الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[غافر: ٧]، والآيتين بعدها، فأي نصح للعباد مثلُ هذا إلا نصح الأنبياء.

فإذا طلب العبد العلم، فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة، وتعظمه حتى تضع أجنحتها رضًا ومحبة وتعظيمًا.

---

(١) أورده ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٣).

وقال أبو حاتم الرازي: سمعت ابنَ أبي أُويسٍ يقول: سمعت مالكَ بنَ أنس ـ يعني: الإمام مالك ـ يقول: معنى قول رسول الله ﷺ: (تضع أجنحتها)؛ يعني: تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلًا من الأيدي[1].

قال في «مفتاح دار السعادة»: قال أحمدُ بنُ مروانَ المالكيُّ في كتاب «المجالسة»: حدثنا زكريا بن عبد الرحمن المصري قال: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة، فحدثنا بحديث النبي ﷺ: أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: والله! لأقطرن غدًا نعلي فأطأ بها أجنحةَ الملائكة، ففعل، ومشى في النعلين، فجفت رجلاه جميعًا، ووقعت فيهما الآكِلة[2].

وقال الطبراني: سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين، فأسرعنا المشي، وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها؛ كالمستهزئ، فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه، وسقط[3].

(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(أبو داود)** في كتابه «السنن»،

---

(١) أورده ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٤).

(٢) رواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢١٥٤).

(٣) في الأصل: «وسقطت»، والمثبت من «الرحلة في طلب الحديث» (١/ ٦٤) و«مفتاح دار السعادة»، وقد رواه الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» (ص: ٨٥) من طريق الطبراني.

(والترمذي، وقال) الترمذي (في رواية): «سلك الله به (طريقًا إلى الجنة)» بدل «من طرق الجنة»[1].

ورواه ابن ماجه، وفي الحديث زيادة ـ بعد قوله: «وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم» ـ: «وإن العالم ليستغفرُ له مَنْ في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتانُ في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب ـ وفي لفظ: على أصغر الكواكب ـ، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر»[2].

وقد رواه الوليدُ بنُ مسلم عن خالدِ بنِ يزيدَ، عن عثمانَ بنِ أيمنَ، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «من غدا لعلمٍ يتعلمه، فتح الله له به طريقًا إلى الجنة، وفرشت له الملائكة أكتافها، وصلَّت عليه ملائكة السماء وحيتانُ الأرض، ولِلعالم من الفضل على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. . .» الحديث، وفيه: «موت العالم مصيبة لا تُجبر، وثُلْمةٌ لا تُسَدّ، ونجمٌ طُمِسَ، وموتُ قبيلة أيسر من موت عالم»[3].

قال في «مفتاح دار السعادة»: هذا حديث حسن[4].

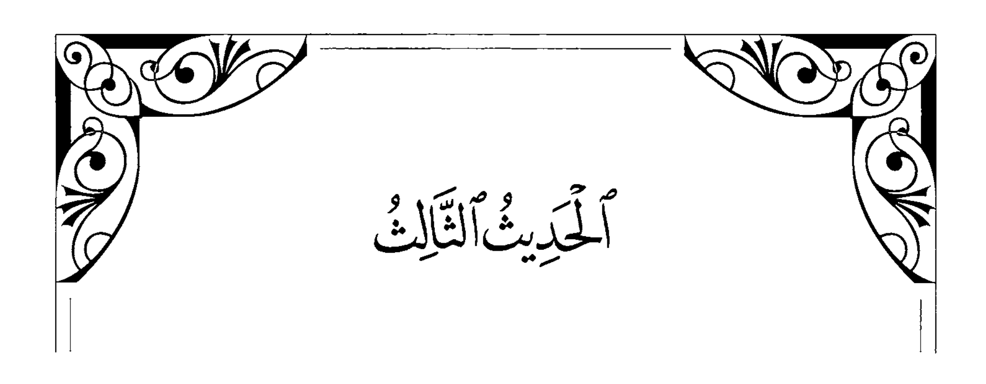
* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٣).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩٩).

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٣).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٥٧٥ ـ عَن أنسِ بنِ مَالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَن خرج فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيل الله حَتَّى يرجع». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن غَرِيب[١].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من خرج)** من بلده، أو من بيته **(في طلب العلم)** الشرعيّ النافع وآلتِه؛ حيث أُريد به وجهُ الله تعالى، **(فهو في سبيل الله)**؛ أي: في حكم من خرج في الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، ولا يزال حكمه كذلك **(حتى يرجع)**؛ لما في طلبه من إحياء الدين، وإذلالِ الشياطين.

(رواه الترمذي، وقال): حديث **(حسن غريب)**، ورواه الحافظ المصنف في «المختارة»[٢].

قال في «مفتاح دار السعادة»: وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله؛

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤٧).

(٢) رواه المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢١١٩)، وتقدم تخريجه عند الترمذي.

لأن به قوامَ الإسلام؛ كما أن قوامه بالجهاد، فقوامُ الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهادًا باليد والسنان، وهذا المشارك فيه كثير.

والثاني: جهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤونته، وكثرة أعدائه.

قال تعالى في سورة الفرقان، وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١ ـ ٥٢]، فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهاد، وهو جهاد المنافقين ـ أيضًا ـ؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن.

والمقصود: أن سبيل الله هي الجهاد، وطلب العلم، ودعوة الخلق به إلى الله تعالى، ولهذا قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: عليكم بطلب العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، ومدارسته عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد[1].

ولهذا يقرن الله تعالى بين الكتاب المنزل، والحديد الناصر؛ كما في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٩).

﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد: ٢٥]، فذكر الكتاب والحديد؛ إذ بهما قيامُ الدين؛ كما قيل:

وما هو إلا الوحيُ أو حَدُّ مرهَفٍ
تُميلُ ظُباه أَخْدَعَي كلِّ مائلِ
فهذا شفاءُ الداءِ من كلِّ عاقلٍ
وهذا دواءُ الداءِ من كلِّ جاهل(١)

ولما كان كلٌّ من الجهاد بالسيف والحجة يسمى: سبيل الله، فسر الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] بالأمراء والعلماء؛ فإنهم المجاهدون في سبيل الله.

قال كعب الأحبار: طالبُ العلم كالغادي(٢) الرائح في سبيل الله عز وجل(٣).

وجاء عن بعض الصحابة: إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو على هذه الحال، مات وهو شهيد(٤).

وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: من طلب العلم، فقد بايعَ الله عز وجل(٥).

---

(١) انظر: «شرح ديوان أبي تمام» للخطيب التبريزي (٢/ ٤٢).

(٢) في الأصل: «كالغازي»، والمثبت من «حلية الأولياء».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٧).

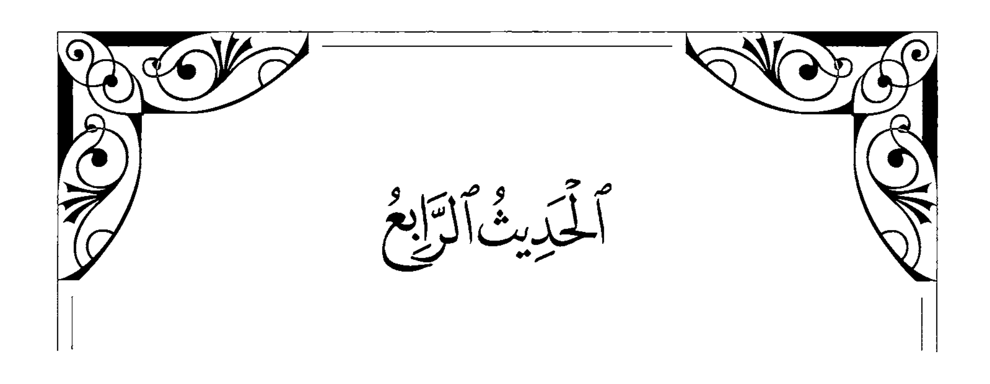
(٤) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠١) من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٥) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٨٠)، وفيه: «الحديث» بدل «العلم».

وقال أبو الدرداء: من رأى الغدوَّ والرواحَ إلى العلم ليس بجهاد، فقد نقص في عقله ورأيه[1].

* * *

(1) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٠ ـ ٧١)، والأثر المذكور أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣١).



الحديث الرابع

٥٧٦ ـ عَن سَخْبَرَة ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن طلبَ العلم كَانَ كَفَّارَةً لما مضى»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[1].

(عن سَخْبَرة) بفتح السين المهملة وسكون الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة: هو أبو عبدالله الأزديّ، في صحبته خلاف كما قال الحافظ المنذري[2].

روى عنه: ابنه عبدالله[3].

(عن النبي ﷺ: من طلب العلم) الشرعيَّ على الوجه المَرْضِيِّ، (كان) طلبه إياه (كفارةً لما مضى) من ذنوبه وخطاياه.

(رواه الترمذي وقال: غريب)[4].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤٨) وقال: هذا حديث ضعيف الإسناد، أبو داود يضعف، ولا نعرف لعبدالله بن سخبرة كبير شيء، ولا لأبيه، واسم أبي داود نفيع الأعمى، تكلم فيه قتادة وغير واحد من أهل العلم.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٣).

(٣) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٤٣٥).

(٤) تقدم تخريجه.

ورواه الطبراني في «الكبير»، ولفظه: عن سخبرة ﷺ قال: مـرّ رجـلان على رسول الله ﷺ وهو يُذَكِّر، فقال: «اجلسا؛ فإنكما على خير»، فلما قام رسول الله ﷺ، وتفرق عنه أصحابه، فقاما ـ أي: الرجلان ـ، فقالا: يا رسـول الله! إنك قلت لنا: «اجلسا؛ فإنكما على خير»، ألنا خاصة، أم للناس عامة؟ قـال: «ما من عبد يطلب العلم إلا كان كفارة لما تقدم»[1].

وأورده الحافظ عبد العظيم المنذري بصيغة التمريض[2].

وقال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: هذا الأصل لم أجد فيه إلا هذا الحديث، وليس بشيء؛ فإن الترمذي رواه من حديث أبـي داود عن عبدالله بن سخبرة، عن أبيه سخبرة، وأبو داود هذا هو نفيع الأعمى غيرُ ثقة.

ولكن قد تقدم أن العالم يستغفر له مَنْ في الـسماوات ومـن فـي الأرض، وقد رُويت آثار عديدة عن جماعة من الصحابة [في هذا المعنى][3].

قلت: ممن روي عنه مثلُ ذلك: سيدنا معاذ بن جبل ﷺ؛ فإنـه قـال ـ كما تقدم ـ: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرتـه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربـة؛

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٦١٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١/ ١٢٣): وفيه أبو داود الأعمى، وهو كذاب.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٣).

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابـن قـيم الجوزيـة (١/ ٧٦)، ومـا بـين معكـوفتين منه.

لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تُقتص آثارهم، ويُقتدى بفعالهم، ويُنتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتفكرُ فيه يعدل الصيام، ومدارستُه تعدل القيام، به توصَل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، وهو أمام العملِ والعملُ تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء. رواه ابن عبد البر النَّمَري في كتاب «العلم» من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي: حدثنا عبد الرحيم ابن زيد العَمِّي، عن أبيه، عن الحسن، عنه، وقال: هو حديث حسن، ولكن ليس له إسناد قوي[1]، وقال: قد رويناه من طرق شتى موقوفًا، وقد رواه مرفوعًا أيضًا[2].

قال الحافظ المنذري: ورفعه غريب جدًّا. انتهى[3].

قال في «مفتاح دار السعادة»: منها؛ أي: الآثار التي رويت عن

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٤ ـ ٥٥) من حديث معاذ ابن جبل ﷺ مرفوعًا.

(٢) انظر: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ٥٥).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٢).

الصحابة ﷺ: ما رواه الثوري عن عبد الكريم، عن مجاهد، عن ابن عباس ﷺ: أن مَلَكًا موكلًا بطالب العلم حتى يردّه من حيث أبدأه مغفورًا له[1].

ومنها: ما رواه فطر بن خليفة عن أبي الطفيل، عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ: ما انتعل عبد قط، ولا تخفف ولا لبس ثوبًا ليغدو في طلب العلم، إلا غُفرت ذنوبه حيث يخطو عند باب بيته[2]، وقد رواه ابن عدي مرفوعًا، وقال: ليس يرويه عن فطر إلا إسماعيلُ بن يحيى التميمي[3].

قال في «مفتاح دار السعادة»: وقد رواه إسماعيل بن يحيى هذا عن الثوري: حدثنا محمد بن أيوب الجوزجاني، عن مجالد، عن الشعبي، عن الأسود، عن عائشة، مرفوعًا: «من انتعل ليعلم خيرًا، غفر له قبل أن يخطو»[4]، ورواه عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن فطر عن أبي الطفيل، عن علي ﷺ[5].

---

(١) كذا أورده ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة»، ولم نقف عليه مسندًا.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٢٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٣): وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي، وهو كذاب.

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٦)، والخبر المذكور رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٣٠٧).

(٤) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٢٢٠) من طريق إسماعيل ابن يحيى التيمي، عن سفيان الثوري، عن مجالد، عن الشعبي، عن الأسود، عن عائشة ﷺ مرفوعًا، وفيه: «انتقل» بدل «انتعل»، وليس فيه محمد بن أيوب الجوزجاني.

(٥) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٦ ـ ٧٧)، والحديث رواه =

قال في «مفتاح دار السعادة»: وهذه أسانيد، وإن لم تكن بمفردها حجة، فطلبُ العلم من أفضل الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات، فجدير أن يكون طلب العلم ابتغاء وجه الله يكفِّر ما مضى من السيئات؛ فقد دلت النصوص أن إتباع السيئة الحسنةَ تمحوها، فكيف بما هو أفضل الحسنات، وأجلُّ الطاعات؟ فالعمدة على ذلك لا على حديث أبي داود. والله أعلم[1].

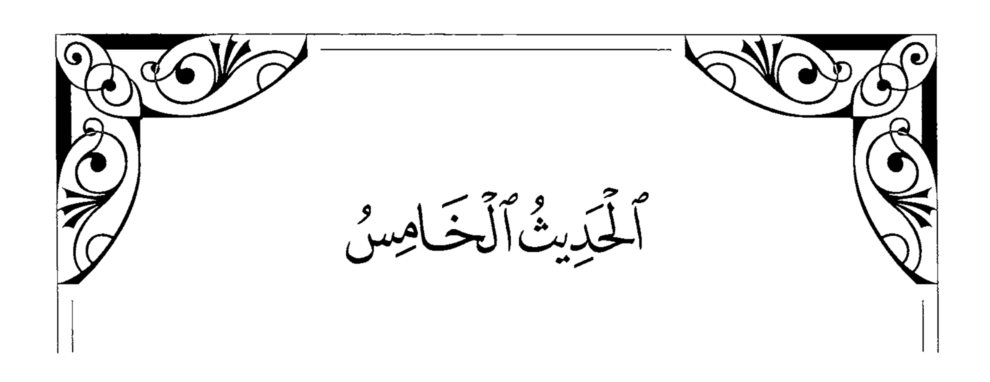
وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن الرجل ليخرجُ من منزله وعليه من الذنوب مثلُ جبل تهامة، فإذا سمع العلم، خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلم. ذكره في «مفتاح دار السعادة»[2]. والله تعالى أعلم.

* * *

= الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٢٢)، وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٣٠٧).

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٧).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه، والخبر المذكور أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٤٩).



٥٧٧ ـ عَن زر بن حُبَيْش قَالَ: أتيت صَفْوَان بن عَسَّال الْمـرَادِي ﷺ فقَالَ: مَا جَاءَ بك؟ قلت: جِئْت أطلب الْعلـم، قَـالَ: فَـإِنِّي سَـمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «مَا من خَارج يخرج من بَيته فِي طلب الْعلـم إِلَّا وضعت الْمَلاَئِكَة أَجْنِحَتهَا رضًا بِمَا يصنع». أخرجه الإِمَام أَحْمـد فِـي «مُسْنده»[(١)]، وَابْن مَاجَه فِي «سنَنه» وَقَالَ: قلت: أنبط الْعلـم، بـدل: أطلب[(٢)].

(عن زِرّ) بكسر الزاي وتشديد الراء (بنِ حُبيش) بضم الحـاء المهملـة وفتح الباء الموحدة وسكون التحتية فشين معجمة، ابنِ حُباشةَ بنِ أوسٍ من بني أسيد بن خزيمة الغاضري ـ بالغين والضاد المعجمتين بينهمـا سـاكنة ـ الأسدي الكوفي، جاهلي إسلامي، عاش في الجاهليـة سـتين سـنة، وفـي الإسلام ستين، وقيل أكثر من ذلك.

يكنى: أبا مريم، ويقال: أبو مطرف، من أكابر القراء المشهورين من

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٦).

أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وسمع أمير المؤمنين عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.

روى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم[1].

قال الحافظ السيوطي في «طبقات الحفاظ»: مخضرم كثير الحديث، مات سنة إحدى وثمانين، وقيل: اثنتين، وقيل: ثلاث، وهو ابن مئة وعشرين، أو سبع وعشرين[2].

(قال) زر بن حبيش رحمه الله، ورضي عنه: **(أَتيتُ)** بقصر الهمزة؛ أي: جئت **(صفوانَ)** بفتح الصاد المهملة وسكون الفاء فواو مفتوحة فألف ساكنة فنون **(بنَ عَسّالٍ)** بفتح العين المهملة وتشديد السين المهملة فألف ساكنة فلام، ابن الربض ـ بفتح الراء والموحدة فضاد معجمة ـ ابن زاهر **(المرادي)** نسبة إلى قبيلة من اليمن، أبوها اسمه مراد؛ كغراب، سكن صفوان بن عسال رضي الله عنه الكوفة، وحديثه فيهم.

يقال: إن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه روى عنه، وروى عنه زرٌّ بن حبيش، وعبدالله بن سلمة، وغيرهم، ولم يؤرخ في «جامع الأصول» وفاته[3].

(فقال) لي صفوانُ بنُ عسال رضي الله عنه: **(ما)**؛ أي: أي شيء **(جاء بك؟ قال)** زر: **(فقلت)** له: **(جئت أطلب العلم)** لأنتفعَ وأنفعَ به.

---

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٤١٣).

(٢) انظر: «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٢٦).

(٣) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٥٢٢).

وفي لفظ: أنبط العلم[1]؛ أي: أطلبه وأستخرجه، **(قال)**؛ أي: صفوان ﷺ: لئن كنتَ جئتَ لذلك، **(فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول)**.

وفي لفظ الطبراني: عن صفوان بن عسال ﷺ: أتيتُ النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على بُرد له أحمرَ، فقلت له: يا رسول الله! إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحبًا بطالب العلم»[2]، **(ما من خارج)** من المسلمين **(يخرج من بيته في طلب العلم)** الشرعيّ، **(إلا وَضعتْ)**؛ أي: بسطت **(له الملائكة)**؛ أي: السياحون **(أجنحتها رِضًا)** مفعول لأجله **(بما)**؛ أي: بالذي **(يَصْنَعُه)**.

(أخرجه الإمام أحمدُ) بن محمد **(بن حنبل)** ﷺ **(في «مسنده»، و)** أخرجه **(ابن ماجه في «سننه»، وقال: أنبطُ العلمَ، بدل: أطلب)**[3].

ورواه الترمذي، وصححه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[4].

وفي حديث الطبراني ـ بعدما قال النبي ﷺ: «مرحبًا بطالب العلم» ـ: «إن طالب العلم لتحفّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضُهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا؛ من محبتهم لما يطلب»[5].

---

(١) وهي رواية ابن ماجه (٢٢٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٤٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٣٥، ٣٥٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠).

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٤٧).

قال الحافظ المنذري: رواه الإمام أحمد، والطبراني بإسناد جيد، واللفظ له، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه نحوه باختصار. انتهى[1].

فظاهرُ صنيعه أنهما حديثان.

قال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: في هذا الحديث: حَفُّ الملائكة له بأجنحتها إلى السماء، وفي الأول: وَضْعُها له أجنحتها[2]؛ يعني بالأول: حديثَ أبي الدرداء[3] المار.

قال: فالوضعُ تواضعٌ وتوقير وتبجيل، والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة، فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة وحبها إياه وحياطته وحفظه، فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل، لكفى به فضلًا وشرفًا[4]. والله أعلم.

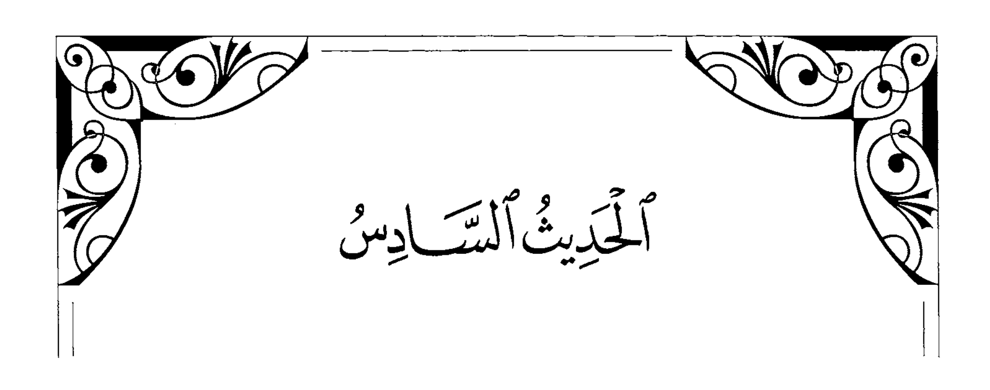
* * *

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٢)، وقد تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٤).

(٣) تقدم الحديث برقم (٥٧٤).

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٤).



الحَدِيثُ السَّادِسُ

٥٧٨ ـ عَن أبي ذَر ﷺ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَر! لَأَن تَغْدُو فَتَعَلَّمَ آيَةً من كتاب الله؛ خيرٌ لَك من أَن تصلي مئَةَ ركْعَة، وَلَأَن تَغْدُو فتَعَلَّمَ بَابًا من العلم عُمِلَ بِهِ أو لم يُعْمَل؛ خيرٌ من أَنْ تصلي ألفَ رَكْعَة». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(عن أبي ذَرّ) جُندبِ بنِ جُنادةَ الغفاريِّ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر!)** ناداه بأداة (يَا) التي هي لنداء البعيد غالبًا؛ ليحضّه وينبهه على حضور ذهنه وفهمه، ولتخليته عن شواغله وذهاب وهله في أودية الأماني، **(لأَنْ تغدَو)**؛ من الغدوّ، وهو سير أول النهار، نقيض الرواح، **(فتعلم آية من كتاب الله خيرٌ لك من أن تصلي مئة ركعة، ولأَنْ تغدو فتعلم بابًا من)** أبواب **(العلم، عُمل به)**؛ أي: بما في ذلك الباب الذي تعلمته وأتقنته؛ من نحو صوم وصلاة وصدقة، وسائر ما في ضمن أبواب العلم، **(أو لم يُعمل)** به، لكن حصل منك علمُه وحفظه وإتقانه **(خيرٌ)**؛ أي: أفضلُ **(لك)**؛ أي: يعود عليك من الأجر والثواب بسبب تعلمك ذلك أكثر لك ثوابًا وأجرًا؛

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٩).

بخلاف نفع الصلاة؛ فإنه قاصر على المصلي، والنفعُ المتعدي خيرٌ وأعوَدُ من النفع القاصر في الجملة.

(رواه) الإمامُ محمدُ (بنُ ماجه) القزويني بإسناد حسن.

ويروى من حديث أبي هريرة، وأبي ذر رضي الله عنهما أنهما قالا: بابٌ من العلم يعلمه عُمل به أو لم يُعمل، أحبُّ إلينا من مئة ركعة تطوعًا، وقالا: سمعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو على هذه الحال، مات شهيدًا». رواه المُخَلِّص، وابن أبي داود[1].

وشاهده: ما مرّ من حديث الترمذي: «من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله»[2].

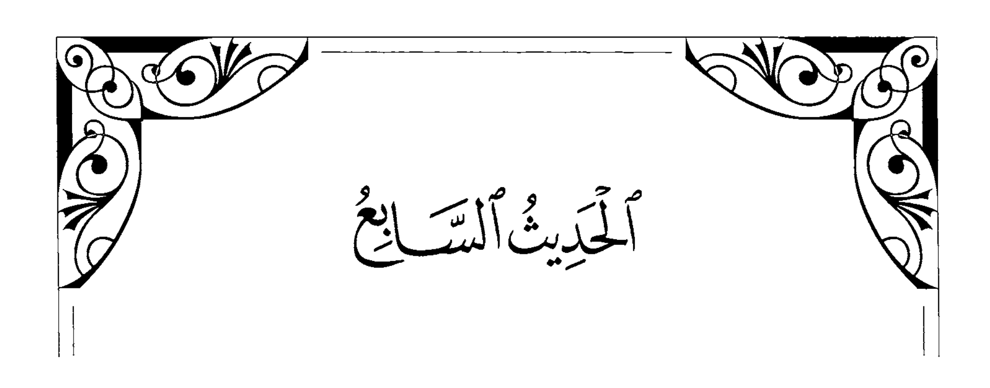
ورواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، إلا أنه قال: خير له من ألف ركعة[3].

* * *

(١) رواه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٧٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٤٧) من طريق ابن أبي داود.

(٢) تقدم الحديث برقم (٥٧٤).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٨٥٧٤)، ولم نقف عليه عند الطبراني.



الحديث السابع

٥٧٩ ـ عَن أبي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «عَلَيْكُم بِهَذَا العلم قبل أَن يُقبض، وَقَبضُه أَن يُرفع»، وجمع بَين أُصبعيه الوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإبهَام، هَكَذَا، ثمَّ قَالَ: «العالم والمُتعلِّم شريكان فِي الأجر، وَلا خيرَ فِي سَائِر النَّاس»، رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(عن أبي أمامة) صُدَيّ بن عجلان الباهلي (ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: عليكم) معشر من المسلمين من الصحابة فمَنْ بعدهم (بهذا العلم)؛ طلبًا وحفظًا واجتهادًا فيه، وكذا فاطلبوه واحفظوه واكتبوه، واعملوا به وعلّموه لمن طلبه (قبل أن يُقبض)، وعن ابن مسعود ﷺ قال: عليكم بالعلم قبل أن يرفع[2].

(وقبضه)؛ أي: العلم (أن يرفع)، قال ابن مسعود ﷺ: ورفعه هلاكُ العلماء، ثم قال: والذي نفسي بيده! لَيودنَّ رجالٌ قُتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء، لما يرون من كرامتهم، قال: وإن أحدًا لم يُولد عالمًا،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٨).

(٢) رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٨٨).

وإنما العلم بالتعلّم. ذكره في «مفتاح دار السعادة»[1].

(وجمع) رسولُ الله ﷺ **(بين إصبعيه)** إحداهما: **(الوسطى، و)** الثانية: **(التي تلي)** إصبعه **(الإبهام)**، وتسمَّى السبابة؛ كما في حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁: نهى رسولُ الله ﷺ عن لبس الحرير إلا هكذا، ورفع لنا رسولُ الله ﷺ إصبعيه: السبابةَ، والوسطى[2].

قيل: سميت سبابة؛ لأنهم كانوا يشيرون بها إلى السب والمخاصمة، ويعضونها عند الندم؛ كما قال قائلهم:

غيري جَنَى وأنا المعذب فيكم

فكأنني سَبّابةُ المتندِّمِ[3]

ويقال لها أيضًا: المسبحة ـ بتشديد الموحدة ـ: اسم فاعل مجازًا؛ لأنهم يشيرون بها عند ذكر الله تعالى؛ تنبيهًا على التوحيد، **(هكذا)**، وأراهم أبو أمامة ﵁ كيفيةَ جمعِ رسولِ الله ﷺ إصبعيه.

(ثم قال) ﷺ: **(العالم)**؛ أي: المتصف بالعلم، الحافظ له، والمتضلع منه، **(والمتعلم)**؛ أي: الطالبُ له، والمجتهدُ على نَيله وتحصيله **(شريكان في الأجر)**.

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ١٢١)، والأثر المذكور أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٨).

(٢) رواه البخاري (٥٨٢٩)، ومسلم (٢٠٦٩/ ١٢).

(٣) القائل ابن شرف القيرواني. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٤٤١).

وفي رواية: «شريكان في الخير»[1] بدل «الأجر»؛ أي: في الثواب، **(ولا خير)** بعدهما **(في سائر)**؛ أي: بقية **(الناس)** بعد العالم والمتعلم، وهو قريب المعنى من قوله ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا»، رواه الترمذي، وابن ماجه، والبيهقي، وقال الترمذي: حديث حسن[2].

قال في «مفتاح دار السعادة»: لما كانت الدنيا حقيرة عند الله، لا تساوي جناح بعوضة، كانت وما فيها في غاية البعد منه، وإنما كانت معبرًا يتزود منها عبادُه إليه، فلم يكن يقرِّب منها إلا ما كان متضمنًا لإقامة ذكره، ومفضيًا إلى محابّه من تعلُّمِ العلم الذي به يُعرف ويُعبد، ويُثنى عليه به ويمجَّد، ولهذا خلقها، وخلق أهلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

فتضمنت الآيتان: أنه سبحانه إنما خلق السماوات والأرض وما بينهما لِيُعرف بأسمائه وصفاته، ولِيُعبد، فهذا المطلوب، وما كان طريقًا إليه من العلم والتعلم، فهو المستثنى من اللعنة، واللعنةُ واقعة على ما عداه؛ إذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه، وهذا هو متعلق العقاب في الآخرة؛

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٥/ ١٦٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٠٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإنه كما كان متعلق اللعنة التي تتضمَن الذم والـبغض، فهـو متعلـق العقـاب، والله سبحانه إنما يحب من عبـاده ذكـره وعبادتـه ومعرفتـه، ولوازم ذلـك، وما أفضى إليه، وما عداه فهو مبغوض له، مذموم عنده. انتهى[1].

(رواه)؛ أي: حديثَ أبي أمامة المشروحَ **(ابنُ ماجه)** من طريق علـي ابن زيد عن القاسم، عن أبي أمامة[2].

وعليُّ بنُ زيدٍ الألهاني؛ قال الدارقطني: متروك[3].

وقال البخاري: منكر الحديث[4].

وقال أبو زرعة: ليس بقوي[5].

ووثقه الإمام أحمد، وابن حبان[6].

والقاسم أبو عبد الرحمن هو ابن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة.

قال الإمام أحمد: روى عنه عليُّ بنُ يزيدَ أعاجيب، وما أراها إلا مـن قِبل القاسم[7].

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٧/ ٣٤٧).

(٤) انظر: «الضعفاء الصغير» للبخاري (ص: ٨٢).

(٥) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٩).

(٦) كذا في الأصل، ولم نقف على توثيقه عند الإمام أحمد وابن حبـان، بـل إن ابـن حبان ذكره في «المجروحين» (٢/ ١١٠)، وقال: منكر الحديث جدًّا.

(٧) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧/ ١١٣).

وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات[1].

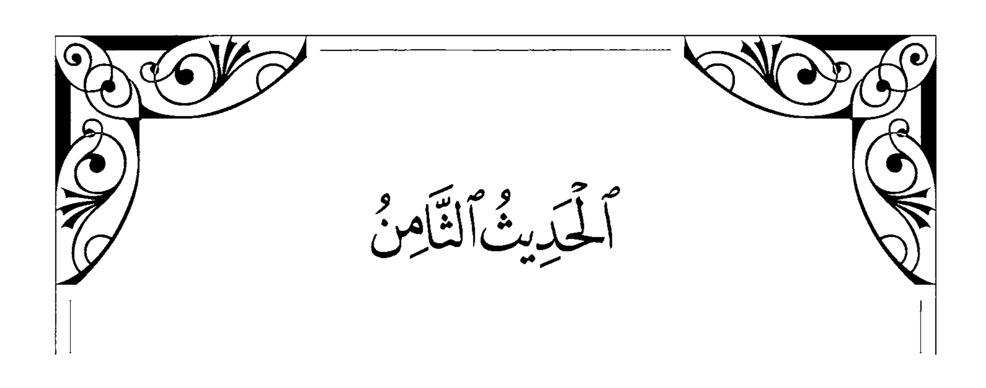
ووثقه ابن معين، والجوزجاني، والترمذي، وصحح له، وقال يعقوب ابن شيبة: منهم من يضعفه. انتهى[2].

ولكن للحديث شواهد يحتمل بها التحسين. والله أعلم.

* * *

(1) انظر: «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٢١٢).

(2) انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).



الحديث الثامن

٥٨٠ ـ عَن مُعَاوِيَة بن أبي سُفْيَان ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «مَن يُرد الله بِهِ خيرًا يُفقِّهه فِي الدِّين، وَإِنَّمَا أَنا قَاسم، وَيُعْطِي الله، وَلنْ تزَال هَذِه الأمة قَائِمَةً على أَمر الله لَا يضرُّهم من خالفهم حَتَّى يَأْتِي أَمر الله وهم ظاهرون»، أخرجه البُخَارِيّ وَمُسلم[1].

(عن) أمير المؤمنين (معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضائل الأذان)، (قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: من)؛ أي: كل إنسان (يُرِدِ الله) ﷻ، فـ(مَنْ): اسم شرط جازم، ومحله الرفع مبتدأ، و(يردْ): فعل الشرط مجزوم به، و(الله): فاعل (يرد) بضم التحتية، مشتقّ من الإرادة، وهي عند جمهور المتكلمين صفة مخصصة لأحد طرفَي المقدور بالوقوع.

وقيل: إنها اعتقاد النفع أو الضرر.

وقيل: ميل يتبعه الاعتقاد، وهذا لا يصح في الإرادة القديمة؛ كما في «شرح البخاري» للعلامة الكرماني[2].

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢/ ٣٧).

(به): الضمير في (به) يعود على (مَنْ)، (خيرًا): مفعول (يرد)؛ أي: منفعة، وهي اللذة، أو ما يكون وسيلة إلى اللذة، ونكَّره للتعميم؛ فإن النكرة في سياق الشرط كالنكرة في سياق النفي.

فالمراد به: جميع الخيرات، أو التعظيم، إذ المقامُ يقتضي ذلك.

(يفقهْهُ): مجزوم جواب الشرط؛ أي: يفهمه، يقال: فَقُه ـ بالضم ـ: إذا صار الفقه له سجيةً، وفَقَه ـ بالفتح ـ: إذا سبق غيره إلى الفهم، وفَقِه ـ بالكسر ـ: إذا فهم؛ أي: يجعله فقيهًا **(في الدين)**؛ أي: يتعلم قواعد الإسلام، وما يتصل بها من الفروع والأحكام.

قال في «مفتاح دار السعادة»: وهذا يدل على أن من لم يرد به خيرًا، لم يفقهه في الدين؛ كما أن من أراد به خيرًا، فقهه في الدين، ومن فقهه في دينه، فقد أراد به خيرًا إذا أريد بالفقه: العلمُ المستلزمُ للعمل، وأما إن أريد به مجردَ العلم، فلا يدل على أن من فقه في الدين فقد أراد به خيرًا؛ فإن الفقه يكون شرطًا لإرادة الخير، وعلى الأول يكون موجبًا. انتهى[1].

ثم قال النبي ﷺ: **(وإنما أنا قاسم)**؛ يعني: أن المال لله، والعباد لله ﷻ، وأنا قاسم بإذن الله سبحانه وتعالى، فالله يعطي، وأنا قاسمٌ ماله بين عباده بإذنه، **(والله)** جل وعلا **(يعطي)**.

قال الوزير عونُ الدين بنُ هبيرة في «الإفصاح»: نُطقٌ تفرد الله ﷻ فيه بالنعمة على عباده.

ثم قال ﷺ: **(ولن تزال)**؛ أي: لا تنفكُّ ولا تبرحُ **(هذه الأمة)**؛ أي:

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٠).

أمة الإسلام؛ أي: بعض الأمة، وهم المجيبون لأمر الله، المصدقون لرسول الله، المتبعون لكتاب الله **(قائمة)**.

قال الوزير عون الدين: قد يكون فيه خبرًا بمعنى الحال، ويكون المعنى: أنها لا تزال قائمة **(على أمر الله)**؛ أي: الحق الذي أمر الله تعالى به على لسان رسوله، وأنزله في كتابه، **(لا يضرهم مَنْ خالَفَهم)** من أهل الكفر والعناد، وذوي البدع والفساد؛ أي: ما دامت قائمة على أمرها لا يضرها مَنْ خالفها، فإذا مالت عن ذلك، ضرها من خالفها.

قال الوزير: وفيه وجه آخر: أن الله يحمي إجماع هذه الأمة عن أن يزول أمر الله حتى يأتي أمر الله. انتهى.

وقد جزم البخاري بأن المراد بهم: أهلُ العلم بالآثار[1].

وقال سيدنا الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم[2].

قال القاضي عياض: أراد الإمام أحمد: أهلَ السنة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث[3].

وقال النووي: يحتمل أن تكون هذه الطائفة فرقة من أنواع المؤمنين

---

(١) ترجم له البخاري بـ: (باب: قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون»، وهم أهل العلم). انظر: «صحيح البخاري» (٩/ ١٠١).

(٢) رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٢)، والقاضي عياض في «الإلماع» (ص: ٢٧).

(٣) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٦/ ٣٥٠).

ممن يقيم أمر الله تعالى؛ من مجاهد، وفقيه، ومحدّث، وزاهد، وآمر بالمعروف، وناهٍ عن المنكر، وغير ذلك من أنواع الخير، ولا يلزم اجتماعهم في مكان واحد، بل يجوز أن يكونوا مفرقين؛ كما في «الفتح» للحافظ ابن حجر[1].

(حتى)؛ أي: إلى أن **(يأتيَ)**: يجيءَ **(أمرُ الله)**.

قال في «الفتح»: المراد بأمر الله هذا: الريح التي تقبض روح كل مَنْ في قلبه شيء من الإيمان، ويبقى شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة[2].

وحيث كان المراد ما ذكر، فلا يرد ما ذكره الكرماني من أن حكم ما بعد الغاية مخالف لما قبلها، فيلزم منه: أن يوم القيامة لا تكون هذه الأمة على الحق، وهو باطل.

وأجاب عن ذلك بعدم بطلانه؛ إذ المرادُ من الدين الحق: التكاليف، ويوم القيامة ليس زمان تكليف. قال: أو يقال: ليس المراد منه معنى الغاية، بل هو مذكور لتأكيد التأبيد؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[هود: ١٠٧].

ثم قال: فإن قلت: أيحتمل أن يكون غاية لقوله[3]: **(لا يضرهم)**؟ بل هو أولى؛ لأنه أقرب.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦٤). وانظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣/ ٦٧).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦٤).

(٣) في الأصل: «لقولهم»، والتصويب من «الكواكب الدراري».

فأجاب: أنْ نعم، وذلك إما بأن يكون معنى: (يأتي أمر الله): يأتي بلاءُ الله، فيضرهم حينئذ، فما بعدها مخالف لما قبلها.

وإما أن يكون ذكره لتأكيد عدم المضرة، فكأنه قال: لا يضرهم من خالفهم أبدًا، وعبر عنه بقوله: (حتى يأتي أمر الله)؛ يعني: يوم القيامة، ولما لم تكن المضرة يوم القيامة، فكأنه قال: لا يضرهم أصلًا[1].

(**وهم ظاهرون على**) مَنْ عاداهم من (**الناس**)، قاهرون من ناوأهم من فِرَقِ أهل الكفر والإلحاد، والشك والوسواس.

*** فائدة:**

الفرق بين مجرور (حتى) ومجرور (إلى): أن مجرور (حتى) يجب أن يكون آخرَ جزء من الشيء، أو ما يلاقي آخر جزء منه.

قال في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحجرات: ٥]: الفرقُ بينهما: أن (حتى) مختصة بالغاية المضروبة؛ أي: المعينة، تقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولو قلت: حتى نصفها، أو صدرها، لم يجز، و(إلى) عامّة في كل غاية[2].

قال الوزير ابن هبيرة: ولا يسمى إلا الذين يعتد بإجماعهم.

قال: والمفهوم من هذا: أن السلامة في مواطن الاختلاف بين الأئمة التمسكُ بما اجتمعوا عليه، ومن روى في الحديث: طائفة، أو عصابة بدل الأمة، أراد بعضَ الأمة. انتهى.

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢/ ٣٨).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣٦١).

والحاصل: أن الحق لا يعدو الأمةَ.

وقد استدل بعضُ العلماء بهذا الحديث على امتناع خلوّ الزمان عن مجتهد قائمٍ لله بحجة.

(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروح **(البخاري، ومسلم)** في صحيحيهما، ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وأبو يعلى وزاد فيه: «ومن لم يفقهه في الدين، لم يبالِ اللهُ به»[1].

قال في «الفتح»: والمعنى صحيح؛ لأن من لم يعرف أمور دينه، لا يكون فقيهًا، ولا طالبَ فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أُرِيدَ به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم[2].

وروى حديثَ معاوية هذا ـ أيضًا ـ الطبراني في «الكبير»، ولفظه: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس! إنما العلمُ بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد به الله خيرًا، يفقهه في الدين، وإنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ»[3].

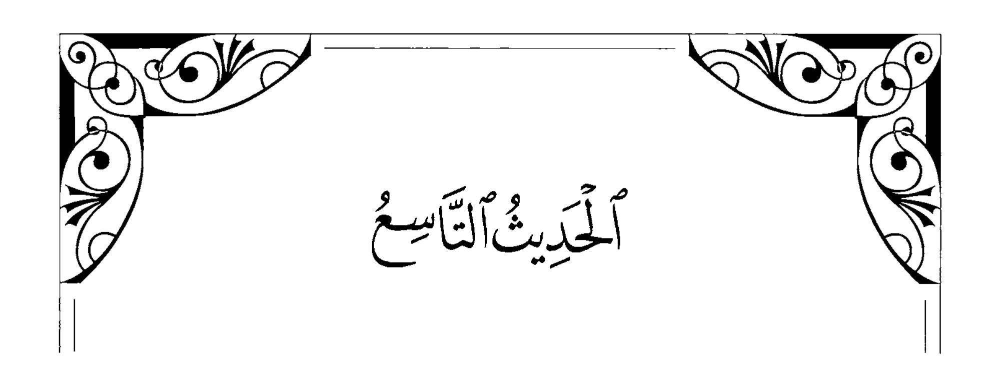
* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٩٣)، وابن ماجه (٢٢١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٣٨١) بنحوه، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٦٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٩٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٨): وفيه رجل لم يسمَّ، وعتبة بن أبي حكيم وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان، وضعفه جماعة.



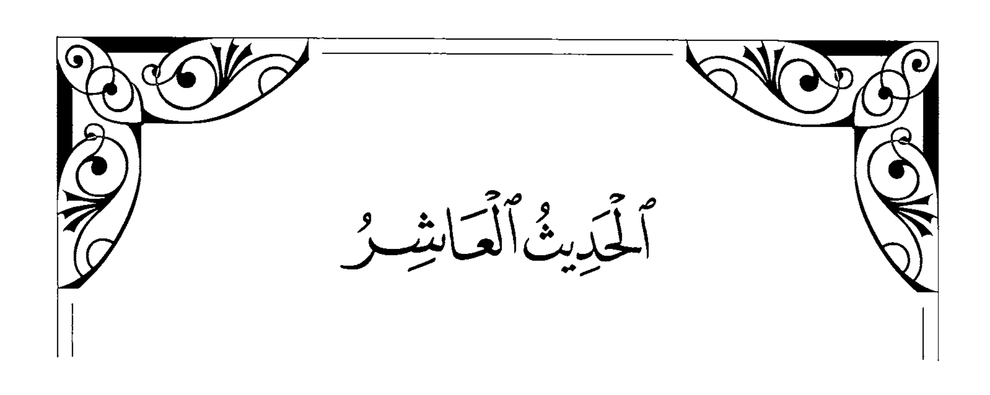
٥٨١ ـ وعَن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن يُـرد الله بِهِ خيرًا يُفقِّهه فِي الدِّين». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: مَنْ يردِ الله بـه خيـرًا، يفقهْه في الدين)، فينفي عن نفسه الجهل، وينفع المسلمين.

(رواه ابن ماجه).

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٠).



الحديث العاشر

٥٨٢ ـ عَن ابْن عَبَّاس ﷺ أَن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَن يُرد الله بِهِ خيرًا يُفقِّهه فِي الدِّين». رَوَاهُ الإِمَام أَحْمد وَالتِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث صَحِيح(١).

(عن) أبي العباس عبدِالله (ابنِ عباسٍ ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: من يرد الله**) ﷻ (به) راجعٌ إلى (مَنْ)، (خيرًا) نكرة للعموم؛ أي: خيرَ الدنيا، وخيرَ الآخرة من جميع أنواع الخيرات، أو نَكَّرَه للتعظيم؛ بأن يريد الله به خيرًا عظيمًا؛ من النجاة، ورفع الجاه، ومحبة الله، والقرب إلى الله، والفوز والفلاح، والرفعة والنجاح، (**يفقهه**)؛ أي: يُصَيره فقيهًا (**في الدين**)؛ من معرفة الله، ومحكم كتابه، وأصول دينه، وأحكام شرائعه من الحلال والحرام، والمندوب والمباح، والمكروه والمحظور.

(**أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، وقال**) الترمذي: (**حديث صحيح**).

وروى البزار، والطبراني في «معجمه الكبير» بإسناد لا بأس به عن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٦)، والترمذي (٢٦٤٥).

عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا، فقهه في الدين، وألهمه رشده»[1].

وعن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع»، رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة[2].

وفي إسناده محمد بن أبي ليلى؛ قال الحافظ المنذري: محمدُ بنُ عبد الرحمن بنِ أبي ليلى الأنصاريُّ الكوفيُّ صدوقٌ إمام ثقة، رديء الحفظ، كثير الوهم، كذا قال الجمهور فيه.

وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ، فكثر المناكير في حديثه، فاستحق الترك، تركه الإمام أحمد، ويحيى بن معين. كذا قال[3].

وقال الحافظ السيوطي في «طبقات الحفاظ»: محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري، أبو عبد الرحمن الكوفي قاضيها.

روى عن الشعبي، ونافع، وعطاء، وطائفة.

وعنه: شعبة، والسفيانان، وآخرون.

ضعفه النسائي وغيره، وقال عنه الإمام أحمد: كان سيئ الحفظ، مضطرب الحديث.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٧٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٢٦٤)، و«المعجم الصغير» (١١١٤)، ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٧٨ ـ ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي).

والعجلي: كان فقيهًا صدوقًا، جائز الحديث.

مات سنة ثمان وأربعين ومئة[1].

* **فائدة:**

لما صنف الوزير الهمام الإمام الجليل أبو المظفر عونُ الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الشيبانيُّ كتابَ «الإفصاح عن معاني الصحاح» في عدة مجلدات، وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم، فبلغ فيه إلى هذا الحديث - يعني: حديث معاوية المشروح -، شرحَه وتكلم عليه وعلى معنى الفقه، وآلَ به الكلامُ إلى أن ذكر مسائل الفقه المتفقَ عليها، والمختلَف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين، وقد أفرده الناس، وجعلوه مجلدًا مفردًا، وسموه[2] بكتاب «الإفصاح»، وهو قطعة منه.

وهذا الكتاب صنفه في ولايته الوزارةَ، واعتنى به، وجمع عليه أئمةَ المذاهب، وأوفدهم من البلدان إليه لأجله بحيث إنه أنفق على ذلك مئة ألف دينار، وثلاثة عشر ألف دينار، وحدَّث به، فاجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه، وكتب به نسخة لخزانة أمير المؤمنين الخليفة المستنجد، وبعث ملوكُ الأطراف ووزراؤها وعلماؤها، فاستنسخوا لهم به نسخًا، ونقلوها إليهم، حتى السلطانُ نور الدين الشهيد، واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد[3].

---

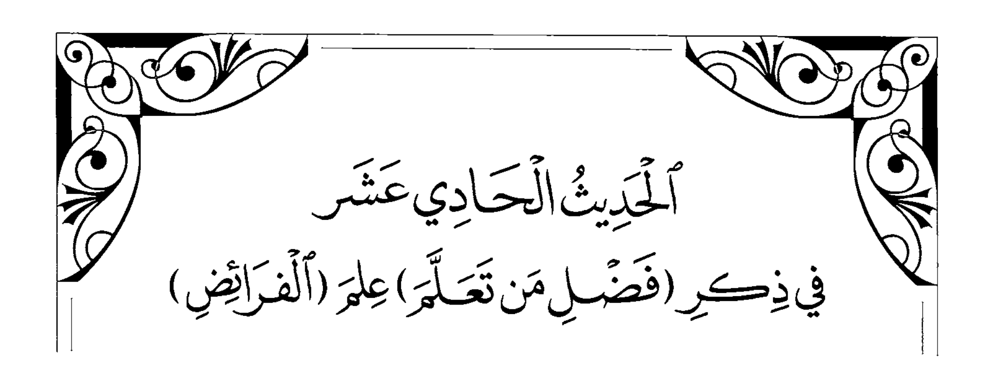
(١) انظر: «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص: ٨١ - ٨٢).

(٢) في الأصل: «ويسموه»، والتصويب من «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١١٤).

(٣) انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ١١٤ - ١١٦).

قلت: والوزير المذكور من أعلام علماء الحنابلة، وهو من أصحاب القاضي أبي يعلى بن الفراء رحمهما الله تعالى، توفي الوزير ابنُ هبيرة ـ قدس الله روحه ـ سنة تسعين وخمسمئة. والله أعلم.

* * *



الحديث الحادي عشر
في ذكر (فضل من تعلم) علم (الفرائض)

٥٨٣ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَة! تعلمُوا الْفَرَائِض وعلموه، فَإِنَّهُ نصف الْعلم، وَهُوَ يُنسى، وَهُوَ أول شَيْءٍ يُنتزعُ من أُمَّتي». رواه ابن ماجه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة! تعلموا) علمَ **(الفرائض، وعلموه)** الناس؛ **(فإنه)**؛ أي: علم الفرائض **(نصف العلم)**، قيل: جعل نصف العلم؛ تعظيمًا له.

وقيل: لأنه معظم أحكام الأموات في مقابلة أحكام الأحياء.

وقيل: لأنه إذا بسطت فروعه وجزئياته كان مقدار بقية أبواب الفقه.

وقال بعض العلماء: هذا الحديث من المتشابه لا يدرى معناه، كما قيل بذلك في حديث: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلثُ القرآن، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ربعُ القرآن.

(وهو)؛ أي: علم الفرائض **(يُنسى)**؛ لكثرة ما يحتاج إليه الناس من إتقان علم الحساب ونحوه، وأكثر ذلك يحتاج إلى رياضة، وخلوِّ بال،

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٧١٩).

وعدم بَلْبَال، **(وهو أول علم يُنتزع)**؛ أي: يُرفع ويُفقد **(من)** علماء **(أُمتي)**، وذلك أن الاشتغال به قليل، ومن يشتغل به قليل؛ لتوقفه على علم الحساب، وتشعُّب مسائله، وارتباط بعضها ببعض؛ كما في مسائل الجد والإخوة وغيرها، وما كان هذا سبيله، فهو عرضةٌ للنسيان، فلأجل هذا حثَّ عليه النبي ﷺ.

(رواه ابن ماجه)، وكذا الحاكم في «صحيحه» وصححه، والدارقطني[1].

وفيه حفصُ بنُ عمر بن أبي العطاف؛ قال البخاري: متروك[2].

ورواه البيهقي في «سننه»، وقال: تفرد به حفص بن عمر، وليس بالقوي[3].

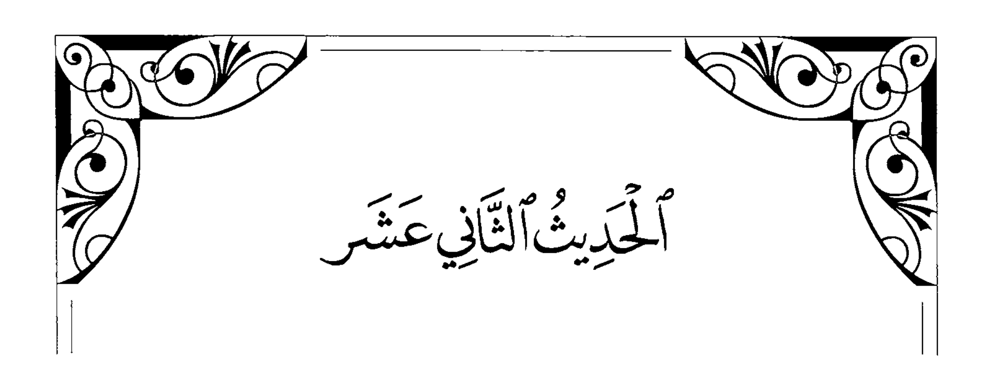
* * *

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٤٨)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ٦٤).

(٢) انظر: «الضعفاء الصغير» للبخاري (ص: ٣٢).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٠٨).



الحديث الثاني عشر

٥٨٤ ـ عَن أبي هُرَيرةَ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «تَعَلَّموا الفَرائضَ وعَلِّموا النَّاسَ، فإنِّي مَقْبُوضٌ»[١].

(عن أبي هريرة) أيضًا (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: تعلموا)** علمَ **(الفرائض)**، وهو قسمة المواريث، وعلم الحساب الموصل لمعرفة ما يخص كلَّ ذي حقّ حقه من التركة التي هي مخلفات الميت.

فالفرائض: جمع فريضة بمعنى: مفروضة، والمراد بها هنا: علم المواريث، وموضوعه التركات، لا العدد؛ فإن ذلك موضوع علم الحساب.

والفريضة: نصيب مقدر شرعًا لمستحقه، **(وعلمو)** ها **(الناسَ)**؛ ليعلموها عنكم، ويعرفوا ما يخص كلَّ وارث من تركة موروثه، **(فإني)** امرؤ **(مقبوض)** من الحياة، والانتقال منها إلى الدرجات العالية، والنعيمِ المقيم.

وتمامه: «وإن العلم سيقبض ـ أي بموت العلماء ـ، وتظهر الفتن

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٩١) وقال: هذا حديث فيه اضطراب، ومحمد بن القاسم الأسدي قد ضعفه أحمد بن حنبل وغيره.

حتى يختلف الاثنان في الفريضة، فلا يجدان من يفصل بينهما»[1].

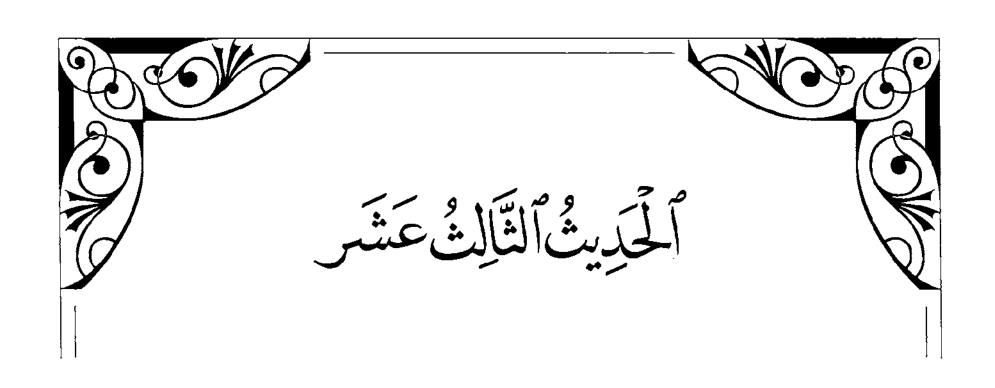
قيل: المراد بقوله: (في الفريضة) هنا: علم المواريث، وقيل: ما افترض الله على عباده.

رواه الإمام أحمد، والحاكم، واللفظ له[2].

* * *

(١) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٨١) من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩٥١) من حديث ابن مسعود ﷺ، ولم نقف عليه عند الإمام أحمد.



الحديث الثالث عشر

٥٨٥ ـ وعن ابنِ مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ نحوه. رواهما الترمذي[١].

ما أشير إليه بقوله: **(وعن)** عبدِالله **(ابنِ مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ نحوه)**؛ أي: مثل حديث أبي هريرة.

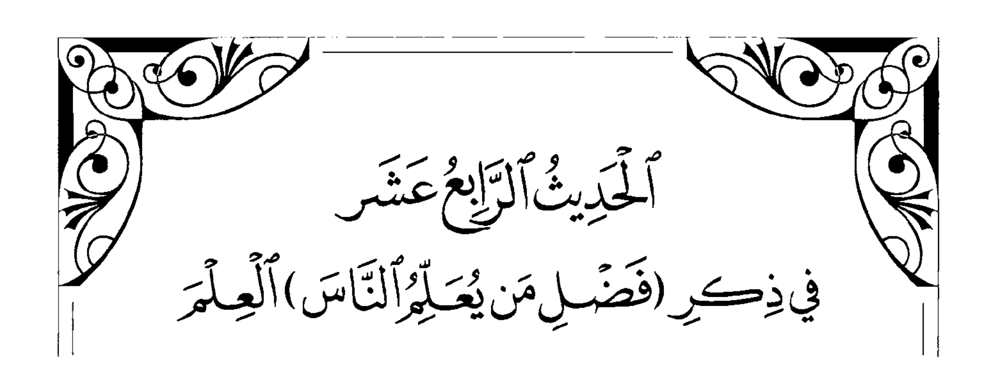
(رواهما) الترمذي؛ أي: حديث أبي هريرة، وحديث ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «تعلموا الفرائض...» الحديث، وفي سنده اضطراب[٢].

والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٠٩١).

(٢) انظر التعليق السابق.



الحَدِيثُ الرَّابِعُ عَشَر
فِي ذِكرِ (فَضلِ مَن يُعَلِّمُ النَّاسَ) العِلمَ

٥٨٦ ـ عَن سهل بن سعد ﷺ، عَن النَّبِي ﷺ أَنه قَالَ لعَلي بن أبي طَالب ﷺ: «وَالله لأَن يهدي الله بك رجلًا وَاحِدًا خيرٌ لَك من حُمر النَّعَم». أخرجه البُخَارِيُّ وَمُسلمٌ، وَهَذَا لفظ مُسلم[1].

(عن سهلِ بنِ سعدٍ) الساعديِّ (ﷺ)، وقد تقدمت ترجمته في (فضل المشي إلى الصلاة).

(عن النبي ﷺ: أنه قال لـ) أمير المؤمنين (عليِّ بنِ أبي طالب) الأنزعِ البَطينِ ﷺ، و(كرم الله وجهه) في غزوة خيبر، وكانت في أول السابعة من سِني الهجرة، (والله! لأَنْ) بفتح اللام التي هي جواب القسم، وفتح (أن) المصدرية الناصبة للمضارع الذي هو: (يهديَ الله بك)؛ أي بسبب دعايتك الخلقَ إلى الله، وهو بفتح أوله وكسر ثالثه، و(الله) فاعل، و(بك) متعلق بـ (يهدي)؛ أي: ينفع بك، (رجلًا واحدًا) بشيء من أمور الدين؛ بما يسمعه منك، أو يراك عملته، فيقتدي بك فيه، ويعمل به (خيرٌ): خبر المبتدأ المنسبك من (أن) المصدرية والفعل بعدها؛ فإنه مبتدأ؛ أي: هداية

(١) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

رجل؛ أي: شخصٍ واحد من ذكر وأنثى بسببك خيرٌ **(لك)** يا عليّ **(من أن يكون لك)**: (أن) وما بعدها مصدر مجرور بـ (من)، **(حمرُ)** بسكون الميم: جمع أحمر، **(النعم)**؛ أي: الإبل.

قال ابن الأنباري: كرامها، وأعلاها منزلة، وأغلاها عند أهلها[1].

قال الأصمعي: بعير أحمر: إذا لم يخالط حمرتَه شيء، فإن خولطت حمرته، فهو كُمَيْت[2].

والإبل الحمر: هي أحسنُ أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وليس عندهم شيء أعظم منها، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فَذَرَّةٌ من أمور الآخرة لا تعادلها الدنيا بأسرها، ولا جميع ما فيها، ولو كان مع الدنيا أمثالُ أمثالها.

قال في «مفتاح دار السعادة»: وهذا يدل على فضل العلم والتعليم، وشرف منزلة أهله؛ بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم[3]، كان ذلك خيرًا له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي كلَّ يوم به طوائفُ من الناس؟![4].

(أخرجه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(البخاري، ومسلم)** في صحيحيهما، **(وهذا)**؛ أي: اللفظُ المذكور **(لفظُ)** صحيح **(مسلم)**.

---

(١) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (٢/ ٢٨٠).

(٢) نقله ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٥/ ١٦٦).

(٣) في الأصل: «بالعلم»، والتصويب من «مفتاح دار السعادة».

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٢).

* تنبيه :

سبب حديث سهل بن سعد، وقول رسول الله ﷺ لعلي ﷺ ما قال: أنه ﷺ لما نازل حصون الكتيبة[1] من خيبر، وأرسل عدة من أمرائه ﷺ، منهم: الصدّيق الأعظم، وعمر بن الخطاب ﷺ، ولم يكن فتح، وكان رسول الله ﷺ قد أخذته الشقيقة، وهي وجع في أحد شقي رأسه عليه السلام، فأخبر بذلك، فقال: «لأعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، ليس بفَرّار، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدوكون ليلتهم ـ أي: بتحتية فدال مهملة مضمومة؛ أي: باتوا في اختلاط واختلاف، والدوكة: الاختلاط؛ أي: باتوا في اختلاف ـ أيهم يُعطاها، فلما أصبح، غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يُعطاها، فلما صلى النبي ﷺ الصبح، ثم دعا باللواء، وقام قائمًا، فوعظ الناس، ثم قال: «أين علي؟» قالوا: يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه»، قال سلمة بن الأكوع: فجئت به أقوده.

وفي الصحيحين وغيرهما: فأتى به رسول الله ﷺ، فقال: «ما لك؟» قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامي، قال: «ادنُ مني»، ثم بزق ﷺ في ألية يده، فَدَلَك بها عينيه، فبرئ كأن لم يكن به وجع قَطّ، فما وجعهما حتى مضى لسبيله، ودعا له وأعطاه الراية.

قال سهل بن سعد: فقال عليٌّ: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «انفُذ على رِسْلك حتى تنزلَ بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام،

---

(١) في الأصل: «الكثيبة»، والتصويب من «معجم ما استعجم» لأبي عبيد (٢/ ٥٢١).

وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى، وحق رسوله، فوالله! لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ من أن يكون لك حمرُ النعم»[1].

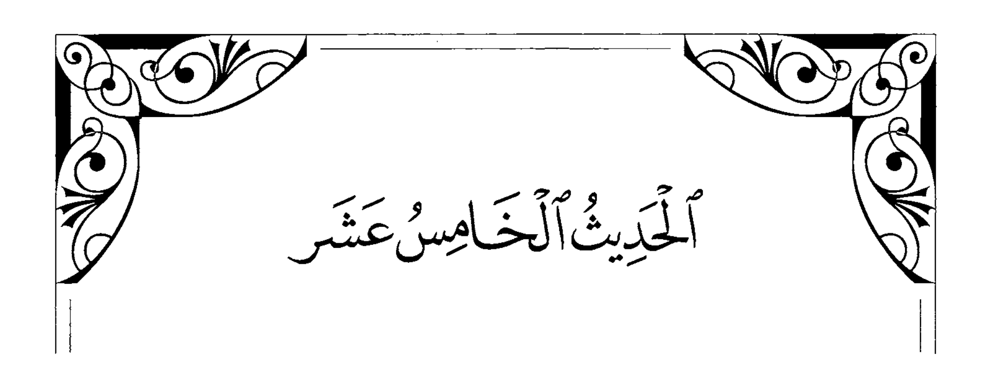
وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند مسلم، والبيهقي: أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت»، قال: علام أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[2]، فما رجع حتى فتح الله على يديه. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨).



الحديث الخامس عشر

٥٨٧ ـ عَن أبي مُوسَى عبدالله بن قيس ﷺ، عَن النَّبِـي ﷺ قَالَ: «إِن مَثَلَ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ من الْهدى وَالْعلم كَمثل غيث أصَـاب أَرضًـا، فَكَانَت مِنْهَا طَائِفَة طيِّبَة قبلت المَاء، فأنبتت الكلأ والعُـشْبَ الكثيـرَ، وَكَانَت مِنْهَا أجادبُ أَمْسَكت المَاء، فنفع الله بِهَا النَّاس، فَـشَرِبُوا وَسَـقَوا ورَعَوا ـ وَفِي رِوَايَة البُخَارِيّ: وزرعوا ـ، وَأصَاب مِنْه طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَـا هِيَ قِيعان لَا تُمسك مَاءً وَلَا تُنْبت كلأً، فَذَلِك مثل مَنْ فَقُـه فِـي ديـن الله ونفعَه بِمَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعلم وَعلَّم، وَمثلُ مَن لم يرفع بذلك رَأْسًـا وَلـم يقبل هدى الله الَّذِي أُرْسلت بِهِ». أخرجه البُخَارِيّ وَمُسلم[1].

(عن أبي موسى عبدِالله بـنِ قـيسٍ) الأشـعريِّ (ﷺ، عـن النبـي ﷺ قال: إنّ مثل) بفتح المثلثة، والمراد به: الصفة العجيبة، لا القول الـسائر، (ما)؛ أي: الذي (بعثني الله) ﷻ (به من الهـدى)؛ أي: الدلالـة الموصـلة إلى المطلوب، (والعلمِ): هو صفة توجب تميزًا لا يحتمل متعلقـه النقـيض، والمراد به: معرفة الأدلة الشرعية.

---

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

وجمعَ بين الهدى والعلم نظرًا إما إلى أن الهدى بالنسبة إلى الغير؛ أي: التكميل، والعلم بالنسبة إلى نفس الشخص؛ أي: الكمال، وإما أن الهدى هو الدلالة، والعلم هو المدلول.

وقيل: الهدى والعلم هو الطريقة والعمل.

(كمثل غيث)؛ أي: مطر **(أصاب)** ذلك المطرُ **(أرضًا)** تنكيره للعموم، **(فكانت منها)**؛ أي من تلك الأرض **(طائفة)**؛ أي: قطعة **(طيبة)**، هذه رواية مسلم في «صحيحه»[(١)].

قال في «الفتح»: وهو في جميع ما وقفتُ عليه من المسانيد والمستخرجات كما عند مسلم.

وفي كتاب الزركشي: وروي: «بقعة»، وهو بمعنى طائفة، لكن ليس ذلك في شيء من مرويات الصحيحين[(٢)].

وفي البخاري بدل (طيبة): «نقية»[(٣)].

قال في «الفتح»: في جميع الروايات التي رويناها ـ بالنون ـ من النقاء، وهي صفة لمحذوف، لكن عند الخطابي، والحميدي، وفي حاشية[(٤)] أصل أبي ذر: «ثغبة» بمثلثة مفتوحة وغين معجمة مكسورة، وقد تسكن، بعدها موحدة مخففة مفتوحة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

(٣) رواه البخاري (٧٩).

(٤) في الأصل: «في حاشيته» بدل «وفي حاشية»، والتصويب من «فتح الباري».

قال الخطابي: هي مستنقع الماء في الجبال والصخور.

قال القاضي عياض: هذا غلط في الرواية، وإحالة للمعنى؛ لأن المراد هنا: وصف الطائفة الأولى التي تنبت، وما ذكره يصلح وصفًا للثانية التي تمسك الماء.

قال: وما ضبطناه في البخاري من جميع الطرق إلا «نَقِيَّة» بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء التحتانية[١].

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: ثم قرأت في «شرح البخاري» للحافظ ابن رجب في رواية بالباء الموحدة بدل النون، قال: والمراد بها القطعة الطيبة؛ كما يقال: فلانٌ بقية الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾[هود: ١١٦][٢].

(قَبِلَت) بفتح القاف وكسر الموحدة: من القبول؛ كما في معظم الروايات، ووقع عند الأصيلي: «قيلت» بالتحتانية المشددة، وهو تصحيف[٣]، (الماءَ) بأن تشربته، (فأنبتت الكلأ) بالهمز بلا مد، وهو النبات يابسًا ورطبًا، (والعشبَ) هو مختص بالرطب.

قال الكرماني: العشب والكلأ مقصور مختص بالرطب، والحشيش مختص باليابس، وعطف العشب على الكلأ من عطف الخاصّ على العامّ[٤].

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢/ ٥٦).

(الكثيرَ) بالنصب: نعت للعشب والكلأ، **(وكانت منها)**؛ أي: من تلك الأرض طائفةٌ **(أجادبُ)** بالجيم والدال المهملة بعدها موحدة: وهي الأرض التي لا تثبت كلأ، وهي جمع جَدَب ـ بفتح الدال المهملة ـ على غير قياس.

قال في «الفتح»: هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء[1].

قال الخطابي: هي الأرض التي تمسك الماء، ولا يسرع فيها النضوب[2].

قال الحافظ في «الفتح»: وفي رواية أبي ذر: «إخاذات» بكسر الهمزة والخاء والذال المعجمتين وآخره مثناة فوقية قبلها ألف: جمع إخاذة[3]، قال: هي الأرض التي تمسك الماء.

قال: ورواها الإسماعيلي عن أبي يعلى، عن أبي كريب: «أحارب» بحاء وراء مهملتين.

قال الخطابي: ليست هذه الرواية بشيء.

قال: وقال بعضهم: أجارد، بجيم وراء ثم دال مهملة: جمع جرداء، وهي البارزة التي لا تنبت.

قال الخطابي: هو صحيح المعنى إن ساعدته الرواية[4].

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

(٢) انظر: «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ١٩٨).

(٣) في الأصل: «أخذة»، والتصويب من «فتح الباري» لابن حجر.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

قال في «الفتح»: وأغربَ صاحبُ «المطالع»، فجعل الجميع روايـات، وليس في الصحيحين سوى روايتين فقط[1].

(أمسكتِ الماء، فنفع الله بها)؛ أي: بالأجادب، وللأصـيلي: «بـه» بدل «بها»[2]؛ أي: بالماء **(الناسَ)**.

ثم بين ﷺ وجوهَ النفع، فقال: **(فشربوا منها)**؛ أي: من تلـك الميـاه في تلك الطائفة التي هي أجادب، **(وسقوا)** دوابهم ومواشيهم وغراسهم.

قال أهل العربية: سقى وأسقى بمعنى، وقيل: سقاه: ناوله ليشرب، وأسقاه: جعل له سقيا.

(ورعوا): من الرعي؛ كما في «صحيح مسلم»[3].

(وفي رواية للبخاري: وزرعوا) بزيادة زاي[4]، من الزرع، وأثبته أبو يعلى[5]، ويعقوب بن الأخرم، وغيرهما عن أبي كريب[6].

قال في «الفتح»: وروى مسلم، والنسائي، وغيرهما عن أبي كريب: «ورعوا» بغير زاي[7]، قال النووي: كلاهما صحيح، ورجح القاضـي عيـاض رواية: (رَعَوا) بلا مرجِّح؛ لأن روايـة: (زرعوا) تدل على مباشـرة الـزرع؛

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه عند البخاري (٧٩).

(٥) في «الأصل: «علي»، والتصويب من «فتح الباري».

(٦) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

(٧) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥٨٤٣).

لتطابق في التمثيل مباشرةَ طلب العلم، وإن كانت (رعوا) مطابقة لقوله: (أنبتت)، لكن المراد: أنها قابلة للإنبات.

وقيل: روي: (ووعوا) بواوين، ولا أصل لذلك، بل هو تصحيف.

قال القاضي: قوله: (رعوا) راجعٌ للأولى؛ لأن الثانية لم يحصل منها نبات. انتهى[1].

وفي «الفتح»: ويمكن أن يرجع إلى الثانية - أيضًا -؛ بمعنى: أن الماء الذي يستقر بها[2] سُقيت منه أرض أخرى بالمعالجة، فأنبتت[3].

(وأصابَ) الغيث؛ يعني: الماء **(منها)**؛ أي: من الأرض طائفة؛ أي: قطعة **(أخرى)** غير تينك، **(إنما هي قيعان)** بكسر القاف: جمع قاع، وهو الأرض المستوية التي **(لا تمسك ماء)**، فينتفع الناس منه، **(ولا تنبت كَلأً)**، فينتفع الناس برعي دوابهم ونحوه، **(فذلك)**؛ أي: المثلُ المذكورُ **(مثلُ مَنْ)**؛ أي: شخصٍ **(فَقُه)** بضم القاف؛ أي: صار فقيهًا.

وقال ابن التين: رويناه بكسرها، والضم أشبه.

(في دين الله) ﷻ: متعلق بـ (فقه)، **(ونفعه)** الله تعالى **(بما)**؛ أي: بالهدى والدين الذي **(بعثني الله به)** لجميع الخلق بشيرًا ونذيرًا، **(فعلم)**؛ أي: صار عالمًا، **(وعمل)** بما عَلِم، **(ومثل مَنْ)**؛ أي: شخص كافر، أو منافق، أو ذي كسل وسقوطِ همة **(لم يرفع بذلك)**؛ أي: بما بعثني الله به

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

(٢) في الأصل: «لمّا»، والتصويب من «فتح الباري».

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٧٦).

من الهدى والدين، والشرع والتبيين، **(رأسًا)**: منصوب على التمييز محول عن مفعول؛ أي: لم يرفع رأسه بذلك، بل ألفَ الراحة، واكتفى من دينه ـ إن كان ذا دين ـ بمجرد التقليد، ورأى الناس يفعلون ففعل، ولا يشعر بما فعل، ولا ما فعل، ولا لمن فعل، **(ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به)**.

(أخرجه البخاري، ومسلم)(١).

اكتفى بذكر الهدى عن ذكر العلم؛ لأن نفي قبول الهدى مستلزم لنفي قبول العلم.

قال المحقق ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»: شبه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث؛ لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية، وسائر مصالح العباد؛ فإنها بالعلم والمطر(٢).

وقال غيره: وإنما اختير الغيث من بين سائر أسماء المطر؛ ليؤذِنَ باضطرار الخلق إليه حينئذ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾[الشورى: ٢٨]، وكان الناس قبل البعثة قد امتُحنوا بموت القلب، ونضوب العلم، حتى أصابهم الله برحمة من عنده؛ كما في الكرماني(٣).

قال في «مفتاح دار السعادة»: وشبه ﷺ القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر؛ لأنها المحل الذي يمسك الماء، فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما أن القلوب تعي العلم، فيثمر فيها، ويزكو، وتظهر بركته وثمرته.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٠).

(٣) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢/ ٥٦ ـ ٥٧).

ثم قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه، وفهم معناه، واستنباط أحكامه، واستخراج حكمه، وفوائده:

أحدها: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعَقَلوه، وفهموا معانيه، واستنبطوا وجوهَ الأحكام والحِكم والفوائد منه، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء، وهذا بمنزلة الحفظ، فأنبتت الكلأ والعشب، وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط؛ فإنه بمنزلة إنبات الكلأ والعشب بالماء، فهذا مثل الحفاظ الفقهاء أهلِ الرواية والدراية.

القسم الثاني: أهلُ الحفظ الذين رُزقوا حفظه ونقلَه وضبطه، ولم يرزقوا تفقهًا في معانيه، ولا استنباطًا لما يحويه، ولا استخراجًا لوجوه الحِكم والفوائد التي فيه، فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه، ويراعي حروفه وإعرابه، ولم يرزق فيه فهمًا خاصًّا عن الله؛ كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه[1].

والناس متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظمَ تفاوت، فربَّ شخصٍ يفهم من النص حكمًا أو حكمين، ويفهم منه الآخرُ مئة حكم أو مئتين، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فانتفعوا به، هذا يشرب منه، وهذا يسقي، وهذا يزرع.

فهؤلاء القسمان هم السعداء، والأولون أرفعُ درجة، وأعلى قدرًا، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

القسم الثالث: الذين لا نصيب لهم منه، لا حفظًا، ولا فهمًا،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٧) بنحوه.

ولا دراية، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعان، لا تنبت الكلأ، ولا تمسك الماء، وهؤلاء هم الأشقياء.

والقسمان الأولان اشتركا في العلم والتعليم، كلٌّ بحسب ما قبله، ووصل إليه، فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها، وهذا يعلم معانيه وأحكامه وعلومه، والثالث لا علم ولا فهم ولا تعليم، فهم الذين لم يرفعوا بهدى الله رأسًا، ولم يقبلوه، وهؤلاء شر من الأنعام، وهم وقود النار[1].

قال المحقق ابن القيم: فقد اشتمل هذا الحديث الشريف العظيمُ على: التنبيه على شرف العلم والتعليم، وعظم موقعه، وشقاء من ليس من أهله.

وفيه: دليل على أن حاجة العباد إلى العلم كحاجتهم إلى المطر، بل أعظم، وأنهم إذا فقدوا العلم، فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث.

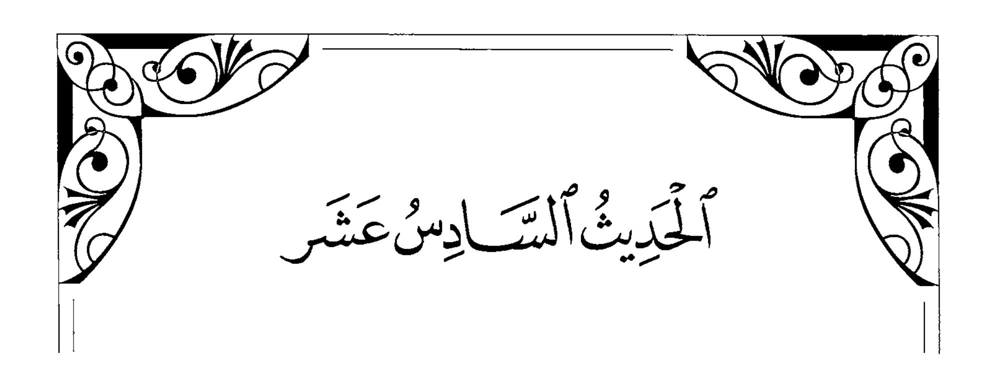
قال سيدنا الإمام أحمد رضي الله عنه: الناسُ محتاجون للعلم أكثرَ من احتياجهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس[2].

* * *

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٠ ـ ٦١).

(٢) المرجع السابق (١/ ٦١).



الحَدِيثُ السَّادِسُ عَشَر

٥٨٨ ـ عَن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: ذُكر لرَسُول الله ﷺ رجلاَنِ: أَحدهمَا عَابِد، وَالآخر عَالم، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فضلُ العَالم على العابد كفضلي على أدناكم»، ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِن الله وَمَلاَئِكَتَه وَأَهلَ السَّمَاوَات وَالأَرْض، حَتَّى النَّملة فِي جحرها، وَحَتَّى الْحُوت ليُصَلُّونَ على معلِّم النَّاسِ الْخَيْر». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن صَحِيح غَرِيب[1].

(**عن أبي أُمامةَ الباهليِّ ﷺ قال: ذُكر لرسول الله ﷺ**) بضم أوله وكسر ما قبل آخره مبنيًّا للمفعول، (**رجلان**): نائب فاعل، (**أحدُهما**)؛ أي: أحد الرجلين اللذين ذُكِرا لرسول الله ﷺ (**عابدٌ**)؛ أي: كثير العبادة، (**و**) الرجلُ (**الآخرُ عالِمٌ**) متصف بالعلم، أيهما أفضل؟ (**فقال رسول الله ﷺ: فضل العالم**)؛ أي: نسبة شرفِ العالم؛ أي: فضل حقيقة العلم (**على العابد**)؛ أي: إلى شرف العابد، (**كفضلي على أدناكم**)، فكل عالم له الفضل على كلّ عابد كفضل الرسول على أدنى الصحابة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥).

(**ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله**) ﷻ (**وملائكته**) المقربين عليهم السلام، (**و**) سائر (**أهل السماوات**) من سائر الملائكة على اختلاف أصنافهم، وتفاوتِ درجاتهم (**و**) أهل الأرضين من سائر الدوابّ، (**حتى النملةُ في جُحْرها**)؛ أي: مسكنها الذي تأوي إليه، (**وحتى الحوت**): (الـ) فيه للاستغراق، أو الجنس؛ يعني: حتى حيتانُ البحر، (**في البحر لَيصلُّون على معلِّم الناسِ الخير**).

الصلاةُ من الله: الرحمة، أو الثناء ـ على ما مر ـ، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن سواهم: الدعاء، ولا رتبة فوق من تشتغل الملائكة وجميعُ الخلق بالاستغفار والدعاء له.

(**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب**).

قال الترمذي: سمعت أبا عمار الحسينَ بنَ حريثٍ الخزاعيَّ قال: سمعت الفضيلَ بنَ عياضٍ يقول: عالم عامل معلِّم يدعى كبيرًا في ملكوت السماوات(١).

قال في «مفتاح دار السعادة»: وهذا مرويّ عن الصحابة ﷺ، قال ابن عباس ﷺ: علماء هذه الأمة رجلان، فرجل أعطاه الله علمًا، فبذله للناس، ولم يأخذ عليه صفرًا، ولم يشتر به ثمنًا، أولئك يصلّي عليهم طيرُ السماء، وحيتان البحر، ودوابُّ الأرض، والكرامُ الكاتبون.

ورجل آتاه الله علمًا، فضنَّ به عن عباده وأخذ به صفرًا، واشترى به ثمنًا، فذلك يأتي يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥).

وذكره ابنُ عبد البر مرفوعًا[1]، وفي رفعه نظر.

وإن ما كان يصلى عليه مَن ذُكر؛ لأن تعليمه الناسَ الخير سببٌ لنجاتهم وسعادتهم، وزكاة نفوسهم، فجازاه الله من جنس علمه؛ بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهلِ الأرض ما يكون سببًا لنجاته وسعادته وفلاحه.

وأيضًا: فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدينِ الربِّ وأحكامه، ومُعرِّفًا بأسمائه وصفاته، جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهًا به، وتشريفًا له، وإظهارًا للثناء عليه من أهل السماء والأرض. انتهى[2].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا: «فضلُ العالم على العابد كفضل القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب»[3].

وفي «مسند أبي يعلى الموصلي»: عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مرفوعًا: «فضل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»[4].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٨).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٢ ـ ٦٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٤٥).

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٨٥٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٢): وفيه الخليل بن مرة؛ قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: لم أر حديثًا منكرًا، وهو في جملة من يكتب حديثه، وليس هو بمتروك.

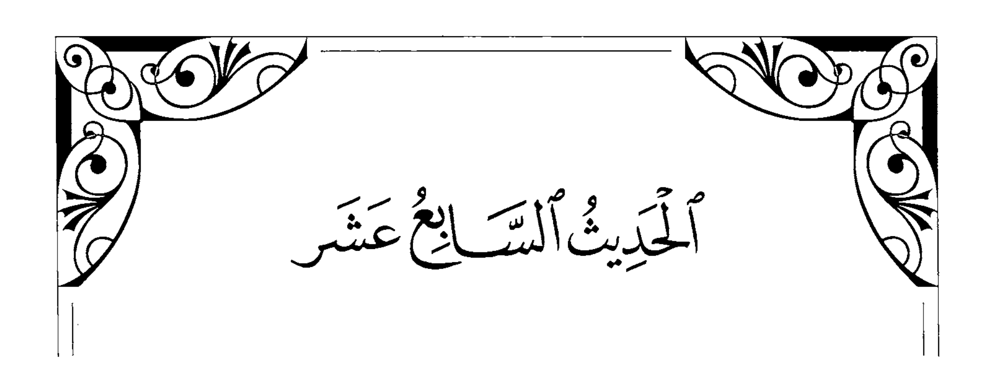
وروى ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة»[1].

وروى الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما مرفوعًا: «فضلُ العالم على غيره كفضل النبيِّ على أمته»[2].

* * *

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٢٢).

(٢) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٠٦).



الحديث السابع عشر

٥٨٩ ـ عَن أبي الدَّرْدَاء ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «إِن الْعَالمَ ليَسْتَغْفِرُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْض، وَالْحِيتَانُ فِي جَوف المَاء، وَإِن فضلَ العَالم على العابد كفضل الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْر على سَائِر الْكَوَاكِب، وَإِنَّ العلمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء، وَإِن الأَنْبِيَاءَ لم يُورِّثوا دِينَارًا وَلَا درهمًا، إِنَّمَا وَرَّثوا العلم، فَمَن أَخذَ بِهِ أَخذَ بحظٍّ وافرٍ». أخرجه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه بِنَحْوِه[1].

(عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن العالم) العلمَ الشرعيَّ المنتفَع به، وكذا آلتُه من نحوِ نحوٍ ولغةٍ **(ليستغفرُ له مَنْ في السماوات)** من الملائكة المقربين، **(ومَنْ في الأرض)** من الملائكة السفلية، ومؤمني الإنس والجن، ومن الدواب وغيرها من سائر الحشرات، **(و)** تستغفر له **(الحيتان)**: جمع حوت، وهو السمك، ويجمع ـ أيضًا ـ على أحوات، **(في جوف)**؛ أي: باطن وداخل **(الماء)** من

(١) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وقال الترمذي: ليس هو عندي بمتصل.

بحر أو غيره من الأنهار.

قال في «مفتاح دار السعادة»: لما كان العالِمُ سببًا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع الهلكات، وكان سعيه مقصورًا على هذا، وكانت نجاة العِباد على يديه، جوزي من جنس عمله، وجعل من في السماوات والأرض ساعيًا في نجاته من أسباب الهلكات؛ باستغفارهم له.

وإذا كانت الملائكة تستغفرُ للمؤمنين، فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم؟

وقد قيل: إن من في السماوات ومن في الأرض المستغفرين للعالم عامّ في الحيوانات ناطِقها وبهيمها، طيرها وغيره.

ويوكد هذا: قوله: «حتى الحيتان في الماء»[1]، ويؤيده: رواية: «حتى النملة في جحرها»؛ كما مر قريبًا من حديث أبي أمامة مرفوعًا عند الترمذي[2].

فقيل: سبب هذا الاستغفار: أن العالم يعلم الخلق مراعاةَ هذه الحيوانات، ويعرفهم ما يحل منها، ويعرفهم كيفية ذبحها على أحسنِ الوجوه وأرفقِها بالحيوان، والعالم أشفقُ الناس على الحيوان، وأقومُهم ببيان ما خلق له.

وبالجملة: فالرحمة والإحسان التي خلق بهما ولهما الحيوان، وكتب لهما حظها منه، إنما يعرف بالعلم، فالعالِمُ معرف لذلك، فاستحق

---

(١) وهي رواية الترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) تقدم الحديث برقم (٥٨٨).

أن تستغفر له البهائم. والله أعلم[1].

(وإن فضل العالم) العلمَ الشرعي **(على العابد)** يفوق ويزيد على فضل العابد **(كفضل البدر)**؛ أي: كما يفضُل ويفوق ضوءُ البدر ونوره وضياؤه **(على سائر)**؛ أي: بقية **(الكواكب)** النيرة.

قال في «مفتاح دار السعادة»: هذا تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب؛ فإن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نوره في أقطار العالم، وهذه حالة العالم، وأما الكوكب، فنوره لا يجاوز نفسَه، أو ما قرب منه، وهذه حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نور عبادته غيره، فإنما يجاوزه غير بعيد كما يجاوز ضوء الكواكب له مجاوزة يسيرة.

ومن هذا الأثر المروي: «إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد: ادخل الجنة؛ فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم: اشفع تشفع؛ فإنما كانت منفعتك للناس»[2].

وروى ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان يوم القيامة، يؤتى بالعابد والفقيه، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للفقيه: اشفع تشفع[3].

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١١١)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه محمد بن مقاتل الرازي، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٥٠٨): ضعيف.

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٥)، والأثر المذكور رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١١١ ـ ١١٢).

قال في «مفتاح دار السعادة»: وفي التشبيه المذكور لطيفة أخرى، وهو أن الجهل كالليل في ظلمته وحِنْدِسه، والعلماء والعباد بمنزلة القمر والكواكب الطالعة في تلك الظلمة، وفضلُ نور العالم فيها على نور العابد كفضل القمر على الكواكب.

وأيضًا: فالدين قوامه وزينته وأمنته بعلمائه وعباده، فإذا ذهب علماؤه وعباده، ذهب الدين، كما أن السماء أمنتها وزينتها بقمرها وكواكبها، فإذا خسف قمرها، وانتثرت كواكبها، أتاها ما توعَد، وفضلُ علماء الدين على العباد كفضل ما بين القمر والكواكب.

فإن قيل: فكيف وقع تشبيه العالم بالقمر دون الشمس، وهي أعظم نورًا؟

فالجواب فيه فائدتان:

إحداهما: أن نور القمر لما كان مستفادًا من غيره، كان يشبه العالم الذي نوره مستفاد من شمس الرسالة؛ كما أن نور القمر مستفاد من نور الشمس.

الثانية: أن الشمس لا يختلف حالها في نورها، ولا يلحقها محاق ولا تفاوت في الإضاءة، وأما القمر؛ فإنه يقل نوره ويكثر، ويمتلئ وينقص؛ كما أن العلماء تتفاوت مراتبهم في الكثرة والقلة، فيفضل كل واحد منهم في علمه بحسب كثرته وقلته، وظهوره وخفائه؛ كما يكون القمر كذلك، فعالم كالبدر ليلة تَمِّهِ، وآخر دونه بليلة، وثانيه وثالثه، وهلم جرًّا إلى آخر مراتبه، وهم درجات عند الله.

فإن قيل: قد علم تشبيه العلماء بالنجوم؛ كقوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم»[1]، وكذا هي في تعبير الرؤيا عبارة عن العلماء، فكيف [وقع][2] تشبيههم هنا بالقمر؟

فالجواب: أما تشبيه العلماء بالنجوم، فلأن النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وكذلك العلماء، والنجوم زينة للسماء، وكذلك العلماء زينة للأرض، وهي رجومٌ للشياطين، حائلةٌ بينهم وبين استراق السمع؛ لئلا يُلبّسوا بما يسترقون من الوحي الوارد إلى الرسل عن الله على أيدي الملائكة، وكذلك العلماء رجومٌ لشياطين الإنس والجن، الذين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام: ١١٢].

فالعلماء رجوم لهذا الصنف من الشياطين، ولولاهم لطمست معالم الدين بتلبيس المضلين، ولكن الله سبحانه أقامهم حراسًا وحَفَظَة لدينه، ورجومًا لأعدائه وأعداءِ رسوله، فهذا وجهُ تشبيههم بالنجوم.

وأما تشبيههم بالقمر، فكذلك إنما كان في مقام تفضيلهم على أهل العبادة المجردة، وموازنة ما بينهما من الفضل، والمعنى: أنهم يفضلون العباد الذين ليسوا بعلماء، كما يفضل القمر سائر الكواكب، فكلٌّ من التشبيهين لائق بموضعه، ولله الحمد[3].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وقال: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول.

(٢) ما بين معكوفتين من «مفتاح دار السعادة».

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(و) قوله ﷺ: (**إن العلماء ورثة الأنبياء**): هذا من أعظم المناقب، وأرفع المراتب لأهل العلم؛ فإن الأنبياء [خير][1] خَلْق الله، فورثتهم خيرُ الخلق بعدهم.

ولما كان كلُّ موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته؛ إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، ولمَّا لم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء، كانوا أحق الناس بميراثهم.

وفي هذا: تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم؛ فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو في ميراث النبوة، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وفيه: أمر وإرشاد للأمة بطاعتهم واحترامهم، وتوقيرهم وإجلالهم؛ فإنهم وَرَثَة مَنْ هذه بعضُ حقوقهم على الأمة، وهم خلفاؤهم فيه.

وفيه: تنبيه ـ أيضًا ـ على أن محبتهم من الدين، وبغضهم منافٍ له؛ كما هو ثابت لمورثيهم، وكذلك معاداتهم ومحاربتهم مغادرة ومحاربة لله ﷻ كما هو في مورثهم.

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في حديثه الطويل: محبة العلماء دين يُدان به[2].

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ: «من عادى لي وليًّا، فقد

---

(١) ما بين معكوفتين من «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٠).

بارزني في المحاربة»[1].

وورثةُ الأنبياء سادات الأولياء.

وفيه: تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء، وطريقتهم في التبليغ؛ من الصبر والاحتمال، ومقابلة إساءة الناس إليهم بالإحسان، والرفق بهم، واستجلابهم إلى الله بأحسن الطرق، وبذل ما يمكن من النصيحة لهم؛ فإنهم بذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيمِ قدرُه، الجليلِ خطرُه.

وفيه أيضًا: تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده، فيربونه بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره، وتحميلهم[2] منه ما يطيقون؛ كما يفعل الأب بولده الطفل في إيصال الغذاء إليه، وأن أرواح البشر بالنسبة إلى الأنبياء والرسل كالأطفال بالنسبة إلى آبائهم، بل دون هذه النسبة بكثير، ولهذا كل روح لم يربّها الرسول لم تفلح، ولم تصلح لصالحة؛ كما قيل:

ومن لا يربِّه[3] الرسولُ ويسقِهِ

لبانَ هدى قد دَرَّ من ثدي قدسِهِ

---

(1) رواه الكلاباذي في «معاني الأخبار» (ص: ٣٧٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وفيه: «أذى» بدل «عادى». ورواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه.

(2) في الأصل: «وتحملهم»، والمثبت من «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٦)، والمصنف ينقل عنه.

(3) في «مفتاح دار السعادة»: «يربيه».

فــذاك لقــيط مــا لـــه نـــسبةُ الـــولا

ولا يتعـــدى طـــور أبنـــاءِ جنـــسِه[١]

(و) قوله ﷺ: **(إن الأنبياء)** عليهم الصلاة والسلام **(لم يورثـوا دينـارًا ولا درهمًا)**.

قال في «القاموس»: الدينار مُعَرَّب، أصلُه دِنّار، فأبدل مـن أحـدهما ـ أي: النونين ـ ياء؛ لئلا يلتبس بالمصادر؛ ككِذّاب.

والدرهم؛ كمنبر، ومحراب، وزِبْرِج، وجمعه: دراهم، ودراهيم[٢].

(إنما ورثوا العلم) دون الدراهم والدنانير وغيرهما من متاع الدنيا.

وهذا من كمال الأنبياء، وعظم نصحهم للأمم، وتمام نعم الله عليهم وعلى أممهم أنْ أَزَاحَ جميع العلل في حسم[٣] جميع المواد التـي[٤] تـوهم بعض النفوس أن الأنبياء من جنس الملوك الذين يريـدون الـدنيا وملكهـا، فحماهم ـ سبحانه وتعالى ـ أعمّ الحماية.

ثم لما كان الغالبُ على الناس أن أحدَهم يريد الدنيا لولده من بعده، ويسعى ويتعب، وربما حرم[٥] نفسه لولده، سدّ هذه الذريعة ـ جل وعـلا ـ

---

(١) في هامش الأصل: «البيتان للمحقق ابن القيم».

انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (مادتي: دنر، درهم).

(٣) في الأصل: «جسم»، والتصويب من «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٧).

(٤) في الأصل: «الذي»، والتصويب من «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٧).

(٥) في الأصل: «أحرم»، ولعل الصواب المثبت.

عن أنبيائه ورسله، وقطع هذا الوهَم الذي عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التي تقول: فلعله لم يطلب الدنيا إلا ليحصلها لولده، فقال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة»[1]، فلم يورث الأنبياءُ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦]، فهو ميراث العلم والنبوة لا غير، وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم، وهذا لأن داود ـ عليه السلام ـ كان له أولاد كثير سوى سليمان، فلو كان الموروث هو المال، لم يكن سليمان يختص به.

وأيضًا: فكلام الله ﷻ يصان عن الإخبار بمثل هذا؛ فإنه بمنزلة أن يقال: مات فلان، وورثه ابنه، ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه، وليس في الإخبار بمثل هذا فائدة.

وما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة: وراثة العلم والنبوة، لا وراثة مال، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٥ ـ ١٦]؛ وإنما سيق هذا؛ لبيان فضل سليمان، وما خصه الله به من كرامته، وميراثُه ما كان لأبيه من أعلى المواهب، وأَسنى المطالب، وهو العلم والنبوة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[النمل: ١٦].

وكذلك قول زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩)، من حديث أبي بكر ﷺ.

رَضِيًّا﴾[مريم: ٥ ـ ٦]، فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله، وإلا فلا يُظَن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله، فيسأل الله العظيم ولدًا يمنعهم ميراثه، ويكون أحق به منهم، وقد نزّه الله أنبياءه ورسله عن هذا وأمثاله[1].

قال في «مفتاح دار السعادة» بعد ذكره لما تقدم: فبُعدًا لمن حرّف كتاب الله، وردّ على رسوله كلامه، ونسب الأنبياء إلى ما هم أبرياء منزهون عنه.

ويذكر عن أبي هريرة ﷺ: أنه مرّ بالسوق فوجدهم في تجاراتهم وبيوعاتهم، فقال: أنتم هاهنا فيما أنتم فيه، وميراثُ رسول الله ﷺ يُقسم في مسجده؟! فقاموا سراعًا إلى المسجد، فلم يجدوا فيه إلا القرآنَ والذكر ومجالسَ العلم، فقالوا: أين ما قلت يا أبا هريرة؟ فقال: هذا ميراث محمد ﷺ يقتسم بين ورثته، وليس بمواريثكم ودنياكم[2].

(فمن أخذ)؛ أي: اعتنى وظفر **(به)**، وحاز منه ما قُسم له، **(أخذ بحظ)**؛ أي: نصيب **(وافر)** من أعظم الحظوظ، وقسم فاخر من أعلى المقاسم لدى كل محظوظ؛ فإن أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبدَ ودام نفعُه، وليس هذا إلا حظه من العلم والدين، فهو الحظ الدائم النافع الذي إذا انقطعت الحظوظ عن أربابها، فهو موصول له أبدَ الآبدين، وذلك لأنه

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٦ ـ ٦٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٦٧)، والأثر المذكور رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٢٩)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٥٨): إسناد حسن، وكذا قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٤).

موصول بالحي الذي لا يموت، فلا ينقطع ولا يفوت، وسائرُ الحظوظ تعدم وتتلاشى متعلقاتها، وتذهب وتبيد إذا بادت أوقاتها؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان: ٢٣].

(أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه بنحوه)، ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي[١].

وقال الترمذي: لا يعرف إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حَيْوَة، وليس إسناده عندي بمتصل، وإنما يروى عن عاصم بن رجاء بن حَيْوَة، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، وهذا أصح[٢].

قال الحافظ المنذري: ومن هذا الطريق رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «الشعب»، وغيرهم.

وقد روي عن الأوزاعي، عن كثير بن قيس، عن يزيد بن سمرة، عنه[٣].

وعن الأوزاعي، عن عبد السلام بن سليم، عن يزيد بن سمرة، عن كثير بن قيس، عنه[٤]، قال البخاري: وهذا أصح. انتهى[٥].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩٧)، وتقدم تخريجه عند أبي داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٤٨).

(٣) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٧).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٥٠).

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري(١/ ٥١).

وقال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: وقد رواه الوليد بن مسلم عن خالد بن يزيد، عن عثمان بن أيمن، عن أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غدا لعلمٍ يتعلمه، فتح الله له به طريقًا إلى الجنة...» الحديث.

وزاد فيه بعد قوله: «فمن أخذ بالعلم، أخذ بحظ وافر»: «وموتُ العالم مصيبة لا تُجبر، وثُلْمة لا تُسد، ونجم طُمس، وموتُ قبيلة أيسرُ من موت عالِم»[1].

قال المحقق ابن القيم: وهذا حديث حسن[2].

وقال: إنما كان موت العالم بهذه المثابة؛ لأن صلاح الوجود بالعلماء، ولولاهم كان الناس كالبهائم، بل أسوأ حالًا، فكان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره.

وأيضًا: فموت العلماء فساد لنظام العالَم، ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خلفًا عن سلف، يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده، فبموتِ العالِم يموت العالَم:

لعمـرُكَ مـا الرزيـةُ فقـدُ مـالٍ

ولا فـرسٌ تمـوتُ ولا بعيـرُ

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٣)، والحديث المذكور رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٧).

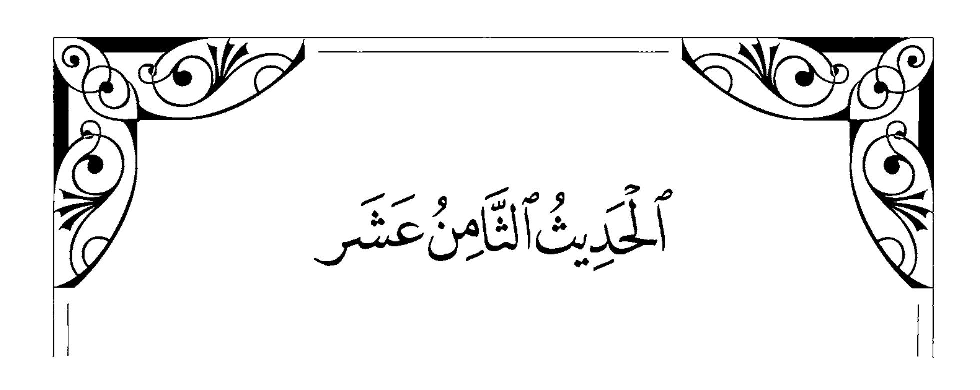
(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٣).

ولكـــــنَّ الرزيـــــةَ فقـــــدُ حُـــــرٍّ

يمـــــوت بموتـــــه خَلْـــــقٌ كثيـــــرُ[1]

* * *

(١) المرجع السابق (١/ ٦٨).



الحديث الثامن عشر

٥٩٠ ـ عَن معَاذِ بن أنس ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَن علَّم علمًا فَلهُ أجرُ مَن عمل بِهِ، لَا ينقُصُ من أجر العَامِلِ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(عن معاذِ بنِ أنسٍ) الجهنيِّ (ﷺ: **أن النبي ﷺ قال: من)**؛ أي: أيُّ عالمٍ **(علَّم)** الناسَ **(علمًا)** نافعًا شرعيًّا، وهو بفتح اللام المشددة، فانتفع الناس بتعليمه إياهم، وعملوا بما عُلِّموا، **(فله)**؛ أي: للمعلِّم الناس ـ بكسر اللام المشددة ـ: اسم فاعل، **(أجرُ مَنْ)**؛ أي: المسلم الذي **(عمل به)**؛ أي: بما دلّ عليه ذلك العلم؛ يعني: أن للمعلم مثلَ أجر من عمل بذلك العلم الذي علمه الناسَ، **(لا ينقص من أجر العامل)** شيء، بل يكون لكلّ واحد من العاملِ والعالمِ الدالِّ أجرُ ذلك العمل، وفضل الله واسع، وكرمه شامل.

(رواه ابن ماجه) بإسناد حسن.

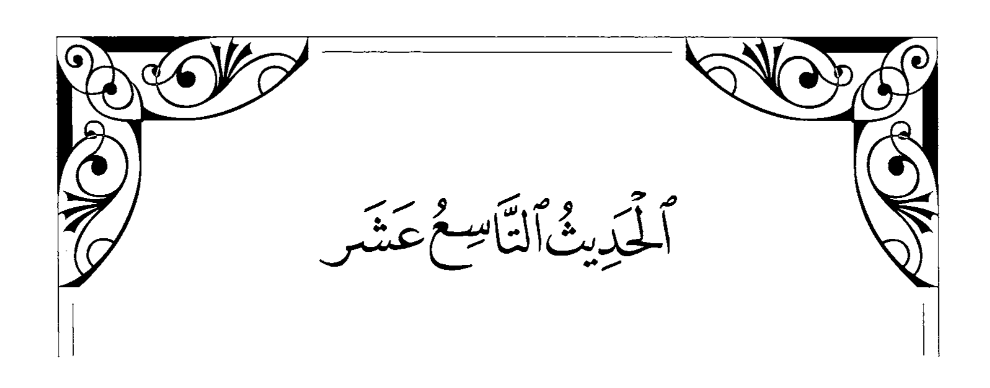
وهذا أصلٌ ورد فيه عدةُ أحاديث، يأتي تقريره والكلام عليه في شرح حديث أبي هريرة الثالث والعشرين إن شاء الله تعالى[2].

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٠).

(٢) يأتي الحديث برقم (٥٩٥).



الحديث التاسع عشر

٥٩١ ـ عَن عبدالله بن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ على الشَّيْطَان من أَلف عَابِد». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه[١].

(عن) أبي العباسِ (**عبدِالله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: فقيهٌ**)؛ أي: عالم متصفٌ بالفقه، (**واحد**): صفة لـ (فقيه)، (**أشدُّ**) وأصعبُ وأشقُّ (**على الشيطان**)؛ أي: إبليس وحزبه وجنوده (**من ألف عابد**)؛ لأن الشيطان كلما فتح للناس بابًا من الأهواء، وزين الشهوات في قلوبهم، بَيَّنَ الفقيهُ العارف مكائدَه، وبواطنَ غوائله، فيسدُّ ذلك الباب، ويردُّه خائبًا خاسئًا خاسرًا؛ بخلاف العابد؛ فإنه ربما يشتغل بالعبادة، وهو في حبائل الشيطان ولا يدري.

(**رواه الترمذي، وابن ماجه**)، وقال الترمذي: غريب[٢]، وقال غيره: لا يصح.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨١)، وابن ماجه (٢٢٢).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٤٨)، عقب حديث (٢٦٨١).

وقال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: قال الترمذي: غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم[1].

قال: وروى أبو أحمد بن عدي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء دعامة، ودعامة الإسلام الفقه في الدين، ولفَقيهٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابد»[2].

قال في «مفتاح دار السعادة»: ولهذا الحديث علة، وهو أنه روي من كلام أبي هريرة، وهو أشبه، رواه هانئ[3] بن يحيى، حدثنا يزيد بن عياض، حدثنا صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار[4]، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عُبِدَ اللهُ بشيء أفضل من فقهٍ في الدين»، قال: قال أبو هريرة: لأن أفقه ساعة أحبُّ إليّ من أن أحيي ليلة أصليها حتى أُصبح، والفقيه أشدُّ على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة، ودعامةُ الدين الفقه[5].

وقد روي من حديث عمر بن الخطاب ﷺ يرفعه: «إن الفقيه أشدُّ على الشيطان من ألفِ ورعٍ، وألفِ مجتهد، وألفِ متعبّد»[6].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٤٨)، عقب حديث (٢٦٨١).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٨)، والخبر المذكور رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨).

(٣) في الأصل: «همام»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٤) في الأصل: «بشار»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٥) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٦) رواه أبو الفضل الزهري في «حديثه» (١/ ٤٣٦)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٢٤).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدنا! ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد، والعالم [لا][1] تصيب منه، والعابد تصيب[2] منه؟ قال: انطلقوا، فانطلقوا إلى عابد، فأتوه في عبادته، فقالوا: إنا نريد أن نسألك، فانصرف، فقال إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا أدري، فقال: أترونه كفر في ساعة؟ ثم جاء إلى عالم في حلقته يضاحك أصحابه، ويحدثهم، فقالوا: إنا نريد أن نسألك، فقال: سل، فقال: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال: نعم، قالوا: كيف؟ قال: يقول: كن فيكون، قال: أترون ذلك لا يعدو نفسه، والعالم يفسد عليّ عَالَمًا كثيرًا[3].

قال في «مفتاح دار السعادة»: وقد رويت هذه الحكاية على وجه آخر، وهو أنهم سألوا العابد: هل يقدر ربك أن يخلق مثلَ نفسه؟ فقال: لا أدري، فقال: أترونه؟! لم تنفعه عبادته مع جهله! وسألوا العالم عن ذلك، فقال: هذه المسألة محال؛ لأنه لو كان مثله، لم يكن مخلوقًا، فكونه مخلوقًا، وهو مثلُ نفسه، مستحيل.

فإذا كان مخلوقًا، لم يكن مثله، بل كان عبدًا من عبيده، وخلقًا من

---

(١) ما بين معكوفتين من «الفقيه والمتفقه».

(٢) في الأصل: «لا تصيب»، والتصويب من «الفقيه والمتفقه».

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٩)، والقصة المذكورة رواها الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٢٥).

خلقه، فقال: أترون؟ هذا يهدم في ساعة ما أبتنيه في سنين، أو كما قال.

وروي عن عبدالله بن عمر[1] ﵄: «فضل العالم على العابد سبعين درجة، بين كل درجتين حضرُ الفرس سبعين عامًا، وذلك أن الشيطان يصنع البدعة، فيبصرها العالم، وينهى عنها، والعابدُ مقبلٌ على عبادة ربه، لا يتوجه لها، ولا يعرفها»[2].

قال المحقق ابن القيم: وهذا معناه صحيح، فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه، ويهدم ما يبنيه، فكلما أراد إحياءَ بدعة، وإماتةَ سنة، حال العالمُ بينه وبين ذلك، فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني[3] الأمة، ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم؛ ليتمكن من إفساد الدين، وإغواء الأمة، وأما العابد، فغايته أن يجاهد ليسلم منه في خاصة نفسه، وهيهات له ذلك![4].

وفي «مفتاح دار السعادة»: قال عمر ﵁: موت ألف عابد أهونُ من موت عالم بصيرٍ بحلال الله وحرامه[5]، قال: ووجه قول عمر: أن العالم

---

(١) في الأصل: «عبدالله بن عمرو بن العاص» بدل «عبدالله بن عمر»، والتصويب من مصدر التخريج و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٦٨ ـ ط دار ابن عفان).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٩)، والحديث المذكور رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢١٤٣).

(٣) في الأصل: «ظهران»، والمثبت من «مفتاح دار السعادة».

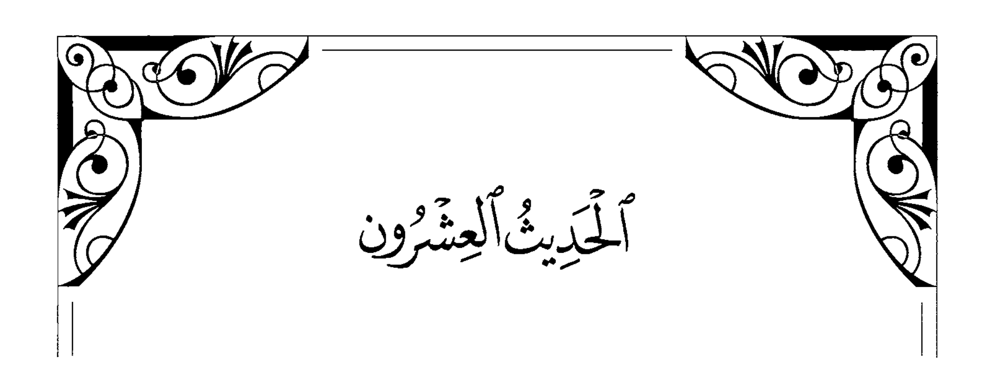
(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٩).

(٥) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٤٢) بنحوه.

يهدم على إبليس كلَّ ما يبنيه بعلمه وإرشـاده، والعابـد نفعُـه مقـصور علـى نفسه[1].

* * *

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ١٢١).



الحديث العشرون

٥٩٢ ـ عَن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أفضلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يتَعَلَّم المُسلم علمًا ثمَّ يُعلِّمُهُ أَخَاهُ المُسلم». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: أفضل الصدقة) التي يتصدق بها المسلم على أخيه **(أن يتعلم)** الشخص **(المسلم علمًا)** شرعيًّا، أو ما كان آلةً له من كل علم نافع، **(ثم يعلِّمه أخاه المسلم)**، فتعليم العلم لغيره صدقة منه عليه، وهو من أنفع أنواع الصدقة؛ لأن الانتفاع به فوق الانتفاع بالمال؛ لأن المال ينفد، والعلم باقٍ.

(رواه ابن ماجه)، قال الحافظ المنذري: إسناده حسن[2] من طريق الحسن عن أبي هريرة[3].

وروى الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه[4] والمتفقه» عن الحسن

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٣) من طريق الحسن البصري عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) في الأصل زيادة: «ورواه أيضًا»، والتصويب من «الترغيب والترهيب».

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٤).

(٤) في الأصل: «الفقه».

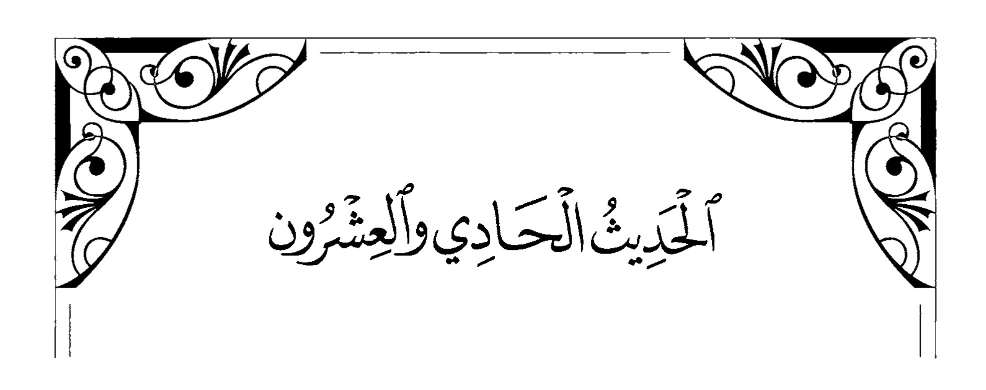
البصري رحمه الله تعالى: لأَنْ أتعلم بابًا من العلم، فأُعلِّمه مسلمًا، أحبُّ إليّ من أن تكون لي الدنيا كلّها [أجعلها] في سبيل الله[1].

وروي عن مكحول: ما عُبد الله بأفضلَ من الفقه[2].

* * *

(١) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٢)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١١٩).



الحديث الحادي والعشرون

٥٩٣ ـ عَن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعت رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «من دخلَ مَسْجِدي هَذَا لم يَأْته إِلَّا لخيرٍ يتعلَّمُه أَو يُعلِّمُهُ؛ فَهُوَ كالمُجَاهِد فِي سَبِيل الله، وَمن جَاءَ لغيرِ ذَلِك فَهُوَ كالذي ينظر إِلَى مَتَاع غَيره». أخرجه ابْن مَاجَه[1].

(عن أبي هريرة) أيضًا (ﷺ **قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: من دخلَ مسجدي هذا)**، وفي لفظ: «من جاء»[2] بدل «من دخل»، وقوله: **(هذا)** إشارة إلى المسجد النبوي، وفي لفظ: «من دخل مسجدنا هذا»[3]، **(لم يأته)** لشيء من الأشياء **(إلا لخيرٍ يتعلمه)** من العلماء، **(أو)** دخله لخير **(يعلِّمه)** غيرَه؛ بأن كان عالمًا، فيعلِّم الناسَ العلمَ النافع، **(فهو)**؛ أي: الذي دخل المسجد ليتعلَّم من غيره، أو ليعلِّم غيرَه **(كالمجاهد)**، وفي رواية: «فهو بمنزلة المجاهدين»[4]، **(في سبيل الله)** ﷻ لإعلاء كلمة الله.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٧).

(٢) وهي رواية ابن ماجه (٢٢٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٠).

(٤) رواه ابن ماجه (٢٢٧) بلفظ: «فهو بمنزلة المجاهد».

(ومن جاء)، وفي لفظ: «ومن دخله»[1]، **(لغير ذلك)**؛ أي: لغير أن يتعلم أو يعلم، **(فهو كالذي)**، وفي لفظ: «فهو بمنزلة الرجل»[2]، **(ينظر إلى متاع غيره)**، فلا يحصل له من نظره إلى متاع غيره فائدة، ولا تعود إدامة نظره إليه بعائدة، بل ربما حصل له الحسرة والأسف، والتأوُّه والتلهف.

(أخرجه ابن ماجه)، وكذا رواه أبو حاتم بنُ حبان في «صحيحه»، والبيهقي[3].

قال الحافظ المنذري: وليس في إسناده من تُرك، ولا أُجمع على ضعفه[4].

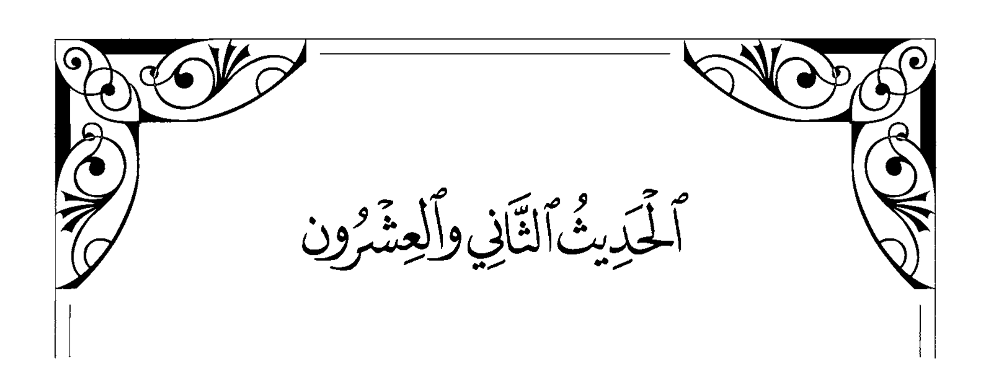
* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٧).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٩٨)، وتقدم تخريجه عند ابن ماجه.

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٦٠).



الحديث الثاني والعشرون

٥٩٤ ـ عَن أبي أُمَامَةَ ﷺ، عَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَن غَدا إِلَى الْمَسْجِد لَا يُرِيد إِلَّا أَن يتَعَلَّم خيرًا أَو يُعلِّمهُ؛ كَانَ لَهُ كَأَجر حَاجٍّ تَامًّا حجَّته»[1]، هَذَا إِسْنَاد على شَرط «صَحِيح مُسلم»، وَالله أعلم.

(**عن أبي أُمامةَ الباهليِّ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: من غدا**)؛ أي: خرج من بيته غدوةَ النهار، وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، والمراد: من ذهب في أول النهار (**إلى المسجد**): (ال) فيه للجنس؛ أي: لأي مسجد من المساجد، (**لا يريد**) بغدوّه ذلك (**إلا أن يتعلم خيرًا**)؛ من العلم النافع؛ من فقه وحديث وتفسير، وآلاتِ ذلك، (**أو**) كان عالمًا فغدا إلى المسجد لـ (**يعلِّمه**)؛ أي: الخير الذي هو العلم الشرعي للمحتاجين له من المسلمين، (**كان له**) من الأجر والثواب (**كأجر**) مسلم (**حاجٍّ**) إلى بيت الله تعالى، حالَ كونه (**تامًّا**)؛ أي: متممًا (**حجته**)، فالحال من الضمير في الفاعل الذي هو (حاجٍّ).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٣): رجاله موثقون كلهم.

رواه الطبراني في «معجمه الكبير» بإسناد لا بأس به، كذا قال المنذري[1].

ورواه الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في «المختارة»، وقال: **(هذا)** حديث صحيح **(إسناده على شرط صحيح)** أبي الحسين **(مسلم)** بن الحجاج[2].

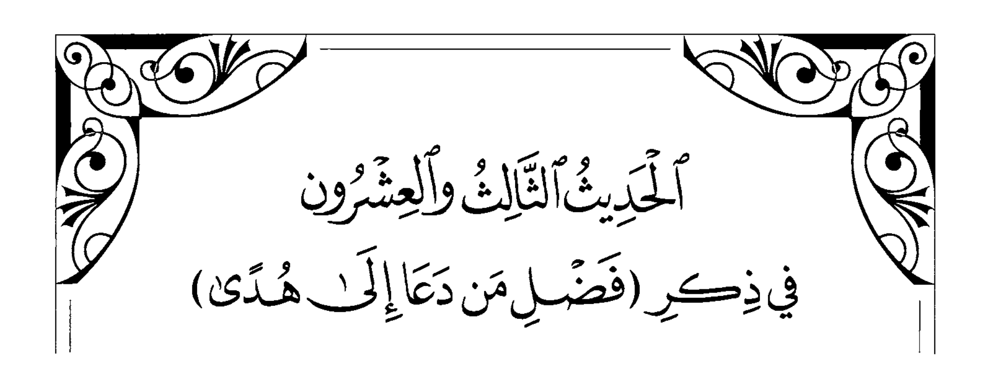
وفي «حِلْية أبي نُعيم» بإسناد ضعيف عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: «من غدا أو راح وهو في تعليم دينه، فهو في الجنة»[3]؛ أي: إن قصد به وجه الله، وعمل بعلمه.

* * *

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٩).

(٢) لم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٥١).



الحديث الثالث والعشرون
في ذكر (فضل من دعا إلى هدى)

٥٩٥ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن دَعَا إِلَى هدًى كَانَ لَهُ من الأجر مثلُ أُجور مَن تبعه، لا ينقُصُ ذلك من أُجُورهم شَيْئًا، وَمَن دَعَا إِلَى ضَلاَلَة كَانَ عَلَيْهِ من الإثْم مثلُ آثام مَن تبعه، لا ينقُصُ من آثامهم شَيْئًا». رَوَاهُ مُسلم[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من دعا إلى هدى)؛ أي: إلى ما يهتدى به من العلم النافع، والعمل الصالح، **(كان له)**؛ أي: للذي دعا الناس إلى هدى ليهتدوا به **(من الأجر)** والثواب على ذلك **(مثلُ أجور من تبعه)** على ما دعا إليه، وعمل بما أرشده ودلّه عليه؛ من العلم النافع، والعمل الصالح؛ لأن اتباعهم متولد عن فعله الذي هو من سنن المرسلين، **(لا ينقص)**: بضم التحتية وسكون النون وكسر القاف فصاد مهملة، ويجوز فتح النون وتشديد القاف، **(ذلك)**؛ أي: الأجر الذي آل إلى الداعي، وحازه بدعايته **(من أجورهم)**؛ أي: المتبعين له، والمهتدين بهديه، والمقتدين بعمله وكدّه، **(شيئًا)**: مفعول (يُنقص)، والفاعل اسم الإشارة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

ذكر ﷺ ذلك دفعًا لما عساه يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون بالتنقيص من أجر التابع، وضمه إلى أجر الداعي.

(ومن دعا إلى ضلالة) من بدعة سيئة ومعصية، **(كان عليه)**؛ أي: على الداعي إلى ذلك **(من الإثم مثلُ آثام مَنْ تبعه)**؛ لتولده عن فعله الذي هو من خصال الشيطان، والعبدُ يستحق العقوبة على السبب، وما تولد منه **(لا يُنقص)** ذلك **(من آثامهم شيئًا)**، فضمير الجمع في أجورهم وآثامهم يعود لـ (مَن) باعتبار المعنى.

(رواه مسلم) في «صحيحه»، ورواه الإمام أحمد، وأصحاب السنن الأربع[1].

قال في «مفتاح دار السعادة»: أخبر رسول الله ﷺ أن المتسبب إلى الهدى بدعوته له من الأجر مثلُ أجر من اهتدى به، والمتسبب إلى الضلالة بدعوته عليه مثلُ إثم من ضل به، لأن هذا بذلَ قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالتهم، فنزل كل منهما بمنزلة الفاعل التام.

وهذه قاعدة الشريعة كما هو مذكور في عدة مواضع، قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[النحل: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وهذا يدل أن من دعا الأمة إلى غير سنة رسول الله ﷺ، فهو عدوه

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجه (٢٠٦)، ولم نقف عليه عند النسائي.

حقًّا؛ لأنه قطع وصولَ أجر من اهتدى بسنته إليه، وهـذا من أعظم معاداتـه ـ نعوذ بالله من الخذلان ـ . انتهى[1].

وقال الإمام النووي في قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة. . . ومن سـن سنة سيئة»[2]، و«من دعا إلى هدى. . . ومن دعـا إلـى ضـلالة»[3]: هـذان الحديثان صريحان في الحثّ على استحباب مَنْ سن الأمور الحسنة، وتحـريمِ من سن الأمور السيئة، وأن مَن سن حسنة، كان له مثلُ أجر من يعمـل بهـا إلى يوم القيامة، ومَن سن سنة سيئة، كان عليه مثلُ وزر من يعمل بهـا إلـى يوم القيامة، وأن من دعا إلى هدى، كان له مثل أجور تابعيـه، أو ضـلالة، كان عليه مثلُ آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتـدأه، أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم، أو عبادة، أو أدب، أو غيـر ذلك. انتهى[4].

وفي «صحيح مسلم»، والنسائي، وابن ماجه، والترمـذي، وغيـرهم من حديث جرير ﷺ: «من سَنَّ في الإسلام سُنة حسنة، فله أجرُهـا وأجـرُ من عمل بها من بعدِه من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومـن سـنَّ فـي الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرُها، ووزرُ من عمل بها من غيـر أن يـنقص من أوزارهم شيء»[5].

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٦٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبدالله ﷺ.

(٣) وهو حديث الباب.

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٥) رواه مسلم (١٠١٧)، والنسائـي (٢٥٥٤)، وابن ماجـه (٢٠٣)، ولم نقـف =

وروى الإمام أحمد من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سَنَّ خيرًا، فاستُنّ به، كان له أجره، ومثلُ أجور مَنْ تبعه غير منتقص من أجورهم شيئًا، ومن سَنّ شرًّا، فاستُنَّ به، كان عليه وزرُه، ومثلُ أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئًا»، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[1].

ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ[2].

وفي حديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: «اعلم يا بلال»، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، كان له من الأجر مثلُ من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسولُه، كان عليه مثلُ آثام من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا»، رواه ابن ماجه، والترمذي وحسنه[3]، ويأتي هذا وما قبله في كلام المصنف[4].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا علّمه ونشره، وولدًا صالحًا

= عليه عند الترمذي.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٠٤).

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٠)، والترمذي (٢٦٧٧).

(٤) سيأتي حديث جرير بن عبدالله ﷺ برقم (٥٩٦)، وحديث عمرو بن كعب ﷺ برقم (٥٩٧).

تركه، ومصحفًا وَرَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابنِ السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موته». رواه ابن ماجه بإسناد حسن، والبيهقي[1].

وروى ابن خزيمة في «صحيحه» مثلَه، إلا أنه قال: «أو نهرًا أكراه». وقال: يعني: حفره[2]، ولم يذكر المصحف[3].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ أيضًا ـ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[4].

وفي ابن ماجه حديث أبي قتادة مرفوعًا نحوه[5].

* * *

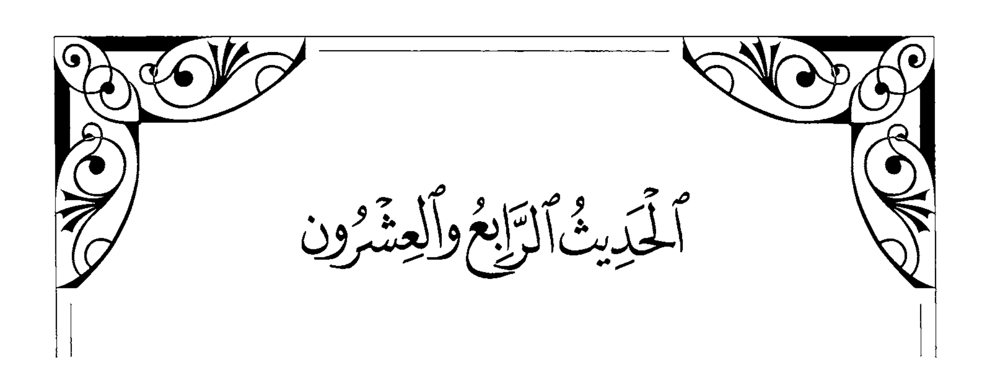
(١) رواه ابن ماجه (٢٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٤٨).

(٢) في الأصل: «حفرها»، والتصويب من «صحيح ابن خزيمة».

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٩٠).

(٤) رواه مسلم (١٦٣١).

(٥) رواه ابن ماجه (٢٤١).



الحديث الرابع والعشرون

٥٩٦ ـ عَن جرير بن عبدالله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن سنَّ سُنَّةَ خيرٍ فَاتُّبع عَلَيْهَا؛ فَلَهُ أجره، وَمثل أُجور مَن اتَّبعهُ غير مَنْقُوصٍ من أُجُورهم شَيْئًا، وَمَن سنّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتُّبع عَلَيْهَا؛ كَانَ عَلَيْهِ وزره، وَمثلُ أوزار من اتَّبعهُ غير مَنْقُوصٍ من أوزارهم شَيْئا»، رَوَاهُ مُسلم بِمَعْنَاهُ[1].

(**عن جريرِ بنِ عبدِالله**) البجليِّ (ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل صيام الأيام البيض)، (**قال: قال رسول الله ﷺ: من سن**)؛ أي: مهد وبَيَّن (**سنة**)؛ أي: خَصلةَ (**خير**)، وأمرًا من أمور الشريعة، حسنًا؛ أي: صالحًا مقبولًا مندوبًا إلى فعله، ومرغوبًا في فضله، ومن ثم قال: (خير) بالجر بإضافة (سنة) إليه، (**فاتُّبع**) بضم التاء الفوقية المشددة وكسر الموحدة مبنيًّا للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على مَن سنَّ، (**عليها**)؛ أي: على سنة الخير التي استَنَّها، (**فله**)؛ أي: المستن (**أجرُه**)؛ أي: أجر عمله الذي عمله، (**و**) له (**مثل أجور مَنْ**)؛ أي: كل مؤمن (**اتبعه**) على سلوك طريقه

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

المحمودة، وأفعاله المشروعة المعهودة (**غيرَ منقوص من أجورهم**)؛ أي: أجور المتبعين لمَن سنَّ سنة الخير (**شيئًا**)، وفي لفظ: «من غير أن ينقص من أجورهم شيء»[1]؛ كما تقدم قريبًا.

(**ومن سنَّ سُنَّة شرٍّ**) بالإضافة، (**فاتُّبع**): بضم الفوقية المشددة وكسر الموحدة، ونائب الفاعل ضمير يعود على مَن سنَّ، (**عليها**): على خصلة الشر التي ابتدعها، أو فعلَها، (**كان عليه**)؛ أي: على مستن الشرِّ (**وزرُه**)؛ أي: إثمه وجرمُه، وأصل الوِزْر: الحمل الثقيل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم؛ كما في «النهاية»[2]؛ أي: عليه إثم فعله تامًّا، (**و**) عليه أيضًا (**مثلُ أوزارهم**)؛ أي: ذنوب الأتباع على أفعالهم السيئة (**شيئًا**).

(**رواه مسلم بمعناه**)، وسببه كما في «صحيح مسلم»، والنسائي، وابن ماجه: عن جرير قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاء قوم عراة مجتابي النِّمار ـ أي: لابسيها، والنمار: جمع نمرة: كساء من صوف مخطط، قد خرقوها في رؤوسهم، والجوب: القطع ـ أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، فتمعَّر وجهُ رسول الله ﷺ... الحديث[3]، وتقدم في (فضائل الصدقات)[4].

---

(١) وهي رواية مسلم (١٠١٧).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ١٧٨).

(٣) رواه النسائي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (٢٠٣)، وتقدم تخريج الحديث عند مسلم.

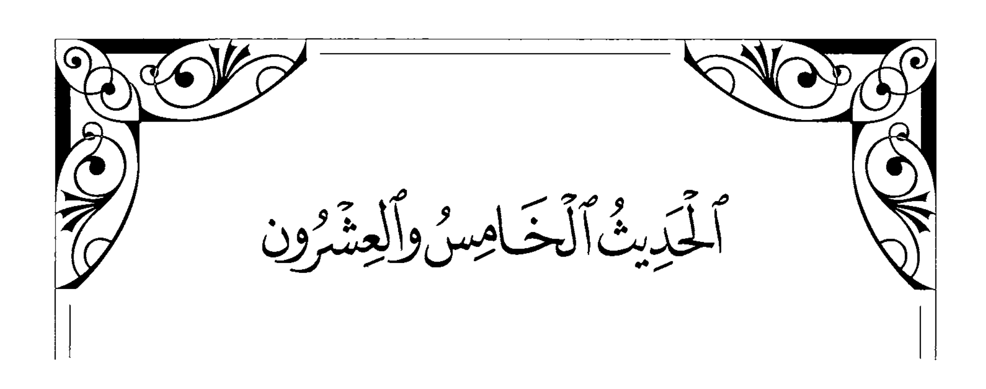
(٤) تقدم الحديث برقم (٢٩٧).

تمعر ـ بالعين المهملة المشددة ـ : أي : تغير .

ورواه الترمذي مختصر القصة[١] .

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٥) .



الحديث الخامس والعشرون

٥٩٧ ـ عَن عَمْرو بـن عَـوْف ﵁ أَن النَّبِـيَّ ﷺ قَـالَ لِـبلاَلِ بـنِ الحَارِث: «اعْلَم أَنه مَن أَحْيَا سُنَّة من سنتي قد أُميتت بعدي كَانَ لَهُ من الأُجر مثلُ مَن عمل بهَا، من غير أَن ينقص من أُجُورهم شَـيءٌ، ومَـن ابتدع بِدعَةَ ضَلاَلَةٍ لَا يرضاها اللهُ وَرَسُولُه كَانَ عَلَيْهِ مثلُ آثام مَـن عمـل بهَا، لَا ينقص من أوزار النَّاس شَيْئًا». رَوَاهُ ابْن مَاجَه وَالتِّرْمِـذِيّ وَقَـالَ: حَدِيث حسن(١).

(عن عمرِو بنِ عوفٍ) الأنصاري حليفٍ لبني عـامرِ بـنِ لـؤيّ، شـهد بدرًا.

قال ابن إسحاق: هو مولى سُهيل بن عمرٍو العامري، سكن المدينة، ولا عقب له(٢).

(﵁: **أن النبي ﷺ قال لبلالِ بنِ الحارثِ)** هو أبو عبد الرحمن بـلالُ ابنُ الحارث بنِ عُصْم ـ بضم العين وسكون الصاد المهملتين ـ ابن سعيد بن

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٩)، والترمذي (٢٦٧٧).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٦١٦).

قرة المزني، مديني، وفد على النبي ﷺ في وفد مزينة سنة خمس من الهجرة، سكن بالأشعر وراء المدينة، وكان أحدَ من يحمل ألوية مُزينة يوم الفتح.

روى عنه: ابنه الحارث، وعلقمة بن وقاص.

مات رضي الله عنه سنة ستين، وله ثمانون سنة[١].

قال له النبي ﷺ: «(اعلم) يا بلال»، قال: ما أعلم يا رسول الله؟[٢]، قال: (**إنه**)؛ أي: الشأن والأمر (**مَنْ أحيا سنة**) حسنة مندوبًا إليها، ومحثوثًا عليها (**من سُنتي**)، ويروى بالجمع: «من سنني»[٣]: جمع سنة؛ أي: من شريعتي وملتي، وطريقتي التي بعثت بها وبينتها لأمتي وأوضحتها، والحال أنها (**قد أميتت**) بترك العمل بها والمحافظة عليها، وإهمالها وعدم الاعتناء بها (**بعدي**) تنازعه كل واحد من (أحيا) و(أميتت)، (**كان له**)؛ أي: لمن أحيا سنة من سنتي بعدما أُميتت بعد وفاتي وانتقالي من دار الدنيا إلى الدرجات العالية والنعيم المقيم (**من الأجر**)؛ أي: الثواب (**مثلُ من عمل بها**) من حينِ إحيائها والعملِ بها ما دامت معمولًا بها إلى يوم القيامة (**من غير أن يَنْقُص**) بفتح التحتية وسكون النون وضم القاف مخففة (**من أجورهم**)؛ أي: العاملين بها (**شيء**) بالرفع فاعل (ينقص)، (**ومن ابتدعَ**) في دين الإسلام (**بدعةَ ضلالةٍ**): بإضافة (بدعة) إلى (ضلالة)، خرج ما لو كانت بدعةً مباحة، أو مستحبة؛ كبناء المدارس، أو واجبة كتدوين ما لا بد

---

(١) المرجع السابق (١٢/ ٢١٤).

(٢) وهي رواية الترمذي (٢٦٧٧).

(٣) أورده ابن قيم الجوزية في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥٧)، ولم نقف عليه مسندًا.

منه من نحو الفقه وتفسير القرآن، وتصنيف نحو كتب الحديث وما أشبهَ ذلك.

بل ابتدع بدعةَ ضلالة (**لا يرضاها الله**) ﷻ، ولا يحبها هو تعالى، (**و**) لا (**رسوله**) من نحو: ضرب المكوس، وكلٍّ ما يستقبحه الشرع.

قال العلامة شهاب الدين أبو محمد عبدُ الرحمن أبو شامة في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»: قد غلب لفظُ (البِدعة) على الحدَثِ المكروه في الدين، مهما أطلق هذا اللفظ، ومثله لفظُ (المبتدع)، لا يكاد يُستعمل إلا في الذم[1].

وقال أهل اللغة: البدعة: الحدَث في الدين بعد الإكمال، وهو ما لم يكن في عصر النبي ﷺ مما فعله، أو أقرّ عليه، أو عُلم من قواعد شريعته الإذنُ فيه، وعدمُ النكير عليه، وفي معنى ذلك: ما كان في عصر الصحابة ﷺ مما أجمعوا عليه قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، وكذا ما اختلفوا فيه؛ فإن اختلافهم رحمة، مهما كان للاجتهاد فيه مساغ، وليس لغيرهم إلا الاتباع دون الابتداع.

ثم إن الحوادث منقسمة إلى: بدع مستحسنة، وإلى بدع مستقبحة.

قال الإمام الشافعي: البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السُّنةَ، فهو محمود، وما خالف السنة، فهو مذموم، واحتجّ بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في رمضان: نِعْمَتِ البدعةُ[2].

---

(١) انظر: «الباعث على إنكار البدع» لأبي شامة (ص: ٢٠).

(٢) نقله أبو شامة في «الباعث على إنكار البدع» (ص: ٢٣)، والخبر المذكور رواه البخاري (٢٠١٠).

وقال الربيع: قال الشافعي: المحدَثات من الأمور ضربان:

أحدهما: ما أُحدِث يخالف كتابًا، أو أثرًا، أو إجماعًا، فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: ما أُحدِث من الخير، لا خلافَ فيه لواحدٍ من هذا، فهي محدَثة غيرُ مذمومة(١).

قال العلامة أبو شامة، وقبله العلامة الطرطوشي المالكي في كتابه «ذم البدع»: البدعُ الحسنةُ متفق على جواز فعلها، والاستحباب لها، ورجاء الثواب لمن حسنتْ نيته فيها، وهي كل مُبْتَدَعٍ موافق لقواعد الشريعة، غير مخالف لشيء منها، ولا يلزم من فعله محذور شرعي؛ كبناء المنابر، والربطُ والمدارس، وخانات السبيل، وغير ذلك من أنواع البِرّ التي لم تعهَد في الصدر الأول؛ فإنه موافق لما جاءت به الشريعة؛ من اصطناع المعروف، والمعاونة على البر والتقوى.

قالا: ومما يعد ـ أيضًا ـ من البدع الحسنة: التصانيف في جميع العلوم النافعة الشرعية على اختلاف فنونها، وتقرير قواعدها، وتقسيمها وتقريرها وتعليمها، وكثرة التفريعات، وفرض المسائل التي لم تقع، وتحقيق الأجوبة فيها، وتفسير الكتاب العزيز، والأخبار النبوية، والكلام على الأسانيد والمتون، وتتبع كلام العرب نثرِه ونظمِه، وتدوين كل ذلك، واستخراج علوم جمة منه؛ كالنحو والمعاني والبيان والأوزان، فذلك كله وما شاكَلَه معلومٌ حسنُه، ظاهر فائدتُه، معينٌ على معرفة أحكام الله تعالى،

---

(١) انظر: «مناقب الإمام الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٦٩).

وفهم معاني كتابه، وسنة رسوله ﷺ، وكل ذلك مأمور به، ولا يلزم من فعله محذور شرعي.

وأما البدع المستقبحة، فهي كل ما كان مخالفًا للشريعة، أو مستلزمًا لمخالفتها، وذلك منقسم إلى: محرم، ومكروه، ويختلف ذلك باختلاف الوقائع، وبحسب ما بِهِ من مخالفة الشريعة، فتارة ينتهي ذلك إلى ما يوجب التحريم، وتارة لا يتجاوز صفة كراهة التنزيه.

قالا: وكل فقيه موفق يتمكن ـ بعون الله تعالى ـ من التمييز بين القسمين.

ثم هذه البدع المحدَثات المستقبحة تنقسم قسمين:

قسم تعرف العامة والخاصة أنه بدعة محدَثة، إما محرمة، وإما مكروهة.

وقسم يظنه معظمهم ـ إلا من عُصم ـ عباداتٍ وقُربات وطاعات وسننًا[1].

وذكرا من قسم البدع التي ربما تخفى على بعض الناس دون أهل العلم والخواص: ما يفعله طوائف من المنتمين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان؛ من مؤاخاة النساء الأجانب، والخلوة بهن، واعتقادهم في مشايخَ لهم ضالِّين مضلِّين، يأكلون في نهار رمضان من غير عذر، ويتركون الصلاة، ويخامرون النجاسات غيرَ مكترثين لذلك، فهم داخلون

(١) انظر: «الحوادث والبدع» للطرطوشي (ص: ٢١)، و«الباعث على إنكار البدع» لأبي شامة (ص: ٢٣ ـ ٢٥).

تحت قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[الشورى: ٢١].

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عُباد الأصنام وغيرها[١].

ثم ذكر أبو شامة من ذلك سرج[٢] مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بهذا أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية، وذكر من ذلك شيئًا كثيرًا[٣].

فكل من ابتدع شيئًا من البدع المضلة التي لا يرضاها الله ﷻ، ولا رسوله ﷺ **(كان عليه)** إثمُ بدعته، وعليه **(مثلُ آثام)** وذنوب وخطايا **(مَنْ عمل بها)**؛ أي: بتلك البدع والحوادث، **(لا يُنقص)**: بضم التحتية وسكون النون، أو فتحها وتشديد القاف مكسورة، **(ذلك)**؛ أي: ما صار على المبتدع وتحمله من إثم ابتداعه وإثم اتباعِه **(من أوزار)**؛ أي: ذنوب وآثام **(الناس)** العاملين بالبدع، المتبعين لمن ابتدع **(شيئًا)**، لا جزئيًا، ولا كليًا، بل على العامل بالبدعة المضِلَّة إثمه كاملًا، وعلى المبتدع إثم العامل كاملًا، لا ينفع أحدًا منهما ما تطوق الآخر، ولا تحمله من الذنوب والأوزار.

(رواه)؛ أي: حديث عمرِو بنِ عوفٍ المشروحَ الإمامُ محمد **(ابن**

---

(١) انظر: «الباعث على إنكار البدع» لأبي شامة (ص: ٢٥).

(٢) في «الأصل: «شرج»، والتصويب من «الباعث على إنكار البدع».

(٣) المرجع السابق (ص: ٢٧).

ماجه)، وأبو عيسى **(الترمذي، وقال)** الترمذي: **(حديث حسن)**[1].

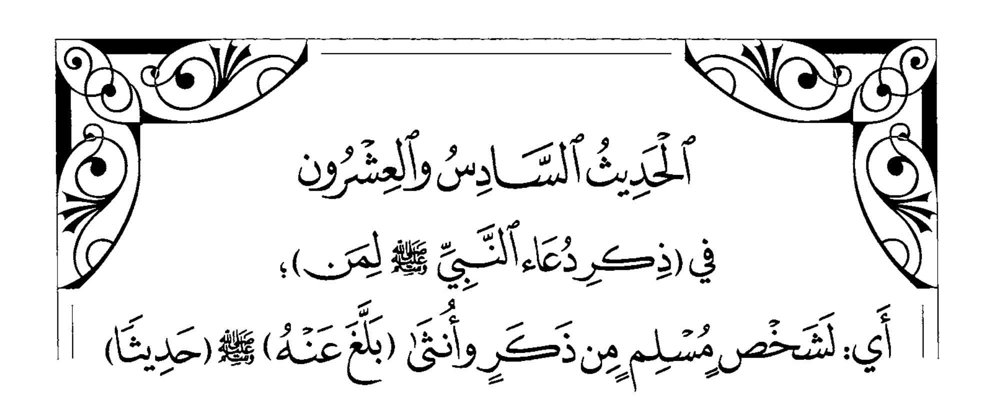
قال الحافظ المنذري: رواياه كلاهما من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، وكثيرُ بنُ عبدالله متروكٌ واهٍ، ولكن للحديث شواهد. انتهى[2].

يعني: إنما ساغ لأبي عيسى الترمذي تحسينهُ لكثرة شواهده، وتباين مخارجه.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٤٧).



الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُون

فِي (ذِكْرِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَن)، أَي: لِشَخْصٍ مُسْلِمٍ مِن ذَكَرٍ وأُنثَىٰ (بَلَّغَ عَنهُ) ﷺ (حَدِيثًا)

من أحاديثه المرفوعة إليه؛ من أقواله وتقريراته، وكذا أوصافه الشريفة، وأخلاقه المرفوعة المنيفة ﷺ.

٥٩٨ ـ عَن زيدِ بنِ ثَابتٍ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: «نضَّرَ الله امْرأً سمعَ منَّا حَدِيثًا فحفظَه حَتَّى يُبلِّغَهُ غَيرَه، فَرُبَّ حَامِل فقهٍ إِلَى مَن هُوَ أفقهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فقهٍ لَيْسَ بفقيه». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَالتِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن[1].

(**عن**) أبي سعيد، وقيل: أبو خارجة، وقيل: أبو عبد الرحمن (**زيدِ ابنِ ثابتٍ**) الأنصاريِّ الفَرَضيِّ (ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل صلاة النافلة)، (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نَضَّرَ الله امرأ**): النَّضْرَةُ: هي البهجة والحسن والرونق، يتعدى ولا يتعدى، وقد روي بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها، والمعنى: خصه الله بالبهجة والسرور؛ لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا، ونعّمه في الآخرة حتى

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٨٤٧)، والترمذي (٢٦٥٦).

يُرى عليه رونقُ الرضا وأثر النعمة.

والمرء ـ بتثليث الميم ـ : الإنسان، أو الرجل، ولا يجمع من لفظه، أو سمع: مَرْؤُون[1]، وحركة راء امرئ تبعٌ لحركة إعرابه.

(سمع منا حديثًا)، وفي رواية: «سمع مقالتي فوعاها وحفظها»[2]، وفي هذه الرواية التي ذكرها المصنف رحمه الله: **(فحفظه)**؛ أي: الحديث الذي سمعه **(حتى بلَّغه)**؛ أي: أوصله **(غيرَه)** من طلبة العلم، وعلَّمه إياه، وحَفَّظه له، وفي الرواية الأخرى: «حفظها، وبلغها»[3]، **(فربَّ)** شخص، (ربَّ) هنا للتكثير، **(حاملِ فقهٍ)** من حديثٍ من أحاديث النبي ﷺ متضمنٍ لمسائل فقيه قد فهم من مقالة النبي ﷺ حكمًا، أو حكمين من الفقه، فإذا بلغه **(إلى من)**؛ أي: شخص ذي فهم ثاقب، ورأي صائب **(هو)**؛ أي: المبلَّغ بفتح اللام: اسم مفعول، **(أفقهُ)**؛ أي: أفهم وأعلم **(منه)**؛ أي: من المبلِّغ بكسر اللام: اسم فاعل، **(وربَّ)** شخصٍ **(حاملِ فقه)**؛ أي: **حافظه**، ومتقن حفظه، والحال أنه **(ليس)** هو **(بفقيه)**، إنما يحفظ ألفاظه، ولا يدرك ما في ضمنه من الأحكام والحكم، والفوائد والعوائد.

(رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وقال) الترمذي: **(حديث حسن)**، ورواه الحافظ المصنف في «المختارة»، وصححه[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مرأ).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) لم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة»، وقد تقدم تخريج الحديث عند أبي داود والنسائي والترمذي.

قال في «مفتاح دار السعادة»: روى هذا الأصلَ عن النبي ﷺ ابنُ مسعود[1]، ومعاذُ بنُ جَبل[2]، وأبو الدرداء[3]، وجُبير بن مُطعم[4]، وأنس ابن مالك[5]، وزيد بن ثابت[6]، والنعمان بن بشير[7].

قال الترمذي: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح، وحديث زيد بن ثابت حديث حسن[8].

وأخرج الحاكم في «صحيحه» حديثَ جبير، والنعمان بن بشير، وقال في حديث جبير: على شرط البخاري ومسلم[9].

قال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: لو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحدَه، لكفى به شرفًا، فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم:

أولها: سماعه: فإذا سمعه ووعاه بقلبه؛ أي: عقله، واستقرّ بقلبه

---

(١) سيأتي الحديث برقم (٥٩٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٧٨١).

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (٢٣٠).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٩٤).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٥).

(٦) وهو حديث الباب.

(٧) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٩٧).

(٨) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٣٣ ـ ٣٤).

(٩) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧١)، والحديثان المشار إليهما تقدم تخريجهما.

كما يستقر الشيء الذي يُوعى في وعائه لا يخرج منه.

[ثانيها][1]: وكذلك عقله: هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوهما حتى لا يشرد ويذهب، ولهذا كان الوعي والعقل قدرًا زائدًا على مجرد إدراك العلوم.

المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب.

المرتبة الرابعة: تبليغه وبثُّه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، فما لم يبلغ ويبث في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض، الذي لا ينفق منه، وهو معرض لذهابه؛ فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلَّم، فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أنفق منه، نما وزكا على الإنفاق، فمن قام بهذه المراتب الأربع، دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن.

فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يُكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن به، وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يجمع سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[الإنسان: ١١]، فالنضرة في وجوههم، والسرور في قلوبهم.

فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه؛ كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[المطففين: ٢٤].

والمقصود: أن هذه النضرة في وجه مَن سمع سُنة رسول الله ﷺ،

---

(١) في «مفتاح دار السعادة»: «أولها وثانيها: سماعه وعقله».

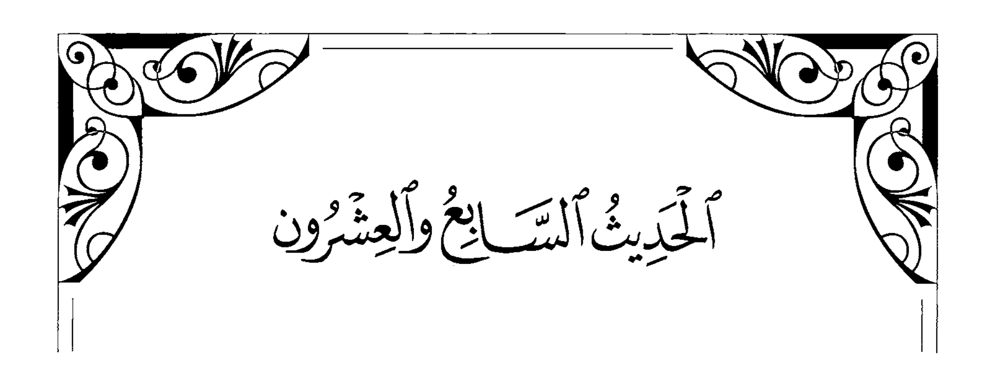
ووعاها وحفظها، وبلغها هي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور والذي في قلبه وباطنه.

وقال: في قوله ﷺ: (رب حامل فقه إلى مَن هو أفقهُ منه): تنبيهٌ على فائدة التبليغ، وأن المبلَّغ قد يكون أفهمَ من المبلِّغ، فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلِّغ، أو يكون المعنى: أن المبلَّغ قد يكون أفقه من المبلِّغ، فإذا سمع تلك المقالة، حملها على أحسن وجوهها، واستنبط فقهها، وعلم المراد منها. انتهى[1].

ولفظ الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهو:

* * *

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧١ ـ ٧٢).



الحديث السابع والعشرون

من أحاديث الباب:

٥٩٩ ـ عَن عبدالله بن مَسْعُود ﷺ قَالَ: سَمِعتُ النبيَّ ﷺ يَقُول: «نضَّرَ الله امْرأً سمع منَّا شَيْئًا فبَلَّغَهُ كَمَا سَمعه، فَرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع». رَوَاهُ ابْن مَاجَه وَالتِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث صَحِيح[(١)].

وَقد روى هَذَا الحَدِيث جمَاعَةٌ من الصَّحَابَة ﷺ.

(قال: سمعت النبيَّ)، وفي لفظ: «رسولَ الله»[(٢)]، **(ﷺ يقول: نَضَّر الله امرأً سمع منا شيئًا، فبلَّغه كما سمعه، فربّ مبلغ أوعى من سامع. رواه أبو داود**[(٣)]**، والترمذي، وقال)** الترمذي: **(حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه)**، إلا أنه قال: «رحم الله امرأ»[(٤)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٢)، والترمذي (٢٦٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٣٦).

(٣) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦١)، وعزاه لأبي داود، ولم نقف عليه في «السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث، وإنما رواه الترمذي (٢٦٥٧) من طريق أبي داود الطيالسي.

(٤) رواية ابن ماجه (٢٣٢): «نضر الله امرأ»، ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨)=

قال الحافظ المصنف رحمه الله، ورضي عنه: **(وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة ﷺ)** كما أشرنا إليه سابقًا في كلام صاحب «مفتاح دار السعادة»[1]، منهم: أنس رضي الله عنه.

ولفظ حديث أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخيف من منى، فقال: «نضر الله امرأ سمع مقالتي، فحفظها ووعاها، وبلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقهُ منه...» الحديث، رواه الطبراني في «الأوسط»[2].

ولفظ حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بالخيف خَيْفِ منى: «نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها، وبلغها من لم يسمعها، فربّ حاملِ فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقهُ منه، ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن دعوتهم تحفظ مَنْ وراءهم»، رواه الإمام أحمد في «المسند»، وابن ماجه، والطبراني في «الكبير» مختصرًا ومطولًا، إلا أنه قال: «يحيط» بياء بعد الحاء، رووه كلهم عن محمد بن إسحاق، عن عبد السلام، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه[3].

= بلفظ: «رحم الله من سمع مني...» الحديث.

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٤٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٩): وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٨٠)، وابن ماجه (٢٣١، ٣٠٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٤١، ١٥٤٢).

وله عند الإمام أحمد طريق عن صالح بن كيسان عن الزهري[1].

قال الحافظ المنذري: وإسناد هذه حسن[2].

وروى حديث زيد بن ثابت ﷺ ابنُ حبان، وزاد على ما ذكر المصنف رحمه الله: «ثلاثة لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الدنيا نيته، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»، ورواه البيهقي بتقديم وتأخير[3].

قال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: قوله ﷺ: «ثلاثة لا يغلُّ عليهن قلبُ مسلم. . .إلخ»؛ أي: لا يحمل الغل، ويبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنها تنفي الغل والغش، وهو فساد القلب وسخائمه، فالمخلص لله إخلاصُه يمنع غلَّ قلبه، ويخرجه ويزيله جملة؛ لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه، فلم يبق فيه موضع للغل والغش؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فلما أخلص لربه، صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، فانصرف عنه السوء والفحشاء.

---

(١) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٦٢)، ولم نقف عليه عند الإمام أحمد، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٤٤).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٦٢).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٣٦).

ولهذا لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص، استثناهم من شرطته التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[ص: ٨٢ـ٨٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[الحجر: ٤٢]، فالإخلاص هو سبيل الخلاص، والإسلامُ مركب السلامة، والإيمانُ خاتم الأمان.

وقوله ﷺ: (ومناصحة أئمة المسلمين): هذا ـ أيضًا ـ منافٍ للغل؛ إذ هي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة، فقد برئ من الغل.

وقوله: (لزوم جماعتهم): هذا ـ أيضًا ـ مما يطهر القلب من الغل والغش؛ فإن صاحبه للزومه جماعةَ المسلمين يحب لهم ما يحبّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوءُه ما يسوءُهم، ويسر بما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم؛ كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ فإن قلوبهم ممتلئة غلًّا وغشًّا، ولهذا تجد الرافضة أبعدَ الناس من الإخلاص، وأغشَّهم للأئمة والأمة، وأشدَّهم بعدًا عن جماعة المسلمين، فهؤلاء أشدُّ غِلًّا وغِشًّا بشهادة الرسول والأمة عليهم، وشهادتهم على أنفسهم بذلك؛ فإنهم لا يكونون قَطُّ إلا أعواناً وظَهرًا على أهل الإسلام، فأيُّ عدو قام للمسلمين، كانوا أعوانَ ذلك العدو وبطانَتَه، وهذا أمر قد شاهدتْه الأمة منهم، ومَنْ لم يشاهده، فقد سمع منه ما يُصِمُّ الآذان، ويُشْجِي القلوب[١].

وقوله: (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم): قال في «مفتاح دار السعادة»:

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٧٢ ـ ٧٣).

هذا من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى، شبه دعوة المسلمين بالسور والسياج المحيط بهم، المانع من دخول عدوهم عليهم، فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام ـ وهم داخلوها ـ لما كانت سورًا وسياجًا عليهم؛ أخبر أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام كما أحاطت بهم، فالدعوة تجمع شمل الأمة، وتلُمُّ شَعَثها، وتحيط بها، فمن دخل في جماعتها؛ أحاطت به وشملته[1].

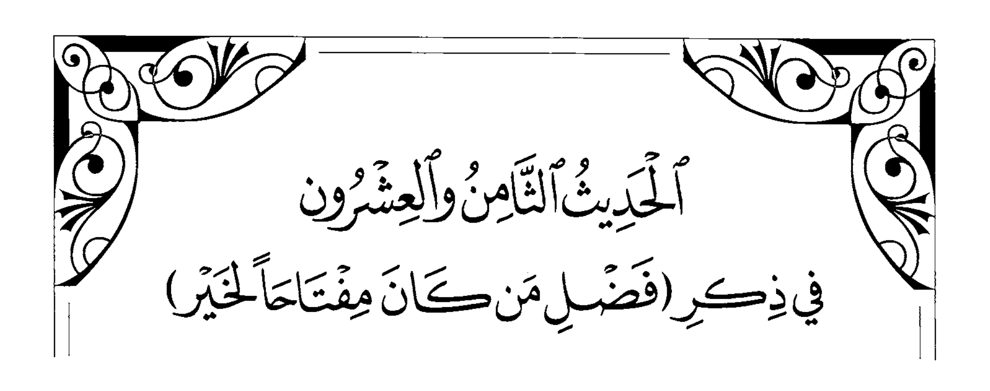
وللحافظ السيوطي مشيرًا لما في ضمن هذه الأحاديث من النضرة قوله:

مَنْ كان من أهل الحديث فإنه
ذو نضرة في وجهه نورٌ سَطَعْ

إن النبيَّ دعا بنضرةِ وجهِ مَنْ
أَدَّى الحديثَ كما تحمل واتبع

* * *

(١) المرجع السابق (١/ ٧٣).



الحديث الثامن والعشرون
في ذكر (فضل من كان مفتاحاً للخير)

٦٠٠ ـ عَن أنسِ بنِ مَالك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ من النَّاس مَفَاتِيحَ للخير مغاليقَ للشَّرِّ، وَإِنَّ من النَّاس مَفَاتِيحَ للشَّرِّ مغاليقَ للخير، فطُوبى لمَن جعلَ الله مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ على يَدَيْهِ، وويلٌ لمَن جعل الله مَفَاتِيحَ الشَّرِّ على يَدَيْهِ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه[1].

(عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن من الناس) من بني آدم ناسًا؛ كما هو ثابت في أصل الحديث، **(مفاتيحَ للخير)**: هذه استعارة للإنسان؛ للسببية بكونه يتوصّل به لفتح أبواب الخير، فكما يتوصَّل بالمفاتيح إلى فتح الأبواب المغلقة على ما فيها من أنواع الخيرات والسعادات؛ من نحو العلوم والأنساب الصالحة، والأموال الرابحة، كذلك من الناس ناسٌ يتوصَّل بهم إلى إدراك مطالبهم من العلوم النافعة، والفهوم الناصعة، والسمت الحسن، والأدب المستحسن، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وهم مع أنهم مفاتيح للخير **(مغاليقُ)**: جمع مِغْلاق، وهو ما يُغلَق به الباب؛ كالمغلوق، وكمنبر.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٧).

والمفاتيح: جمع مِفتاح، ومِفْتح، وهو في الأصل كلُّ ما يتوصّل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذَّر الوصولُ إليها، وكلُّ من كان في يده مفاتيح شيء مخزون، سَهُل عليه الوصولُ إليه.

فالناس منهم ما هم مفاتيح الخير (**مغاليق للشر**)، تُفتح بسببهم أبواب الخيرات والمسرات، والعلوم والمعارف، من كل ما هو خير، وعاقبتُه إلى خير، ويُسد ويُغلق بسببهم كلُّ شر وضَيْر، وهمّ وحزن، وما عاقبتُه ذلك، (**وإن من الناس**) ناسًا (**مفاتيحَ للشر، مغاليق للخير**)، على الضدّ ممن قبلهم، (**فطوبى لمن**)؛ أي: لشخص مسلم (**جعل الله تعالى مفاتيحَ**) أبواب (**الخير على يديه**)، وبسببه.

قال في «النهاية»: وطوبى: اسمُ الجنة، وقيل: هي شجرة فيها، وأصلها فُعْلى من الطيب، فلما ضُمَّت الطاء، انقلبت الياء واوًا، وقد تكررت في الأحاديث: «طوبى للشام؛ لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها»[1]، فالمراد بها هاهنا: فُعلى من الطيب، لا الجنة، ولا الشجرة[2].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «طوبى شجرة في الجنة مسيرة مئة عام، ثيابُ أهل الجنة تخرج من أكمامها»[3]، إسناده صحيح.

---

(١) رواه الترمذي (٣٩٥٤) من حديث زيد بن ثابت ﷺ، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٤١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤١٣).

وقد ورد في ذلك عدة أحاديث.

(وويل لمن جعل الله) ﷻ **(مفاتيحَ الشر على يديه)**: الويل: الحزن والهلاك، والمشقة من العذاب، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء في نحو قوله تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾؛ أي: يا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احضرْ، فهذا وقتُك وأوانُك، فكأنه نادى الويل يحضره.

وفي «فتح الباري»: قد قيل: إن أصل ويل: وَيْ، وهي كلمة تأوه، فلما كثر قولهم: وَيْ لفلان؛ وصلوها باللام وقدروها أنها منها، فأعربوها.

وعن الأصمعي: ويل: للتقبيح على المخاطب فعله.

وقال الراغب: ويل: قبوح، وقد يستعمل بمعنى التحسر، وويح: ترحم، وويس: استصغار.

وأما ما ورد: ويلٌ: وادٍ في جهنم؛ فلم يرد أنه معناه في اللغة، وإنما أراد من قيل ذلك فيه، فقد استحق مقرًّا من النار، وأكثرُ أهل اللغة على أن ويل: كلمة عذاب، وويح: كلمة رحمة.

وفي حديث عن أم المؤمنين عائشة الصدّيقة ﵂: أن النبي ﷺ قال لها في قصة: «لا تجزعي من الويح؛ فإنه كلمة رحمة، ولكن اجزعي من الويل»، أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» بسند واهٍ، وهو آخر حديث فيه[1].

(رواه)؛ أي: حديثَ أنس المشروحَ أبو عبدالله بن يزيد **(ابن ماجه)**

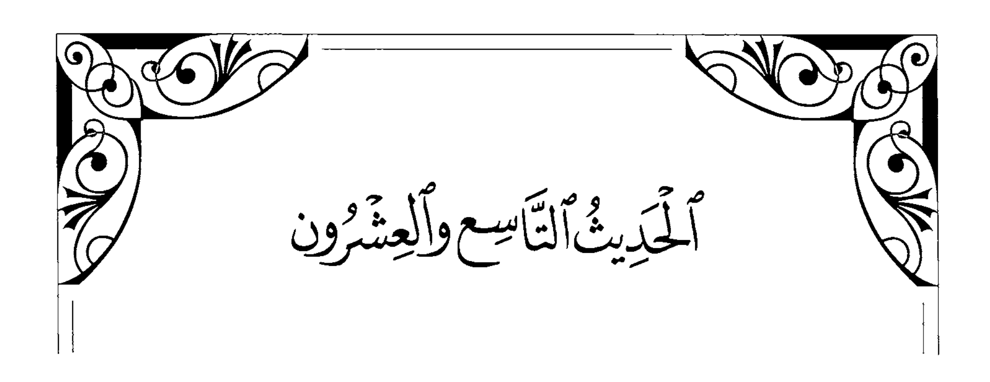
---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٥٣)، والحديث المذكور رواه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٨٠٩).

بإسناد ضعيف[1]، لكن له جابر، وهو:

* * *

(١) تقدم تخريجه.



الحديث التاسع والعشرون

٦٠١ ـ عَن سهل بن سعد ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَـذَا الخَيْرَ خَزَائِنُ، لِتِلْكَ الخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّـهُ مِفْتَاحًـا لِلْخَيْرِ، مِغْلاَقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَـهُ اللَّـهُ مِفْتَاحًـا لِلـشَّرِّ، مِغْلاَقًـا للخَيْرِ». رواه ابن ماجه أيضًا[1].

(عن سهلِ بنِ سعدٍ) الساعديِّ (ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الخير)** من الأقوال والأفعال ونحوها **(خـزائن)**؛ أي: أمكنـة يحـرز فيهـا، وأوعيـة تحفظـه، **(لتلـك الخـزائن مفـاتيحُ)** تفتحهـا، وتزيـل مغالقهـا، **(فطوبى)**: الجنةُ التي فيها شجرة طوبى، أو الشجرة، أو الطيب من القول، والجزاء الحسن الطيب في العقبى، **(لعبد)** مسلم من عبيدالله تعالى **(جعلـه الله)** ﷻ **(مفتاحًا)** موصِلًا **(لـ)** فعـل **(الخيـر)** وأقوالـه، فينـصر الـضعيف، ويقضي حاجة مَن لم يقدر على قضائها عند نحو حاكمٍ وعالم وأميـر، وذي معروف من أهل الإحسان والفضل والامتنان، فيوصل مـن لـم يقـدر علـى الوصول، ويرفع قصة من لم يقدر على رفعها.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٨).

وطوبى لعبد من عباد الله ـ جل وعلا ـ جعله الله تعالى **(مغلاقًا للشر)**؛ من العسف والظلم ونحو ذلك؛ بأن يراد أذيةُ مسلم وظلمُه وعقوبته في نفسٍ أو مال ونحوهما، فيشفع عند من أراد ذلك، ويقيم معاذير الضعيف، ويكف الاعتداء عنه، ويكون سبب الصفح وعدم أخذ نحوِ المال ظلمًا منه.

(وويل)؛ أي: قبحٌ وعذاب وشرّ منزلة في العقبى والمآل **(لعبد)** خبيثِ الطبع، فاسدِ السيرة، قبيح الصنع، منحرفِ السريرة، **(جعله الله)** ﷻ بحسب ما جبله عليه، وأركز في سريرته ما يليق به، ويجعل لديه من كونه **(مفتاحًا للشر)** اللائق بطبعه الخبيث **(مغلاقًا للخير)**؛ لما لديه وعنده وفي جبلته وسجيته من الحقد والحسد، والظلم والأذى، والمكر والاعتداء ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾[الأعراف: ٥٨].

(رواه) الإمام محمد **(ابن ماجه أيضًا)**، وهذا يعضد ما قبله، ويجبر وهنه.

وروى ابن ماجه ـ أيضًا ـ بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من ستر عورةَ أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»(١).

وروى الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن لله خلقًا خَلَقَهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٣٤).

ورواه أبو الشيخ ابنُ حيان في كتاب «الثواب» من حديث الجهم بن عثمان، عن جعفرٍ الصادقِ، عن أبيه محمدٍ الباقر، عن جدِّه[1].

ورواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» عن الحسن مرسلًا[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إن لله أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها، نزَعها منهم، فحولها إلى غيرهم»[3].

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: ولو قيل بتحسين سنده، لكان ممكنًا[4].

وروى الطبراني بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة، فأسبغها عليه، ثم جعل حوائج الناس إليه، فتبرم، فقد[5] عَرَّضَ تلك النعمةَ للزوال»[6].

---

(١) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٦٢) بالسند المذكور.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٠٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٦٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٣): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه محمد بن حسان السمتي؛ وثقه ابن معين وغيره، وفيه لين، ولكن شيخه أبو عثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي. ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٦٣).

(٥) في هامش الأصل: «لعله: إلا وقد».

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٥٢٩)، وقال المنذري في «الترغيب=

وروى الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وابن حبان في «صحيحه»، كلاهما من رواية إبراهيم بن هشام الغساني، عن أم المؤمنين عائشة الصدّيقة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بِرّ، أو تيسير عسيرٍ، أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام»[1].

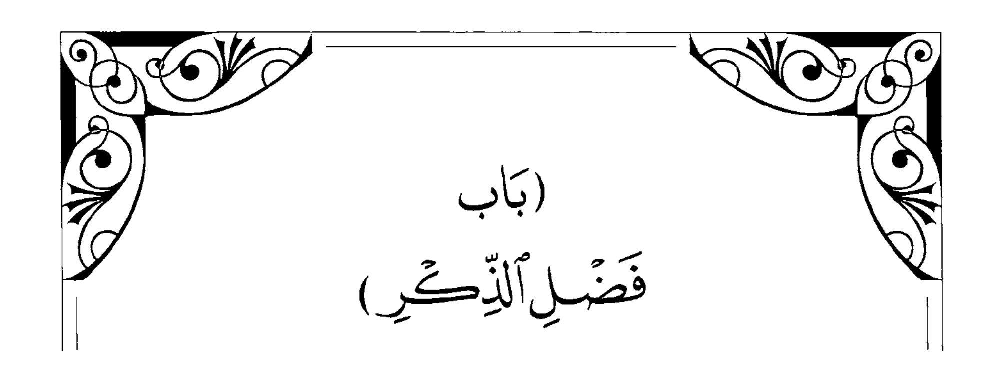
ورواه الطبراني ـ أيضًا ـ في «الكبير» و«الأوسط» من حديث أبي الدرداء ﵁، ولفظهُ: قال رسول الله ﷺ: «من كان وصلة لأخيه إلى ذي سلطان في مبلغ برّ، أو إدخال سرور، رفعه الله في الدرجات العلى من الجنة»[2]. والله أعلم.

❐❐❐

= والترهيب» (٣/ ٢٦٤): إسناد جيد.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٥٧٧)، و«المعجم الصغير» (٤٥١)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٣٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩١): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير»، وفيه إبراهيم بن هشام، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره. ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٧٧)، ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».



(بَاب فَضْلِ ٱلذِّكْرِ)

أي: ذكر الله ﷻ.

(قال الله عز من قائل: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٤١].

وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[الأحزاب: ٣٥]؛ أي: كثيرًا.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة: ٢٠٠].

فقيد الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفةَ عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله، كانت عليه، لا له، وكان خسرانه فيها أعظم ممّا ربح في غفلته عن الله.

وقد قال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله كذا كذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حصّله.

وذكر البيهقي عن أم المؤمنين عائشة ﵂، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من

ساعة تمرّ بابن آدم لم يذكر الله فيها، إلا تحسَّر عليها يوم القيامة»[1].

وذُكر عن معاذ ﷺ يرفعه: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله ﷻ فيها»[2].

وعن أُم حَبيبة ﷺ زوجِ النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «كلام ابن آدم كلُّه عليه لا له، إلا أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكرًا لله ﷻ»[3].

واعلم أن الذكر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب ﷻ وصفاته، والثناء عليه بها، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به.

وهذا ـ أيضًا ـ نوعان:

أحدهما: إنشاءُ الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع المقصود هاهنا من نحو: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وأفضل هذا النوع أجمعُه للثناء وأعمُّه.

والنوع الثاني: الخبر عن الربّ تعالى بأحكام أسمائه وصفاته؛ نحو قولك: الله ﷻ يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم.

وأفضلُ هذا النوع الثناءُ عليه بما أثنى هو تعالى به على نفسه، وبما أثنى

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١١) وقال: وفي هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٢، ٥١٣).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٤).

عليه رسولُه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف.

وهذا النوع ـ أيضًا ـ على ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد.

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله، مع محبته والرضا عنه، فلا يكون المحبُّ الساكت حامدًا، ولا المثني بلا محبة حامدًا، حتى يجتمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئًا بعد شيء، كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك، كان مجدًا.

وقد جمع الله لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة، «فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: مجدني عبدي»[1].

النوع الثاني من الذكر: ذكر أمره تعالى ونهيه وأحكامه، وهذا نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأحبَّ كذا، وسخط كذا، ورضي كذا.

والثاني: ذكره عند أمره، فيبادر إليه، وعند نهيه، فيبعد عنه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر.

فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذكر، فذكرهُ أفضلُ الذكر وأجلُّه وأعظمه؛ كما في «الكلم الطيب والعمل الصالح» للمحقق ابن القيم قدس الله

---

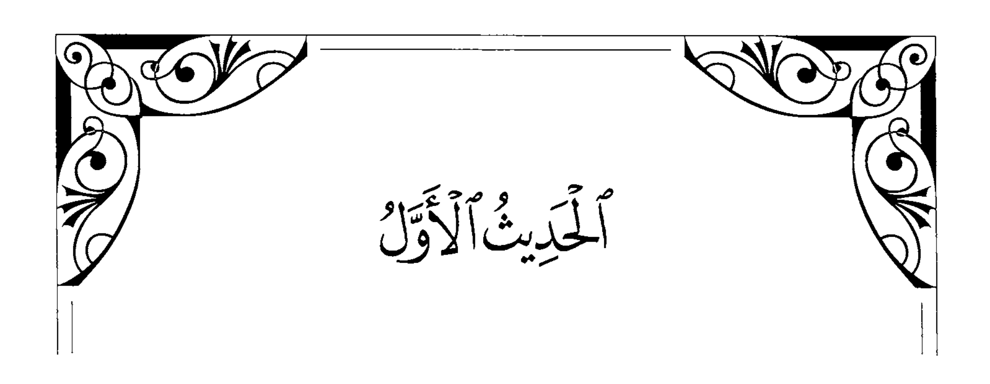
(١) رواه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

روحه ونور ضريحه[1]، آمين.

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ في هـذا البـاب تسعة أحاديث:

* * *

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٨ ـ ١٢٠).



الحديث الأول

٦٠٢ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يقُول الله ﷻ: أَنا عِنْد ظنِّ عَبدِي بِي، وَأَنا مَعَه حِين يـذكرنِي، إِن ذَكرنِـي فِـي نفـسه ذكرتُه فِي نفَسِي، وَإِن ذَكرنِي فِي مَلأ ذكرتُه فِي مَـلأ خيـر مِـنْهُم، وَإِن تقرَّب إِلَيَّ شبْرًا تقرَّبتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِن تقرَّب إِلَيَّ ذِرَاعًـا تقرَّبـتُ إِلَيْـهِ باعًا، وَإِن أَتَانِي يمشي أَتَيْته هرولة»، أخرجه البُخَـارِيُّ وَمُـسلمٌ، هَـذَا لَفظه[1].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **قال: قـال رسـول الله ﷺ: يقول الله ﷻ)**، ومثل هذا يسمى: قدسيًا، وهي التي يرويهـا النبـي ﷺ عـن ربه ﷻ: **(أنا عند ظن عبدي)** المؤمنِ بي وبرسلي، **(بي)**؛ أي: أعامله على حسب ظنه، وأفعل به ما يتوقعه مني.

والمراد: الحث على تغليب الرجاء على الخوف، وحسن الظن بـالله تعالى.

ويجوز أن يفسر الظن هنا بالعلم، والمعنى: أنا عند يقينه بي، وعلمه

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥/ ٢).

بأن مصيره إليّ، وحسابه عليّ، وأن ما قضيت له من خير وشر فلا مرد له، فلا معطيَ لما منعتُ، ولا مانعَ لما أعطيت.

يعني: إذا تمكن العبد في مقام التوحيد، ورسخ الإيمان والوثوق بالله تعالى، قرب منه، ورفع دونه الحجاب؛ بحيث إذا دعاه أجاب، وإذا سأله استجاب.

(وأنا معه حين يذكرني)؛ فإن الله ﷻ قريب ممن ذكره، وهو معه، وهذه المعية معيةٌ خاصة بالذاكرين الله ربَّ العالمين غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية قرب وولاية، ومحبة ونصرة، وحفظ وتوفيق؛ كقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾[النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، و﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]، فلِلذاكر الله ﷻ من هذه المعية نصيب وافر.

وفي حديث إلهي: «أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه»، ويأتي في كلام المصنف[1].

وفي أثر آخر إلهي: أهلُ ذكري أهلُ مجالستي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أُقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم؛ فإني أحب التوابين، وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم؛ بأن أبتليهم بالمصائب؛ لأطهرهم من المعايب[2].

---

(١) سيأتي الحديث برقم (٦٠٩).

(٢) أورده ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٨٦) بلا إسناد، ولم نقف عليه مسندًا.

قال المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب»: المعية الحاصلة للذاكر معيةٌ لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي، وهي معية لا تدركها العبارة، ولا تنالها الصفة، وإنما تُعْلَم بالذوق، وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبدَ فيها تمييزٌ بين القديم والمحدَث، بين الربِّ والعبد، بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، وإلَّا، وقع في حلول يضاهي به النصارى، أو اتحادٍ يضاهي به القائلين بوحدة الوجود، وأن وجود الرب تعالى عينُ وجود هذه الموجودات، بل ليس عندهم ربٌّ وعبد، ولا خلق وحَقّ، بل عندهم الربُّ هو العبد، والعبد هو الرب، والخلق المشبه هو الحق المنزه، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

والمقصود: أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة، وإلا، فإذا استولى عليه سلطان الذكر، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه، وَلَجَ بابَ الحلول والاتحاد ولا بدّ. انتهى[1].

(إن ذكرني) عبدي **(في نفسه)** من غير أن يكون في ملأ، ولا جمع من الناس، بل سرًّا وخفية إخلاصًا، وتجنبًا من الرياء؛ بحيث يُسمع نفسَه فقط، **(ذكرته)** أنا **(في نفسي)**؛ أي: أمرت بثوابه على منوال عمله، فأتولى بنفسي إثابته، فلا أَكِلُه إلى أحد من خلقي، **(وإن ذكرني)** عبدي **(في ملأ)** من الناس، **(ذكرته في ملأ خيرٍ منهم)**؛ أي: في ملأ من الملائكة المقربين، ومع أرواح المرسلين، والمراد منه: مجازاة العبد بأحسنَ مما فعله، وأفضلَ مما جاء به.

---

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ٩٣ ـ ٩٤).

قال الطيبي: وإنما قيد بأرواح المرسلين؛ لئلا يستدل بهذا الحديث على أن الملائكة أفضلُ من البشر، على أن المراد من الملأ: الملائكة فحسب[1].

(وإن تقرب) عبدي **(مني شبرًا، تقربت إليه ذراعًا)**: قال في «جامع الأصول»: المراد بقرب العبد من الله: القرب بالذكر والعمل الصالح، لا قرب الذات والمكان؛ فإن ذلك من صفات الأجسام، والله ﷻ يتعالى عن ذلك ويتقدس.

والمراد بقرب الله من العبد: قرب نعمه وألطافه منه، وبرّه وإحسانه إليه، وفيض مواهبه ومكارمه عليه، وترادف مننه ومنحه لديه[2].

وقال النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات، ويستحيل إرادةُ ظاهره. ومعناه: من تقرب إليَّ بطاعتي، تقربت إليه برحمتي، وكلما زاد زدت[3].

ومن ثم قال: **(وإن تقرب إليّ ذراعًا، تقربت منه باعًا)**، وهذه الأشياء من الشبر والذراع والباع مجاز عمن تقرب إليه تعالى بالطاعات أنه يثيبه عليها بجزاء عمله، وزيادات، وذكر تحديد المسافة تمثيل للمعقول بالمحسوس.

فالشبر ـ بكسر الشين المعجمة ـ: ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، مذكر، والجمع أشبار.

---

(١) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٥/ ١٧٢٣).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٧٧).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٣).

والذراع ـ بالكسر ـ : من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، والجمع أذرُع، وذُرعان ـ بالضم ـ .

والباع: قدر مدّ اليدين، كالبَوْع، ويضم، والجمع أبواع.

(وإن أتاني) عبدي **(يمشي)**، يقال: سرت مشيًا، ومشوًا: إذا سار في مشيه على هنياته، **(أتيته)** مُقبلًا عليه، ومُثِيبًا له، ومُسديًا إحساني إليه **(هرولة)**، وهي ما بين المشي والعَدْو، أو بعد العَنَق ـ بفتح العين المهملة ـ والإسراع في المشي، وهو كناية عن سرعة إجابة الله تعالى دعوته، وقبول توبته، وأن يسدي إليه لطفه ورحمته.

فمن اجتهد في التقرب إلى الله ﷻ بالطاعة، وأقبل عليه بالإخلاص، رقاه إلى درجة الإحسان، ورادف عليه المنن والمنح والقرب منه، حتى كأنه يراه، فيمتلئ من معرفته، ويبتهج بمحبته، ويخضع لعظمته، ويخشع لمهابته وإجلاله، فهو ما بين الإجلال والخوف والمهابة، والأنس به والشوق إليه والفرح به، كأنه مشاهد له بعينِ البصيرة. وبالله التوفيق.

(أخرجه البخاري، ومسلم، وهذا لفظه)؛ أي: لفظ مسلم، ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه[1].

ورواه الإمام أحمد بنحوه بإسناد حسن، وزاد في آخره: قال قتادة: والله أسرع بالمغفرة[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٣٠)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

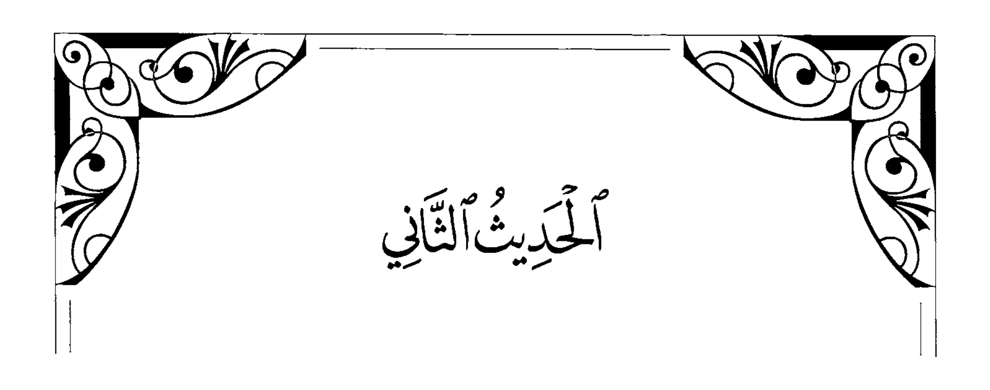
وروى الطبراني بإسناد حسن عن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله جل ذكره: لا يذكرني عبد في نفسه، إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ، إلا ذكرته في الملأ الأعلى»[1].

وروى البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم! إذا ذكرتني خاليًا، ذكرتك خاليًا، وإذا ذكرتني في ملأ، ذكرتك في ملأ خيرٍ من الذين ذكرتني فيهم»[2].

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٨٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨): إسناده حسن.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٥١٣٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨): رجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي، وهو ثقة.



الحديث الثاني

٦٠٣ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضْلًا يَبتغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تفرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ»، قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونكَ وَيُكَبِّرُونكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَي رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟، قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ وأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا»، قَالَ: «فَيَقُولُونَ: رَبِّ! فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: وَلَهُ قَد غفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». أَخْرَجَاهُ،

وَهَذَا لفظ مُسلم[١].

(عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: إن لله عز وجل ملائكةً سيارةً) في الأرض، وفي لفظ: «سياحون في الأرض، فضلًا عن كُتّاب الناس، يطوفون في الطرق»[٢]، **(يبتغون)**؛ أي: يطلبون، وفي لفظ: «يلتمسون»[٣]، **(مجالس الذكر)**، وفي رواية: «يلتمسون أهل الذكر»[٤]، **(فإذا وجدوا مجلسًا فيه)**؛ أي: في ذلك المجلس **(ذكرٌ لله)** عز وجل، وفي رواية: «فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى، تنادَوا ـ أي: نادى بعضهم بعضًا ـ: هَلُمُّوا إلى حاجتكم»[٥]، فـ **(قعدوا معهم، وحف بعضُهم بعضًا)**.

قال في «المطالع»: «حفوا دونهما[٦] بالسلاح»[٧]، و«حفت بهم الملائكة»[٨]، المعنى: أحدقوا بهم، وصاروا أحفتهم؛ أي: جوانبهم[٩].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٩).

(٤) رواه البخاري (٦٤٠٨).

(٥) انظر التعليق السابق.

(٦) في الأصل: «دونها»، والتصويب من «مطالع الأنوار»، وقال محققه في تعليقته: في جميع النسخ: «دونها»، والمثبت من «المشارق»، «الصحيح».

(٧) في الأصل: «السلام»، والتصويب من «مطالع الأنوار». والحديث المذكور رواه البخاري (٣٩١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٨) رواه الترمذي (٣٣٧٨) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٩) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٣٣٦).

وفـي «القـاموس»: ﴿حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾[الزمـر: ٧٥]: محـدقين بأحفته: جوانبه، وفيه: ﴿وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ﴾[الكهف: ٣٢]: جعلنا النخل مطبقـة[١] بأحفتهما[٢].

(بأجنحتها)؛ أي: أجنحة الملائكة الكرام **(حتى يملؤوا)**؛ أي: الملائكـة **(ما بينهم)**؛ أي: من مساحة مجلسهم الذي جلسوه صعوداً، **(و)** مـا **(بـين السماء الدنيا)** من السماوات السبع، وهي المطلة على الأرض، وفـي روايـة: «فتحفهم بأجنحتها إلى السماء الدنيا»[٣].

وتقدم أن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة، وتظله بأجنحتها، فيركـب بعضها بعضًا حتى تبلغ السماء الدنيا؛ من حبهم لما يطلب، كذا في الـسنن والمسانيد من حديث صفوان بن عسَّال[٤].

فإذا **(تفرقوا)**؛ أي: أهلُ الذكر من القوم الـذين جلـسوا يـذكرون الله تعالى من مجلسهم ذلك، **(عرجوا)**؛ أي: الملائكة السيارة عليهم السلام، وقوله: **(وصعدوا)** عطفُ تفسير؛ لأن الصعود والعروج بمعنى واحد.

قال في «النهاية»: العروج: الصعود، يقال: عرج يعرج عُروجًا، وقد تكرر في الحديث[٥].

---

(١) كذا في الأصل، وفي «القاموس المحيط»: «مطيفة».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حفف).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣١).

(٤) تقدم الحديث برقم (٥٧٧).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٠٣).

وقال في «النهاية» أيضًا: يقال: صعد إلى فوق صعودًا: إذا طلع، والصُّعُد بضمتين: جمع صُعود، وهو خلاف الهبوط، وبفتحتين: خلاف الصبب[1].

والصبب: الانحدار، وفي صفته ﷺ: إذا مشى كأنه ينحطُّ في صَبَب[2]؛ أي: في موضعٍ منحِدر.

وفي لفظ: كأنه يهوي من صبوب[3]، يروى بالفتح والضم، فالفتح: اسم لما يصب على الإنسان من ماء وغيره؛ كالطَّهور والغَسول، والضمُّ جمع صبب[4].

وقوله: (**السماء**) بالنصب، تنازعه كل واحد من (عرجوا)، و(صعدوا).

(**قال**) النبي ﷺ: (**فسألهم الله تعالى، وهو أعلم**) من كل عليم، وأعلمُ منهم بأنفسهم وبأفعالهم، فيقول لهم: (**من أين جئتم**)؛ أي: من أي مكان؟

قال في «القاموس»: وأين: سؤال عن مكان[5].

(**فيقولون: جئنا**) يا ربنا (**من عند عبادٍ لك**) حالَ كونهم مستقرين (**في الأرض يسبحونك**)؛ أي: ينزهونك عما لا يليق بجلال عظمتك

---

(1) المرجع السابق (٣/ ٣٠).

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٢٧)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (٧)، من حديث علي رضي الله عنه.

(3) رواه أبو داود (٤٨٦٤) من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه.

(4) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٠).

(5) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: أين).

وكبريائك، فيقولون: سبحان ربِّنا وتقدَّس، **(ويكبرونك)**، فيقولون: الله أكبرُ من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، **(ويهللونك)** فيقولون: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، **(ويحمدونك)** فيقولون: الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، **(ويسألونك، قال)**: فيقول الله ﷻ: **(وما يسألوني)**؛ أي: عبادي الذاكرين لي؟ **(قالوا)**؛ أي: الملائكة الكرام عليهم السلام: **(يسألونك)** أن تُدخلهم جنتك التي جعلتها لعبادك الصالحين، وجعلت فيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، التي هي محلّ رضاك، ومستقر أوليائك، **(قال: وهل رأوا جنتي)** حتى يسألوني إياها؟ **(قالوا)**؛ أي: الملائكة: **(لا أيْ ربّ)** ما رأوها، ولكن أخبروا بها على ألسنة رسلك وأنبيائك، فاشتاقوا إليها، وسألوك إياها، **(قال: فكيف لو رأوا جنتي)**، وما أعددت لعبادي الصالحين فيها من النعيم المقيم، والعز والرفعة والتكريم؛ فإن الخبر ليس كالعيان؟ فيقولون: لو رأوها، كانوا عليها أشدّ حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظمَ فيها رغبة، **(قالوا: ويستجيرونك)**؛ أي: يطلبون منك أن تجيرهم، **(قال)** الله ﷻ: **(ومما يستجيرون)**، وفي رواية: «مم يتعوذون؟»[1]، قال: **(قالوا: من نارك)** التي وقودها الناس والحجارة **(يا رب)**، وفي لفظ: «قالوا[2]: يقولون: من النار»[3]، **(قال)**، وفي لفظ: «فيقول»[4]: **(وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا)**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصل، في «صحيح البخاري»: «قال».

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٢١)، وفي «صحيح البخاري» (١٤٠٨): «يقول».

ما رأوها، ولكن أخبرهم بها رسلك وأنبياؤك، وأهلُ العلم، فخافوها وأشفقوا منها، **(قال)**، وفي لفظ: «فيقول»[1]: **(فكيف لو رأوا ناري؟)**، فيقولون: لو رأوها كانوا أشدّ منها فرارًا، وأشد لها مخافة، **(قالوا)**؛ أي: الملائكة الكرام: **(ويستغفرونك)**؛ أي: يطلبون منك أن تغفر لهم ذنوبهم، **(قال: فيقول)** الله ﷻ: **(قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا)** من الجنة ونعيمها، **(وأجرتهم مما استجاروا)** من النار وجحيمها، **(قال: يقولون: ربّ! فيهم فلان عبدٌ خَطّاء)**؛ أي: كثير الذنوب والأوزار والخطايا، ليس هو منهم، **(إنما مر)**، فرآهم يذكرونك، **(فجلس معهم، قال: فيقول الله)** ﷻ: **(وله)**؛ أي: لذلك العبد الخطاء **(قد غفرت)** الخطايا والأوزار، والذنوبَ الكبار، **(هم)**؛ أي: أهل الذكر **(القومُ)** الذين يُعتدّ بهم، ويسعد بقربهم، **(لا يشقى بهم جليسُهم)**، بل يسعد ويفوز بغفران الذنوب، والعفو والرضوان.

(أخرجاه)؛ أي: البخاري ومسلم، **(وهذا لفظ مسلم)**، ولفظ البخاري: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهلَ الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، تنادَوْا: هَلُموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء»، قال: «فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم، قال: ما يقول عبادي؟»، قال: «يقولون: يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك ويمجدونك»، قال: «فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا واللهِ ما رأوك»، قال: «فيقول: كيف لو رأوني؟» قال:

---

(١) انظر التعليق السابق.

«فيقولون: لو رأوك، كانوا لك أشد عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا»، قال: «فيقول: فما يسألوني؟» قال: «يقولون: يسألونك الجنة»، قال: «فيقول: وهل رأوها؟» قال: «يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو أنهم رأوها، كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟» قال: «يقولون[1]: من النار»، قال: «فيقول: وهل رأوها؟» قال: «فيقولون: لا والله ما رأوها»، قال: «فيقول: فكيف لو رأوها؟» قال: «يقولون: لو رأوها، كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة». قال: «فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم»، قال: «يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة»، قال: «فيقول: هم القوم لا يشقى جليسهم بهم»[2].

ورواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان، وأبو نعيم في «الحلية»، وغيرهم[3].

قال في «الكلم الطيب»: فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جلوسهم، فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم: ٣١]، فهكذا المؤمن مبارك أين حلّ، والفاجر مشؤوم أين حل، فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالسُ الغفلة مجالس الشياطين، وكل ينضاف إلى

(١) في الأصل: «يتعوذون»، والمثبت من «صحيح البخاري».

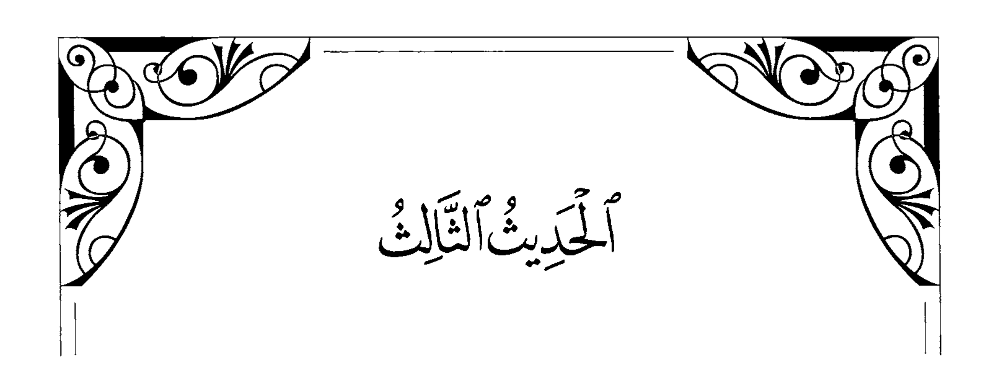
(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥١)، والترمذي (٣٦٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٥٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١١٧).

شكله وشبهه، فكل امرئ يَصْبُو إلى ما يناسبه[1].

* * *

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٠١).



ٱلْحَدِيثُ ٱلثَّالِثُ

٦٠٤ ـ عَن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَـالَ: كَـانَ رَسُـولُ الله ﷺ يـسير فِـي طَرِيق مَكَّة، فَمر على جبل يُقَال لَـهُ: جُمْـدَان، فَقَـالَ: «سِـيرُوا هَـذَا جُمْدَان، سَبَقَ المُفردون» قَالُوا: وَمَا المفردون يَـا رَسُـول الله؟ قَـالَ: «الذاكرون الله كثيرًا وَالذَّاكِرَات»، أخرجه مُسلم[1].

(**عن أبي هريرة**) أيضًا (ﷺ، **قال: كان رسولُ الله ﷺ يسير في طريق مكة**) المشرفة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا، (**فمر**) في سيره ذلك (**على جبل**) من الجبال (**يقال له: جُمْدان**) بضم الجيم وسكون الميم فدال مهملة فألف فنون، وصَحَّفَه يزيدُ بنُ هارون بالنون بدل الميم، وصَحَّفَه بعض رواة مسلم، فقال: حمران بالحاء والراء المهملتين[2].

وهو منزل من منازل أسلم بين قُدَيْد وعُسْفان، (**فقال**) النبي ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم: (**سيروا**): أمرٌ من السير، وهو الذهاب كالمسير، يقال: سار يسير، وساره غيرُه، وأساره، وسار به، وسَيَّره، (**هذا جمدان، سبق المفردون**): بضم الميم وفتح الفاء وتشديد الراء، وتخفف.

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ١٩٥).

قال النووي: والمشهور التشديد[1]؛ أي: المعتزلون عن الناس. انتهى.

كذا هو في جميع الكتب التي وقفنا عليها.

وأما قول العلقمي في حاشيته على «الجامع الصغير»: قال في «النهاية»: وفي رواية: (المفردين) سهو؛ فإن عبارة «النهاية» فيه: «سبق المفردون»، وفي رواية: «طوبى للمفردين»، قيل: وما المفردون؟ قال: «الذين أُهْتِروا في ذكر الله»[2]؛ كما قال هنا.

(قالوا)؛ أي: من كان معهم، الخطابُ من الصحابة رضي الله عنهم: **(وما المفردون يا رسول الله؟ قال ﷺ)**: المفردون **(الذاكرون الله)** عز وجل **(كثيرًا والذاكراتُ)** الله كثيرًا.

قال في «النهاية»: يقال: فرد برأيه، وأفرد، وفرّد، واستفرد بمعنى: انفرد به، وقيل: فرد الرجل: إذا تفقه واعتزل الناس، وخلا بمراعاة الأمر والنهي.

وقيل: هم الهرمى الذين هلك أقرانهم من الناس، وبقوا يذكرون الله[3].

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٤).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٤٢٥)، والحديث المذكور أورده ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٢١)، وقال: يرويه محمد بن بشر عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وفيه: «سبق المفردون» بدل «طوبى المفردون».

(٣) المرجع السابق (٣/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).

(رواه مسلم) في «صحيحه»، وهذا لفظه[1].

ورواه الترمذي، ولفظه: قالوا: يا رسول الله! وما المفردون؟ قال: «المستهترون بذكر الله تعالى، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافًا»[2].

المستهترون ـ بفتح التاءين المثناتين فوق ـ: هم المولعون بالذكر، المداومون عليه، لا يبالون ما قيل فيهم، ولا ما فعل بهم.

يقال: أهتر فلان بكذا، واستهتر، فهو مُهتر به، ومستهتر؛ أي: مولَع به، لا يتحدث بغيره، ولا يفعل غيره.

وقال: أراد بقوله: (أُهتروا في ذكر الله تعالى)؛ كما في بعض ألفاظ الرواية: كبروا في طاعته، وهلك أقرانهم، مأخوذ من قولهم: أهتر الرجل، فهو مهتر: إذا أسقط في كلامه من الكبر[3].

قال في «القاموس»: أُهْتِر ـ بالضم ـ فهو مُهْتَر: أُولعَ بالقول في الشيء، وهتره الكبر يهتره، والمستهتَرُ بالشيء ـ بالفتح ـ: المولَع به، لا يبالي بما فعِل فيه، وشتم له[4].

وقال في «الكلم الطيب»: قالوا: «وما المفردون؟» قال: «الذين أُهْتِروا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هتر).

في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أوزارهم»[1].

أُهْتُروا ـ بضم الهمزة وسكون الهاء وضم الفوقية ـ بالشيء، وفيه: أولعوا به، ولزموه، وجعلوه دأبهم.

قال: وفي بعض ألفاظ الحديث: «المستهترون بذكر الله»، ومعناه: الذين أولعوا به، قال: وفيه تفسير آخر[2]: أُهْتُروا في ذكر الله: كبروا، وهلك أقرانهم وهم في ذكر الله.

يقال: أهتر الرجل، فهو مهتر: إذا أسقط في كلامه من الكبر، والهتر: السقط من الكلام؛ كأنه بقي في ذكر الله حتى خرف، وأنكر عقله.

قال: والهتر: الباطل ـ أيضًا ـ، ورجل مستهتر: إذا كان كثير الأباطيل.

وفي حديث ابن عمر: أعوذ بالله أن أكون من المستهترين[3].

قال: وحقيقة اللفظ: أن الاستهتار: الإكثارُ من الشيء، والولوع به، حقًّا كان أو باطلًا، وغلب استعماله على المبطِل، حتى إذا قيل: فلان مستهتر، لا يفهم منه إلا الباطل، وأما إذا قيد: بشيء، تقيد به؛ نحو: هو مستهتر في ذكر الله، أو قد أهتر في ذكر الله؛ أي: أولع به، وغُري به. ويقال: استهتر فيه، وبه.

---

(١) أورده ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٢١)، وقال: يرويه محمد بن بشر عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

(٢) في الأصل: «تفسيران» بدل «تفسير آخر»، والمثبت من «الوابل الصيب».

(٣) أورده الزمخشري في «الفائق» (٤/ ٩١)، ولم نقف عليه مسندًا.

وتفسير هذا في الأثر الآخر: «أكثروا ذكر الله حتى يقال: مجنون»[1].

رواه الإمام أحمد في «المسند»، وابن حبان في «صحيحه»[2] من حديث أبي سعيد مرفوعًا[3]. انتهى.

ولفظ رواية الإمام أحمد: قالوا: وما المفردون؟ قال: «الذين يُهترون في ذكر الله ﷻ»[4].

وروى موسى بن عبيدة عن أبي عبدالله القراظ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نسير بالدَّف[5] من جمدان، إذ استقبله فقال: «يا معاذ! أين السابقون؟» فقلت: قد مضوا، وتخلف ناس، فقال: «يا معاذ! إن السابقين الذين يُستهترون[6] بذكر الله ﷻ»، خرجه جعفر الفريابي[7].

قال الحافظ ابن رجب: ومن هذا السياق يظهر وجه ذكر السابقين في هذا الحديث؛ فإنه لما سبق الركب، وتخلف بعضهم، نبه النبي ﷺ: أن

---

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) في الأصل: «صحيح ابن حبان» بدل «ابن حبان في صحيحه»، والمثبت يقتضيه السياق.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في هامش الأصل: «الدف بالفتح: الجانب من كل شيء، أو صفحته. اهـ قاموس».

(٦) كذا ضبطت في الأصل.

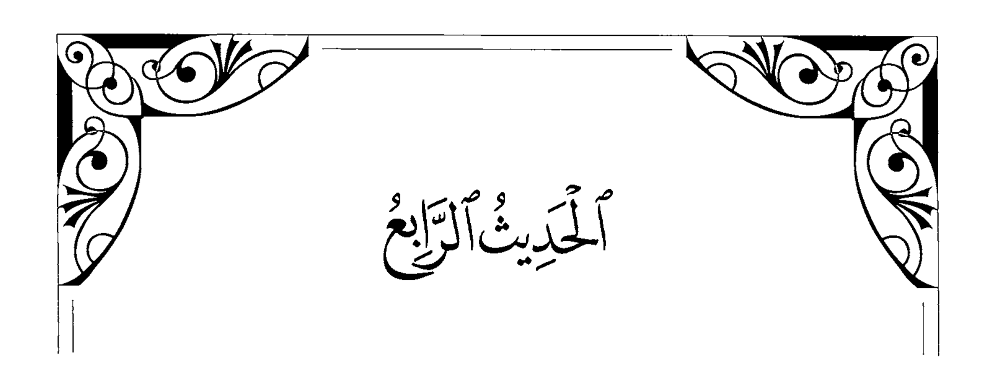
(٧) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٢) من طريق جعفر الفريابي.

السابقين على الحقيقة هم الذين يُـدمنون ذكـرَ الله ﷻ، ويولعـون بـه؛ فـإن الاستهتار بالشيء هو الولوع به والشغف، حتى لا يكاد يفارق ذكـره؛ كمـا تقدم[1]. والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٤٤).



الحديث الرابع

٦٠٥ ـ عَن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه وَأبي سعيد رضي الله عنه: أَنَّهُمَا شَهدا على النبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «لَا يقْعدُ قومٌ يذكرُونَ الله إِلَّا حفَّتْهم المَلائِكَة، وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَة، وَنزلتْ عَلَيْهِم السَّكينَة، وَذكرهم الله فِيمَن عِنْده». أخرجه مسلم[1].

(**عن أبي هريرةَ**) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ، (**وأبي سعيدٍ**) سعدِ بنِ مالكٍ (**الخدريِّ** رضي الله عنهما: **أنهما شهدا على النبيِّ ﷺ: أنه قال: لا يقعدُ قوم**) من المسلمين (**يذكرون الله**) تعالى (**إلا حَفَّتهم الملائكة**) من سائر جوانب مقعدهم ذلك؛ أي: أحدقوا بهم، وصاروا حفتهم؛ أي: جوانبهم؛ كما تقدم.

(**وغشيتهم الرحمة**)؛ أي: رحمة الله تعالى؛ أي: جاءتهم وغمرتهم، يقال: غشيه يغشاه غشياناً: إذا جاءه، وغشاه تغشية: إذا غطاه، وغشي الشيءَ: إذا لابَسَه، واستغشى بثوبه: إذا تغطى.

(**ونزلت عليهم السكينة**) بالفتح والكسر مشددة[2]: الطمأنينة، وقرئ

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) قال ابن منظور في «لسان العرب» (مادة: سكن): و(السَّكِّينة) لغة في (السَّكِينة) =

بهما، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة: ٢٤٨][١]؛ أي: ما تسكنون به إذا أتاكم، أو هي شيء كان له رأس كرأس الهر من زبرجد وياقوت، وجناحان؛ كما تقدم.

(وذكرهم الله فيمن عنده) من الملأ الأعلى من المقربين والكروبيين[٢]، وأرواح المرسلين؛ كما تقدم آنفًا، فالذكر المذكور على الصفة المذكورة سببُ تنزل السكينة، وغشيانِ الرحمة، وحفوفِ الملائكة بالذاكرين.

(أخرجه مسلم) في «صحيحه»، ورواه الترمذي، وابن ماجه[٣].

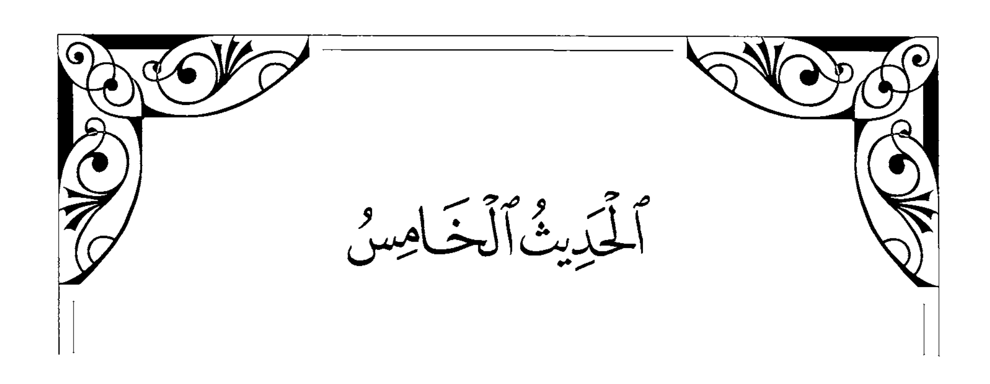
* * *

= عن أَبي زيد، ولا نظير لها، ولا يعلم في الكلام فَعِّيلة، و(السِّكِّينةُ) بالكسر لغة عن الكسائي من «تذكرة أَبي علي».

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٢١): وقرأ أبو السمال: (سَكِّينة) بفتح السين والتشديد، وهو غريب.

(٢) الكَرُوبِيُّون: سادة الملائكة، منهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، هم المقربون، كذا في «لسان العرب» لابن منظور (مادة: كرب)، وقد ورد ذكرهم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٩٩) وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير علي بن زيد بن جدعان القرشي، وهو وإن كان موقوفًا على ابن عباس فإنه عجيب بمرَّة. وقال الذهبي: إسناده قوي، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣١٧): مداره على علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف في سياقاته غالبًا، وفيها نكارة شديدة.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٨) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٧٩١)، وتقدم تخريجه عند مسلم.



الحَدِيثُ الخَامِسُ

٦٠٦ ـ عَن مُعَاوِيَةَ بنِ أبي سُفْيَان رضي الله عنهما: أَن رَسُولَ الله ﷺ خرجَ على حَلقَةٍ من أَصْحَابه فقَالَ: «مَا أجلَسَكُم؟» قَالُوا: جلسنا نذْكُرُ الله ونحمدُه على مَا هدَانَا بالإِسْلاَمِ، وَمَن بِهِ علينا، قَالَ: «آلله مَا أجلسكم إِلَّا ذَاك؟» قَالُوا: آلله مَا أجلسنا إِلَّا ذَاك، قَالَ: «أما إِنِّي لم أستحلِفْكُم تُهْمة لكُم، ولَكنَّه أَتَانِي جبْرِيلُ فَأَخْبرنِي أَنَّ الله عز وجل يُباهي بكم المَلائِكَة»، رَوَاهُ مُسلمٌ وَالتِّرمِذِيُّ، وَهَذَا لَفظه، وَقَالَ: حسنٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ **(معاويةَ بنِ أبي سفيانَ)** صخرِ بنِ حربٍ الأمويّ رضي الله عنه: **أن رسول الله ﷺ خرج على حَلْقَة)** بإسكان اللام على المشهور.

قال في «المطالع»: الحلقة بفتح الحاء المهملة وجزم اللام: حلقة القوم، وكذلك حلقة الحديد، والجمع حِلَق؛ مثل: بَدْرة وبِدَر، قاله الخطابي[2].

قال في «المطالع»: وذكرها ـ يعني: حلقة الحديد ـ [غير واحد][3] بالفتح.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠١)، والترمذي (٣٣٧٩).

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٢٩٢).

(٣) ما بين معكوفتين من «مطالع الأنوار».

وقال الحربي: الحلقة والحلق؛ كالتمرة والتمر، قال: ولا أعرف حلقة ـ بالفتح ـ إلا جمعَ حالق، والحلقة أيضًا: السلاح.

وقوله: اتخذ خاتمًا حلقته فضة[1]، وكذلك حلقة القُرْط.

قال أبو عبيد: وأختار في حلقة الدرع فتحَ اللام، ويجوز الإسكان، وفي حلقة القوم الجزم، ويجوز الفتح. انتهى[2].

وفي «القاموس»: وحلقة الباب، والقوم، وقد تفتح لامُها وتكسر، أو ليس في الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق، أو لغة ضعيفة، والجمع حِلَق محركة، وكبِدَر، وحَلَقات محركة، وتكسر الحاء. انتهى[3].

(من أصحابه)؛ أي: أصحاب النبي ﷺ؛ يعني: أنه ﷺ خرج على جماعة من أصحابه متحلقين حلقة، **(فقال)** لهم عليه السلام: **(ما أجلسكم)** هاهنا هكذا؟ **(قالوا: جلسنا)** هنا هكذا **(نذكر الله تعالى ونحمَدُه)** بمحامده العظيمة، ومننه الجسيمة **(على ما هدانا للإسلام)**[4]، فألهمنا رشدَنا، ودلنا دلالة موصلة لنيل المراد، **(ومَنَّ)** بفتح الميم وتشديد النون **(به)**؛ أي:

---

(١) رواه مسلم (٢٠٩٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ بلفظ: فصاغ رسول الله ﷺ خاتمًا حَلْقَتُهُ فضة. كذا ضبطت في «صحيح مسلم» (٦/ ١٥١ ـ الطبعة التركية).

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٢/ ٢٩٢).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حلق).

(٤) كذا في نسخة السفاريني لمتن «فضائل الأعمال»، وهو موافق للنسخ التي بين يدينا من «صحيح مسلم» و«سنن الترمذي»، ووقع في المطبوع لمتن «فضائل الأعمال» (ص: ٥٧٧ ـ ط مؤسسة الرسالة): «بالإسلام» بدل «للإسلام».

الإسلام (علينا)، فآمنا بالله، وصدقناك فيما جئتَ به من الدين القويم، والصراطِ المستقيم.

وفي أسمائه تعالى: المنَّان، وهو المنعم المعطي؛ من المَنّ؛ أي: العطاء، وكثيرًا ما يرد في كلامهم بمعنى الإحسان إلى مَنْ لا يستثيبه، ولا يطلب الجزاء عليه.

والمنان من أبنية المبالغة؛ كالسفّاك، والوهّاب.

وقد يطلق المنان على الذي لا يعطي شيئًا إلا مَنَّه واعتدّ به على من أعطاه، وهو مذموم، وفاعلُه من الأجر محروم، لأن المنة تفسد الصنيعة.

(قال) ﷺ **(آللهِ)** بمد الهمزة تحليفًا لهم **(ما أجلسكم)** هذا المجلسَ **(إلا ذاك؟)**، وفي لفظ: «ذلك»[1]؛ يعني: ذكر الله تعالى على ما هداهم ومَنّ عليهم بالإسلام الذي هو سفينةُ النجاة، وسلَّم الوصول إلى الله، **(قالوا: آللهِ ما أجلسنا إلا ذاك)**، فهو كقوله ﷺ لابن مسعود ﷺ لما أخبره أنه قتل أبا جهل، قال له ﷺ: «آللهِ إنك قتلته؟» قال: آللهِ إني قتلتُه[2].

وقال ﷺ لركانة لما طلق امرأته: «آللهِ ما أردتَ إلا واحدة؟»[3].

قال في «المبدع»: ويجوز القسم بغير حرف القسم، فيقول: اللهِ لأفعلن ـ بالجر والنصب ـ، والمراد: انعقادُ اليمين؛ لأنه لغة صحيحة،

---

(١) رواه النسائي (٥٤٢٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٤٦٩)، كلاهما بنحوه من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٣) رواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٣٥) من حديث ركانة بن عبد يزيد ﷺ.

وقد ورد به عرف الاستعمال في الشرع.

ثم ذكر ما ذكرناه عن ابن مسعود، وركانة رضي الله عنهما[1].

ومن ثَمَّ **(قال)** ﷺ: **(أما إني لم أستحْلفكم)**؛ أي: أطلب حَلفكم **(تهمة لكم)**، وهي بفتح الهاء وإسكانها، فعلة من الوَهْم، والتاء بدل من الواو، يقال: واتهمته: إذا ظننت به ما نُسب إليه، وقد تفتح الهاء، **(ولكن أتاني)** بقصر همزة (أتاني)؛ أي: جاءني **(جبريل ـ عليه السلام ـ، فأخبرني: أن الله ﷻ يباهي)**؛ أي: يفاخر **(بكم الملائكة)** الكرام عليهم الصلاة والسلام.

قال في «النهاية»: المباهاة: المفاخرة، وقد باهى يباهي مباهاة[2].

قال المحقق ابن القيم في «الكلم الطيب»: هذه المباهاة من الربّ ـ تبارك وتعالى ـ دليل على شرف الذكر عنده، ومحبته له، وأن له مزية على غيره من الأعمال[3].

ومعنى مباهاة الله لملائكته: أن يُظهر فضلهم، ويريهم حسن عملهم، ويُثني عليهم عندهم؛ كما في «تحفة العباد».

(رواه مسلم، والترمذي، وهذا لفظه)؛ أي: لفظ رواية الترمذي، **(وقال)** الترمذي: حديث **(حسن غريب)**، ورواه النسائي، وغيرهم[4].

---

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (٩/ ٢٦١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٦٩).

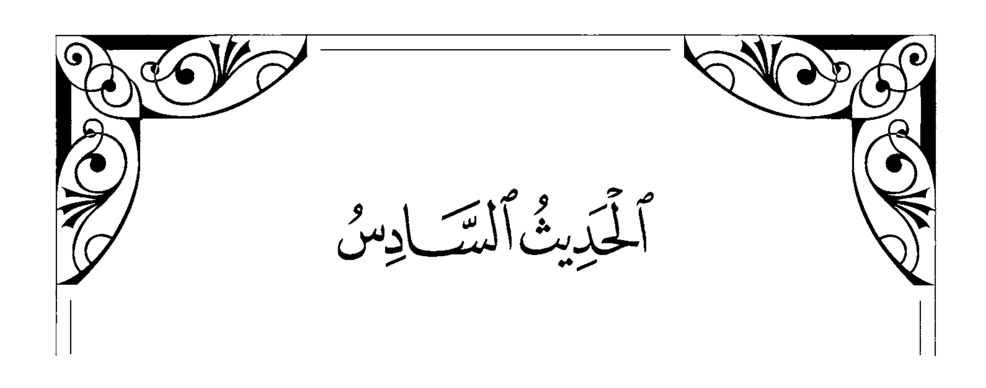
(٣) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٠٢).

(٤) رواه النسائي (٥٤٢٦)، وتقدم تخريجه عند مسلم والترمذي.

ولفظ مسلم: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله... الحديث[1].

* * *

(١) تقدم تخريجه.



الحَدِيثُ السَّادِسُ

٦٠٧ ـ عَن عبدالله بن بُسرٍ ﷺ: أَن رجلا قَالَ: يَا رَسُول الله! إِن شرائع الإِسْلاَم قد كثرت عَليَّ، فَأَخْبرنِي بِشَيْء أتشبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يزَال لسَانُك رطبًا من ذكر الله ﷻ». رَوَاهُ ابْن مَاجَه وَالتِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن غَرِيب[1]، وَقد تقدم هَذَا الحديث[2].

(عن) أبي صفوانَ (**عبدِالله بنِ بُسْرٍ**): بضم الموحدة وسكون السين المهملة، السلميِّ (ﷺ: **أن رجلًا**): لم أرَ مَن سَمَّى الرجل، لكن أخرج ابنُ حبانَ في «صحيحه»، وغيره من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: آخرُ ما فارقتُ عليه رسول الله ﷺ أن قلتُ له: أيُّ الأعمال خير وأقرب لله؟ قال: «أن تموت ولسانُك رطبٌ من ذكر الله ﷻ»[3].

(قال) الرجل: (**يا رسول الله! إن شرائع الإسلام**): الشرائع: جمع شريعة؛ يعني: فرائض الإسلام وسننه وطرقه، وهي عقائد دينية، وحدود

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣).

(٢) تقدم الحديث برقم (١١١).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٨).

إيمانية، (قد كثرت عليَّ)، ولم يمكني إحصاءُ جميعِها، مع ضعف بدني، وعدم قوة ذهني.

قال في «القاموس»: الشريعة: ما شرع الله لعباده، والظاهر المستقيم من المواهب؛ كالشرعة ـ بالكسر ـ، ومورد الشاربة؛ كالمشرعة، وتضم راؤها، يقال: شرع لهم؛ كمنع: سَنَّ، والشارع: العالم الرباني العامل المعلِّم[1].

(فأخبِرْني) يا رسول الله (بشيء) سهلٍ أحفظُه، وأعملُ به، وهو معنى قوله: (أتشبَّثُ)؛ أي: أتعلَّق (به)، وهو بفتح الهمزة والمثناة الفوقية والشين المعجمة، وتشديد الموحدة فثاء مثلثة.

وفي رواية: أن رجلًا قال: يا رسول الله! إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تُكثرْ عليَّ فأنسى[2].

وفي رواية: إن شرائع الإسلام قد كثرت، وأنا قد كبرت، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تكثِرْ عليّ فأنسى[3].

وفي لفظ: «فبيِّنْ لنا بابًا نتمسك به»[4].

وفي لفظ: «فباب نتمسك به جامع»[5].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شرع).

(٢) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٤/ ٤٧٤)، وعزاه للترمذي، ولم نقف عليه في النسخ المطبوعة لـ «سنن الترمذي».

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) لم نقف على هذا اللفظ.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٨).

(**قال**) ﷺ للرجل السائل: (**لا يزال ولا ينفكّ لسانُك رطبًا**)؛ أي: طريًّا نديًّا بريقِك (**من ذكر الله** ﷻ)؛ فإن الذاكر يكون لسانه نديًّا طريًّا.

(**رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن غريب**)، ورواه الإمام أحمد وابن حبان في «صحيحه»[1].

قال الحافظ المصنف رحمه الله، ورضي عنه: (**وقد تقدم هذا الحديث**) في (فضائل الذكر) في أول الكتاب، وتقدم شرحه هناك بما يكفي ويشفي.

وعن أبي المخارق قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أُسري بي برجل مغيب في نور العرش، قلت: من هذا، ملك؟ قيل: لا، قلت: نبي؟ قيل: لا، قلت: من هو؟ قال: هذا رجل كان في الدنيا لسانُه رطبٌ بذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم يستسب لوالديه قط». رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا[2].

وروى ابن أبي الدنيا ـ أيضًا ـ بإسناد حسن عن سالم بن أبي الجعد، قال: قيل لأبي الدرداء: إن رجلًا أعتق مئة نسمة، قال: إن مئة نسمة من مال رجل لكثير، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار، وأن لا يزال لسانُ أحدكم رطبًا من ذكر الله. هكذا رواه موقوفًا على أبي الدرداء ؓ[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٤)، وتقدم تخريجه عند ابن ماجه والترمذي.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٩٥).

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٦٢) وعزاه لابن أبي الدنيا، ولم نقف عليه في المطبوع من كتبه، ورواه ابن فضيل في «الدعاء» (٩١).

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي قال: قال موسى عليه السلام: يا رب! أيُّ خلقك أكرمُ عليك؟ قال: الذي لا يزال لسانه رطبًا بذكري[1].

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما وفد موسى إلى طور سيناء، قال: يا رب! أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني[2].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: الذين لا تزال ألسنتهم رطبةً من ذكر الله عز وجل، يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[آل عمران: ١٠٢]، قال: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر[4].

وخرجه الحاكم مرفوعًا[5].

قال الحافظ ابن رجب: والمشهور وقفه[6].

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٢).

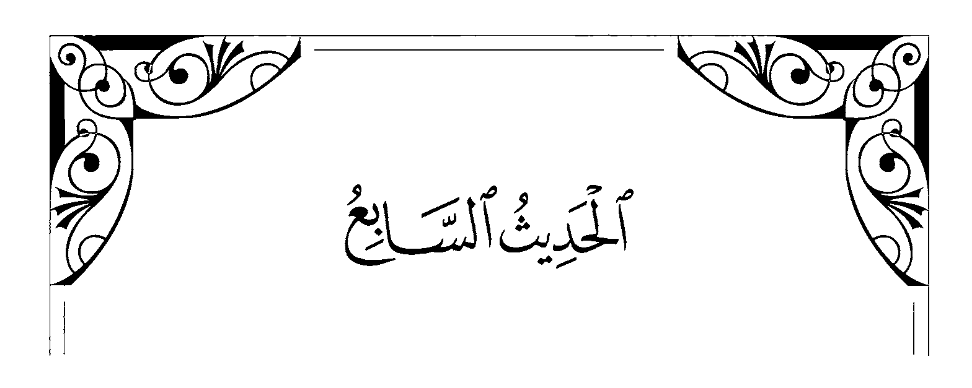
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٣٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٢٩).

(٥) لم نقف عليه مرفوعًا، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣١٥٩) موقوفًا.

(٦) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٤٥).



الحديث السابع

٦٠٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷿ مِنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷿ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً». رواه أبو داود[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ لأَنْ)**: بفتح الهمزة بعد لام جواب القسم المحذوف، **(أقعدَ مع قوم يذكرون الله)** تعالى، هذا لا يختص بذكر (لا إله إلا الله)، بل يلحق به ما في معناه؛ لما روى الإمام أحمد بإسناد حسن من حديث أبي أمامة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «لأَن أقعد أذكر الله، وأكبره وأحمده، وأسبحه وأهلِّله حتى تطلع الشمس؛ أحبُّ إليّ من أن أعتقَ...» الحديث[2].

(من صلاة الغداة)؛ أي: صلاة الفجر، ولا أزال بعد فراغي من الصلاة

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٥).

في ذكر الله ﷻ **(حتى تطلع الشمس)**، وتـلاوةُ القـرآن مـن أفـضل الـذكر، فيشمله الحديث.

وفيه: تسمية الصبح: غداة، ثم يصلي بعدما ترتفع الشمس قِيدَ رمـح، **(أحبُّ إليّ من أن)**: حرف مصدري، **(أُعتق)**: بـضم الهمـزة وكـسر التـاء الفوقية، وهو منصوب بـ (أن)؛ أي: من عتق، **(أربعـةَ)** رجـال **(مـن ولـد إسماعيل)** الذبيحِ ابنِ إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

وخص ولد إسماعيل؛ لشرفهم.

زاد أبو يعلى: «ديةُ كلِّ رجل منهم اثنا عشرَ ألفًا»(1).

(ولأَن أقعد مع قوم) من المؤمنين **(يذكرون الله)** ربَّ العـالمين **(مـن صلاة العصر إلى أن تغربَ الشمس، أحبُّ إليّ من أن أعتق أربعـة)**؛ أي: من ولد إسماعيل الذين هم أصولُ العرب.

(رواه أبو داود)، ورواه أبو يعلى، وقال في الموضعين: «أحب إليّ مـن أن أعتق أربعةً من ولد إسماعيل، ديةُ كلِّ رجل منهم اثنا عشر ألفًا»(2).

ورواه ابن أبي الدنيا بالشرط الأول، إلا أنه قال: «أحبُّ إليّ مما طلعـتْ عليه الشمس».

فدلّ الحديث على فضيلة الذكر جماعةً بعدَ صـلاة الـصبح، وصـلاة العصر، وظاهرُ الحديث حصولُ الفضيلة لمن جلس مع الذاكرين، وإن لـم يذكر؛ لأن الاستماع قائم مقامَ الذكر، وهم القوم لا يشقى جليسهم.

---

(1) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٣٩٢).

(2) انظر التعليق السابق.

ولا ريب أن الذكر مشروع في جميع الأوقات، إلا ما استُثني، ويتأكد في بعضها، فمما يتأكد فيه الذكر: عقب الصلوات المفروضات، وأن يذكر الله تعالى عقب كل صلاة منها مئة مرة ما بين تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل، وقد تقدم من ذلك طرف صالح في (فضائل الذكر بعد الصلوات).

ويستحب ـ أيضًا ـ الذكر بتأكُّد: بعد الصلاتين اللتين لا تطوعَ بعدَهما، وهما: الفجر، والعصر، فيشرع الذكرُ بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وهذان الوقتان هما أفضلُ أوقات النهار للذاكر، ولهذا أمر الله بذكره فيهما في مواضع من القرآن العظيم؛ كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الإنسان: ٢٥]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[آل عمران: ٤١]، وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، وقوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

والآصال والأصيل: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُل، وآصال، وأصائل؛ كأنه جمع أصيلة، قال الشاعر:

لَعَمري لأنتَ البيتُ أُكرمُ أهلَهُ

وأَقعدُ في أَفنائِهِ بالأصائلِ[1]

---

(١) القائل أبو ذؤيب الهذلي. انظر: «ديوانه» (ص: ٨٦)، وفيه: «أفيائه» بدل «أفنائه».

والإبكار: أول النهار، والعشي: آخره.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق: ٣٩]، وهذا يفسر ما جاء في الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح، وحين يمسي: أن المراد: قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعدَ الصبح، وبعد العصر.

وفي «صحيح مسلم»: عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مئة مرة؛ لم يأت أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به إلا رجلٌ قالَ مثلَ ما قال، أو زاد عليه»[1].

وأفضلُ ما فُعل في هذين الوقتين من الذكر: صلاةُ الفجر، وصلاة العصر، وهما أفضل الصلوات، وقد قيل في كل منهما إنها الوسطى، وهما البردان اللذان مَنْ حافظ عليهما، دخل الجنة[2]، ويليهما من أوقات الذكر الليل، ولهذا يذكَر بعد هذين الوقتين في القرآن تسبيحُ الليل وصلاته.

والذكر المطلق يدخل فيه: الصلاة، وتلاوة القرآن، وتعلمه وتعليمه، والعلم النافع، كما يدخل فيه: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل.

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النواوية»: ومن أصحابنا من رجَّح التلاوةَ على التسبيح ونحوه بعدَ الفجر والعصر ـ وتقدم كلامُ المحقق

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٢).

(٢) رواه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا: «مَن صلَّى البردين دخل الجنة».

ابنِ القيم في ذلك ـ، وقد سئل الأوزاعي عن ذلك، فقال: كان هديهم ذكر الله، فإن قرأ، فحسن[1].

قال الحافظ ابن رجب: وظاهر هذا: أن الذكر في هذا الوقت أفضلُ من التلاوة[2].

وقد روى الترمذي وقال: حسن غريب من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين؛ كانت له كأجر حجة وعمرة»، قال رسول الله ﷺ: «تامة تامة تامة»[3].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود من حديث سهل بن معاذ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى، لا يقول إلا خيرًا؛ غفر له خطاياه، وإن كانت أكثر من زَبَد البحر»[4].

ورواه أبو يعلى الموصلي، ولفظه: قال: «من صلى صلاة الفجر، ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، وجبت له الجنة»[5].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٥٠).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

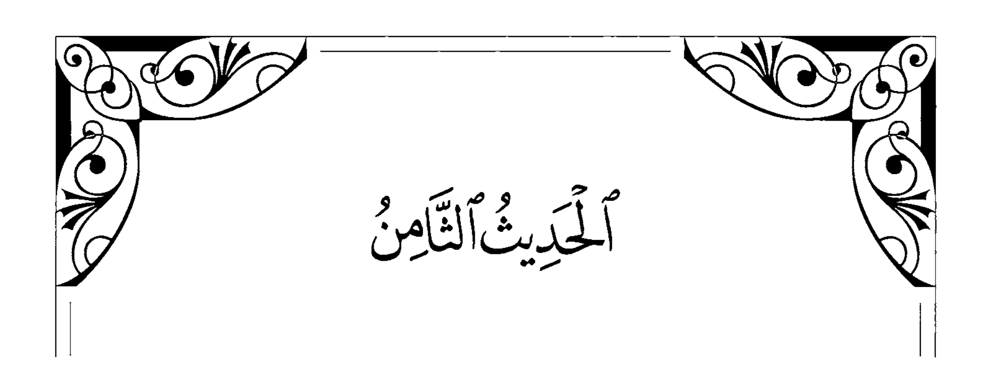
(٣) رواه الترمذي (٥٨٦)، وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٩/ ٤٠١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٨)، وسنن أبي داود (١٢٨٧).

(٥) رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (١٤٨٧) من حديث معاذ بن أنس ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٠٥): وفيه زبان بن فائد؛ ضعفه الجمهور، وقال أبو حاتم: صالح، وبقية رجاله حديثهم حسن.

وتقدم من ذلك ما لعله يشفي ويكفي.

* * *



الحديث الثامن

٦٠٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ». رواهُ ابنُ ماجه[1].

(عن أبي هريرةَ) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ، عن النبي ﷺ قال: إن الله ﷻ يقول)، ومثل هذا يسمى حديثه قدسيًّا: (أنا مع عبدي) بالحفظ والمعونة، والحياطة والصيانة (إذا ذكرني، وتحركَتْ بي)؛ أي: بذكري، (شفتاه): تثنية شفة، وشفتا الإنسان طبقا فمه، الواحدة شفة، ويكسر، ولامُها هاء، والجمع شفاه، وشفوات؛ كما في «القاموس»[2].

وقال في «المطلع»: أصل الشفة: شفهة، وفي النسب إليها وجهان:

أحدهما: شَفيّ على اللفظ؛ كدَمِيّ.

والثاني: شَفَهِيّ على الأصل، قال: وأما شَفَوِيّ، فلم أر له وجهًا. انتهى[3].

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٩٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شفه).

(٣) انظر: «المطلع على أبواب المقنع» لابن مفلح (ص: ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

قلت: بل له وجهٌ وجيه؛ فقد قال في «القاموس» في باب المقصور: والشفة نقصانها واوٌ أو هاء. انتهى[1].

وتقدم الكلام على هذا الحديث في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند قوله عز وجل: «وأنا معه إذا ذكرني»، أو «حين يذكرني»[2]، وأن هذه المعية معية خاصة بالذاكرين الله ربَّ العالمين، غير معية العلم والإحاطة العامة. والله تعالى أعلم.

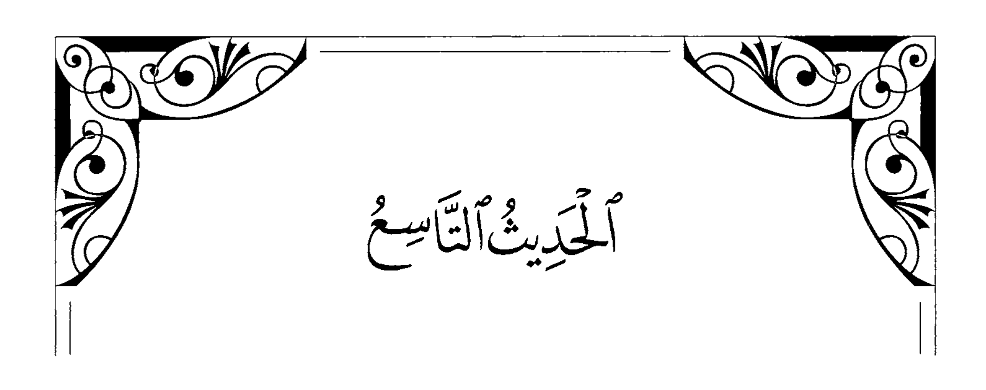
(رواه ابن ماجه)، ورواه ابن حبان في «صحيحه»[3].

* * *

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شفو).

(٢) تقدم الحديث برقم (٦٠٢).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٥)، وتقدم تخريجه عند ابن ماجه.



الحَدِيثُ التَّاسِعُ

٦١٠ ـ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِرًا، فَيَتَعَارُّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». رواه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي في «عمل يوم وليلة»[1].

(عن) سيد الفقهاء أبي عبدِ الرحمنِ **(معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ، عن النبي ﷺ: أنه قال: ما من)** إنسان **(مسلمٍ)** من ذكر أو أنثى **(يبيتُ)**؛ أي: يدخل في البيتوتة من الليل **(على ذكر)**؛ أي: على ذكر الله تعالى؛ من قراءة، أو تسبيح، أو تحميد، أو تكبير، أو تهليل، **(طاهرًا)** من الحدَث الأكبر والأصغر، والمراد: أن يبيت على طهارة كاملة، ولو بالتيمم بشرطه، واعتبر كونه طاهرًا؛ لأن النوم كذلك يقتضي عروجَ الروح وسجودَها تحت العرش الذي هو مصدر المواهب، فمن بات على حدَث أو خَبَث، لم يصل لمحلِّ الفيض[2]،

(١) رواه أبو داود (٥٠٤٢)، وابن ماجه (٣٨٨١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠٦).

(٢) [لا دليل على كلامه في قضية محل الفيض من الكتاب والسنة]. [اللجنة العلمية].

(فيتعار): بفتح التحتية والفوقية، فعين مهملة، فألف فراء مشددة مرفوعة؛ أي: فيستيقظ.

وفي «جامع الأصول» لابن الأثير: تعارَّ الرجل من نومه: إذا انتبه وله صوت[1].

وفي «النهاية»: تعارَّ من الليل؛ أي: استيقظ، ولا يكون إلا يقظة مع كلام، وقيل: هو أن يتمطى ويئن[2].

(من الليل) متعلق بـ (تعارّ).

قال بعضهم: أي: في النصف الثاني، والظاهر: بل في جميع الليل.

قال بعض العلماء: ولعل هذه الفضيلة مختصة بنوم الليل دون النهار؛ لقوله: (يبيت)، ولقوله: (من الليل)، وهذا ظاهر لا يعدل عنه.

(فيسأل المتعارُّ الله): بالنصب، مفعول (يسأل)، **(خيرًا)**: نكرة للعموم، ولذا قال: **(من)** خير **(الدنيا والآخرة)**؛ بخلاف ما لو سأله إثمًا، أو قطيعة رحم؛ لأنه ليس بخير، **(إلا أعطاه) الله** ﷻ **(إياه)**؛ أي: الخير الذي سأله من خير الدنيا والآخرة.

(رواه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي في عمل يوم وليلة)، ورواه الإمام أحمد[3]، وإسناده حسن.

---

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٠٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٤)، وتقدم تخريجه عند أبي داود، وابن ماجه، والنسائي في «عمل اليوم والليلة».

وروى البخاري، والترمذي، وأبو داود من حديث عبادة بن الصامت ﵁: أنْ رسول الله ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ثم قال: اللهم اغفر لي، أو قال: ثم دعا، استُجيب له، فإن عزم فتوضأ وصلى، قُبلت صلاته»[1].

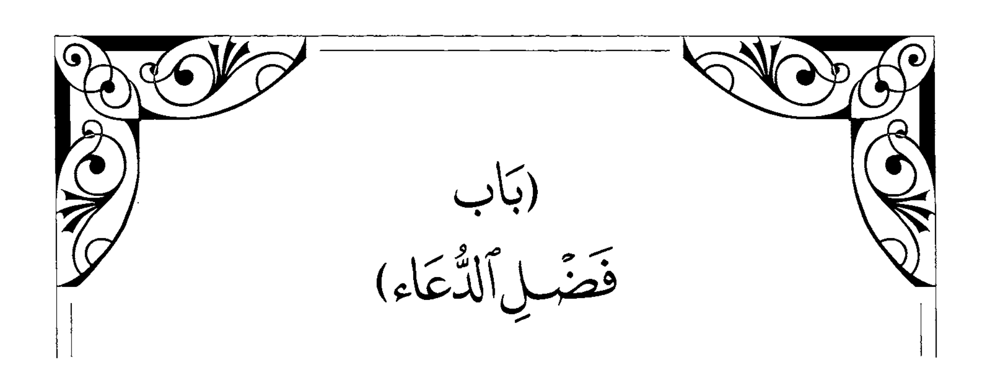
وفي «سنن الترمذي»: عن أبي أمامة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أوى إلى فراشه، وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس، لم ينقلب ساعة من ليل يسأل الله فيها خيرًا من خير الدنيا والآخرة، إلا أعطاه الله إياه»، حديث حسن[2].

وقد تقدم من هذه الأذكار طرف صالح في أواخر (كتاب الصلاة). والله أعلم.

❐❐❐

(١) رواه البخاري (١١٥٤)، والترمذي (٣٤١٤)، وأبو داود (٥٠٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٢٦).



(بَاب فَضْلِ ٱلدُّعَاء)

تقدم كلام الإمام المحقق ابن القيم في «الكلم الطيب والعمل الصالح»: أن الذكر أفضلُ من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟

ولهذا جاء في الحديث: «من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضلَ ما أُعطي السائلين»[1]، ولهذا كان المستحب في الدعاء: أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يَدَي حاجته، ثم يسأل حاجته؛ كما في حديث فضالةَ بنِ عُبيد: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو في صلاته لم يمجدِ الله، ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال ﷺ: «عَجِلَ هذا»، ثم دعاه ﷺ فقال له، أو لغيره: «إذا صلى أحدُكم، فليبدأ بتمجيد ربه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شاء». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «صحيحه»[2].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٢٤٣): وفيه صفوان بن أبي الصهباء؛ ذكره ابن حبان في «الضعفاء» وفي «الثقات» أيضًا.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٨)، والترمذي (٣٤٧٧)، والحاكم =

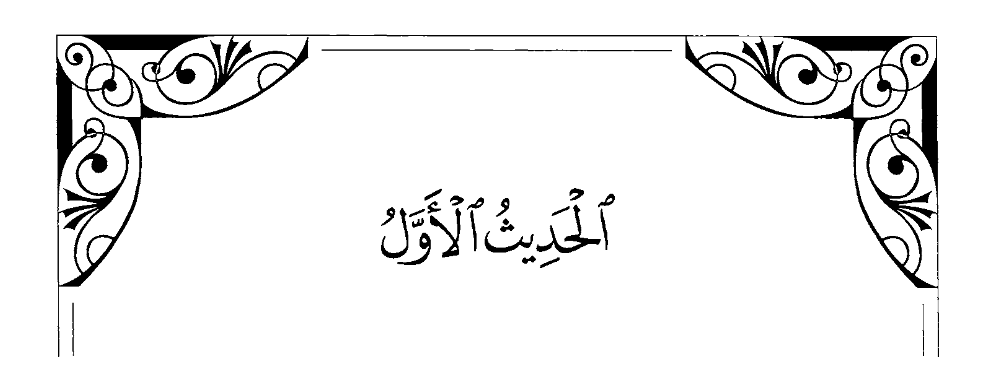
فأخبر النبي ﷺ: أن الدعاء ينبغي أن يتقدمه الثناء والذكر؛ فإن ذكر الله، والثناءَ عليه أنجحُ ما طلب به العبد حوائجه، فبذكر الله، والثناءِ عليه قد يصير الدعاء مستجابًا؛ فإن الدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضلُ وأقربُ إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضافَ إلى ذلك إخبارُ العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره وذله وانكساره، كان أبلغَ في الإجابة وأفضل؛ فإنه يكون قد توسل إلى المدعوّ بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته، وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول منه، فاجتمع المقتضى من السائل، والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغَ وألطف موقعًا، وأتم معرفة وعبودية[1].

وقد ذكر الحافظ المصنف في هذا الباب عشرة أحاديث، وإن كانت أحاديث الباب كثيرة جدًّا.

* * *

= في «المستدرك» (٨٤٠).

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٠ ـ ١٢٢).



الحديث الأول

٦١١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ»، قال: وَكَيْفَ يَعْجَلُ؟ قال: «يقول: قَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ فَلَمْ يَسْتَجِب لِي». أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ بنحوه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يستجاب): بضم أوله مبنيًّا لما لم يُسمَّ فاعله؛ أي: يستجيب الله ﷻ **(لأحدكم)**؛ أي: لكلّ واحد منكم معشرَ الداعين دعاءه **(ما لم يعجَل)**؛ أي: يطلب الإجابة على عجل؛ أي: بسرعة، **(قالوا)**؛ أي: قال بعضُ مَنْ كان ثَمَّ من الصحابة ﷺ: **(وكيف يعجل)** يا رسول الله؟ **(قال)** ﷺ: **(يقول)**؛ أي: بلفظه، أو في نفسه، وفي رواية: «فيقول»[2]، **(قد دعوت الله)** تعالى، **(فلم يَستجب)** بفتح أوله **(لي)** دعائي، فيكون كالمانّ، وأنه قد أتى من الدعاء بما يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخِّلِ للربِّ الكريم الذي لا يُعجزه الإجابة، ولا يُنقصه العطاء.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

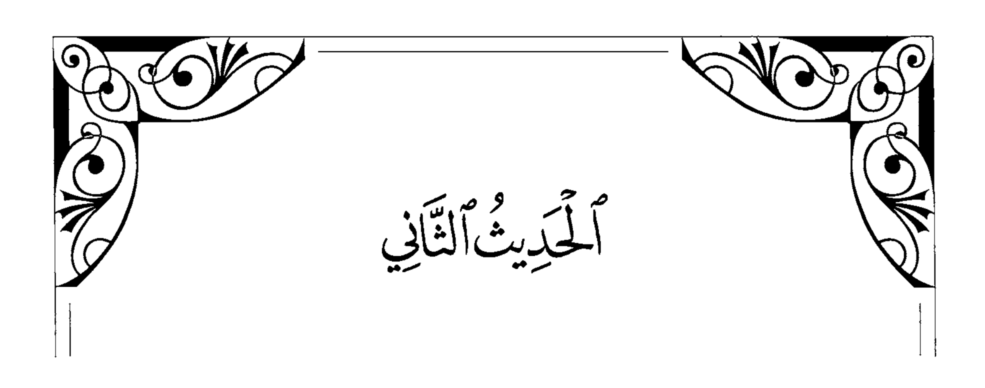
(٢) رواه مسلم (٢٧٣٥/ ٩٠).

(رواه البخاري، ومسلم بنحوه)، ورواه أبو داود، والترمـذي، وابـن ماجه[1].

ووقع عند مسلم، والترمذي، وهو:

* * *

(١) رواه أبو داود (١٤٨٤)، والترمذي (٣٣٨٧)، وابن ماجه (٣٨٥٣)، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.



الحَدِيثُ الثَّانِي

٦١٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ». رواه مسلم[1].

(**عن أبي هريرة** ﷺ) أيضًا، (**عن النبي** ﷺ **قال: لا يزال يُستجاب**): بضم التحتية في يستجاب مبنيًّا لما لم يسم فاعله؛ أي: لا يزال الله يستجيب (**للعبد**) دعاءه (**ما لم يدعُ**) الداعي (**بإثمٍ**) بكسر الهمزة وسكون المثلثة فميم: الذَّنْب، والخمر، والقمار، وأن يسأل ما لا يحلّ.

يقال: أثم ـ كعلم ـ إثمًا، ومأثمًا، فهو آثم وأثيم، وأثمه اللهُ في كذا ـ كمنعه ونصره ـ: عده عليه إثمًا، فهو مأثوم، وآثَمَهُ: أوقعه فيه، وأثَّمه تأثيمًا: قال له: أثمت، وتأثَّم: تاب منه، وتحرَّج.

(**أو**) ما لم يدعُ بـ (**قطيعة رحم**): هذا من عطف الخاصّ على العامّ؛ فإن قطيعة الرحم من أفراد الإثم، وذكره بالخصوص لمزيدِ التنفير عنه،

(١) رواه مسلم (٢٧٣٥/ ٩٢).

والتحذير منه، **(ما لم يستجعل)**؛ فإن استعجل، فلا يتحتم أن يستجاب له.

(قيل)؛ أي: قال له بعضُ أصحابه: **(يا رسول الله! ما الاستعجال)** المانع من إجابة الدعاء؟ **(قال)** ﷺ: **(يقول)** الداعي: **(قد دعوت) الله، (وقد دعوت) الله** ﷻ **(فلم أر)** أثر الإجابة، ولم **(يُستجب)** بضم أوله، ويجوز بناؤه للمعلوم؛ أي: فلم يستجبِ اللهُ **(لي)** ما دعوته به، ولم يظهر لي شيء من أمارات الإجابة، **(فيستحسر)**: بفتح التحتية وسكون السين المهملة فمثناة فوقية مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فسين مهملة مكسورة، ومعناه بزيادة السين الأولى: الإعياءُ والتعب.

وقال في «الفتح»: يستحسر ـ بمهملة ـ: ينقطع[1].

وقال في «جامع الأصول»: الاستحسار: الاستنكاف عن السؤال، وأصله من حسر الطرف: إذا كَلَّ وضعُفَ نظره؛ يعني: أن الداعي إذا تأخرت إجابته، تضجَّر وملَّ، فترك الدعاء، واستنكف. انتهى[2].

قال الداودي: يخشى على من خالف وقال: دعوت فلم يستجب لي، أن يحرم الإجابة، وما قام مقامها من الادّخار والتكفير. انتهى[3].

(رواه مسلم).

وفي هذا الحديث: أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقياد والاستسلام، وإظهار الافتقار،

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٤١).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ١٦٥).

(٣) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ١٤١).

حتى قال بعض السلف: لأنا أشدُّ خشية أن أُحرم الدعاء من أن أُحرم الإجابة[1].

وفي الحديث؛ كالذي قبله، وغيرهما: دلالةٌ على أن دعوة المؤمن لا تُرد، وأنها إما أن تعجَّل له الإجابة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، وإما أن يُدخر له في الآخرة خيرٌ مما سأل؛ كما أشار إلى ذلك الداودي، والحافظ ابن الجوزي.

ولفظ ابن الجوزي: اعلمْ أن دعاء المؤمن لا يُرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوض بما هو أولى منه له عاجلًا وآجلًا، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه، فإنما يتعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض[2].

ومن جملة آداب الدعاء: تحري الأوقات الفاضلة؛ كالسجود، وعند الأذان.

ومنها: تقديم حمد الله، والصلاة على النبي ﷺ، واستقبال القبلة، ورفع الأيدي، وتقديم التوبة، والاعتراف بالذنب، والإخلاص، والسؤال بالأسماء الحسنى.

وقال الكرماني ما ملخصه: الذي يتصور للإجابة وعدمها أربع صور:

الأولى: عدم العجلة، وعدم القول المذكور.

الثانية: وجودهما.

---

(١) أورده ابن عبد البر في «التمهيد» (١٠/ ٢٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٢) انظر: «كشف المشكل» لابن الجوزي (٣/ ٤٠١).

الثالثة والرابعة: عدم أحدهما، ووجود الآخر.

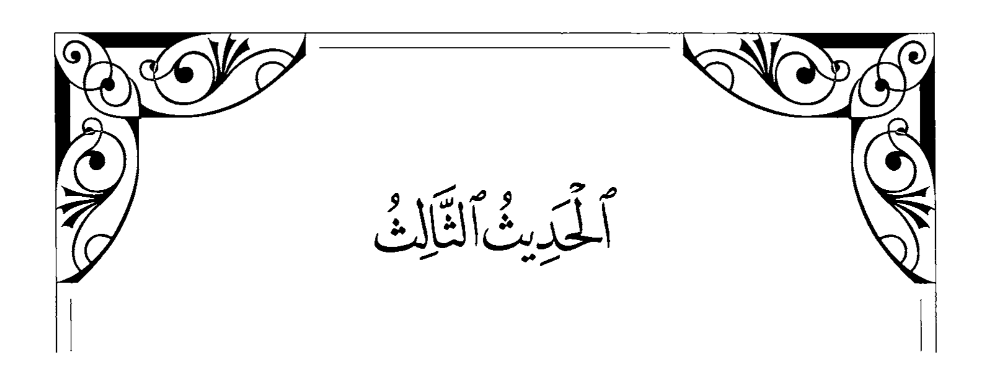
قال: ودل الحديث على أن مطلق قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة: ١٨٦] مقيد بما دل عليه. انتهى[1].

وقد تأولوا أن المراد بالإجابة: ما هو أعم من تحصيل المطلوب بعينه، أو ما يقوم مقامه ويزيد عليه؛ كما أشير إليه. والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢٢/ ١٤٦).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٦١٣ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ». رواه ابن ماجه والترمذيُّ وقال: حديث غريب[١].

(عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: ليس شيء) من أنـواع القُـرب **(أكرمَ)**: بالنصب خبر (ليس)، **(من الدعاء)**؛ لدلالته على عجز الـداعي وذلّـه وافتقاره، وقدرة الله ﷻ وكرمه، ولأن الدعاء سبب لنيل الحظوظ التي جعلـت لنا في الغيب، ولذلك أودع في الدعاء من عظيم السلطان ما يرد القضاء.

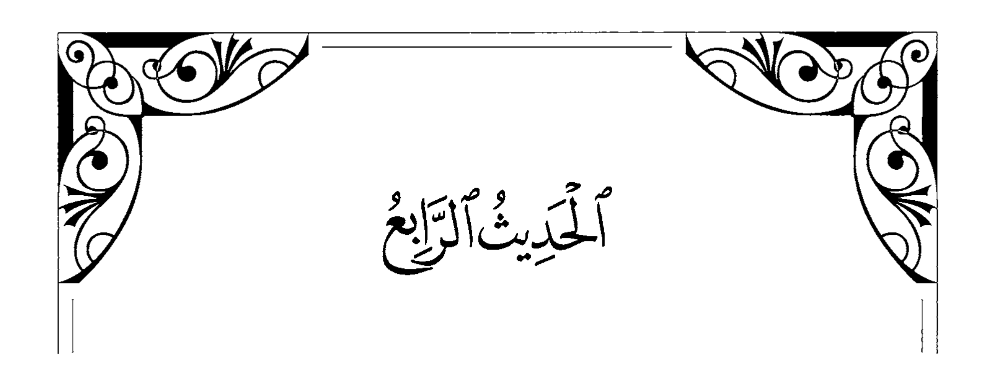
(رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث غريب)، ورواه الإمـام أحمـد في «المسند»، والبخاري في «الأدب المفرد»، والحاكم فـي «المـستدرك»[٢]، وأسانيده صحيحة.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٠) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٣٨٢٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢)، والبخـاري فـي «الأدب المفـرد» (٧١٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠١)، وتقدم تخريجه عند ابن ماجه والترمذي.



٦١٤ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ». رواه الترمذيُّ وقال: غريب(١).

(عن أنس بن مالك ﷺ، عـن النبـي ﷺ قـال: الـدعاء مُـخُّ)؛ أي: خالص (العبادةِ).

قال في «النهاية»: مخ الشيء: خالصه، وإنما كان الدعاء مخ العبـادة لأمرين:

أحدهما: كون الداعي ممتثلًا لأمر الله تعالى؛ حيث قـال: ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ [غافر: ٦٠]، فهو محض العبادة وخالصها.

الثاني: إنه إذا رأى نجاح الأمور من الله، قطع أمله عمن سـواه، ودعـاه لحاجته وحده.

وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهـو المطلوب بالدعاء(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٣٠٥).

وقال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: إنما صار مخّها؛ لأن الداعي يبرأ من الحول والقوة، ويعترف بأن الأشياء كلها لله ﷻ، ويسلم إليه، ثم يسأله. انتهى[1].

وذلك أن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقةُ التوحيد، وعينُ الإخلاص، ولا عبادةَ فوقهما.

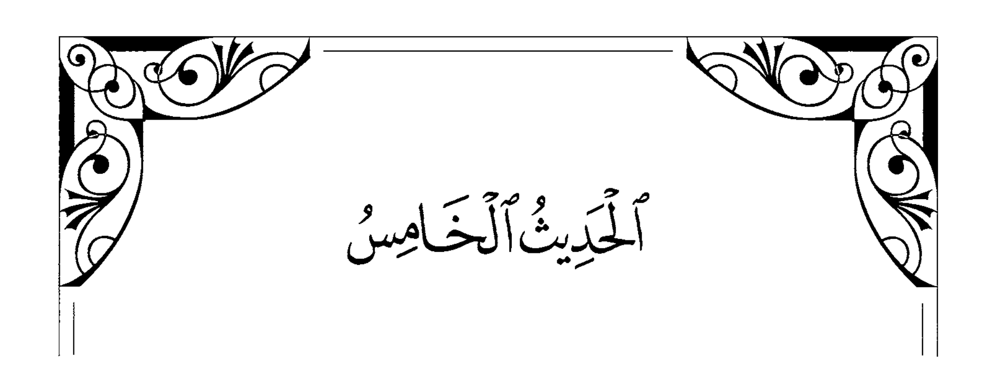
قال ابن العربي: وبالمخ تكون القوة للأعضاء، فكذا الدعاء مخُّ العبادة، به تتقوى عبادة العابدين[2].

(رواه)؛ أي: حديثَ أنس المشروحَ أبو عيسى **(الترمذي، وقال)**: حديث **(غريب)**، وفي سنده ابن لهيعة.

* * *

(١) انظر: «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (ص: ٥١٨).

(٢) انظر: «الفتوحات المكية» لمحيي الدين بن عربي (١/ ٦١٨).



الحديث الخامس

٦١٥ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵄، عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]. رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[١].

(عن) أبي عبدالله **(النعمانِ بنِ بَشيرٍ)** الأنصاريِّ الخزرجيِّ (﵄) تقدم ترجمته في (فضائل الذكر) من أواخر (الصلاة)، قبيل (كتاب الجنائز)، **(عن النبي ﷺ قال: الدعاء هو العبادة).**

قال الطيبي: أتى بضمير الفصل، والخبر المعرّف بـ (ال)؛ ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء[٢].

(ثم قرأ) ﷺ: (﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾).

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٦٤)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» للطيبي (٥/ ١٧٠٨).

قال القاضي البيضاوي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ حيث إنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى، معرِض عمّن سواه، لا يرجو، ولا يخاف إلا منه؛ استدل عليه بالآية الكريمة، فإنها تدل على أنه أمر مأمور به، إذا أتى به المكلف، قُبل منه لا محالة، وترتَّبَ عليه المقصود ترتُّبَ الجزاء على الشرط، والمسبب على السبب، وما كان كذلك كان أتمَّ العبادةِ وأكملَها. انتهى[1].

والمقصود: أن الدعاء من أعظم أفراد العبادة وأنواعها؛ لما ينشأ عنه من الذل والانكسار، والمسكنة والافتقار، فهو كقوله ﷺ: «الحج عرفة»[2]؛ أي: ركنه الأعظم؛ لدلالته على مقصود العبادة، وهو الذل والانكسار؛ فإن العبد كلما كان أعظم ذلًا وانكسارًا، وخضوعًا ومسكنة لربه؛ كان أقربَ إليه، وأكرمَ عليه.

وفي «معجم الطبراني» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ دعا يوم عرفة، فقال: «اللهم إنك ترى مكاني، وتسمع كلامي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجِلُ المشفق المقرُّ المعترفُ بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل ابتهال المذنب الحقير الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وذلَّ لك جسده، ورغم لك أنفُه، وفاضت لك عيناه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيًا،

---

(١) انظر: «تحفة الأبرار» للبيضاوي (٢/ ٩).

(٢) رواه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠٤٤)، من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه.

وكن بي بارًّا رؤوفًا رحيمًا يا خيرَ المسؤولين، ويا خير المعطين»[1].

وكان بعضهم يقول في دعائه: بعزك وذلي، وغناك وفقري[2].

قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠]؛ أي: اعبدوني دون غيري أجبكم، وأثيبكم، وأغفر لكم[3].

قال البغوي: لما عبر سبحانه عن العبادة بالدعاء، جعل الإثابة الاستجابة، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾[غافر: ٦٠]؛ أي: عن الذكر والسؤال، وذكرَ حديث أبي هريرة الآتي: «من لم يدعُ اللهَ يغضبْ عليه»[4].

وقوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]؛ أي: صاغرين ذليلين[5].

(رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح)[6]، ورواه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان والحاكم في صحيحيهما[7].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٦٩٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعف سنده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٦٦٢).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (١/ ١٨٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣).

(٤) سيأتي الحديث برقم (٦١٧)، والحديث رواه البغوي بسنده في «تفسيره» (٤/ ١٠٣).

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣).

(٦) تقدم تخريجه.

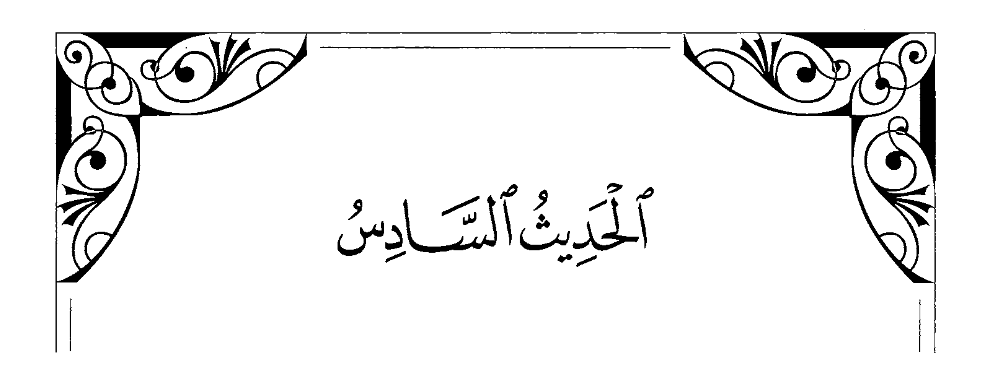
(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» =

ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث البراء بن عـازب رضي الله عنهما[1]، وأسـانيده صحيحة.

* * *

= (٢٩١٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وابن حبـان فـي «صـحيحه» (٨٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠٢).

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٢٨).



الحديث السادس

٦١٦ ـ عَنْ سَلْمَانَ الفَارسيِّ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «لَا يَـرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا البِـرُّ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن سلمانَ الفارسيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يردُّ القـضاءَ) المقدَّر **(إلا الدعاءُ)**.

قال التوربشتي: في تأويله وجهان:

أحدهما: أن يراد بالقضاء: ما يخافه العبد من نـزول المكـروه، فـإذا وفق للدعاء، دفع الله ﷻ عنه ما كان يخافه، فيكون تسميته بالقضاء مجازًا، ويزيده وضوحًا: ما سئل رسولُ الله ﷺ عنه في قوله: أرأيت رُقًى نسترقيها، وأدوية نتداوى بها، أترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله»[2]؛ فقـد أمر الله بالتداوي والدعاء، مع علم الخلق بأن المقـدور كـائن؛ لأن حقيقـة

---

(١) رواه الترمذي (٢١٣٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٦٥) من حديث أبي خزامة ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح.

المقدور وجودًا وعدمًا مخفيةٌ عنهم.

والثاني: أن يراد به: الحقيقة، فيكون معنى رد الدعاء للقضاء: تهوينه، وتيسير الأمر فيه، حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل، ويؤيده: حديث: «الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل»[1]، أما نفعه مما نزل، فصبره عليه، ورضاه به، وأما مما لم ينزل، فهو أن يصرفه عنه، أو يمده قبل النزول بتأييد من عنده حتى يخفّ عنه أعباء ذلك إذا نزل به[2].

قال الغزالي: فإن قيل: فما فائدة الدعاء، مع أن القضاء لا مرد له؟

فاعلم أن من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لردّ البلاء، ووجودِ الرحمة، كما أن البذرَ سبب لخروج النبات من الأرض، وكما أن الترس يردُّ السهم، كذلك الدعاء والبلاء. انتهى[3].

(ولا يزيد في العمر) الذي قدره الله ﷻ للإنسان **(إلا البـِرّ)** بكسر الموحدة، وهو اسم جامع للخير، والمراد بالبر هنا: بر الوالدين، وصلة الرحم.

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة، وفي الصحيحين، و«سنن أبي داود»، والنسائي من حديث أنس رضي الله عنهما: أن

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

(٢) انظر: «الميسر في شرح مصابيح السنة» للتوربشتي (٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).

النبي ﷺ قال: «من أحب ـ وفي لفظ: من سره ـ أن يبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره ـ أي: في أجله ـ؛ فليصل رحمه»[1].

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند رجاله ثقات: عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «صلةُ الرحم، وحسنُ الجوار، وحسنُ الخلق يعمرْنَ الديار، ويزدْنَ في الأعمار»[2].

وأخرج عبدُالله بنُ الإمام أحمد في زوائد «المسند»، والبزار، وصححه الحاكم من حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نحو حديث أبي هريرة وأنس، لكن قال فيه: «ويدفع ميتة السوء»[3].

ولأبي يعلى من حديث أنس، رفعه: «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر، ويدفع بهما ميتة السوء»[4].

وفي «الأدب المفرد» للبخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «من اتقى ربه، ووصل رحمه، نُسئ له في عمره، وثرى ماله، وأحبه أهله»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٤)، والبخاري (٥٩٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧)، وأبو داود (١٦٩٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٢٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٤٣)، والبزار في «مسنده» (٦٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٨٠).

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤١٠٤).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٨).

قوله في الحديث: (ويُنْسأ في أثره)، وهو بضم التحتية وسكون النون بعدها سين مهملة ثم همزة؛ أي: يؤخر له في أثره؛ أي: في أجله، ويسمى الأجل أثرًا؛ لأنه يتبع العمر، قال زهير:

والمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ

لا ينقضي العمرُ حتى ينتهي الأثرُ[1]

وأصلُه من أثر مشيه في الأرض؛ فإن من مات لا يبقى له حركة، فلا يبقى لقدمه في الأرض أثر.

قال في «الفتح»: قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف: ٣٤]، قال: والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، ومثلُ هذا ما جاء: أن النبي ﷺ تقاصرَ أعمارَ أمته بالنسبة لأعمار مَنْ مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلةَ القدر[2].

وحاصله: أن صلة الرحم والبر يكونان سببًا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى الذكر الجميل، فكأنه لم يمت.

---

(١) القائل كعب بن زهير. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٨)، وفيه: «تنتهي العين» بدل «ينقضي العمر».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣٢١) عمن يثق به من أهل العلم مرسلًا.

ومن جملة ما يحصل له من التوفيق: العلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علمِ الملَك الموكَّل بالعمر.

وأما الأول الذي دلت عليه الآية الكريمة، فبالنسبة إلى علم الله تعالى؛ كأن يقال للملَك مثلًا: إن عمر فلان مئة مثلًا إن وصل رحمه، وستين إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل، أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فالمحو أو الإثبات بالنسبة لما في علم الملَك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله، فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلَّق.

والوجه الأول أليقُ بلفظ الأحاديث؛ فإن الأثر يتبع الشيء، فإذا أخر، حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور.

قال الطيبي: الوجه الأول أظهر، إليه يشير كلام صاحب «الفائق»؛ فإنه قال: يجوز أن يكون المعنى: أن الله تعالى يُبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلًا، فلا يضمحل سريعًا كما يضمحل أثرُ قاطع الرحم.

ولما قال أبو تمام قوله في بعض المراثي:

تُوُفِّيـــتِ الآمـــالُ بعـــدَ محمـــدٍ

وأصبحَ في شُغُلٍ عن السَّفَرِ السَّفْرُ[1]

قال له أبو دلف: لم يمت من قيل فيه هذا الشعر.

ومن هذه المادة قولُ الخليل إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسلام والتسليم: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤].

وقد ورد في تفسيره وجه ثالث، فأخرج الطبراني في «الصغير» بسند ضعيف عن أبي الدرداء ﷺ قال: ذكر عند رسول الله ﷺ: من وصل رحمه، أنسأ الله له في الأجل، فقال: «إنه ليس زيادة في عمره، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾[يونس: ٤٩] الآية، ولكن الرجل يكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده»[2].

وله في «الكبير» من حديث أبي مشجعة[3] الجهني، رفعه: أن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر ذريةٌ صالحة... الحديث[4].

وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر: نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله.

---

(١) القائل أبو تمام. انظر: «شرح ديوان أبي تمام» للخطيب التبريزي (٢/ ٢١٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٤) من حديث أبي الدرداء ﷺ، ولم نقف عليه في «المعجم الصغير».

(٣) في الأصل: «سجعة»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٤) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٤٩) من حديث أبي مشجعة عن أبي الدرداء ﷺ، ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير».

وقال غيره: في أعم من ذلك، وفي وجود البركة في رزقه وعمله، ونحو ذلك[1].

وتقدم مثلُ هذا في (فضل صلة الرحم). والله أعلم.

(رواه)؛ أي: حديثَ سلمان الفارسي ﷺ المشروحَ **(الترمذي، وقال)**: حديث **(حسن غريب)**، ورواه الحاكم[2].

ورواه الإمام أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم في صحيحيهما من حديث ثوبان ﷺ، ولفظه: أنه ﷺ قال: «إن الرجل ليُحرم الرزقَ بالذنب يصيبه، ولا يرد القضاءَ إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»[3].

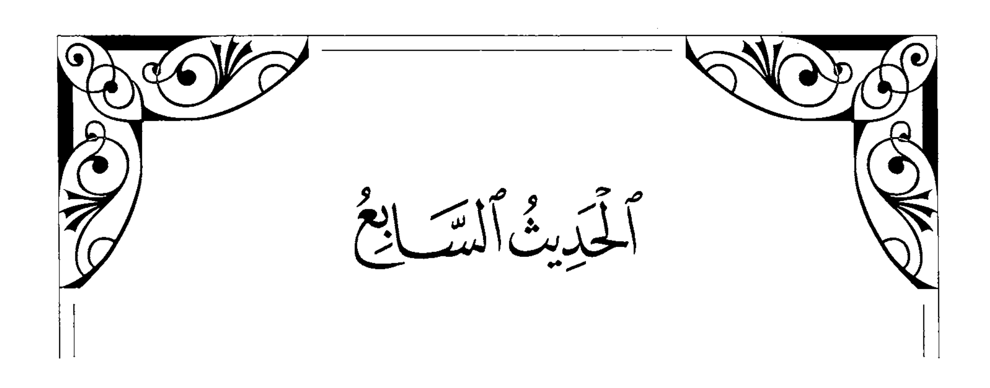
* * *

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤١٦).

(٢) تقدم تخريجه عند الترمذي (٢١٣٩). ولم نقف عليه عند الحاكم في «المستدرك» من حديث سلمان ﷺ، وإنما رواه برقم (١٨١٤) من حديث ثوبان ﷺ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٧٥ ـ طبعة مؤسسة الرسالة)، وابن ماجه (٤٠٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٤).



الحديث السابع

٦١٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ». رواه الترمذي[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من)؛ أي: أي عبد من عباد الله ﷻ **(لم يسأل الله)** تعالى مهماته، ويدعوه لقضاء حاجاته **(يغضبْ عليه)** لإعراضه عن سؤال مولاه، وإظهار فقره لمن يعلم سرَّه ونجواه؛ فإن في الدعاء إظهارًا للافتقار، واحتياجًا للعزيز الكريم الغفار. **(رواه الترمذي)**.

وفي حديث ابن مسعود ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «سلوا الله من فضله؛ فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظارُ الفرج»، رواه الترمذي بإسناد حسن، ورواه ابن أبي الدنيا[2].

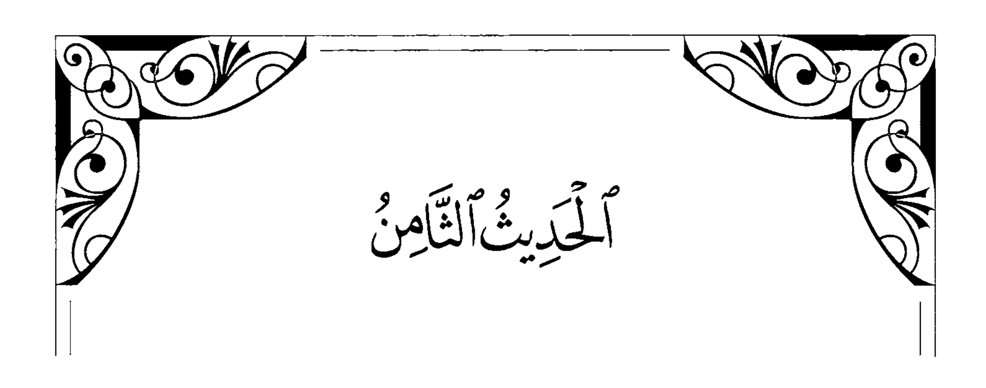
فينبغي للإنسان أن يدعو الله ﷻ لإذهاب البلاء، ونيل المنى.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٧١) وقال: حماد بن واقد هذا هو الصفار ليس بالحافظ، وهو عندنا شيخ بصري. ورواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٢).



الحديث الثامن

٦١٨ ـ عَنْ جَابِر بن عبدالله ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ». رواه الترمذي[1].

(عن) أبي عبدِالله (**جابرِ بنِ عبدالله** ﷺ **قال: سمعت رسول الله** ﷺ **يقول: ما من أحد**) من المسلمين، من ذكر وأنثى (**يدعو**) الله ﷻ (**بدعاء**)؛ من جلب محبوب، أو دفع مكروه، (**إلا آتاه**): بمد الهمز؛ أي: أعطاه (**الله**) تعالى (**ما سأل**)؛ بأن يعطيه عينَ ما طلبه، أو مثلَه، أو أفضلَ منه، (**أو كفَّ**)؛ أي: دفع وأزاح (**عنه من السوء**) من كل مكروه وآفة في بدن أو أهل أو مال ونحو ذلك (**مثلَه**)؛ أي: مثل الذي سأله، أو أزيدَ منه، فكل داعٍ يُستجاب له، ولكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعينِ ما دعا به، وتارة بعوضه؛ من جلب محبوب، أو دفع مكروه؛ بحسب ما يليق ويصلح للداعي، والله عليم حكيم (**ما لم يدعُ بـ**) طلبِ (**إثمٍ**)؛ كأن يدعو بطلب نحو زنا، وهلاكِ عبد صالح، (**أو**) يدعُ بـ (**قطيعة رحم**)، فلا تتعين إجابة الداعي بذلك؛ لما فيه من مخالفة ما أمر الله به ورسولُه ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨١).

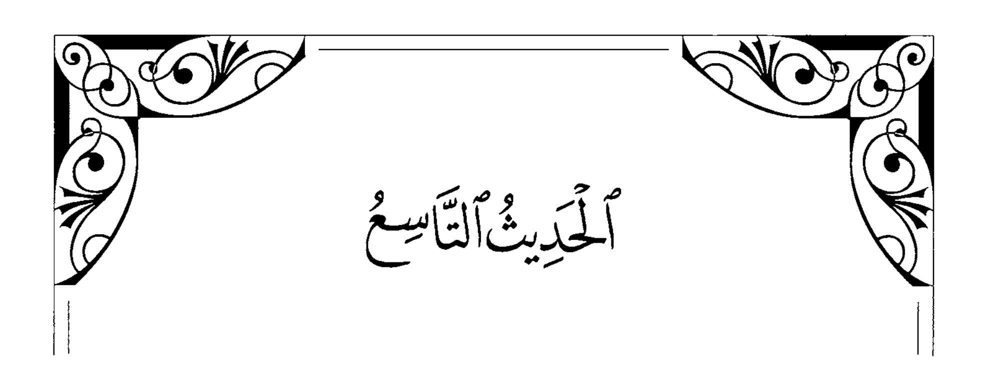
(رواه الترمذي)، ورواه الإمام أحمد[1].

وروى الحاكم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «يدعو الله عز وجل بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه، فيقول: عبدي! إني أمرتك أن تدعوني، ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتني يوم كذا وكذا لِغمّ نزل بك أن أفرج عنك، ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا لِغمّ نزل بك أن أفرج عنك، فلم ترَ فرجًا؟ قال: نعم يا رب، فيقول: إني ادّخرت لك بها في الجنة كذا وكذا، ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا، فقضيتها؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: فإني عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك، فلم ترَ قضاءها؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا»، قال: قال رسول الله ﷺ: «فلا يَدَعُ الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا، وإما أن يكون ادخر له في الآخرة»، قال: «فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليت لم يكن عُجِّلَ له شيء من دعائه»[2].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٠)، وتقدم تخريجه عند الترمذي.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٩)، وقال: هذا حديث تفرد به الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر، ومحل الفضل بن عيسى محل من لا يتوهم بالوضع، وفي «التلخيص» للذهبي: «يتهم» بدل «يتوهم».



الحديث التاسع

٦١٩ ـ عَن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِمَأْثَمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِذًا نُكْثِرَ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب[1].

(عن) أبي الوليدِ (**عُبادةَ بنِ الصامتِ** ﷺ: **أن رسول الله ﷺ قال: ما على**) وجه (**الأرض مسلمٌ**) من أمة المسلمين (**يدعو**) الله ﷻ (**بدعوة**): تنكيرُها للعموم، سواء كانت من أمور دينه، أو دنياه؛ من نحو صحة في البدن، وعافية في الجسد، وسعة في الرزق، وتوفيق في العمل، وقضاء حوائجه ومهماته، ودفع همومه ومكروهاته، (**إلا آتاه**): بمد الهمزة؛ أي: أعطاه (**الله**) ﷻ (**إياها**)؛ أي: دعوته بعينها، (**أو صرف**)؛ أي: دفع وكفَّ (**عنه**)؛ أي: عن الداعي (**من السوء**)؛ من نحو آفة في بدنه، أو في ولده وأهله وماله، أو مكروه في ذلك (**مثلَها**)؛ أي: مثل دعوته التي دعا الله بها

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٣).

أن يعطيه إياها، أو أزيدَ منها، **(ما لم يدعُ بإثم، أو قطيعة رحم)**؛ لأن ذلك منهيٌّ عنه.

(فقال رجل) من الصحابة الكرام ﷺ: **(إذًا)**؛ أي: حيث كان الأمر كذلك **(نُكْثِر)** من الدعاء، وسؤال الحوائج من الله ﷻ، **(قال)** النبي ﷺ: **(الله)** ﷻ **(أكثرُ)** إجابة.

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب)، ورواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1].

وأخرج الإمام أحمد بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم ينصبُ وجهه لله ﷻ في مسألة إلا أعطاها إياه، إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له»[2].

وروى الإمام أحمد، والبزار، وأبو يعلى بأسانيد جيدة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن أبي سعيدٍ سعدِ بنِ مالكٍ الخدريِّ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»، قالوا: إذًا نكثر، قال: «الله أكثر»[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٨)، والبزار كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٣١٤٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠١٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٦).

وروى ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعجزوا[1] في الدعاء؛ فإنه لم يهلك مع الدعاء أحد»[2].

وروى الحاكم وقال: صحيح الإسناد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض»[3].

ورواه أبو يعلى من حديث علي ﷺ[4].

وروى الترمذي، والحاكم، وقال الترمذي: غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من فتح له منكم باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا ـ يعني: أحب إليه ـ من أن يسأل العافية»، وقال رسول الله ﷺ: «إن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عبادَ الله بالدعاء»[5].

وروى أبو داود، والترمذي وحسّنه، واللفظ له عن سلمان ﷺ قال:

---

(١) في الأصل: «تعجلوا»، والتصويب من مصدري التخريج.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٧١)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٢) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ، ولم نقف عليه عند أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٣٩).

(٥) رواه الترمذي (٣٥٤٨) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه. ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٣٣).

قال رسول الله ﷺ: «إن اللهَ حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردّهما صِفرًا خائبتين»[1]؛ بكسر الصاد المهملة وإسكان الفاء: هو الفارغ.

ورواه ابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين[2].

وروى الحاكم نحوه من حديث أنس، ولفظه: «إن الله رحيم كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه، ثم لا يضع فيهما خيرًا»[3].

وروى البزار، والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يُغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل، فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة»[4].

قوله: (فيعتلجان)؛ أي: يتصارعان ويتدافعان.

وروى الترمذي وقال: حديث غريب من حديث أنس مرفوعًا: «الدعاء مخُّ العبادة»[5].

* * *

---

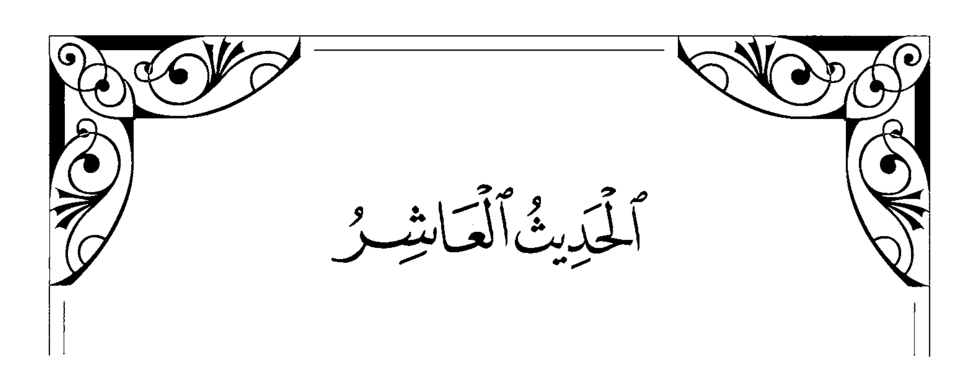
(١) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣١).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٣٢).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (١٨/ ١١٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٣).

(٥) تقدم الحديث برقم (٦١٤).



ٱلْحَدِيثُ ٱلْعَاشِرُ

٦٢٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ؛ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ». رواه الترمذيُّ وقال: غريب[1].

(عن أبي هريرةَ) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه)**؛ أي: أبهجَه وأفرحه وأعجبه **(أن يستجيب الله)** ﷻ **(له)** دعاءه **(عند)** حصول الأمور **(الشدائد)**، ووقوع المصائب العظائم، **(و)** عند حصول **(الكُرَب)**: بضم الكاف وفتح الراء: جمع كَرْب ـ بفتح فسكون ـ، وهو غَمّ يأخذ بالنفس لشدته، ووقوعه فيها، **(فليكثرِ الدعاءَ في)** حال **(الرخاء)**، وفي حال الرفاهية والأمن والعافية؛ لأن من شيمة المؤمن أن يَريش السهمَ قبل أن يرمي، ويلتجئ إلى الله قبل الاضطراب.

(رواه) أبو عيسى **(الترمذي، وقال)**: حديث **(غريب)**، ورواه الحاكم وقال: صحيح، ورواه الحاكم ـ أيضًا ـ من حديث سلمان، وقال في كل منهما: صحيح الإسناد[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا =

* **فائدة:**

ذكر الغزالي في «الإحياء»، والنواوي في «الأذكار»، وغيرهما: أن آداب الدعاء عشرة:

الأول: أن يترصّد الأزمانَ الشريفة؛ كيوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل، ووقت الأسحار.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة؛ كحالة السجود؛ فإن العبد أقربُ ما يكون من ربه ﷻ وهو ساجد، وهو أعظم ما يظهر فيه ذل العبد لربه ﷻ؛ حيث جعلَ العبدُ أشرفَ ما له من الأعضاء، وأعزها عليه، وأعلاها حقيقة، أوضع ما يمكنه، فيضعه في التراب متعفرًا، ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله ﷻ.

ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يقربه إليه؛ كما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق: ١٩]، وكحالة التقاء الجيوش في حرب الكفار، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة، وبعدها، وحال رقة القلب.

الثالث: استقبال القبلة، ورفع اليدين، ويمسح بهما وجهه في آخره؛ ليرد من الرحمة والسكينة والخير الذي نزل بهما على وجهه.

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر[2].

= حديث صحيح الإسناد، احتج البخاري بأبي صالح، وأبو عامر الألهاني أظنه الهوزني وهو صدوق. ولم نقف عليه من حديث سلمان ﷺ.

(١) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٠٥)، و«الأذكار» للنووي (ص: ٣١٦).

قال المحقق ابن القيم في كتابه «بدائع الفوائد»: قال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥]: من الاعتداء: رفعُ الصوت في الدعاء والنداء بالدعاء والصياح[١].

وقال ابن القيم: الآيةُ الكريمة أعمُّ من ذلك، وإن كان رفعُ الصوت بالدعاء مراداً بها، فهو من جملة المرادات، والله لا يحب المعتدين، فمن المعتدين بالدعاء: الذي يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك.

وقد روى أبو داود في «سننه» من حديث حمادِ بنِ سلمةَ، عن سعيدٍ الجريري، عن أبي نعامة: أن عبدَالله بنَ مغفَّلٍ سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصرَ الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: يا بني! سلِ اللهَ الجنةَ، وتعوذ به من النار؛ فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطّهور والدعاء»[٢].

فعلى هذا الاعتداءُ في الدعاء تارة أن يسأل العبدُ ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة يسأل ما لا يفعله الله؛ مثل: أن يسأله تخليدَه إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، أو يسأله أن يُطلعه على غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدًا من غير زوجة ولا أَمَة، وكل سؤال يناقض حكمه تعالى، ويتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٢٤)، والأثر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٦٧).

(٢) رواه أبو داود (٩٦).

ما أخبر به، فهو من الاعتداء، فلا يحبه الله، ولا يحب سائله، والله لا يحب المعتدين في كل شيء، دعاء كان أو غيره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠][1].

قال المحقق ابن القيم في «البدائع»: ومن العدوان: أن يدعوه غير متضرع، بل دعاء مدلّ كالمستغني بما عنده، المدلّ على ربه به، وهذا من أعظم الاعتداء، المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته[2].

وقال بعدما ذكر أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، قال: وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥] يتناول نوعي الدعاء، لكنه ظاهر في دعاء المسألة، متضمن دعاء العبادة، ولهذا أمر بإخفائه وإسراره.

قال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفًا[3].

ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كانت إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥]، وإن الله ذكر عبدًا صالحًا، ورضي بفعله، فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[مريم: ٣][4].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٢٤).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠).

(٤) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

قال في «البدائع»: وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيماناً؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي، وليس كالذي قال: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

وثانيهما: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا ترفع الأصوات عند الملوك، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخفى عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه، ومن رفع صوته لديهم، مقتوه، ولله المثل الأعلى.

ثالثها: أنه أبلغُ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبّه ومقصوده؛ فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد أن تبلغ مسكنته وكسره وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق، وقلبه يسأل طالبًا مبتهلًا، ولسانه لشدة ذلته وضراعته ومسكنته ساكنًا، وهذه الحالة لا تتأتى مع رفع الصوت بالدعاء أصلًا.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء؛ فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته، فكلما خفض صوته، كان أبلغ في حمده[1]، وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

سادسها: وهو من النكت السرية البديعة جدًّا: أنه دال على قرب صاحبه من الله؛ وأنه لاقترابه منه، وشدة حضوره يسأل مسألَة أقرب شيء إليه، مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

---

(١) في «بدائع الفوائد»: «صمده».

ولهـذا أثنـى سـبحانه علـى عبـده زكريـا بقولـه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[مريم: ٣]، فلما استحضر القلب، قرب الله تعالى منه، وأنـه أقـربُ إليه من كل قريب، وتصور ذلك: أخفى دعاءه ما أمكنه، ولـم يتأت له رفـعُ الصوت به، بل يراه غيرَ مستحْسَن؛ كما أن من خاطب جليسًا له يسمع إخفـاء كلامه، فبالغ في رفع صوته، استُهجن ذلك منه، ولله المثل الأعلى.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابةُ أصواتهم بالتكبير، وهم معه في السـفر، فقـال: «اربَعـوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكـم تـدعون سـميعًا قريبًـا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلتـه»[1]، وقـد قـال تعـالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[البقرة: ١٨٦].

وقد جاء أن سبب نزولها: أن الصحابة قالوا: يا رسول الله! ربنـا قريـب فنناجيـه، أم بعيـد فنناديـه؟ فـأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[البقرة: ١٨٦].

وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء، لا النداء الذي هو رفعُ الصوت؛ لأنهم عن هـذا سألـوه، فأُجيبـوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريـب، لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى النداء، وإنما يُسأل مسألة القريب المناجَى، لا مسألة البعيد المنادَى.

وهذا القربُ من الداعي هو قرب خـاصّ، لـيس قربًـا عامًّـا مـن كـل

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٢)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

أحد، فهو قريب من داعيه، وقريب من عابده، وأقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهو أخصُّ من قرب الإنابة، وقرب الإجابة الذي لم يعرفه أكثر المتكلمين، بل قرب خاص من الداعي والعابد.

سابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال؛ فإن اللسان لا يملّ، والجوارح لا تتعب؛ بخلاف ما إذا رفع صوته به؛ فإنه قد يكِلُّ لسانُه، وتضعف قواه.

وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعًا صوته؛ فإنه لا يطول له ذلك؛ بخلاف من خفض صوته.

ثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعدُ له من القواطع والمشوشات والمضيعات؛ فإن الداعي إذا أخفى دعاءه، لم يدرِ به أحد، فلا يحصل تشويش ولا غيره، وإذا جهر به، تعرضت له الأرواح الشريرة الباطولية والخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولا بد، ومانعَتْه وعارضَتْه، ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرق عليه همته، فيضعف أثر الدعاء، ومن له تجربة يعرف هذا، فإذا أسرَّ الدعاء وأخفاه، أمن هذا المفسدَ.

تاسعها: أن أعظم النعم الإقبالُ عليه، والتعبد له، والانقطاع إليه، والتبتل لديه، ولكل نعمة حاسد على قدرها، دقَّت أو جلَّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فأنْفُس الحاسدين المقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته من الحاسد، وأن لا يقصد إظهارها له.

وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وكم من صاحب قلب، وجمعيةٍ وحالٍ مع الله قد تحدَّث بها، وأخبرَ بها، فسلبه إياها الأغيار، فأصبح يُقلِّب كفيه! .

ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السِّرِّ مع الله، وأن لا يُطلِعوا عليه أحدًا، ويتكتموا بها غاية التكتم، وأنشدوا في ذلك:

مـن سـارروه فأبـدى السرَّ مجتهـدًا
لـم يـأمنوه علـى الأسـرار مـا عاشـا
وأبعـدوه فلـم يظفـر بقـربهم
وأبـدلوه مكـان الأُنْـس[1] إيحاشـا
لا يـأمنون[2] مُـذيعًا بعـضَ سـرِّهم
وحاشـا وِدادهـم مـن ذلكـم حاشـا[3]

فالقوم أعظم شيءٍ كتماناً لأحوالهم مع الله، وما وهب الله لهم من محبته والأنس به، وجمعية القلب، ولا سيما للمبتدئ والسالك.

فإذا تمكن أحدهم وقوي، وثبت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه؛ بحيث لا يُخشى عليه من العواصف؛ فإنه إذا أبدى حاله وشأنه مع الله؛ ليقتدى به، ويؤتَمَّ به، لم يبالِ.

وهذا باب عظيم النفع، إنما يعرفه أهلُه، وإذا كان الدعاء المأمور

---

(١) في «الزهد والرقائق»: «من الإيناس» بدل «مكان الأنس».

(٢) في «الزهد والرقائق»: «يصطفون».

(٣) القائل هو شابٌّ كان يحضر مجلس ذي النون بن إبراهيم المصري. انظر: «الزهد والرقائق» للخطيب برقم (٥٠).

بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله، فهو من أعظم الكنوز التي هي أحقُّ بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين[1].

قال في «البدائع»: وهذه فائدة شريفة نافعة.

عاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه، متضمنٌ للطلب منه، والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة؛ كما أن الذكر سمي دعاء؛ لتضمنه الطلب؛ كما قال النبي ﷺ: «أفضل الدعاء الحمدُ لله»[2]، فسمى الحمدَ لله دعاءً.

وهو ثناءٌ محضٌ يتضمن الحبَّ والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحقّ أن يسمى داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة، فتأمل هذا الموضع، ولا يحتاج إلى ما قيل: إن الذاكرَ متعرضٌ للنوال، وإن لم يكنْ مصرِّحًا بالسؤال، فهو داعٍ بما تضمنه ثناؤه من التعرض؛ كما قال أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني

حياؤك إن شيمتك الحياءُ

إذا أثنى عليك المرءُ يومًا

كفاه من تعرضه الثناءُ[3]

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥١٨ ـ ٥٢١).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٦)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «ديوان أمية بن أبي الصلت» (ص: ١٧، ١٩).

وقد قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد، وابن جريح: أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة، دونَ رفع الصوت والصياح(١).

وقد تقدم حديث أبي موسى رضي الله عنه: كنا مع النبيِّ ﷺ في سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال ﷺ: «يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٢).

قوله ﷺ: (اربعوا على أنفسكم)؛ أي: اعطفوا؛ بالرفق بها، والكف عن الشدة؛ كما في «المطالع»(٣). والله أعلم.

الأدب الخامس: من آداب الدعاء: أن لا يتكلف السجعَ في دعائه، وقد فسر به الاعتداء في الدعاء.

والأولى للداعي أن يقتصر على الدعوات المأثورة، فما كل أحد يحسن الدعاء، فيخاف عليه الاعتداء.

وقد قال بعضهم: ادعُ بلسان الذلّة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٢١)، والحديث المذكور تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ١١٠).

ويقال: إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات، ويشهد له ما ذكره الله ـ سبحانه وتعالى ـ في آخر سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦] إلى آخرها، لم يخبر سبحانه في موضع عن أدعية عباده بأكثر من ذلك.

قال النووي: ومثله في سورة إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[إبراهيم: ٣٥] إلى آخره.

قال: والمختار الذي عليه جماهير العلماء: أنه لا حجر في ذلك، فلا تكره الزيادة على السبع، بل يستحب الإكثار من الدعاء مطلقًا[١].

وقال الحافظ ابن الجوزي ـ وذكر للدعاء تسعةَ عشرَ أدبًا ـ: وأن يكون لفظ الدعاء غيرَ متكلف، بل عن حرقة واجتهاد؛ فإن المشغول بتسجيع الألفاظ وترتيبها بعيدٌ عن الخشوع.

نعم، إن اتفق له ذلك من غير تكلف؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن علم لا ينفع، ومن دعاء لا يُسمع»[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما لبعض أصحابه: إياك والسجعَ في الدعاء؛ فإنهم كانوا لا يفعلون ذلك[٣].

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٣١٦ ـ ٣١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، دون قوله: «ومن عين لا تدمع».

(٣) انظر: «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (١/ ٢٧٣)، والحديث رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٠٠).

السادس: التضرع والخشوع والرهبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥].

السابع: أن يجزم بالطلب، ويوقن بالإجابة، وعدَّهما ابن الجوزي أدبين، فقال: العزم في الدعاء لما في الصحيحين عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دعا أحدكم، فليعزمْ، ولا يقل: اللهم إن شئت، فأعطني؛ فإن الله ﷻ لا مُستكرِهَ له»[1].

وقال: وأن يدعو وهو موقن بالإجابة؛ لقوله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافل»[2].

رواه الترمذي، والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ[3].

وقال النووي: يوقن بالإجابة، ويصدق رجاؤه فيها، قال: ودلائله كثيره مشهورة.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله، ورضي عنه: لا يمنعنَّ أحدكم الدعاء ما يعلمه من نفسه؛ فإن الله تعالى أجاب شرَّ المخلوقين إذ قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[ص: ٧٩ ـ ٨٠][4].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٢) انظر: «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (١/ ٢٧٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٧٩).

(٤) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٣١٧)، والأثر المذكور رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٤٧).

الثامن: أن يُلحّ في الدعاء، ويكرره ثلاثًا، ولا يستبطئ الإجابة؛ لقوله ﷺ: «إن الله يحب المِلحِّين في الدعاء»، رواه الحكيم الترمذي، وابن عدي، والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث عائشة رضي الله عنها[1].

التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى، وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعدَ الحمد لله، والثناءِ عليه، ويختمه بذلك كله.

وعدَّ الحافظُ ابنُ الجوزي الصلاةَ على النبي ﷺ أدبًا مستقلًا، وعدَّ ـ أيضًا ـ من أدب الدعاء: أن يسبح قبل الدعاء عشرًا[2].

وتقدم كلام الإمام المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب»: أن المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله، والثناء عليه بين يَدَي حاجته، ثم يسأل حاجته.

وذكر حديث فضالة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتحميد ربه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما يشاء»، رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في «صحيحه»[3].

وهكذا دعاء ذي النون الذي قال فيه النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون،

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٦٩١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ١٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان (١١٠٨).

(٢) انظر: «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (١/ ٢٧٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٨)، والترمذي (٣٤٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٠)، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

وفي «سنن الترمذي»: «دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]؛ فإنه لم يدعُ بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[١].

وهكذا عامة الأدعية النبوية[٢].

العاشر ـ وهو أهمها، والأصل في الإجابة ـ: وهو التوبة، وردُّ المظالم، والإقبال على الله تعالى[٣].

وزاد الحافظ ابن الجوزي: الصلاة على النبي ﷺ في أول الدعاء، وقال بعضهم: في أوله، ووسطه، ويختمه بها، وأن يسبح قبل الدعاء عشرًا كما أشرنا إلى ذلك، وأن يكون الدعاء صحيح اللفظ؛ لتضمنه مواجهة الحق بالخطاب، وقد جاء في الحديث: لا يقبل الله دعاء ملحوناً[٤].

وأن يحضر قلبه؛ لقوله ﷺ: «إن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافل»[٥].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٠ ـ ١٢١).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧)، و«الأذكار» للنووي (ص: ٣١٦ ـ ٣١٧).

(٤) ذكره علي القاري في «المصنوع» (٤٧) وقال: لا يعرف له أصل.

(٥) رواه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٧٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وأن يسأل ما يصلح سؤاله؛ فإنه لو سأل مرتبة الأنبياء، كان متعديًا؛ كما قدمنا الإشارة إلى ذلك، وأن يأكل الحلال قبل الدعاء، وأن يديم الدعاء في السراء، وأن يدعو بالأدعية المأثورة؛ فإن تعليم الشرع خير من اختيار العبد، وأن لا يستعجل؛ كما مرّ[1].

وزاد ابن الجزري[2]: وتقديم عمل صالح، والوضوء، وهذا مستفاد من قولهم: وأن يدعو في الأحوال الشريفة.

والجثو على الركب، وبسط يديه، ورفعهما حذو منكبيه، وكشفهما مع تأدب واعتراف بذنوبه، ويبدأ في دعائه بنفسه، ولا يخصّها إن كان يُؤَمَّن على دعائه[3]. والله الموفق.

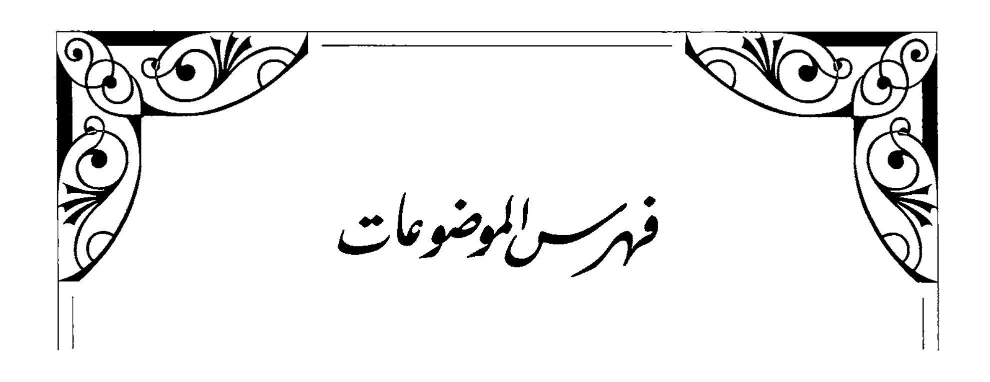
❐ ❐ ❐

---

(١) انظر: «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (١/ ٢٧١ ـ ٢٧٤)، و«غذاء الألباب» للسفاريني (٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

(٢) في الأصل: «الجوزي»، والتصويب من «غذاء الألباب» (٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر: «عدة الحصن الحصين» لابن الجزري (ص: ٣٠ ـ ٣١).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

